



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

البلاغة والتطبيق

تأليف

الدكتور أحمد مطلوب

الدكتور حسن البصير

طبعة ثانية

١٩٩٩

مكتبة
مكتبة
مكتبة

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

البلاغة والتطبيق

تأليف

الدكتور كامل حسن البصير

الدكتور أحمد مطلوب

الطبعة الثانية

حقوق الطبع محفوظة لدى وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

البلاغة من علوم اللغة العربية، وقد كانت السبيل القضي إلى فهم كتاب الله وكلام العرب؛ ولذلك أولى القدماء هذا الفن عناية كبيرة ووضعوا لبيد دراسات كثيرة اتسعت بالأصالة والتهج الشديد؛ ولولا جنوح الحياة الأدبية في القرون المتأخرة إلى التخليد لظلت البلاغة ثابتة بالحياة ترفد الأديب بكل بديع، ولقيت معلما من معالم التطور والتجديد؛ ولكن ما أصاب الأدب من ذبول أورتها جموداً تمسك في شروح التلخيص وبعض ما عرف من كتبها في تلك العهود؛ وقد قامت محاولات جادة في هذا العصر لإعادة الحياة إلى البلاغة وربطها بالأدب الحديث، ولكن تلك المحاولات لم تنجح كثيراً لأنها لم تكمل ما بدأه السابقون وإنما انصرفت إلى وضع المناهج من غير أن تنسج الموضوعات أو تحاول بحثها من جديد؛ وأهل من أصاب ذلك أن بعض أصحاب تلك المحاولات لم يصفقوا همها، وكان للرحوم أمين الخولي أثرهم على النهوض بالبلاغة لولا وفورته عند منهج فن القول:

وطالب اللغة العربية في الكلية لا يحتاج إلى رسم المناهج فقد حاجته إلى الأصول التي تثير سبيله وتبصره بمواقع الكلام؛ وأول ما ينبغي أن يعرفه الأسس العلمية التي تقوم عليها البلاغة كما استقرت في علومها الثلاثة: المعاني والبيان والبديع، ومن هنا كان منهج الدراسة بكتليات الآداب في جامعات قطر العراقي، يقوم على معالجة هذه العلوم الثلاثة إلى جانب المهاد التاريخي الذي يكشف عن نشأة البلاغة وتطورها ليكون الطالب على يقين من أمر هذا الفن الذي نشأ ملاحظات عامة ثم استوى علما فا نواعد وأصول؛ وهذا الكتاب أربعة أبواب:

الأول: نشأة والتطور؛ وقد شمل مقدمة في تاريخ البلاغة العربية وتطورها، ودراسة للؤثرات فيها كالقرآن الكريم وكتب التفسير واللغة والنحو والأدب والفلسفة، وما نتج عن ذلك من اتجاهين تمثلتا في الدراسة الكلامية والدراسة

الأدبية: واحتوى هذا الباب دراسة تاريخية لمصطلحي القصة والبلاغة وتطورهما خلال القرون:

الثاني : علم المعاني، وقد ضمّ البحث في تعريفه ودراسة أهم موضوعاته كالخير والانشاء والتقديم والتأخير والتفصيل والوصل والتقصير والأجزاء والأطباة والمساواة:

الثالث : علم البيان، وقد شمل تعريفه ودراسة تشبيه والمخيلة والمجاز والاستعارة والكتابة والتعريف:

الرابع : علم البيان، وقد تضمن نشأته وأهم المحطات القبطية والعنوية: وتوزعت هذه الأبواب على ثلاثة فصول دراسية ليكون للطلبة متسع بتصرفون فيه إلى استيعاب الأصول وتلوق النصوص وعرفة ما فيها من فنون:

كتب الثابن : الأول والثاني ، وحرر زميلي الدكتور كامل البصير الثابن : الثالث والرابع ، وكان الالتزام وانسجام بالنتيج التحليلي واعتناء النصوص البليغة ووضع التطبيقات والتعريفات في نهاية كل باب ليكون ذلك حرفة للطلبة على فهم الأصول وتلوق النصوص: ولم يقل الكتاب بالتعريفات الكبيرة وإنما كان الأكتفاء بما يقرب الصورة ويخدم الهدف ليطلق الطلبة بعد ذلك إلى رحاب أوسع بعد أن يتروّأوا بالعرفه ويأقنوا أساليب العرب ويخلقوا فن القول:

لقد أخذت أبواب هذا الكتاب من تقديم أصولها، لأن النهج المقرر يلزم ذلك ، ولأنّ مثل تقديم فيها أول خطوات التجديد، وهذا ما نسي إليه الدراسة الأدبية ، حتى إذا ما تفنن الطلبة هذا التقديم ووجدوا في تفوسهم القدرة على قضاء مسأروا في طريق البناء وفي تفوسهم لورد من التراث وفي تفوسهم قيس من التجديد : وبعد فهذا كتاب فيه من القديم أصوله ومن الجديد تطبيقاته ، وإن يكون تافهاً إلاّ بعد أن يحسن الطلبة الانتطاع به، وبعد أن يتروّأ الاساطلة ما فيه من أود، وما لكمال إلاّ له تعالى:

الأول من كانون الثاني ١٩٨١م

الخامس والعشرون من صفر ١٤٠١هـ

الباب الأول
النشأة والتطور

الفصل الأول
التاريخ
لمبحث الأول
التشابه والمؤثرات

التشابه :

ان الباحث حينما يتلمس البلور الاول لبلاغة العربية قبل عهد التنوين والتأنيث يجد أن العرب عرفوا كثيراً من الاحكام القندية التي أعانتهم على تفهيم الشعر وتلوذقه وفنائه : والآفة التي أنتجت الشعراء للبحول والخطباء المصالح لا بد أن تعرف العالم التي يخطبها الشعراء ويترسمها الخطباء، وإذا كان كثير من الاحكام القندية قبل الاسلام لم يصل اليها مع ما وصل من شعر وخطب وأشكال ، فان بعض تلك الاحكام تناقلتها الالسن والداواتها للكعب، وقد وصف القرآن الكريم العرب بأنهم أصحاب بيان فقال سبحانه وتعالى : **والرحمن : علم القرآن : خلق الانسان : علمه البيان** (١) ، وقال عن حسن كلامهم وشدة أسره وتأثيره في النفوس : **ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا** (٢) ، ووصف الوليد بن المغيرة بقرآن وقال : **هواؤه لقد سمعت من محمد كلاماً ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ، وان له حلاوة ، وان عليه لطلاوة ، وان آلاءه شعر ، وان أسفله لخلق** (٣) .

ويمكن ان يستدل الباحث على ان العرب عرفوا كثيراً من الاحكام القندية قبل الاسلام بأسرین :

الأول : عقل لا يمكن إنكاره، وهو انه لا يُصدّقني ان الشعر وصل إلى ما وصل اليه في ذلك العهد ، وان الخطابة بلغت قروتها، وان اللغة انحلت صوريتها

(١) سورة الرحمن، الآيات ١-٤ .

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٠٤ .

(٣) في سورة ابن هشام ج ١ ص ٢٧٠ : **هواؤه ان لقوله حلاوة ، وان أسفه لخلق** ، وان قوله لجهاته .

من غير ان يكون هناك عقل مدبر لكل ذلك، ومن غير ان تكون هناك اصول عامة تعارف عليها الشعراء والمثقفون وساروا عليها فيما نظموا أو قالوا، ومهما تحدث الباحثون عن السليقة الصافية واللوبق السليم، ومهما وصغروهم بالنقطة والدكاء، فان العقل ليكر ان يكون ما كان من غير ثقافة ودربة، وتواعد لثقي، لهم الطريق وفتح امامهم سبل لقول:

الثاني : قلبي وهو ما أثر عنهم وما جاء عن خطابهم ووصف خطبهم؛ وقد كان الخطباء يحترقون بيبانهم ويفخرون بأنفسهم، ولما دخل ضمرة بن ضمرة بن غيرة على النعمان بن النضر زري عليه للذي رأى من دعائه والصره وقلته، فقال النعمان: تسبح بالمعدي لا أن تراه، فقال : وأيت العن، ان الرجال لا تكلم بالفتزان (١) ولا توزن باليزان، وليست بسوك بسقى بها (٢)، وانما المرء بأصغره : بقلبه ولسانه ، ان حال حال يجنان، وان قال قال بيان (٣) : وكان ضمرة عطيا فلما شاعرا شريفا سيدا، وكان يحكم ويقرر بالاسجاع :

واستدل الجاحظ من ألقاظ العبي و البكي و هو الخصره و اللسعم و الخطل و السهب، عل ان العرب قبل الاسلام عرفوا كثيراً من عيوب البلاغة والخطابة، وقال : وكلام الناس في طبقات كما ان الناس أنفسهم في طبقات، فمن الكلام الجزل والسخيف، واللجج والحسن، والقيح والسمح، والخفيف والفضيل، وكفه عري، ويكل قد تكلموا، ويكل قد تعادحوا وتعابوا، فان زعم زاعم انه لم يكن في كلامهم تفاضل ولا بينهم في ذلك تفاوت ظم ذكروا العبي والبكي، والخصر والسمح، والخطل والسهب، والشذوق والمضيق، والهماز والقرنار، والمكثار والمجاز ولم ذكروا العجر والمطر، والفتيان والصلط، وقالوا ثقافة، وفلان

(١) الفتزان : جمع فتيز، وهو مكبال.

(٢) السك : بالفتح وسكون السين ، الجبل، وسي بذلك لانه يسك فيه الشيء لما

جبل حلال.

(٣) البيان والبيان ج ١ ص ١٧٦ ، ٢٢٧.

يشوبح في خطبته (١)؟ وقالوا فلان خطيبه في جوابه ويحول في كلامه ويناقض في خبره؟ ولولا ان هذه الامور قد كانت تكون في بعضهم دون بعض لما سميت ذلك البعض البعض الآخر بهذه الاسماء (٢).

ووصفوا كلامهم في اشعارهم فيعطروها كبرود العصب، وكالخلل والمعاطف والدياج والرشي واشباه ذلك. (٣) ووصفوا شعرهم واصفوا عنيهم اقبابا كاللهلهل والرفش واللقب والخلل والتمخل والافره والثابته، وهذه الارصاف تتصل باحكامهم القندية ويلتوقهم الذي ميزوا به بين شاعر وشاعر:

وكان بعض الشعراء يعنون بأشعارهم ويفضونها قبل ان يليعروها بين الناس، واشتهر زهير بن ابي سلمى بالحواليات وتبعه في ذلك الخطيئة وغيره ممن اعتصوا بفتح الشعر والجريده، وكان الخطيئة يقول: يخبر الشعر الحولي المحككة وقال الاصمعي: زهير بن ابي سلمى والخطيئة واشباههما عيب الشعر لانهم فصحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوخين (٤). وقال الجاحظ: فركلت كل من جود في جميع شعره وواف عند كل بيت قاله واعاد فيه النظر حتى يخرج آيات القصيدة كلها مستوية في الجودة (٥). وقال واصفا هؤلاء الشعراء: هو من شعراء العرب من كان يدع القصيدة تنكث عنده حولا كرويتا (٦) وزمنا طويلا، ويردد فيها نظره، ويجعل فيها عقله، ويقلب فيها رأيه انهاما لعقله وتبعا على نفسه فيجعل عقله زماما على رأيه، ورأيه حياراً على شعره، اشتافا على أدبه واحرازاً لا تحركه انه تامل من نعمته. وكانوا يسمون تلك القصائد: الحواليات، والمقلدات، والمضحات، والحكميات، ليصير قائلها فعلا ختليداً وشاعراً طفلاً (٧). وقال: هو من تكسب

(١) الخطل : هو الخطل وهو الكلام الغامض الكثير. السهب : كثير الكلام.

رجل بهادر : كثير الكلام. اللغاية والطلاع : كثير الكلام.

(٢) البيان ج ١ ص ١٤١ - ١٤٢.

(٣) البيان ج ١ ص ٢٢٢.

(٤) الشعر والشعراء ج ١ ص ٧٨.

(٥) البيان ج ٢ ص ١٢.

(٦) كرويتا : تبا.

(٧) البيان ج ٢ ص ٩.

بشعره والتعصب به صلات الأشراف والقادة وجوائز الملوك والسادة في تصانيف
 للسلطين وبالطواك التي تنشأ يوم الخلل لم يجد بدا من صنيح زهير والحطبة
 وشاهيها، فإذا قالوا في غير ذلك أدخلوا غير الكلام وتركوا المجهود، ولم نرهم
 مع ذلك يستعملون مثل تدبيرهم في طوال التصانيف في صنعة طوال الخطب، بل
 كان للكلام البات عندهم كالقنضب القندراً عليه وثقت بحسن عادة الله عندهم
 فيه: وكانوا مع ذلك إذا احتاجوا إلى الرأي في معظم التدبير ومهمات الأمور
 ميثوه (١) في حضورهم وليلوه على أنفسهم فإذا قرأه للشاف وأدخل للكبير، وقام
 على الخلاص أبرزوه عنكنا متصفاً، ومصطفى من الأندلس مهذباً (٢) :

إن وتوف الشعراء، عند فصاحتهم ليضجروها ويهدوا النظر فيها يدل على الروح
 للتدنية التي كان الشاعر نفسه يمارسها قبل أن يلقه السامعون: وما يتصل بالقد
 قبل الإسلام ما كان شائعاً من أحكام يتناقضها الشعراء وما كان يورق أسواق العرب:
 وفي كتب الأدب والقد كثير منها يتصل بالمعاني واللغة والكتابة.

ومن النوع الأول - النصل بالمعاني - ما روي عن حكومة أم جندب الطائية
 بين امرئ القيس وعلقمة الصحل، فقد فضلت علقمة حينما قال في وصف فرسه:
 فأدركهن للنساء من عنانته - بسر كسر - الرائح المتعذب (٣)
 على زوجها امرئ القيس الذي قال:

فلزجر الهوب والساق درة - ولسوط منه وقع أخرج مهذب (٤)

وقد سأل امرؤ القيس أم جندب: بم فضلته علي؟ فقالت: فرس علقمة أجود
 من فرسك، قال: وبماذا؟ قالت: أنك زجرت وحركت ساقك وضربت بسوطك،
 أما علقمة فقد ادرك فرسه ثانياً من عنانه لم يضربه بسوط ولم يتعبه (٥):

(١) ميثوه = ذكوره.

(٢) البهتان ج ٢ ص ١٢ - ١٤.

(٣) الرائح = السحاب. المتعذب = الساقل مره.

(٤) أخرج = ذكر التمام. مهذب = شرح.

(٥) الوضع ص ٢٨ - ٢٩.

وما جرى بين النابغة وحصان بن ثابت والخضاء، فقد روي أنهم كانوا يضرعون
للنابغة فبه حمره من آدم بنوق عكاظ فتأبى الشعراء وتعرض عليه لشعرها وكان
أول من أنشده ذات يوم الأحمشي، قال قصيدته التي مطلعها:

ما بكاه الكبير بالأطلال
ثم أنشده حصان بن ثابت:

لنا الجففات نثرًا يلمن بالضحى
ولشدنا بني الخضاء وابني محرق
وأسيافنا يطرون من نجدة دعا
فاكرم بنا خلا واكرم بنا ابنا
فقال النابغة: أنت شاعر ولكك أملت جفالك وأسيافك، ونفرت بمن ولدت
ولم تنخر بمن أنجك (١). وأنشده الخضاء في هذا المجلس قصيدتها:

تلى بعينك أم بالعين حوكر
فقال لها النابغة: لا والله، لولا أن سيقك أبو بصير، أنشدني ألفا قلت: لك
أشعر للجن والآنس: فقال حصان: والله، لأنا أشعر منك ومن أيك وجنتك:
تقبض النابغة حل يده ثم قال: يا ابن أمي، لك لا تحسن أن تقول مثل قولي:
فالتك كالسبل الذي هو ملركي
ثم قال للخضاء: الشديبه، فأنشده، فقال: والله ما رأيت أني أشعر منك:
فالت الخضاء: والله، ولا رجلا، (٢).

وما يحصل باللغة كلمة «الصعيرة» في بيت السهبي بن عيسى:

وقد اتسنى لهم عند أذكاه
فما سمع طرفة هذا لبيت قال: واسترق الجمل، لأن «الصعيرة» سمع في عنق
فأثارة لا الجير (٣).

(١) الترتيب من ١٨٢، والصن في الأدب من ٢.

(٢) الشعر والشعراء ج ١ ص ٣١٤.

(٣) التائي، الجمل، الصعيرة، سمع في عنق الفلك، للكهم: التظير أو الصلب.

(٤) الترتيب من ١١١٠، ١٣٣.

وما يتصل بالفوائ ما ذكره عن الثابتة، فقد قالوا: انه لم يفتوا أحد من شعراء
طيفة الأولى الأهل في قوله :

أسن آل مية راح أو مفندي عجلان فا زاد وغير مزود
زعم البلوح أن رحلتنا فناً وبذلك غيرنا الثراب الأسود
وفي قوله:

سلط تصيف ولم ترد انقطاع فتاوتيه وانقضا باليد
بخطيب رخصير كأن يناله عتم بكاد من الطاقة بعقده
قدم اللينة فبب عليه ولم يابه، وجعلوا يطرونه وهو لا يفهم ما يريدون، فقالوا
نجارية: اذا صرت إلى القافية لرتلي، فلما قالت: والثراب الأسود، وبعقده
رهاليد، ومزود، علم قاتبه فلم يعد إليه، وقال: ولتعت الحجاز وفي شعري
مئة، ورحلت عنها وأنا أشعر الناس (1): وقال عمرو بن العلاء: وعجلان
من الشعراء كانوا يفتويان: ثابتة وبشر بن أبي خازم، فأما ثابتة فتصل برب
فتفتي بشعره فتفظن فلم يعد للاقواء، وأما بشر بن أبي خازم فقال له
نحوه سوادة: اناك تفتوي، قال: وما الاقواء؟ قال: قولك:

لم شرأن طول الدهر بسلي وبني مظا نبيت جدام
ثم قلت:

وكانوا قومنا نبغوا علينا نقتنهم إلى تلك الشأم
قال: ثبت خطي، ولست بعائده (2):

وذكر أبو حلال العسكري أن القنماء أشاروا إلى الفصل والوصل في الكلام،
قال: «وكان أكرم بن صيفي اذا كاتب ملوك الجاهلية يقول لكتابه: انفصلا بين
كل معنى مقض، وصلوا اذا كان الكلام معجراً بضمه بيض: وكان الخليل

(1) المرشح من 16-17.

(2) نشر والشعراء ج 1 من 270، والمرشح من 16.

ابن أبي شمر القسافي يقول لكتابه المرفق: اذا نزع بك الكلام إلى الابتداء بمعنى غير ما أنت فيه فافصل بينه وبين نيبته من الالفاظ ، فانك اذا حذفت الالفاظ غير ما يحسن أن تحذف به قمرت القلوب عن وعيها، ومكثت الاسماع ، واستظفقت الرواة (1):

وشك بعض الباحثين في هذه الروايات (2) ، ولكننا مع هذا شكك نقرر ان هذه الروايات تنكسر جالباً من فهم العرب للشعر في مرحلة لتكوين الأول ، وليس بعيداً أن تصور مثل هذه الاحكام قبل الاسلام بينما رأينا كثيراً من الدلائل التي تؤكد ذبها اليه: يضاف إلى ذلك ان هذه الروايات ليس فيها التعليل القائم على النظرية العلمية لكي ننكرها وإنما هي احكام عابرة أطلقها الشعراء والمحكمون ، معتمدين على اللوق القطري الذي عرف به العرب: وكان شعراء اليونان بعد ان انتهى عصر الكلاسيك ولادع شعر الفنتاني في القرن السادس قبل الميلاد يصنعون بعض الاحكام التي نعتبر من رأي ذاتي أبعد ما يكون عن القاعدة العلمية. ومعنى ذلك أن الشعراء شاركوا في حركة النقد القديم، فلم لا ينطبق ذلك على العرب وهم أهل علم وفهامة ووقوف ورواية، ولهم عظيم راحة وشعر بديع؟

وانا ما نطلقنا إلى العصر الاسلامي رأينا ايمان العربي بالقرآن الكريم واعتناقه الاسلام كان حكماً نقدياً أدركه ببلوته لتسليم وفطوته لصافية، ورأينا الرسول الكريم محمداً - صلى الله عليه وسلم - يحنى عناية عظيمة بأحاديثه وخطبه، وقد أثر عنه الله كان يقول "لا يقولن أحدكم: عيبت نفسي، ولكن ليقل: قلت نفسي"، كراهية أن يضيف السلم الخبث إلى نفسه(3)؛ وكان يستمع إلى الشعر ويقول: "إن من البيان لسحراء"؛ وكان الخلفاء الراشدون والصحابية يستمعون إلى الشعر ويهدون رأيهم فيه:

(1) كتاب الصائين ص 110.

(2) ينظر تاريخ اللغة الادبي من العرب ص 119 ، ودرس في البلاغة والطورها ص 10 .

(3) الحيوان ج 1 ص 224 .

وإذا ما نظرنا إلى العصر الأموي وأبنا الحياة الأدبية تزدهر ، وكان الخلفاء يعنون
القبائل ويستمعون إلى الشعراء ويحلقون على بعض ما يسمعون ، ومن ذلك أن ابن
قيس الرقيات أشد عبد الملك بن مروان تصديقه التي يقول فيها :

يا ملحق الحاج فوق مسرفك على جبين كآته السهب
فلما سمع عبد الملك ذلك غضب وقال له : وقد قلت في مصعب بن الزبير :

أما مصعب شهاباً من الله تجلّت عن وجهه الظلماء
فأعطته المدح بكشف الغم وجماء الظلم ، وأعطيتني من المدح مالا فخر فيه هو
اعتدائي الحاج فوق جيني الذي هو كالنعب في التصارفة (١).

وكان المؤيدون يقومون بدور عظيم في تعليم اللغة وأدبها ورسم القواعد العامة
التي تنفي إلى اثنان اللغة وثقافتها : وكان هؤلاء المؤيدون يخوضون في موضوعات
كثيرة ، وليس من شك في أن القصاحة والبلاغة كانت من تلك الموضوعات :
وشهد القرن الثاني للهجرة حركة أدبية واسعة ، وكانت المحاضرات تخرج بالعلماء ،
وبلغت حركة التنوين والتأليف قروتها في العصر العباسي الأول ، وظهرت كتب
التصير واللغة والأدب والتأريخ تحمل تراثنا ضخماً حافلاً بكل طريف ، وكانت
لبلاغة أحد العلوم التي اهتم بها العرب منذ عهد مبكر ، وقد دفعتهم إلى العناية
بها أهداف ومؤثرات كثيرة :

الأهداف :

إن الحياة الجديدة التي عاشها العرب بعد أن خرجوا من جزيرتهم دفعتهم إلى
العناية باللغة والأدب ، لأنهم وجدوا تحديات كثيرة تعرضت لها العربية بعد أن
دخل في الإسلام قوم أرادوا هدمه وتفويض دولة العرب . وكانت الجهود العظيمة
التي بذلها المخلصون أيذاً ما يظهر علوم اللغة التي انحلت تتطور جيلاً بعد جيل حتى
أصبحت سامقة لا تقدر عليها هرج الأعماسير :

(١) نقد الشعر ص ٢١٤ .

ولقد نظارت أسباب وأهداف كثيرة دفعت العرب إلى الخوض في الدراسات
البلاغية، ويمكن تلخيصها في :

١ - الغرض الديني :

وهو خلاصة القرآن الكريم الذي كان معجزة تحدثى الإنس والجن، ولكني
يرهنوا حل اعجازه ويفهموا آياته واسلوبه ليستطيعوا الاحكام منه انجها إلى
البلاغة باحثين لغويين وموضحين اسمائها لتكون لهم عونا على فهم القرآن .
وكان هذا الغرض من اهم الاهداف التي دفعتهم الى البحث والتأليف فيها . وقد
أشار ابو هلال العسكري إلى هذا الهدف السامي بقوله : « اعلم - عنك الله الخبير
وذلك عليه وفيه لك وجعلك من اعلم - أن أحق العلوم بالتعلم وأولها
بالتحفظ بعد المعرفة بالله - جلّ تبارك - علم البلاغة ومعرفة الفصاحة الذي به
يعرف إعجاز كتاب الله تعالى للناطق بالحق ، الهادي إلى سبيل الرشاد ، المأثور به
على صدق الرخالة وحصنة النبوة التي رفعت اعلام الحق وأقامت منار الدين ،
وأزالت شبه الكفر ببرايتها ، وعنك حجب شك يبقينا . وقد علمنا ان الإنسان
إذا اغفل علم العربية وأخل بمعرفة الفصاحة لم يقع عليه باعجاز القرآن من جهة
مصلحة الله به من حسن التأليف ورياسة التركيب ، وما شئت من الأيجاز البديع
والاختصار الطيف ، وضمت من الخلاوة ، وجله من رونق الطلاوة ، مع سهولة
كلمه وجزالتها وعذوبتها وسلاستها إلى غير ذلك من محاسن التي عجز الخلق عنها
وتحيرت عقولهم فيها ، وإنما يعرف إعجازه من جهة عجز العرب عنه وتصورهم
عن بلوغ غاية في حسه ورياسته وسلاسته وفصاحته وكان معانيه وصفاء ألفاظه ،
وتبجح لسري بالقافية الموزن به ، والقاريء المهتدي بهديه ، والمكلم المشار إليه
في حسن مناظرته وتعام آتته في مجادته وشدة شكيمته في حجاجه ، وبالعربي الصليب
والقرشي الصريح أن لا يعرف اعجاز كتاب الله - تعالى - إلا من الجهة التي
يعرفه منها القرشي والقبلي ، أو انه يستدل عليه بما استدل به الجاهل القبي : فينبغي
من هذه الجهة أن يقدم القياس هذا العلم على سائر العلوم بعد توحيد الله - تعالى -

ومعرفة حله والتصديق بوعده ووعيدته إذ كانت المعرفة بصحة النبوة تثور المعرفة
بأنه جل اسمه (١).

٢ - الغرض التعليمي :

وهو تعليم الناشئة اللغة العربية ومعرفة أساليبها بعد أن اتصل العرب بأسم شيء
وأدى ذلك الاتصال إلى فساد اللغة ودخول اللحن فيها. يضاف إلى ذلك أن كثيراً
من المسلمين كانوا بحاجة إلى تعلم العربية وبلاغتها ليفهموا القرآن الكريم وليجتروا
في ظل دولة لغتها العربية. وكانت القدرة الكتابية في كثير من الأحيان السبيل
لتوصل إلى المناصب الرفيعة وكان على من يسعى إلى تمتعها أن يكون كاتباً له في
الأدب وقوته يد طويل وله أسلوب رفيع. فلنكي يتعلم العربي الناشئ في بيئة
استرحت فيها اللغات بلسنته ويصبح قادراً على التعبير الحسن والتنظيم الرائق وإنشاء
الرسائل، ولنكي يتعلم المسلم لغة دينه ولغة الدولة التي يعيش في ظلها، ولنكي
يصل الناس إلى أرتى المناصب وأعلى الرتب - كان عليهم جميعاً أن يتفخروا
العربية، ولا يتم ذلك الإختان إلا بمعرفة الفاعلها وتراكيها ومعانيها وأساليبها،
والبلاغة إحدى السبل التي توصل إلى هذه الغاية وتخدمها .

٣ - الغرض التقدي :

وهو تمييز الكلام الحسن من الرديء والموازنة بين الفصاحة والخطب
والرسائل : والبلاغة تعين الناقد كثيراً لأنها تقدم له الآلة التي تعينه على تفهم
والحكم ، ولذلك نجد القدماء يفتنون بجاية كبيرة بها ، ويقولون للكتب فيها :
وله أشار العسكري إلى الهداين التعليمي والتقدي بقوله : فولهذا العلم بعد ذلك
فضائل مشهورة ومطالب معروفة ، منها أن صاحب العربية إذا أدخل بطله وفرط
في التمام ففاحته فبببب وعظمت به وذيلة فوته عفتى على جميع معاصه وعفتى
حائر فضاله ، لانه اذا لم يفرق بين كلام جيد وآخر رديء ولقط حسن وآخر رديء ،

(١) كتاب الصنائع ص ١ - ٢ .

وشعرنا حر وأخبر بارد ، بأن جهله وظهور لقصه : وهو أيضا إذا أراد أن يصنع قصيدة
أو ينثي رسالة وقد فاتته هذا العلم مزج الصغور بالكثير وخلط القُرُوب بالمرور واستعمل
الوحش المنكر ، فجعل نفسه مبهمة للجاهل وعبرة للعامل كالمثل ابن جهمر في قوله :

حلقت بما أزلت حوله هدر جلة خلقها شيطم
وما شيرت من تنوية بها من وحى الجن زيزيم (١)

وأشده ابن الأعرابي فقال : إن كنت كاذبا فإله حبيك : وكذا ترجم بعضهم
كتابه إلى بعض الرُساء : «مكركة تربوتا ومحبومة بمرينا ، فدل على سفاقة
عقله واستحكام جهله ، وغمرة الغريب الذي افتته ولم يفهمه ، وحطه ولم ير له ،
لما فاتته هذا العلم وتخلت عن هذا الفن :

وإذا أراد أيضا تصنيف كلام متثور أو تأليف شعر منظوم وتخطى هذا العلم
سواء اختياره وقبحت آكاره فيه ، فأخذ الرديء المرذول وترك الجيد المقبول ، فدل
على تصور فهمه وتأخر معرفته وعلمه (٢) :

ويتصل بهذا الغرض رواية الأدب ومعرفة الجيد الذي يروى والرديء الذي
ينبغي أن يطرح ، وقد أشار العسكري إلى ذلك بقوله : «ولقد قيل : اختيار الرجل
قطعة من عقله ، كما أن شعرة قطعة من علمه : وما أكثر من وقع من علماء العربية
في هذه الرذيلة ، منهم الأصمعي في اختياره لقصيدة الرقش :

حل بالديار أن تجيب صمم لو أن حيا تطلقا كلسم
ولا اعرف على أي وجه صرف اختياره إليها وما هي بمسقيمة الوزن ولا موقفة التروي
ولا سلسلة القنط ولا جودة السبك ولا متلازمة النسخ ، وكان الفضل يختار من الشعر

(١) أزلت : أسرعت ، المخرجة : الملقاة ، الشيطم : الطويل الجسم ، شيرت : عدت ،
تنوية : المفاضة والأرض الواصلة ، لوحى : الصوت العفوي ،
زيزيم : صوت الجن .

(٢) كتاب الصحاحين ص ٢-٣ .

ما يقل تداول الرواة له ويكثر الغريب فيه، وهذا خطأ من الاختيار، لأن الغريب لم يكثر في كلام الأئمة وفي دلالة الاستكراه والتكلف (١) :

وكانت هذه الأهداف دافعا قويا حثهم إلى الخوض في دراسة البلاغة والتأليف فيها، وكانت هذه الأهداف غرض المؤمنين جميعا، ولأنكاه نجد كتابا من كتب البلاغة واعجاز القرآن يخلو من الاشارة اليها، ولعل ما قلناه من مقدمة كتاب الصائحين (٢) لابي هلال العسكري يوضح الغرض ويخدم الفكرة ويعين على تصور الدوافع للكثيرة التي كان لها الفضل الكبير في ظهور كتب البلاغة.

وقد تظلمت جهود كثيرة على وضع أسس البلاغة وأصولها، ويمكن ان نلمس ذلك في التفسيرين والاصوليين، والقوانين والنحاة، والشعراء والكتّاب، والفلاسفة والشكليين. وكانت كل طبقة من هؤلاء تلتفت في كثير من الأسس وتلتفت في أهداف واضحة المعالم، وان كان رجالها يخلفون في تصورهم لبلاغة المؤلفات :

أثرت في نشأة البلاغة وتطورها عدة عوامل أهمها:
القرآن الكريم :

كان للقرآن الكريم ذا أثر عظيم في البلاغة، وقد شغل الناس به وأخذوا يتدبرونه ويوضحون معانيه ويتحدثون عن ألفاظه وتراكيبه وما فيه من فنون وقف العرب أمامها مبهورين. وكانت البلاغة من العلوم التي أولوها عناية كبيرة وجعلوها أحق العلوم بالتعلم وأولاهها بالتحفظ - بعد المعرفة بالله جلّ تفضله - لأن الانسان اذا اظلم علم البلاغة وأضلّ بمعرفة الصحاح لم يقع علمه باعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب وما شجته به من الايجاز البديع (٢) وذهبوا أبعد من ذلك فقال عمرو بن عبيد عن البلاغة انها وما يقع بك اللجة، وعذل بك عن النار، وما بصرت بمواقع رشكك وعواقب خيلك (٣) :

(١) كتاب الصائحين ص ٣

(٢) كتاب الصائحين ص ٦

(٣) البيان والبيان ج ١ ص ١١٤

وكان تأثير القرآن واضحا في اتجاهه مدار الدراسات البلاغية ، وكانت آياته
 هيئات تشاهد البلاغي الرفيع . وكانت إحدى آياته مدعاة إلى أن يؤلف أبو عبيدة
 معجم القرآن ، يقول : وأرسل لي الفضل بن الربيع إلى البصرة في الخروج
 إليه سنة ١١٨٨هـ ، فقدمت إلى بغداد واستأذنت عليه فأذن لي ، فدخلت عليه وهو
 في مجلس له طويل عريض فيه بساط واحد قد ملأه ، وفي صدره فرش عالية
 لا يمرني إليها إلا على كرسى وهو جالس عليها فسلمت عليه بالوزارة : فردَّ
 وضحك واستدعاني حتى جلست إليه على فرشه ، ثم سألني وألفني وبسطني
 وقال : أتعلمني ، فأنتهت فطرب وضحك ، وزاد نشاطه . ثم دخل وجل في
 روى الكتاب له هيئة فأجلسه إلى جاني وقال له : أتعرف هذا ؟ قال : لا .
 قال : هذا أبو عبيدة علامة أهل البصرة ، أقدماه لتسجد من علمه : فدعا له
 الرجل وفرطه لعله هذا ، وقال لي : لني كنت ليك مشتاقا ، وقد سألت عن
 سألك ، أتعلمني لي أن أعرطك لباها ؟ قلت : هات . قال :

قال الله - عز وجل - : « عَلَّمَهَا كَأَنَّه رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ » (١) ، وإنما يضع
 لوعده والأيام بما عرف منه وهذا لم يعرف . قلت : إنما كَأَنَّ الله تعالى العرب
 على قدر كلامهم ، أما سمعت قول امرئ القيس :

أبغضني والشرفسي مضاجعي ومسدنة زُرقي كَأَنِّيَابِ أَسْوَاحِ
 وهم لم يروا القول قط ، ولكنهم لما كان أمر القول بيولهم لوعدهوا به : فاستحسن
 الفضل ذلك واستحسنه السائل ، وعزمت من ذلك أن أتبع كتابا في القرآن
 في مثل هذا وأشياعه وما يحتاج إليه من علمه . فلما رجعت إلى البصرة عملت
 كتابي الذي سميت به الجزء (٢).

وانتهى ابن خلدون إلى أن ثمرة علم البلاغة وإنما هي في فهم الأعجاز من
 القرآن ، لأن الأعجاز في وفاة الدلالة منه بجميع مقتضيات الأحوال متطرفة ومفهومة ،

(١) سورة الصافات، الآية ٦٥ .

(٢) معجم الأديب ج ٧ ص ١٦٦ - ١٦٧ .

وهي أعلى مراتب للكلام مع الكمال فيما يختص بالألفاظ في انفعالها وجودة وصفها ،
وهذا هو الإعجاز الذي تنصير الإقحام عن إدراكه (١) .

وكانت لسألة إعجاز القرآن أثر كبير في تطور البلاغة العربية، وكان المتكلمون
أول من بحثوا في الإعجاز، واحتفظت وجهات النظر في ذلك وتشتت سبل القول،
لأن الوصول إلى ذلك صعب، وتعهد البلاغة في كتاب الله أصعب، ولكنهم -
مع ذلك - مضوا يطمعون بلاغة القرآن ويبينون إعجازه، فكانت دراساتهم أحسن
مصدر لبلاغة وأجلّ مورد لمن أراد أن يطلع في الكتاب العزيز ويضمهم البيان :
ومن أشهر الذين تناولوا هذه المسألة أبو عبد الله محمد بن يزيد الواسطي (- ٢٣٠٦هـ)
الذي ألف كتاب إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه، ولم يصل هذا الكتاب للعرف
للموضوعات التي عالجهها وإن كان يبدو من العنوان أنه يتحدث عن أسلوب كتاب
الله وإعجازه في النظم والتأليف :

ومتهم أبو الحسن علي بن عيسى الرمالي (- ٢٣٨٦هـ) صاحب رسالة والتك
في إعجاز القرآن وقد ذهب إلى أن القرآن معجز ببلوغه، وهو أعلى طبقات للكلام ،
وأبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (- ٢٣٨٨هـ) مؤلف رسالة
بيان إعجاز القرآن، وقد رأى أن بلاغة ترجع إلى جمال لفاظ القرآن وحسن
نظمه وسو معانيه وتأثيره في النفوس :

ومتهم أبو بكر محمد بن الطيب الباتلاني (- ٢٤٠٣هـ) الذي ألف كتاب وإعجاز
القرآن، وهو من الكتب المهمة، وقد ذهب الباتلاني إلى أن كتاب الله معجز لأنه
نظم خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب .
والناشي أبو الحسن عبد الجبار الأسد آبادي (- ٢٤١٥هـ) الذي كان الجزء
السادس عشر من كتابه والفني في أبواب التوحيد والعدل ، خاصة بإعجاز القرآن ،
وقد ذهب إلى أن القرآن معجز بنظمه ، وهي الفكرة التي بنى عليها عبد القادر الجرجاني
كتابه ، دلائل الإعجاز ، .

وهذه الكتب وغيرها تدلّ من أهم مصادر دراسة البلاغة، لأنها تعرضت لأسلوب
القرآن الكريم وتكلمت على أساليب العرب في الكلام وقد كان أثرها عظيماً في
تطور البلاغة واستغلالها من الدراسات الأدبية والنقدية :

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٢٢٢ .

ويصل بالقرآن وآراء المفسرون، وهم الذين ينظرون في كتاب الله تعالى ويفسرون آياته ويوضحون معانيه ويبيّنون مقاصده وأهدافه، ويشرحون ما فيه من قيم رفيعة ونظرات عميقة، ويظهرون فنون القول فيه وروعة البيان، ولكني أستطيع التمسك أن يقوم بهذا كله لابداً من أن يطلق على علوم اللغة العربية لقباً يدلّ على استمرار القول ويغوص على معانيه: والبلاغة إحدى الوسائل المهمة التي تكشف أسرار الإعجاز وتوجه الآيات التي لا يمكن حملها على الظاهر: وقد شعر المفسرون بهذا العمل العظيم فأخذوا يفسحون لدراساتهم لقرآنية مقدمات بلاغية أو يخوضون في سباحتها حينما يتحدثون عن الآيات وبلاغتها، وصاروا يتهنون إلى أهمية ذلك، ويتضح ذلك في مقدمة تفسير الطبري وتفسير الكشاف لزمخشري، فقد أشارا إلى أهمية معرفة البلاغة لأن القرآن عربي وأسلوبه عربي، والتي تكون آياته والخصبة ينجلي معرفة أساليب العرب وفنون القول عندهم: وقد نعى السكاكي على المفسر الذي لا يعرف من البلاغة شيئاً، قال: «الوقف على تمام مراد الحكميم - تعالى وتقدس - من كلامه يفتقر إلى هذين العلمين - المعاني والبيان - ككل الانقراض، فالويل لكل الويل لمن يتعاطى التفسير وهو فيهما راجل» (١):

وأصبحت كتب البلاغة سبيلاً تفضي إلى رحاب القرآن، ومعلم يتهتدي بها الدارسون ويستعين بما فيها من مضامين مشرقة ولمحات بديعة المفسرون ومن هنا كانت البلاغة مقدمة للدراسة كتاب الله وتفسيره وإفراز فصاحته وبلاغته، وصار الأساتذة لا يقتنعون على تدريس كتب التفسير إلا بعد أن يلم طلابهم بطرف من البلاغة وفنونها كما فعل يحيى بن حمزة العلوي حينما ألف كتابه «الفرار المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز» ليكون عوناً لمن شرع في قراءة تفسير الكشاف عليه.

(١) مفاتيح العلوم ص ٧٧.

وكتب التفسير كلها لتصل بالبلاغة، ولعل أهم تفسير غني بالبلاغة والكشافه
 لخار الله محمود بن عمر الرمضاني (١٠٢٨هـ -) الذي جمع فيه كثيراً من فنون
 البلاغة واستعان بها في فهم كلام الله وإظهار مافيه من روعة وجمال:
 ويتصل بالقرآن الكريم الأصوليون وهم أصحاب الصناعة الثانوية في فهمهم
 للشرع الإسلامي من كتاب الله وحديث الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم -
 واستخراج أصول للشرع. وقد أثر هؤلاء في البلاغة، وفي كتبهم بحوث مستفيضة
 من الخبر والإنشاء، والحقيقة والمجاز، وهي بحوث تدل على استنثار علم أصول
 الفقه بها .

ومن الكتب التي اهتمت بالبلاغة وأثرت فيها كتاب الرسالة للإمام محمد بن
 أدريس الشافعي (١٥٠هـ -) ، وكتاب المعتد في أصول الفقه لأبي الحسين
 محمد بن علي بن الطيب البصري المعتزلي (٤٣٦هـ -) وكتاب المستصفي من علوم
 الأصول للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (٥٠٥هـ -) ، وكتاب الأحكام
 في أصول الأحكام لأبي الحسن علي بن أبي علي سيف الدين الآمشي (٦٣١هـ -).
 القرون والسحابة :

ومن الذين أثروا في نشأة البلاغة وتطويرها القرويون والسحابة، وقد كانت لهم
 يد طولى في ذلك، وظل دورهم مشهوداً منذ عهد التدوين واستطاعوا أن يسطروا
 على مناهج للدرس ويربطوا لواء المحافظة على اللغة ويردوا الحديث وما ذهبوا
 إليه. وأعتبر الخصومة بين الشعراء والقرويين والسحابة مستفيضة، من ذلك أن ابن

أبي اسحاق اعرابي عن علي القزويني لرفع (مجلف) في قوله:
 وعفّ زمان يا ابن مروان لم يتدخَّ من المال إلا مسحاً أو مجلف
 فقال: علام رقت ومجلف ؟ فرد القزويني: على مايسووك وينووك، عليه أن
 تقول وعليكم أن تتأولوا (١) وكان الخليل بن أحمد يقول لابن منافر: «إلما أنتم
 معشر للشراء تبع لي وأنا ساكن السفينة، إن قرظتكم ورغبت فوكلتم للفقير

(١) طبقات لسوق الشعراء ج ١ ص ١١ وما بعدها.

ولا كسدم وقال ابن منافر: ورثه لأهلون في الخليفة نصيدة امتدحه بها ولا
أحتاج إليك فيها عنده ولا إلى غيرك (١).

وكانوا يستنبون بالحجة ولا يقبلون أحكامهم، قال أبو أحمد العسكري:
وأخيراً أبو بكر محمد بن يحيى قال: حدثني علي بن العباس قال: رأيت البحري
ومني دفتر قال: ما هذا؟ قلت: شعر الشنفرى. قال: وإلى أين تمضي: قلت
أقرأه على أبي العباس أحمد بن يحيى. قال: رأيت أبا عباسكم هذا منذ أيام ظم
أز له علماً بالشعر مرفياً ولا تقداً له ورأيتك ينشد أبياتاً صالحة وبعيدها إلا أنها
لا تستوجب التريد والأعجاب بها (٢). ووقف بعض اللطيفين بوجه الفريين
والحجة أيضاً وسطروا منهم كالأبى الذي قال وهو يتحدث عن ابن جني
ولكن النصيحة والبلاغة غير من الشعر والإعراب (٣).

إن هذا الصراع بين الفريين والحجة والشعراء أماد الأدب ودفع الجميع إلى
البحث والتفكير فكانت الكتب العظيمة والآراء السديدة: وإذا كان موقف الشعراء
يسم بالغلاة، فإن الفريين والحجة أترأى البلاغة، وكانت لهم وثقات عمودة
والفتايات بلغة دخلت كتب البلاغة فيما بعد: ومن أقدم الذين احتسوا باللغة
وشواردها والنظر في الشعر واستخلاص قواعده مصر بن المنى (٢١٠٨) المعروف
بأبي عبيدة، وفي كتابه وهاج القرآن، كثير من الإشارات إلى فنون البلاغة وأساليب
التصوير:

ومنهم أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (٢١١٦) الذي كانت له
آراء نقدية وبلاغية تمثل ذوقه وطقه عصره، ويوضح ذلك في كتابه وهاجلة الشعراء:
وفي الآراء الكثيرة التي تناقلتها كتب البلاغة والنقد:

(١) الألفاني ج ١٨ ص ١٨٤.

(٢) المصون في الأدب ص ٤.

(٣) القل السراج ١ ص ٢٨٢.

وأبو العباس محمد بن يزيد الليري (- ٢٨٥هـ) الذي ذكر كثيراً من فنون البلاغة في كتابه «الكامل»، وكان كلامه على التشبيه من أوسع ما عرف في عهده، وقد صار عمدة البلاغيين حينما درسوا هذا الفن وفسروه ومنتقروا له :

وأبو الحسين أحمد بن فارس (- ٣٩٥هـ) الذي كان كتابه «الصحاح» من أهم كتب اللغويين التي عرضت لموضوعات البلاغة، وأعله أول من تحدث بوضوح عن الخبر والانشاء حينما قسم الكلام إلى: خبر واستخبار، وأمر ونهي، ودعاء وطلب، وعرض وتحفيض، وتمنٍ وتعجب (١)؛ وتحدث عن موضوعات كثيرة أخرى كالخليفة والجزء، والخذف والاختصار، والزيادة والشكر، والتقديم والتأخير، والإغراض والإيحاء، والتهكم، والكتابة، والإقراء، والإستطراد، والتأكيد، وغيرها.

ومن النحاة الذين كانت كتبهم مادة خصبة للبلاغيين أبو بشر عمرو بن عثمان ابن قنبر (- ١٨٠هـ) صاحب الكتاب المشهور .

وأبو ذكريا يحيى بن زياد القراء (- ٢٠٧هـ) ، مؤلف «معالي القرآن» .

وأبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (- ٢٩١هـ) صاحب «تواعد الشعراء» .

وعبد القاهر الجرجاني (- ٤٧١هـ - أو ٤٧٤هـ) صاحب «دلائل الإعجاز» ، و«أسرار البلاغة» .

وقد كانت كتب هؤلاء النحاة أثر في البلاغة لأنها عنت بالأصناف الشعرية وذكرت كثيراً من المصطلحات التي دخلت في كتب البلاغة وأصبحت مصطلحات علمية :

الشعراء والكتاب :

وأثر الشعراء في البلاغة، وقد كانوا يمتنون بالقول ويجودون أشعارهم وينقرونها منذ عهدهم الأول، وقد دلت الملاحظات اليابسة على أنهم كانوا أصحاب ذوق ومعرفة يجهد الشعر ورويته : وإنما ذوقهم حينما تقدم بهم الزمن وكثرت ملاحظاتهم حتى إذا ما جاء العصر العباسي ودخل العرب حياة جديدة تطورت نظرهم إلى

(١) ينظر الصحاح ص ١٧٩ وما بعدها.

الشعر وإعراكمهم لما فيه من روعة وجمال أو تصنع ولطيف: وقد روي أن بشرا
ابن برد كان يثقل الشعر ويشير إلى جبهه وردية، وأشد قول الشاعر:

وقد جعل الأعداء بتفصوننا ونطبع لنا السن وعيون
ألا إنما ليل، عصا خيزرانة إذا غمزوها بالأكف تلين
قال: والله لو زعم لها عصا مع أو عصا زيد، لقد كان جعلها جافية خشنة بعد
أن جعلها عصا، ألا قال كما قلت:

ودعجاء المهاجر من معد^١ كأن حبيبها نمر الجبان
إذا قامت لشبها تنسنت كأن عظامها من خيزران (١)

وقال: ولم أزل منذ سمعت قول امرئ القيس في تشبيه شبين بشين في بيت
واحد حيث يقول:

كأن قلوب الطير رطباً وياساً لدى وكرها العناب والمخشف الليالي
أعمل نفسي في تشبيه شبين بشين في بيت واحد حتى قلت:

كأن مزار الضع فوق رؤوسنا وأسباننا ليل نهاوي كواكب (٢)
وفي كتب الأدب كثير من هذه الأحكام التي تدل على مكانة الشعراء في العصر
العباسي وتوجيههم النقد والبيان. قال ابن المعتز: فالبيع اسم موضوع لفنون من
الشعر يذكرها الشعراء وتقاد للتأيين منهم، فأما العلماء بالغة والشعر القديم فلا
يعرفون هذا الاسم ولا يدرون ما هو (٣). وقال ابن رشيق القيرواني: أهل صناعة
الشعر أضر به من العلماء لأنه من نحو وغريب ومثل وغير وما أشبه ذلك، ولو
كانوا حوتهم بدرجات، وكيف وأن قاريهم أو كانوا منهم بسبب؟ وقد كان
أبو عمرو بن العلاء وأصحابه لا يحرون مع خفاف الأضر حلية هذه الصناعة، أعني
النقد، ولا يشفون له غباراً لغناه فيها وحذقه بها وإجادته لها (٤).

(١) الاغتاني ج ٥٠ ص ١٤٤.

(٢) الاغتاني ج ٣ ص ١٩٦.

(٣) البديع ص ٥٥.

(٤) الصلوة ج ٦ ص ١١٢.

وكان ابن المعتز (- 299هـ) الشاعر العباسي أكثر الشعراء تأثراً في البلاغة، فقد وضع كتابه «البدیع» الذي تحدث فيه عن خمسة فنون من البديع هي: الاستعارة والتجنيس والمطابقة ورد اصحاب الكلام على ما تقدمها والمذهب الكلامي، وتكلم على ثلاثة عشر فرعاً وسماها بحسن الكلام، وهي: الالفاظ، والاغراض، والرجوع، وحسن الخروج، والأكيد للمح، وتجاهل العارف، والهزل يراد به الجحد، وحسن التضمين، والتعريض والكتابة، والأقراط في الصفة، وحسن التشبيه، ولزوم ملا يلزم، وحسن الانتهاء، وكانت هذه الفنون عمدة البلاغين فبنوا عليها كتبهم وذكرها ما قاله ابن المعتز وأتباعها فيها فتواتاً كثيرة.

ومن الشعراء الذين كانت لهم مشاركة في البلاغة الشريف الرضي (- 416هـ) صاحب «التلخيص البيان في مجازات القرآن» و «المجازات النبوية»:

و ابن رشيق القيرواني (- 463هـ) مؤلف «العمدة في محاسن الشعر وآنابه وتقده» و «مراعاة الذهب»:

و ابن سنان الخفاجي (- 566هـ) مؤلف «سر التصانيف»:

وإساعة بن مخلد (- 581هـ) صاحب «البدیع في نقد الشعر»:

و ابن أبي الاصح المصري (- 684هـ) مؤلف «تحرير التحبير» و «بديع القرآن». وكان للكتاب أثر واضح في البلاغة، فقد صيغوا كثيراً من بحوثها بصيغة أدبية لما امتازوا به من أدب رفيع وذوق سليم. وهم الذين قال الجاحظ عنهم: «أما أنا فلم أر قط أمثل طريقة في البلاغة من الكتاب فإنهم قد اتسموا من الألفاظ ما لم يكن متوجراً وحشياً ولا سائطاً سوقياً» (١). وقال ابن رشيق: «الكتاب أرق الناس في الشعر طبعاً وأملحهم تصنيفاً وأحلامهم ألفاظاً وأظنهم دعائي وأقصرهم على تصرف وأبعدهم من تكلفه وقد قيل: (الكتاب دعائين للكلام)» (٢).

(١) البيان ج ١ ص ١٣٧.

(٢) العمدة ج ٢ ص ١٠٦.

وأخذت الكتابة مكانة مرموقة منذ العصر الأموي وكان عبد الحميد الكاتب
(- ٨١٢٢م) من انتهت إليهم رئاسة الكتابة في ذلك العهد . وكان ابن القطيع (- ٨١٤٢م)
من أئمة في البلاغة ونقل عنه كثير من الأقوال فيها . ولكن أبا جهمان جهري بن
بحر الجاحظ (- ٨٢٥٥م) من أكثر الكتاب تأثيراً في البلاغة، وذلك بما ذكره
في كتبه ولا سيما البيان والبيان، والحيران، والحيران، من فنون بلاغية وأجاليب بلغة
وأصبحت دراسته لمسائلها أساس البلاغيين وإن كان لم يبحثها بحثاً علمياً يقوم على
التحديد الدقيق والتقسيم المنطقي الذي عرفته كتب المنطقيين .
ومن الكتاب الذين أثروا في البلاغة قدامة بن جعفر (- ٨٣٢٧م) مؤلف

«نقد الشعر» .
وابن وهب الكاتب صاحب البرهان في وجوه البيان، وهو الكتاب الذي طبع
قسم منه باسم «نقد الشعر» ونسب إلى معاصره قدامة بن جعفر .
وأبو حلال العسكري (- ٨٣٩٥م) مؤلف «كتاب الصناعة» أي : صناعة
الشعر والشعر .

وابن نايف البغدادي (- ٨٤٨٥م) مؤلف «الجمال في تزيينات القرآن» .
وغياث الدين بن الأثير (- ٨٦٣٧م) صاحب «المثل السائر في أدب الكتاب
والشعر» و «المجامع الكبير» و «الاسترلاب» .
وشهاب الدين محمود الحلبي (- ٨٧٢٥م) صاحب «حسن الترميل إلى صناعة
الترسل» .

التكلمون :

وأثر التكلمون في نشأة البلاغة ولطورها، والتكلمون أصحاب الصناعة الكلامية
في بحثهم للقرآن الكريم وتدليلهم على اجزائه واستنباط المفاهيم والبيان صوته .
وقد ظهر أثرهم مبكراً، وكان المعتزلة أظهر فرقة ألفت في البيان والتكلمون في فن

القول: «والعلم صحيفة بشر بن العنبر» (٢١٠هـ - ٢١١هـ) من أقدم الآثار في ذلك (١)، وقد تحدث فيها عن فن القول وأوضح فيها كثيراً من القضايا التي أصبحت صفة البلاغين والفقهاء، من ذلك كلامه على الاستعداد للإنتاج الأدبي والاهتمام بتخفيف اللفظ والمعنى وتحديد المازل التي يمر بها الأديب، وأولها مترادف البليغ القائم الذي يكسو عباراته جمالاً يرجع إلى رشاقة الألفاظ وصلوبتها وجزالتها وسهولتها ووضوح المعاني واستيعابها. وثانيها مترادف من لم تسغه طبيعته بالألفاظ الملائمة والقولاني الجيدة والمعاني الرائعة، وعليه أن يتأني ويؤجل الكتابة إلى وقت نشاطه وفراغ باله، لأن كان له في الأدب طيبة حقاً وإتقان الكلام وإنشأت عليه الألفاظ والمعاني. ثالثها: مترادف من شح طبعه ونصبت يتابع القول عنده، وهذا لا يأتي بحيد الكلام مهما جاول أو تكلف، وحرى به أن يتروك صناعة الأدب وينحول إلى غيرها. وفي الصحيفة حديث عن مطابقة الكلام لمتنسى الحال، والمطابقة من أهم شروط البلاغة.

ومن المتكلمين الذين شاركوا في البلاغة وفن القول وأصل بن عطاء (١٣١هـ - ١٣٢هـ) وعمرو بن عبيد (١٤٤هـ - ١٤٥هـ) وسهل بن هارون (١٧٣هـ - ١٧٤هـ) والجاحظ الأديب للمعزني. وقد طبع هؤلاء وغيرهم البلاغة بطابع عظمي يعتمد على الاستدلال والقدرة في التحديد والتفصيل.

وألّف بعض فلاسفة المسلمين في البلاغة والفقهاء، ولكنهم كانوا يعرفون من بحر أرسطو طاليس، ويُلخصون كتابيه «الشعر» و«الخطابة». فقد اختصر كتاب الشعر الكندي (٢٥٢هـ - ٢٥٣هـ) وُلخصه أبو نصر الفارابي (٣٣٩هـ - ٣٤٠هـ)، ولابن سينا (٤٢٨هـ - ٤٢٩هـ) رسالة في معاني الشعر، ولابن الهيثم (٤٣٠هـ أو ٤٣٢هـ) رسالة في صناعة الشعر، ولابن رشد (٥٩٥هـ - ٥٩٦هـ) تلخيص لشعر أرسطو.

ولكن اللغوي العربي رفض مثل هذه الدراسات لأنها لا تحكّم اللغوي في الأدب وقد صرح البحرني بذلك فقال:

(١) الصحيفة في البلاغ ج ١ ص ٢٥ وكتاب الصناعات ص ١٣٤.

كلتصونا حدود منطقكم في الشعر تكفي عن صدق كلبه
ولم يكن ذو القروح يلهج باللفظ بلوعه وما
والشعر لئح تكفي اشارته وليس بالهتار طوكت خطبه
وقار ابن الأثير (- ٦٣٧هـ) على أساليب الفسفة ورأى في أعيانها من أمثال الفارابي
وإن سينا رجلا أصلهم أرسطو وافلاطون (١):

الفارابي والارسطو

الفارابي والارسطو

الفارابي والارسطو

الفارابي والارسطو

الفارابي والارسطو

الفارابي والارسطو

الفارابي والارسطو

الفارابي والارسطو

الفارابي والارسطو

الفارابي والارسطو

الفارابي والارسطو

الفارابي والارسطو

الفارابي والارسطو

الفارابي والارسطو

الفارابي والارسطو

الفارابي والارسطو

الفارابي والارسطو

الفارابي والارسطو

الفارابي والارسطو

الفارابي والارسطو

الفارابي والارسطو

الفارابي والارسطو

الفارابي والارسطو

الفارابي والارسطو

الفارابي والارسطو

(١) ينظر الفخر الرازي ج ١ ص ٢١٠

المبحث الثاني المدارس البلاغية

كانت العوامل الثلاثة في البلاغة كثيرة منها الادبية ومنها الكلامية ، وقد أدى هذا الاختلاف في التأثيرات إلى ان تنجس البلاغة اتجاهين أطلق عليهما اسم المدرسة الكلامية أو المدرسة الادبية. وأمر هذين الاتجاهين أو المدرستين قديماً، وقد به أبو هلال العسكري إلى منهجين في دراسة البلاغة، فقال :

وليس الغرض في هذا الكتاب سلوك مذهب المتكلمين وإنما فصلت فيه قصد علاج الكلام من الضمراء والكتاب، فلهذا لم أطل الكلام في هذا الفصل (١) .
وقال السيوطي وهو يترجم لنفسه : ووردت البحر في سبعة علوم : التفسير والمحيط واللفظ والنحو والمعاني والبيان واليدج على طريقة العرب والبلغاء لا على طريقة النجم وأهل الفلسفة (٢). ولو لم تكن معالم هذين الاتجاهين واضحة ما وجدنا العسكري يصرح بها في عهد مبكر، ورأينا السيوطي بعده يقرون بفخر بأنه درس البلاغة على طريقة العرب والبلغاء لا على طريقة النجم وأهل الفلسفة.
فما خصائص كل مدرسة؟ ومن أشهر أعلامها؟

المدرسة الكلامية :

كانت لفلسفة وعلم الكلام أثر في الفكر العربي والاسلامي، ولم يسلم علم من العلوم من الأثر الفلنطي والكلامي، وكان البلاغة تصيب عظيم من ذلك الأثر فتركت الصلة منذ عهد مبكر بينها وبين المنطق والفلسفة، وأخذت هذه الصلة تزدهر مرة بعد مرة حتى بلغت أوجها في القرن السادس للهجرة وما بعده. وقد انعكس ذلك في المرمس البلاغي، فكانت المدرسة الكلامية التي اعتمدت بالتحديد شاذان والضميم العليل، وجعل التعريف جامعا مانعا، واستعمال أساليب المتكلمين

(١) كتاب الصانين ص ٩ .

(٢) حسن الخائز ج ١ ص ١٥٥ وما بعدها .

في بحث الموضوعات وحصرها، والاكثار من الالفاظ الفلسفية والمنطقية، وقد سأل البلاغيون كثيراً من المقولات (١) عند القول في الملكة حين وردت في تعريف النصاحة والبلاغة، وما صدروا به البيان من بحوث الدلالات الوضعية والعقائدية. وأدخلوا فيها بعض مسائل الفلسفة الطبيعية والالهية والخلقية كالكلام في الإلهان والطبوع والروائح والحواس الانسانية ومفرداتها، والوهم والخيال والمفكرة والحس المشترك والاسباب والمسببات وغيرها. وأدخلوا فيها من الالفاظ الفلسفية والكلامية الشيء الكثير، مما لاصلة له بالبحث البلاغي الذي يعتمد أول ما يعتمد على اللوق السليم.

ومن شواهد الأثر الفلسفي في هذه المدرسة الانحلال من الامة الادبية، لان رجالها اعتنوا بالتجديد المنطقي والحصر والضميم، فكانوا يذكرون لكل قاعدة شاهداً واحداً أو مثلاً قصيراً. وليتهم وقفوا عند ذلك، فهم كثيراً ما يذكرون أمثلة لأجمال فيها، لان صحة الشاهد أو المثال عندهم أصل كل شيء، أما جماله وما يبعث في النفس من احساس أو شعور فهي ظم بوجهها عنايتهم اليه. ولعل اعتناء المتأخرين منهم بالاختصار وتلخيص الكتب المتقدمة كان سبب الانحلال من الامة والشواهد والأكتفاء بالقلها وأنصرها وبما ينسجم مع أدواتهم التي سيطرت عليها الفرة العقلية، وغير مثال على ذلك كتاب «التلخيص» للخطيب القزويني (٥٧٣٩هـ) الذي أوجز فيه مباحث البلاغة التي ذكرها السكاكي (٦٢٦هـ) في كتابه مفتاح العلوم، فأصبحت جافة لا تنفع كثيراً، مما اضطره إلى شرح كتابه بالأبضاح ودفع الآخرين كالفتناراني وبهاء الدين السبكي وعصام الدين الاسفراييني وغيرهم إلى شرحه أيضاً.

وشاعت المدرسة الكلامية في المناطق الشرقية من الدولة الاسلامية حيث يفتن خليط من الفرس والترك والفتر، وكانت حوازم اكبر البيئات التي ظهر فيها

(١) المقولة : سنة من الصفات تشمل على الشيء كالمقولات المنع : الكنية والكيفية . والاسماء واللكان والزمان والوضع والمكان والمنسب والانتساب .

الكتاب هذه المدرسة كفتخر لدين الرازي (- ٥٦٠٦هـ) صاحب « نهاية الايجاز في تربية الاعجاز » والسكاكي صاحب « مفتاح العلوم » .

وأهم كتبها « دلائل الاعجاز » لعبد القاهر الجرجاني و« نهاية الايجاز في تربية الاعجاز » للرازي و « مفتاح العلوم » لسكاكي و « المصباح في اختصار المفتاح » لبيد الدين بن مالك و « تلخيص المفتاح » و « الابيضاح » للزويني و « عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح » لبهاء الدين السبكي و « المطول على التلخيص » و « المختصر » لسعد الدين الشافعي او مواهب المفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي ، وغيرها من شروح التلخيص الأخرى .

المدرسة الأدبية :

كان القرآن الكريم من أهم العوامل التي طبعت بحوث البلاغة بطابع أدبي يعتمد على الذوق الرفيع قبل اعتماده على التحديد والتنظيم : وكان فنكساب والشعراء أثر واضح في البلاغة ، فقد صبغوا كثيراً من موضوعاتها بصيغة أدبية لما امتازوا به من أدب غزير وذوق سليم : وكانت نتيجة تلك العوامل ان اتجهت البلاغة منذ عهد مبكر اتجاها أدبيا وسلكت طريقاً بعيداً عن المدرسة الكلامية ، وكانت لها خصائص واضحة تميزها عن المدرسة الأخرى ، ومن ذلك انها لم تهتم كثيراً بالتحديد والتنظيم وان جنت إلى ذلك فعل غير تعمق وتفاذ والتمسح بالتنصيح التام للأصول المنطقية ولم تهتم بالقياس المنطقيات ومسائل الفلسفة بل بذاتها وحملت عليها وحاربتها ، وكان ابن الأثير أحد أقطابها من الذين أنكروا ادخال الاساليب الفلسفية في البحث ، قال : « اعلم ان ذلك الحصر كلي لا جزئي ، ومحال ان تحصر جزئيات المعاني وما يفرغ عليها من التفريعات التي لا نهاية لها . لا جرم ان ذلك الحصر لا يستفيد بمعرفة صاحب هذا العلم ولا يقضر اليه فان البدوي البادي داعي الايل ما كان يمر

شيء من ذلك يفهمه ولا يخطر بباله، ومع هذا فإنه كان يأتي بالسحر الخلال إن قال شعراً أو تكلم نثراً (١).

ومن خصائص المدرسة الأدبية استعمال المقاييس الفنية في الحكم على الأدب ولذلك نجد هامزة نستطيع التعليل ومرة لا نستطيع ذلك، وترجمه إلى اللوق والاحساس الفني. ومن ذلك أن أسلوب كتبها سهل لا يحتاج إلى عناء كبير في فهمه كما يحتاج في قراءة كتب المدرسة الأخرى، وسبب ذلك أن معظم رجالها عاشوا في بيئات عربية كالعراق والشام ومصر، وكانوا إلى جانب ذلك شعراء أو كتاباً. أما رجال المدرسة الكلامية فقد عاشوا في بيئات أعجمية فغلبت على كتبهم العجمة ولم يكونوا أدباء بل كانوا من الغلاصة والتكلمين:

وأصرف رجال المدرسة الأدبية في ذكر الشواهد والأمثلة، وكانوا يذكرون القاعدة أو التعريف ثم يأتون بالأمثلة الكثيرة. ولم تكن الأمثلة منصورة على الجملة أو بيت الشعر وإنما أعدتها إلى القطعة الشعرية والرسالة الأدبية. ويوضح هذا في جميع كتب المدرسة، فإين المتر - مثلاً - يذكر تعريف الاستعارة أو التجنيس ويورد بعد ذلك أمثلة كثيرة ويفرق بين الحسن والردى. وتبعه البلاغيون الآخرون في هذا المنهج كأبي حلال العسكري في «كتاب الصناعتين» وابن رشيق في «العمدة» وأسامة ابن منقذ في «البدع في نقد الشعر» وابن الأثير في «المثل السائر» و«الجامع الكبير» وابن أبي الأصم المصري في «تحرير التصيير».

وقد سادت هذه المدرسة في المناطق الوسطى من العالم الإسلامي كالعراق والشام ومصر وشمال أفريقيا.

وأهم كتبها التي تضمنت خصائصها كتاب «البدع» لابن المعتز و«كتاب الصناعتين» لعسكري و«العمدة» لابن رشيق و«سر القضاة» لابن سنان الحقاقي و«أسرار البلاغة» لعبد القاهر الجرجاني و«البدع في نقد الشعر» لابن منقذ، و«المثل السائر» و«الجامع الكبير» لابن الأثير و«بدع القرآن» و«تحرير التصيير».

(١) المثل السائر ج ١ ص ٢١٠.

لاين أبي الاصمح و حسن التوسل إلى صناعة التوسل، لشهاب الدين الحلبي .
 هاتان هما المرستان البلاغيتان ، وقد كانت لكل واحدة منهما خصائص عامة ،
 ولكن هل يمكن وضع فاصل بين الذين اتجهوا اتجاها عقليا والذين توجهوا نهجا
 ادبيا؟ ليس من الممكن ذلك لان البلاغي الواحد كثيراً ما يمزج بين الطريقتين
 ويستفيد من الامتصاصين ، فالجاحظ مثلاً - وهو رأس فرقة المعتزالية سميت
 الجاحظية - نراه يميل إلى الفن ويحكم اللون في كثير من الاحيان ، وأبو هلال
 العسكري مع تأكيده انه لن يتبع طريقة المتكلمين نراه يتجه نحوهم في تقسيماته
 ولوييه ويجري في مضمارهم ويخدم اغراضهم . وكان عبد القاهر المبرجاني يميل
 مرة إلى المدرسة الكلامية في كتابه دلائل الاعجاز، وشجه إلى المدرسة الادبية في
 كتابه وأسرار البلاغة، وهو في كتابه الاول يجادل جدلاً منطقياً فيكرر اساليب
 أهل الجدل كقوله : «إن التتم فلنا...» و «كيف لا يكون الامر كذلك...» و
 «ما هو إلا كلما وكذا...» وهو في كتابه الثاني أتى به بعدد إلى التحليل الفني وبرز
 ما في الكلام من بلاغة وجمال لانه لا يريد ان يدافع دفاعاً عقلياً كما دافع عن القرآن
 في كتابه دلائل الاعجاز.

ومن جمعوا بين الطريقتين في كتاب واحد يحيى بن حمزة العلوي (- ٥٧٤٩هـ)
 صاحب الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وحقائق الاعجاز، فهو في القسم الاول
 منه يسير على منهج أدبي واضح فيه التحليل والاكثار من الامثلة ، وهو في القسم
 الثاني من الكتاب يتبع طريقة المدرسة الكلامية في تصنيف موضوعات البلاغة وعرضها ،
 وفي الجدل وتقديم الادلة ، وقد يكون سبب ذلك انه في هذا القسم تعرض لاصحاح
 القرآن، وهو مما يدفع الباحث إلى النظر العقلي وردّ تشبهات بالادلة والبراهين .
 هنا ما كان من أمر البلاغة العربية قديماً، أما اليوم فان المنهج الحديث يتطلب
 الاستفادة مما سبق لبناء بلاغة جديدة تعتمد على ذوق العصر وتستند إلى مظاهر من
 ادب وفنون،

الفصل الثاني
الفصاحة والبلاغة
المبحث الأول
الفصاحة

لفظة «الفصاحة» ، مما شاع وعرفه العرب بمفهومه القوي قبل أن تأخذ اللفاظ دلالاتها الفنية : ولجد لها في المعاجم دلاتين :

الأولى : لغوية تقوم على المعنى الأول الذي وضعه العرب واستعملوه قبل أن تظهر علوم البلاغة والنقد . ففي لسان العرب : يوم فصيح : لا غيم فيه ولا قمر .

أنصح البن : ذهب البأ عنه . فصح البن : إذا انحلت عنه الرغوة : قال لسانه الطي :

وأره فلأزروه وهو عرق وضع أعلى الرجل القبيح
فلم يمشوا مصائبه عليهم وتحت الرغوة البن الفصيح
أنصحت شاة وثاقه : خلص لبها . أنصح الصبح : بدأ ضوءه واستبان ،
وكل ما وضع فقد أنصح ، وكل واضح فصيح . ويقال : قد فصحت الصبح ،
أي بان لك وخبك ضوءه . فصحه الصبح : عجم عليه .

الثانية : دلالة تقرب من المعنى الاصطلاحي الذي تعارف عليه البلاغيون ،
ففي لسان العرب : «الفصاحة : البيان ، فصح الرجل فصاحةً فهو فصيح من قوم
فصحاء وفصاح وفصح ، وامرأة فصيحة من نسوة فصاح وفصاح : رجل فصيح
وكلام فصيح ، أي : بليغ .

لسان فصيح ، أي : طلق . وقد جاء في الشعر في وصف النجم : أنصح ، يريد
به بيان القول وإن كان بغير العربية ، كقول أبي النجم :

أنصح في آذانها فصيحاً

بني : صوت الحمار انه اصجم ، وهو في آذان الأذن فصيح بين :

وتصيح الأعمى فصاحة : تكلم بالعربية وفهم عنه . وقيل : جادت لغة حتى لا يلحن . أفصح كلامه أفصاحا وأفصح تكلم بالفصاحة وكذلك الصبي .
يقال : أفصح الصبي في منطقته أفصاحا اذا فهمت ما يقول في أول ما يتكلم .
أفصح الأعمى : اذا فهمت كلامه بعد غمته . أفصح عن الشيء أفصاحا اذا بينه وكشفه : فصيح الرجل وتفصح اذا كان عربيا اللسان فازداد فصاحا . وقيل تفصح في كلامه وتفصيح : تكلف الفصاحة . يقال :

ما كان فصيحاً ولقد فصح وهو اليبين في اللسان والبلاغة : وتفصح استعمال الفصاحة وقيل : تشبه بالفصحاء .

وقيل : جمع الحيوان ضربان : أجم وفصح ، فالفصح كل ناطق ، والأجم كل مالا يتلقى .

الفصح في اللغة لتطلق اللسان في القول الذي يعرف جيد الكلام من رديته :
أفصح للكلام وأفصح به وأفصح عن الأمر : الفصح في كلام العامة : المغرب .
وفي هذا يتضح معنى البيان والظهور في كلمة الفصاحة ، ليس هذا المعنى بعيداً عن الدلالة الأولى ولا عن المعنى الذي اصطلاح عليه علماء البلاغة ، وهو رقة الألفاظ وجمالها ، وبيان التعبير ووضوحه .

في القرآن والحديث :

لو مضينا نبحث عن لفظة « الفصاحة » في تراثنا لرأيناها في قوله تعالى حكاية عن نبيه موسى - عليه السلام - : « وَأَنبِئْ هَرُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا » (١)
وفي الحديث النبوي الشريف : «أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ يَدَائِي مِنْ لَرِيشٍ» (٢) والظاهر

(١) القصص ٢١ .

(٢) قال عبد الله بن رواحة في مدح الرسول - صل الله عليه وسلم - :
لو لم تكن فيه آيات نبينا كانت فصاحته تبيك بالضمير .

له بعد ذلك فصيح وأججم :، وفرد أصحاب الحديث بأن النبي محمداً - صلى الله عليه وسلم - أراد بالصحيح نبي آدم ، وبالاججم اليهام ، (١) :

ولا تخرج لفظة «الصفاحة» في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف عن معناها القوي وهو الظهور والبيان . وحينما دخلت هذه اللفظة الدراسات البلاغية والتفدية ارتبطت بلفظة البلاغة وصارت عنونها ، وأصبح رجال البلاغة الأوائل لا يفرقون بينهما ، بل لم يروا بأساً في أن يستعملوا احداهما مكان الاخرى كما فعل ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (- ٢١٥٥) الذي لم يضع حداً قاصداً بين اللفظتين وإنما اجراءهما بمعنى واحد في مواضع كثيرة من كتابه « البيان والتبيين » الجاحظ :

عرف الجاحظ البلاغة بقوله : «وقال بعضهم - وهو احسن ما اجتنيته ودوناه : لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يساقب معناه لفظه ، ولفظه معناه ، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك» (٢) : وفي هذا التعريف الفصاحة بالبلاغة ، والنص على امتزاجهما.

والفصاحة - عنده - واسعة المعنى ، ولذلك نراه يتحدث عنها وعن الالتقاط كثيراً ، وتعد اشاراته في كتابه «البيان والتبيين» من لوسع ما وصل اليها من عهد التصوين الاول . ويرى ان الالتقاط جديرة بالرعاية والاهتمام ، يقول : «وقد يستلطف الناس الفاظاً ويستعملونها وغيرها أحسن بملك منها ، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع الا في موضع العقاب أو موضع القدر للضع والعبس الظاهر : والناس لا يذكرون السب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة ، وكذلك ذكر المطر ، لانك لا تجد القرآن بلفظ به الا في موضع الانتقام : العامة وأكثر الخاصة لا يفتعلون بين ذكر المطر وبين ذكر القبح ، ولفظ القرآن الذي عليه نزل

(١) النهاية في غريب الحديث والادراج ٣ من ١٥٠ .

(٢) البيان والتبيين ج ١ من ١١٥ .

انه اذا ذكر الابهجار لم يقل الامساج ، واذا ذكر مسج مساوات لم يقل الارضين :
 ألا تراه لا يجمع الأرض أرضين ولا السمع أسماعا. والجارى على أنواء العاصم
 غير ذلك لا يفتقدون من الالفاظ ما هو آمن بالذكر وأولى بالاستعمال» (١).
 وتكلم على تناثر الحروف فقال : «فأما في اقتران الحروف فان الجيم لا تقارن
 الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا العين بتقديم ولا بتأخير ، والزاي لا تقارن الظاء ولا
 السين ولا الضاد ولا اللال بتقديم ولا بتأخير . وهذا باب كثير وقد يكفى بذكر
 القليل حتى يستدل به على الغاية التي إليها يجرى» (٢).

وتحدث عن تناثر الالفاظ فقال : «ومن الالفاظ العرب الالفاظ تتناثر وان كانت
 مجموعة في بيت شعر لم يستطع للشاعر انشاؤها الا ببعض الاستكراه ، فمن ذلك قول
 الشاعر :

وقبر حرب يمكن قصر وليس قسرب غير حرب قبر
 ولما رأى من لا علم له أن أحداً لا يستطيع أن ينشد هذا البيت ثلاث مرات
 في نسق واحد فلا يتحجج ولا يتطلع ، وقيل لهم : ان ذلك إنما اعتراه اذ كان من
 اشعار الجمن ، صدقوا بذلك .

ومن ذلك قول ابن سببر :

لم يضرها والحمد لله شبي وانثت نحو عَزَفٍ نَقُورٍ ذَهولٍ
 فخلقت النصف الاخير من هذا البيت فذلك مستجد بعض الالفاظ بغيراً من بعض (٣)
 وينبغي أن تكون الالفاظ متعاقبة متالفة كي لا يقع بينها التناثر فتصبح كأولاد
 علة ، يقول : «وانشدني أبو العاصي ، قال : أنشدني خلف الأحمر في هذا
 المعنى :

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ٢٠.

(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ٦٩.

(٣) البيان والتبيين ج ١ ص ٦٥.

وبعض الفريضة تقوم أولاد علة بكدة لسان الناطق المتخلف (1)
وقال أبو العاصي : وأنتدني في ذلك أبو اليناء الرياحي :

وشعر كبير الكيش فرق بينه لسان دحسي في الفريضة دخيل
فانه يقول : اذا كان الشعر مستكرها وكانت الفاظ اليت من الشعر لا يقع بعضها
تماما لبعض كان بينها من التماثل ما بين اولاد العلات. واذا كانت الكلمة ليس
موقفا الى جنب آخرها متزجيا موافقا كان على اللسان عند انشاد ذلك الشعر
مؤولة .

قال : وأجود الشعر ما رأيت متلاحم الاجزاء سهل الخارج ، فنعلم بذلك أنه
قد أفرغ الفراغا واحدا ، وسبك سبكا واحدا ، فهو يجري على اللسان كما يجري
على اللسان .

وأما قوله : شعر الكيش ، فإنا نعب الى أن هو الكيش يقع متفرقا غير مؤلف
ولا متجاور ، وكذلك حروف الكلام وأجزاء اليت من الشعر تراها متضفة ملصقا
وليئة المعاطف سهلة ، وتراها مختلفة مشابهة ومتمايزة مستكربة تشق على اللسان
وتكده ، والاخرى تراها سهلة ليئة ورطبة مواتية ، ملصقة بنظام خفيفة على
اللسان حتى كأن اليت بأسرها كلمة واحدة ، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف
واحد (2) .

ويرى أن اللفظ كما لا ينبغي أن يكون عاميا وساقطا سونيا ، فكذلك لا ينبغي
أن يكون غريبا وحشيا إلا أن يكون المتكلم بدويا أمرايا ، فان لوحشي من الكلام
يفهمه لوحشي من الناس كما يفهم السوي رطاة السوي (3) .
لقد اهتم الخاسط بالاتقاط اعتنا عظيمًا وأولاهها عناية كبيرة ، وقد دفعه
هذا الاهتمام الى أن يقول : والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والبري

(1) اولاد علة : هم بنو رجل واحد من أهبات شعر .

(2) اليان ج 1 ص 66 .

(3) ينظر اليان ج 1 ص 111 .

والبدوي والقروي والمدني ، وأما الشأن في اقامة الوزن ، وانخير اللفظ ، وسهولة
المخرج ، وكثرة لثاه ، وفي صحة الطبع وجوده السبك ، فأما الشعر صناعة وضرب
من النسخ وجنس من التصوير (١) :

وظن بعض الباحثين أنه يبيل لل اللفظ كل الليل ، وأنه لا يرى للمنى كبير
أهمية ، والواقع انه عني باللفظ وأعطاه نصيبه من الاهتمام ، وشغل بالمنى
والتصوير الأدبي الذي يقول عنه : «أما الشعر صناعة وضرب من النسخ وجنس من
التصوير ، وهذه نظريته التي شرحها عبد القاهر الجرجاني وسماها «نظرية
النظم» ، فبالنظر أهم بالاتفاق والمعاني والتصوير مع انه يرى أن بعضهم لا يخل
الا بالمنى وحده كآبي عمرو الشيباني الذي يرى أن المنى متى كان راقياً حتماً
ظل كذلك في أية عبارة وضع قائلان :

لأنهين الموت موت الليل فأنما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكن ذاك أظنح من ذلك للذوال سؤال

استحسنتها أبو عمرو على حين ليست عليهما مسحة من جمال سوى الوزن ؛
وعليه الجاحظ ورأى أنه سرف في تقديرهما ، وقال : «وأنا رأيت أنها عمرو
الشيباني وقد بلغ من استجاده لذين البيتين ونحن في المسجد يوم الجمعة أن كلف
رجلا حتى أحضره حواة وفرطما حتى كتبهما له ، وأنا أزعم أن صاحب هذين
البيتين لا يقول شعراً أبداً ، ولولا أن أدخل في الحكم بعض اللفظ
لزعمت أن ابه لا يقول شعراً أبداً ، (٢) .

لقد اعتم الجاحظ باللفظ ولكنه لم يهمل المنى ، ولذلك ليس صحيحاً ماذهب
إليه بعضهم وهو أن الجاحظ كثر من جهوده لخدمة الالفاظ ، ولاجله خلص عبد
القاهر الجرجاني خمار هذا البحث: ويرى الدكتور محمد منصور أن كل آراء معيد
القاهر تنحصر في مسألتين:

(١) الحيوان ج ٣ ص ١٢١ .

(٢) الحيوان ج ٣ ص ١٢١ .

الاولى : التكرار لما رآه الجاحظ من اعمية فصاحة الالفاظ باختيار تلك الفصاحة
 صنعة في اللفظ ذاته، ثم ثورته على ملعب أبي هلال العسكري التي يرد جودة
 الكلام إلى عسنت القنطرة تلف عند الشكل.

الثانية : تليفه جودة الكلام بملصائص في النظم (١).

وعجالة الجاحظ وانما الشعر صناعة وضرب من النسخ وجنس من التصوير،
 وما نقله عبد القاهر من اعتماده بالصياغة والصناعة، غير ما يلتد هذا الرأي، لان
 عبد القاهر سار على عكس الجاحظ ونقل مصطلحه في التصوير وقال : وليس العبارة
 عن ذلك بالصورة شيئا تمن ابتداعه فيكره منكر بل هو مستعمل مشهور في
 كلام العرب ويكتفي قول الجاحظ «وانما الشعر صناعة وضرب من التصوير» (٢).
 فالجاحظ من اصحاب الصياغة، ولذلك تسقط عنه تهمة الاغتمام بالشكلية والالفاظ،
 وان كان كثير الاعتناء باللفظ واختيار ما يؤدي للمعنى أداء حسنا، وهذه مهمة
 الاديب التي يتدبر قيمة الكلام وبذل في سبيله اعظم الجهود، وقد كان الجاحظ
 ادبياً كبيراً وعلماً قديراً، فعنى بالالفاظ كما عني بالمعاني وكان له الفضل في تصوير
 نظم الكلام.

ابن قتيبة :

وتحدث ابن قتيبة (- ٥٢٧٦) عن الالفاظ ، وذكر ان الشعر أربعة أصرب :

١ - ضرب منه حسن للفظ وجاد معناه ، كقول القائل في بعض بني أمية (٣) :
 في كفه عيرونان ريح عبق من كف لروح في عريته شمس
 يخفي حياه وينفسي من مهابه فما يكلام الا حين يتشم
 وكقول أوس بن حجر :

(١) ينظر في الميزان الجديد ص ١١٩ .

(٢) دلائل الاصول ص ٢٨٩ .

(٣) كفا في الشعر والشعراء ، وفي الحاشية للجزين الكفاي من أبيات يشرح بها عبد الله بن
 عبد الملك بن مروان والبيهقي في دهران العزراق ج ٢ ص ١٧٨ (طبعة مكتبة صادر) ،
 وعما في مدح زين العابدين رضي الله عنه .

أيتها النفس أجملني جزعا إن الذي تحلين قد ولما
٢ - وضرب منه حسن لفظه وحلا فإذا أتت فنتته لجد هناك فائدة في
المعنى كقول القائل :

ولما قضيتا من منى كل حاجة ومسح بالاركان من هو مسح
وشدت على حدب المهاري بحالنا ولم ينظر القادي الذي هو راجح
انقنا بأطراف الاحاديث بيننا وسالت بأعناق الطي الاباطح
يقول ابن قتيبة : وهذه الالفاظ كما ترى أحسن شيء سخرج ومطالع ومقاطع ، وإن
نظرت إلى ما تحتها من المعنى وجدته : ولما قطعنا أيام منى واستظنا الاركان وعالينا
ابنا الانتقاء ، ومضى الناس لا ينظر القادي لراجح ابتدأنا في الحديث وسارت
الطي في الاباطح (١).

وتحرو قول الطلوط :

إن الذين غنوا بلبك غافروا وأشلاء بعينك لا يزال معينا
لحوضن من عبراتهم وقلن لي : ماذا لقيت من الهوى ولقيتها (٢)
٣ - وضرب منه جاد معناه وقصرت القاطة عنه كقول ليد بن ربيعة :
ما عاتب المرأة الكريم كضمة . والرمه يصلحه الجليس الصالح
٤ - وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه ، كقول الأضي في امرأة :

ولدها كالأحسي فضاء دائم الوطئ
كما شيبا برامح با رد من عمل النحل
ولم يشر ابن قتيبة إلى لفظه والصاححة في كتابه الشعر والشعراء ولكنه استعمل
كلمة والاقاطة ، ويرى أن المحدث ليس له أن يبيح التظلم في استعمال وحشي
الكلام ككثير من أهبة سيويه ، ولا أن يسلك فيما يقول الأصابية التي لا تصح

(١) الشعر والشعراء ج ٦ ص ٦٦. ونجد الشعر الجرجاني غير هذا الرأي فهو يراها
من أبداع الشعر وأخذه وقد حلها تعليلا جيدا. (ينظر دلائل الإعجاز ص ٥٥) .
(٢) البيتان في ديوان جرير ص ٥٧٥ ، وهذا من قصيدة في عيد الأضطر.

في الوزن ولا تحل في الاسماع. يقول : «وهذا بكثرة، وفيما ذكرت منه ما ذلك على ما أردت من اختيارك أحسن الروي وأسهل الالفاظ وأبعدنا من التعقيد والاستكراه واقربها من أفهام العوام. وكذلك انتظر للخطيب اذا خطب والكتاب اذا كتب فانه يقال : «أسير الشعر والكلام المطمع» يراد الذي يطمع في الله من سعه وهو مكان النجم من يد المتناول» (١).

وفي كتابه «أدب الكتاب» حديث عن الالفاظ والابنية، ولكنه لا يسميها «فصاحة» وإنما هي قواعد يستعين بها الكتاب. وعقد في كتابه «عيون الأعيان» باباً سماه «كتاب العلم والبيان» تحدث فيه عن الأعراب واللحن والشاذق والغريب والبيان والالفاظ التي تقع في كتب الأمان واليهود والخطب. وهو في هذه الأبواب والقصول ليس كالجاحظ الذي أرسى كثيراً من قواعد الفصاحة ووضع أمثلتها التي تتردد في كتب البلاغة والتفرد.

الميرد :

وليس فيما كتب الميرد (- ٥٢٨٥) إشارة إلى الفصاحة وإن كان يفضل أن تكون الالفاظ جزلة (٢).

لعلم :

ولا فيما كتب أبو العباس لعلم (- ٥٢٩١) الذي أشار إلى جزالة الالفاظ (٣).

ابن المعتز :

ولا فيما ألف ابن المعتز (- ٥٢٩٦) صاحب كتاب اليبج.

قدامة :

وتحدث قدامة بن جعفر (- ٥٣٣٧) عن نعم القفا، وقال ينبغي أن يكون سجعاً سهل مطارج الحروف من مواضعها، عليه رونق الفصاحة مع المنظور من

(١) الشعر والشعر ج ١ ص ١٠٣.

(٢) الكامل ج ١ ص ٥٤.

(٣) قواعد الشعر ص ٥٩.

البشاعة (١)؛ وذكر عيوب اللفظ وهي :

١ - أن يكون ملحونا وجاريا على غير سبيل الاعراب والبناء؛

٢ - وأن يركب الشاعر منه ما ليس يستعمل إلا في القصر؛

٣ - ولا يتكلم به إلا شاذاً، وذلك هو الوحشي الذي مدح عمر بن الخطاب

- رضي الله عنه - زهيراً بمجانته له وتكبه إياه فقال : «لا ينعح حوشي الكلام».

٤ - ومن عيوب اللفظ المعاملة، وهي التي وصف عمر بن الخطاب زهيراً

بمجانته لها فقال : «وكان لا يعامل بين الكلام». وهي ليست مدانة الشيء في الشيء

لأنه محال أن يتكرر مدانة بعض الكلام فيما يشبهه من بعض أو فيما كان من جنسه،

وإنما يكون الإنكار فيما يدخل بعضه فيما ليس من جنسه وما هو غير لائق به (٢) :

ابن وهب :

وفي كتاب البرهان في وجوه البيان (٣) لأبي الحسين اسحاق بن إبراهيم بن

سليمان بن وهب الكتاب اشارات إلى جزالة اللفظ وسخافته وركاكته : ولم يحدد

معاني هذه المصطلحات واكتفى بالتشليل وقال : «وأما جزالة اللفظ فكقولُه :

وإل عدوك يا ابن عمِّ محمد رحمان : غيوةً للشمس والأعلام

فإذا تمَّه رُعتَه وإذا ضفا سأت عليه سيوتك الأحلام

وأما سخافة اللفظ وركاكته فيمثل قول الآخر :

يا عتب سيلي أما لك تبين حتى متى قلبي لنبك رهين

فأنا الصبور لكل ما حملتني وأنا الخفي للبائس السكين (٤)

(١) لقد نشر من ٢٦.

(٢) لقد نشر من ٢٠١-١٩٦.

(٣) هو النص الكامل للكتاب المطبوع باسم «وقد نشره التسوية إلى قامة بن جعفر».

(٤) البرهان في وجوه البيان من ١٢٢.

وقال عن التصحيح : وأما التصحيح من الكلام، فهو ما وافق لغة العرب ولم يخرج
عما عليه أهل الأدب، والتصحيح ذلك وضع النحو، ولجسه وضعت الكتب في
اللغة، وذكر السمعاني منها والشاذ والمهمل: وحتى من يتشأ في العرب أن يستعمل
الافتداء بلفظهم، ولا يخرج عن جملة الفاعلهم، ولا يتبع من نفسه بمخالفتهم
ليخطئوه ويلحقوه (١).

وليس في هذه الاشارات ما يوضح رأي صاحب البرهان في النقصا كما
عرفنا لتجاسد ومعايروه.

السكري :

وذكر ابو هلال السكري (- ٤٣٩٥) رأيين في النقصا :

الاول : ان النقصا والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد وان اختلف اصلهما
لان كل واحد منهما هو الاية عن المعنى والاظهار له يقول : ولما النقصا فقد
لك قوم : انها من قوم : أنصح فلان عما في نفسه اذا أظهره، والشاهد على انها
هي الاظهار قول العرب : أنصح الصبح اذا أضاء، وأنصح اللبن اذا انجلت عنه
رغوة فظهر، وأنصح أيضا. وأنصح الأعجمي اذا أهان بعد أن لم يكن ينصح
وبيين، وأنصح اللسان اذا عرصا في نفسه وأظهره على جهة الصواب دون الخطأ.
وإذا كان الأمر على هذا فالنقصا والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد وان اختلف
اصلهما (٢).

الثاني : انها مختلفان، وذلك ان النقصا تمام آة البيان فهي منصورة على
اللفظ، لان الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى، والبلاغة لما هي انتهاء المعنى إلى القلب
فكانها منصورة على المعنى. يقول : وقال بعض علماءنا : النقصا تمام آة البيان،
لهذا لا يجوز أن يُسمى الله تعالى نصيحاً اذا كانت النقصا تتضمن الآلة، ولا
يجوز على الله تعالى الرصف بالآلة ويوصف كلامه بالنقصا لما يتضمن من تمام البيان.

(١) البرهان ص ٢٥٢.

(٢) كتاب الصائين ص ٧.

والدليل على ذلك أن الألفح والتمام لا يسميان فصيحين لتقصان آلهما عن أقامة الحروف.

وقيل : فزياد الأعجم لتقصان آلة نطقه عن اقامة الحروف ، وكان يعبر عن الحماره بالحمار ، فهو أعجم وشعره فصيح لتنام بيانه (١).

ووضح الأمر بقوله : ومن الدليل على ان فصاحة تتضمن اللفظ والبلاغة تناول المعنى ، ان ليثاء يسمي فصيحاً ولا يسمي بلثاً اذ هو مقيم الحروف وليس له قصد إلى المعنى الذي يؤديه : وقد يجوز مع هذا أن يسمي للكلام الواحد فصيحاً بلثاً اذا كان واضح للمعنى ، سهل اللفظ ، جيد التركيب ، غير مستكبره فح ولا متكلف وعم ، ولا يبتعه من أحد الأسمين شيء لما فيه من ابضاح المعنى وتقويم الحروف (٢) . وهذا هو رأيه ، أما الرأي الأول فقد عرّفه ، لأن بعضهم يذهب إلى ذلك: وعند فصلا في تمييز الكلام تحدث فيه عن صفات الالفاظ الحسة ، وانتهى إلى أن الكلام اذا جمع العذوبة والجزالة والسهولة والرحمانية مع اللطافة والفصاحة ، واشتمل على الرونق والطلاوة ، وسلم من الخيف في التأليف ، وبعد عن سباحة التركيب ، وورد على لقمه القالب - قريحته ولم يردّه ، وحل السمع المصيب استوعبه ولم ينجسه ، والنفس تقبل اللطيف وتنبو عن اللطيف (٣).

وأصل الالفاظ أهمية كبيرة ، لانه ليس الشأن في ايراد المعاني ، لان المعاني يعرفها العربي والمعجمي والقروي والبدوي ، وإنما هو في جودة اللفظ وصفاته ، وحسنه وبهائه ، وترانته ولفظه ، وكثرة طلاوته وماله مع صحة التركيب والتركيب ، وليس يطلب من المعنى الا أن يكون على هذه الأوصاف ، وهو ما أشار اليه الجاحظ من قبل ، ولكنه جعل التصوير أساس البيان :

(١) كتاب الصائغين ص ٧.

(٢) كتاب الصائغين ص ٨.

(٣) كتاب الصائغين ص ٥٧.

ابن سنان :

وعقد ابن سنان الحفاجي (- ٥١٦٦ هـ) في كتابه امر القصاصه فصولا ضافية تحدث فيها عن صفات الحروف ومخارجها ، وقصاصة اللفظة المفردة والالفاظ المؤلفة :

والقصاصه عنده - : والظهور والبيان ، (١) والفرق بينها وبين اليلافة وأن القصاصه مقصورة على وصف الالفاظ واليلافة لا تكون الا وصفاً للالفاظ مع اللداني . لا يقال في كلمة واحدة لا يدل على معنى يفضل عن مثلها بليغة وان قيل فيها فصيحة ، وكل كلام بليغ فصيح ، وليس كل فصيح بليغ (٢) .

ولكي تكون اللفظة الواحدة فصيحة ينبغي ان تتوفر فيها بعض الشروط ، قال وان القصاصه على ما قلنا نعت للالفاظ اذا وجدت على شروط عدة ، وهي تكاملت تلك الشروط فلا مزيد على قصاصة تلك الالفاظ وبحسب الوجود منها تأخذ القسط من الوصف وبوجود أعضاده استحق الأطراح والقدم ، وتلك الشروط تنقسم قسمين فالاول منها : يوجد في اللفظة الواحدة على القراءتها من غير أن ينضم اليها شيء من الالفاظ وتختلف مع .

والقسم الثاني : يوجد في الالفاظ المنظومة بعضها مع بعض (٣) .
فما الذي يوجد في اللفظة الواحدة فنصايبه أشياء :

الاول : أن يكون تأليف تلك اللفظة من حروف متباعدة المخارج ، وعلة ذلك أن الحروف التي هي اصوات تجرى من السمع مجرى الألوان من البصر ، ولاشك في أن الألوان للتيابنة انا جمعت كانت في النظر أحسن من الألوان المتضاربة ، ولهذا كان الياض مع السواد أحسن منه مع الصفرة .

(١) امر القصاصه ص ٥٩ .

(٢) امر القصاصه ص ٦٠ .

(٣) امر القصاصه ص ٦٥ .

ومثال التأليف من الحروف المتباعدة كثير جلّ كلام العرب عليه ، فلما تأليف الحروف المتظاهرة قتل والمفع ، وقد روي أن الخليل بن أحمد القراهدني قال : « سمعنا كلمة شتاء هي المفعع ، والكرقا تأليفها » . وقيل : ان امرأيا مثل من نافته فقال : تركتها ترعى المفعع (١) . وقال ابن سنان : هو الحروف الحلق مزية في القبح اذا كان التأليف منها قطع ، وأنت تترك هذا وتستطجحه كما يشح عندك بعض الامزجة من الالوان وبعض النغم من الاصوات (٢) . الثاني : ان يكون لتأليف القطعة في السمع حسن ومزية على غيرها وان تسلوبا في التأليف من الحروف المتباعدة كما نجد لبعض النغم والالوان حيثما يتصور في النفس ويلتذق بالبهير والسمع دون غيره من حسه . ومثاله في الحروف « ع . ذ . ب » فان السامع يجد قولهم « العذيب » - اسم موضع - و « عذيبه » - اسم امرأة - و « عذيب وعذاب » و « عذّب » و « عذبات » ، مالا يجده فيما يقارب هذه الالفاظ في التأليف . وليس سبب ذلك بعد الحروف في الخارج فقط ولكنه تأليف مخصوص مع اليمد ، ولو قدّمت الذال أو الباء لم نجد الحسن على الصلة الأولى في التقديم العين على الذال لضرب من التأليف في النغم يشده التقديم والتأخير . وليس يخفى على أحد من السامعين أن تسمية الفصن غصنا أو قنناً أحسن من تسميته عسلوجا ، وان أخصان البان أحسن من صالح للشوحط (٣) : ومن الكلمات اللذبة الجميلة « الفلوح » وقد استعملها المتنبي فقال :

إذا سارت الاحداج فوق نياته فتأوح صك الغائبات وورده (٤)
وهي في غاية من الحسن ، وليل : ان المتنبي أول من نطق بها على هذا المثال ، ومثال ما يكره قول المتنبي :

(١) سر الفصاحة ص ٥٧ .

(٢) سر الفصاحة ص ٦٧ .

(٣) الشوحط : شجر ينضج منه النبي .

(٤) الرد : العود ، لولأس ، أو شجر طيب الرائحة .

ببارك الاسم أغسَرَ الغلب كرمس الجرشى شريف القصب (١)
فانك تجد في الجرشى أيضاً يكرمه السبع وينبوعه ، وأين كلمة النفس من
هذه اللفظة الثقيلة ؟

قال : أن تكون غير متوعدة وحشية كقول أبي تمام :

لقد طلعت في وجه مصر بوجهه بلا طائر ستمد ولا طائر كهدل
فإن كهدل هنا من شارب اللغة ، ورؤي أن الاصمعي لم يعرف هذه الكلمة وإنما
ليست موجودة إلا في شعر بعض الهلاليين وهو قوله :

فلو أن ملحن جاره أو أجاره رياح بن سعد رده طائر كهدل
وقيل : إن كهدل الضخم ، وهي اللفظة ليست قبيحة للتأليف لكنها وحشية
غريبة لا يعرفها مثل الاصمعي ولهذا اعتد الخلدان من الشعراء على اختيار أسماء
المازل والنساء في القزل ونحوها مالا يحسن لفظه ، وعابوا على جرير قوله :

وقول يوزع قد دبت على العصا هلاً هزت بيرونا يابوزع
وذكروا أن الوليد بن عبد الملك قال له : أهدت شرك : يوزع :

وقد قال ابن سنان : وأنا أكره من قول كثير بن عبد الرحمن صاحب حزة :
وما روضة بالحزن طيبة ترى يمحج لئدي جثائها وعسارها
ذكر والحجاء ، لأنه اسم غير مختار ، ولو أمكنه ذكر غيره كان عتدي أئبن وأوق :
ولا أحب أيضاً نسبة أبي تمام صاحبه - علانة - ولداه بالترخيم في قوله :
قف بالظلول اللباسات علانا أنصحت جبال قطينهن وآلنا
وإن كان الروي قاده إلى ذلك ، فليت شعري من حظر عليه القواني والنسب به على
الله دون غيرها من الحروفه (٢).

(١) كرم الجرشى : كرم النفس.

(٢) سر الصفاة ص ٧٦.

الواحد : أن تكون الكلمة غير ماضية حامية، ومثال العامة قول أبي تمام :
جلت واللوت بيد حُرٍّ صفحته وقد تَفَرَّعَتْ في أفعاله الأجلُّ
لأن الفروع مشتق من أسم الفروع، وهو من أفعال العامة ، وعادتهم أن يقولوا :
افترعن فلانة إذا وصفوه بالجرية .

ومنه قول أبي نصر عبد العزيز بن نباتة :

أقام قوام الدين زبغ قتاله وأنضج كمي الجرح وهو ظير
لفظة وظيره حامية مبتلة .

ومنه قول أبي تمام :

قد قلت لمالِحٍ في صدءه أعطف هل عيبك يا قاسري
لأن قاسري من أفعال عوام النساء .

ومن ذلك لفظة أووجهناه في قول ابن نباتة :

فقد رفعت أبحارها كمل بلدة من الشرق حتى أوجهتها الاخداع
واللفظة والجورب، في قول اللطفي :

تشرق الكف فؤديه ومنكبه ولكني منه ربح الجورب المطلق

الخاص : أن تكون الكلمة جارية على العرف العربي الصحيح غير شاذة ، ويلاحظ
في هذا القسم ما ينكره أهل اللغة ويردّه علماء النحو من التصرف الفاسد في الكلمة، وقد
يكون ذلك لاجل أن اللفظة بعينها غير عربية كما أنكروا على أبي الشيبان قوله :
وجناح مفصوص تحيف ريشه ربه الزمان تحيف للقرائن

وقالوا : ليس بالقرائن من كلام العرب، ولم يسبح عنهم إلا متى .

وقد تكون الكلمة عربية إلا أنها قد صيرتها عن غير ما وضعت له في عرف اللغة،
كما قال البحري :

يشق عليه الريح كل عشية جيب الغمام بين بكر وأهم
لوضع الأيم مكان الثيب ، وليس الأمر كذلك ، ليس الأيم الثيب في
كلام العرب ، إنما الأيم التي لأزوج لها يكثرأ كانت أو ثيبا :

ومن ذلك قول البحرى:

شُرْطِيّ الْإِنصَافِ إِنْ لَيْلِ الشَّرْطِ وَصِدْقِي مَنْ " إِنْ صَافِي لَسَطِ
وَأَرَادَ بِهَسَطِهِ عَدْلًا ، لِأَنَّ الْأَمْرَ عَلَيْهِ ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ، وَإِنَّمَا يُقَالُ «أَسَطَهُ»
إِذَا عَدَلَ وَهَسَطَهُ إِذَا جَارَ ، وَمِنَ قَوْلِهِ تَعَالَى : «وَأَدَّ الْقَابِضُونَ» فَكَانُوا لِيَهْدِمَ
حَطَبَهُ (١) .

وقد يكون على جهة الخلف من الكلمة كقول رؤبة بن العجاج:

فَوَاطِئًا مَكَلًا مِنْ وَرَقِي الْحَمَا

يريد الحمام .

وقد يكون على وجه الزيادة في الكلمة مثل أن تشع الحركة فيها فتصير حرفًا ،
كما قال الشاعر:

وَأَنْتَ عَلَى الْفَرَاةِ حِينَ تُرْمَى وَحَسَّ عَيْبَ السَّرْجَانِ بِمَسْرَاحِ
أَي : بِمَسْرَحِ .

وقد يكون إيراد الكلمة على الوجه الشاذ قليلًا ، كلفظة «باعت» التي جاءت
رديئة شاذة في قول البحرى .

مُحِبَّرِينَ لِبَاعَتِ مَصْجَبٍ مَا يَرَى أَوْ نَاطِرٍ مَسْأَلِ
وَالعَرَبِي الْمَسْجَلُ «بُئِيَ الرَّجُلُ بِيُئِيَتْ» فَهِيَ مَبْهُوتٌ .

ويدخل في هذا القسم ما يسمى الضرورة الشعرية من اظهار التضعيف ، أو مدّ
القصور ، أو قصر المدود ، أو تأنيث المذكر على بعض التأويل ، أو صرف مالا
بصرف وغير ذلك .

السامع: أن لا تكون الكلمة قد عبر بها عن أمر آخر يكره ذكره ، فإذا أوردت وهي
غير مفصولة بها ذلك المعنى فبحث وأن كملت فيها الصفات ، كقول الشريف الرضي :
أَمْزَجَ عَلِيٌّ بَانَ لِرَأْسِهِ وَقَدْ عَجَلَتْ مِنْ جَانِبَيْكَ مَقَاعِدُ الْعَصَاكِرِ
فإيراد «مقاعد» في هذا البيت صحيح ، إلا أنه مراعى لما يكره ذكره في مثل هذا

(١) البين ١٤ .

الثان، لاسيما اضافته إلى من يحصل اضافته إليهم وهم «العوائد» ولو انفرد لكان الأمر سهلا فلما اضافته إلى ما ذكره فيها فتح لاختفاء به.

الساج : أن تكون الكلمة معتلة غير كثيرة الحروف فلها متى زادت على الامثلة المعتادة العروقة فيحت ويخرجت عن وجه من وجوه فصاحة. ومن ذلك قول أبي نصر بن نباته :

فياكم أن تكلفوا عن رؤوسكم
المفاتيح كلمة غير مرضية لطولها.
ومنه قول أبي تمام :

فلأتويجان اتصالا بعلمنا
كأنت مرسى عبرة ونكالا
سَمَّجَتْ وتبها على استساجها
ماحوالها من تفترة وجمال
قوله «استساجها» رديه لكثرة الحروف وخروج الكلمة بذلك عن المعتاد في الالفاظ إلى تشاذ القاصر.

ومنه قول المتنبي :

ان الكسريم بلا كسرام منهم
مثل القلوب بلا سويداواتها (١)
ة سويداواتها كلمة طويلة جدا .

الثامن : أن تكون الكلمة مصفوفة في موضع عبر بها فيه عن شيء لطيف أو عظيم أو قليل أو ما يجري مجرى ذلك ، فلها تحسن به. ومن ذلك قول عمر بن أبي ربيعة :

وغاب تحير كنت أرجو طلوعه
وروح رعيان ونوم سر

وهذا تصغير مختار في موضعه، فلما الأسماء التي لم ينطق بها إلا مصفوفة كالجبين والثرى ليس للتصغير فيها حسن يذكره لأنه غير مقصود بها ما ذهب إليه ابن سنان : ومعظم هذه الشروط تدخل في فصاحة الالفاظ اللؤلؤة ، والاخلال بها قد يؤدي إلى زيادة التبحر والتناثر في الكلام، لأنه حين تكون الالفاظ بمجموعة يحتاج إلى دقة

(١) سويداء القلب : حياءه، وجدها سويداوات.

في التركيب واختيار اللطيف منها . يقول ابن سنان متحدثا عن الشرط الاول :
« أن الاول منها أن يكون تأليف اللفظة من حروف متباعدة المتخرج ، وهذا
يعني في التأليف ، ويبيانه أن يحسن التأليف تكرار الحروف المتقاربة في تأليف الكلام
كما أمرناه بتجنب ذلك في اللفظة الواحدة ، بل هذا في التأليف أجمع ، وذلك ان
اللفظة المفردة لا يكثر فيها من تكرار الحرف الواحد أو تقارب الحرف مطلقا
يشتمر الكلام المؤلف إذا طال واتسع (١) . »

ومما فتح قول أبي تمام :

فللجد لا يرضى بان ترضى بأن يرضى للؤمل منك الا بالرضى
ومنه قول الآخر :

ولم حرب بمكان قصر وليس قرب فبرحرب غير
ومنه قول المتنبي :

ولسعتني في غمرة بعد غمرة سرح لها منها عليها شواهد
وأما التالي من شروط اللفظة المفردة فيكون في التأليف اذا ترادفت الكلمات
المختارة فيوجد الحسن فيها أكثر وتزيد طلاوته على ما لا يجمع من تلك الكلمات
الا القليل ، وهذا يرجع الى اللفظة بانفرادها وليس للتأليف فيه الا ما آثاره التواتر
والترادف .

وكذلك الثالث والرابع من الأقسام لاهلقة التأليف بهما ، وإنما يفتح إذا كثر
فيه الكلام الوحشي أو العامي .

وأما الخامس فلتأليف به علة وكيدة ، لأن اعراب اللفظة تبع لتأليفها من
الكلام وعلى حكم الموضع الذي وردت فيه :

وأما السادس فلتأليف فيه تعلق بحسب إضافة الكلمة إلى غيرها ، فإن التعلق
يختلف بحسب ذلك :

(١) سر القصاصة ص ١٠٧ .

وأما السابع فلا حقة لتأليف به، إلا أن ظهور قبحه أجل إذا ترادفت فيه الكلمات
الطوال

وأما الثامن فلا حقة لتأليف به إذ كان لا يعمد للكلمة بانفرادها .
ودراسة ابن سنان لفصاحة من أنصب الدراسات، ولا يكاد المتأخرون يخرجون
عنها في كل ما ألفوا أو اختصروا أو شرحوا.
عيد القاصر.

وكانت لفصاحة والبلاغة والبراعة والبيان ألفاظاً مترادفة عند عيد القاصر
الجزائري (- ١٤٧١هـ أو ١٤٧٤هـ)، وكلها يجر بها عن أفضل بعض القائلين على
بعض من حيث نظروا وتكلموا وأشبهوا والسمعين عن الأغراض والمقاصد، ورواها
أن يعلمهم ماني قوسهم، ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم (١).

والألفاظ عنده خدم للمعاني وأوعية لها تبعها في حسنها وجعلها أو قبحها
وردائها، بقوله: «ولن نجد أيمن طائراً، وأحسن أولاً وآخرأ، وأعدي إلى الإحسان،
وأجلب للاحتسان من أن ترسل المعاني على سجيبتها وتدعها تطلب لألفها الألفاظ،
فلها إذا تركت وما تريد لم تكنس إلا ما يليق بها، ولم تلبس من المعارض إلا ما يزينها .
فإذا أن تضع في نفسك أنه لا يد من أن تبتس أو تسجع باللفظين مخصوصين فهو الذي
أنت تعرض الاستكراه وعلى خطر من الخطأ والرتوق في اللام. فإن ساعدك الجحد
كما ساعد في قوله .

أودعني أمت بما أودعني

وكما ساعد أبا تمام في نحو قوله .

وأجندتم من بعد اتهام داركم

فيا دمع العبدني على ماكني تجند

ولوله .

هن الحمام فإن كسرت حياقة

من حالهن فلهن حيام

(١) دلائل الامتياز ص ٢٥ .

ذلك ولا اطلقت السنة العيب (١) :

إن القصد من تكون في المعنى وليس للكلمة الفردية كبير قيمة، وكثيراً ما تستعمل اللفظة في موضع فتكون حلوة الحرم طيبة، وتستعمل في موضع آخر لفظاً تلك المرية، وإنما كان ذلك لأن الزبة التي من أجلها تصيفُ اللفظ في شأنها هذا بأنه فصيح مزينة تحدث بعد أن لا تكون وتظهر في العلم من بعد أن يدخلها النظم. وهذا شيء إن أنت طلبته فيها وقد جئت بها لإفراداً لم ترم عليها نظماً ولم تحدث لها تأكيداً طليت محلاً: وإذا كان كذلك وجب أن نعلم نظماً أن تلك الزبة في المعنى دون اللفظ (٢) .

فالألفاظ عند عبد القاهر لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة : ولا من حيث هي كلم مفردة: وإنما تثبت لها التفصيل وخلالها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها وما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ: وما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤلسك في موضع ثم تراها يبعثها تنقل عليك وتوحشك في موضع آخر كلفظ والأخمدع في بيت الحماسة:

لعلت نحو المي حتى وجلتسي وجمت من الأصفاء ايأ وأخذت (٣)
وبيت البحري :

وأي وإن بلقي شرف اللسي وأخذت من رق المطامع أهدمي
فإن لها في هذين البيتين ما لا يخفى من الحسن، ثم أنك تتأملها في بيت أبي تمام:
يادعتر قوم من أهدميك فقد أهدميت هذا الانام من شروقك
تجد لها من القل على النفس ومن التنجيس والتكدير أصناف ما وجدت هناك من الروح والحفة والأيتاس والبهجة .

(١) سرور البلاغة ص ١٩، وينظر دلائل الإيجاز ص ٥٠١ .

(٢) دلائل الإيجاز ص ٣٠٧ .

(٣) الإهدمان : عرقان في جاني العبد له غلبا وجنابا، والبيت : صفة العرق

ومن أعجب ذلك لفظه والشبه فالتك تراها مقبولة حسنة في موضع وضعيفة
مستكرهة في موضع ، وإن اردت أن تعرف ذلك فانظر إلى قول عمر بن أبي ربيعة :
ومن مالي عبيه من شيء عسره إذا راح نحو الجمره ايض كالكدمي
وإلى قول أبي حبة النعمري :

إذا ما ناقض المرء يوماً وليلاً نقاضه شيء لا يعقل انقاضها
فالتك تعرف حسنها ومكانها من القبول ، ثم انظر في بيت النبي :
لوانتلك الدواكر أهفضت سميه لعوكه شيء عن السلوران
فالتك تراها تفل وتفضول بحسب نيلها وحسنها فيما تقدم .

ومن سر هذا الباب أنك ترى اللفظة المستعارة قد استعيرت في عدة مواضع ثم
ترى لها في بعض ذلك ملاحظة لاتجدها في الباقي ، مثال ذلك أنك تنظر إلى لفظه
والجمرة في قول أبي تمام :

لا يطبع المرء أن يحساب لجسه بالقول عالم يكن جسراً له العمل
والوله :

بصرت بالراحة العظمى فلم ترها ثمال إلا على جسر من الأقم
فترى لها في الثاني حسنا لاتراه في الاول ، ثم تنظر إليها في قول ربيعة الرقي :
قولي : نعم ، وتمم إن قلت واجبة

قالت : عسى وعسى جسر إلى تعسر

فترى لها لفظاً وخلابة وحسناً ليس الفضل فيه بتليل .
ويستحي عبد القاهر إلى أن الكلمة لو كانت إذا حسنت من حيث هي لفظ وإذا
استحقت للزينة والشرف ، استحقت ذلك في ذاتها وعمل الأفراد دون أن يكون
السبب في ذلك حال لها مع انشائها للجاورة لها في النظم لا تختلف بها الحال ولكانت
أما أن تحسن أبدأ أولاً تحسن أهدا . (١)

ولعل الفرض القديني كان دافعا إلى هذا الرأي ، لأن كلمات القرآن الكريم عربية
نطق بها الشعراء والخطباء وتداولها الناس ، وليس لها مزية وهي مفردة لا يضمها

(١) دلائل الامتياز ص ١٢٨ ، ١٢٧ .

سلك يوحه بينها ويجمع متفرقا، ولكني يظهر عبد القاهر إعجاز القرآن ويرد
ما كان يشيع في البيئات المختلفة اتجه إلى نظرية لتنظيم ليدن بها للمالك ويقتضاه
للخلفين ويوقف طعنات الخالدين.

ولم ينف عنه الاهتمام بالتنظيم وإنما اهتم بالتصوير الأدبي الذي لا يكون إلا
بترتيب الالفاظ والتأليف بينها، يقول: «ومعلوم ان سبيل الكلام سبيل للتصوير
والصياغة وان سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع للتصوير والصوغ
فيه كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم أو سوار، فكما ان محالا إذا أنت أردت
النظر في صوغ الخاتم وفي جودة العمل وردائه أن تنظر إلى الفضة الحاملة لذلك
الصورة أو الذهب الذي وقع فيه العمل وتلك الصنعة، كذلك محال إذا أردت
أن تعرف مكان الفضل والزينة في الكلام أن تنظر في مجرد معناه. وكذا إذا لو فضلنا
خاتما على خاتم بأن تكون فضة هذا أجود أو فضة أفس لم يكن ذلك تفضيلا له
من حيث هو خاتم، كذلك ينبغي إذا فضلنا بيتا على بيت من أجل معناه أن لا يكون
تفضيلا له من حيث هو شعر وكلام» (١).

فبعد القاهر يرى أن للتصوير الأدبي قيمة كبيرة، ولذلك أطلال الكلام في «أسرار
البلاغة» على الوسائل التي تجعل الصورة حسنة مقبولة، وفصل القول في نظرية
التنظيم، وذهب إلى أبعد من ذلك ورأى أن في الاستعارة ما لم يمكن بيانه إلا بعد العلم
بالتنظيم والوقوف على حقيقته. يقول متحدثا عن الاستعارة في بيت للشاعر:
سالت عليه شعابُ الهَي حين دعا أَلصاره بوجوه كالدنانيسر
ولأنك ترى هذه الاستعارة على لفظها وقرابتها إنما تم لها الحسن والتهن إلى حيث
اتتهن بما تُوحى في وضع الكلام من التقديم والتأخير، ونجدنا قد طلعت ولطفت
بمعاونة تلك ومؤازرته لها. وان شككت قاصدا إلى الجارين والقرن فأزل "كلا"
منها عن مكانه الذي وضعه للشاعر فيه فقل سالت شعاب الهَي بوجوه كالدنانيسر
عليه حين دعا أَلصاره ثم انظر كيف يكون الحسب وكيف يذهب الحسن

(١) أطلال الامتياز من ١٩٦.

والخلاوة وكيف تعدم أربحبتك التي كانت وكيف تذهب النشرة التي كنت شجدها (١) :
 إن الفصاحة عنده لا تكون إلا بوعي معاني البحر ، أي النظم ، والألفاظ لا تفيد
 حتى تواف ضرباً خاصاً من التأليف ويعمد بها إلى وجه في التركيب . فلو أنك
 عدت إلى بيت شعر أو فصل نثر فعدت كلماته عداً كيف جاء والفن وأبطلت
 فضده ونظامه الذي عليه بني وفيه أفرغ المعنى وأجرى ، وخيرت نزيهه الذي
 بخصوصيته أفاد كما أفاد ، وبنقه الخصوص أبان المراد نحو أن تقول في تقائك
 من ذكري حبيب ومترله : «مترل تقا ذكري من نيك حبيب» أخرجته من كمال
 البيان إلى حال الهلجان ، وأسقطت نسبة من صاحبه ، وقطعت الرحم بينه وبين
 منته ، بل أحلت أن يكون له انساق إلى قائل ونسب يخص بمشكلم (٢) :

والتي إلى الحكم بالخطأ على من قصر الفصاحة على الكلمات من حيث هي
 ألفاظ منطوقة وأصوات مسروعة ، والأديب لا يطلب القفط بحال ، وإنما يطلب المعنى
 فإذا ظهر به فالقفط معه وإزاء النظره ، ولذلك لم تكن الفصاحة عنده من صفات
 القدرات من غير اعتبار التركيب .

إن عبد القاهر ربط بين الفصاحة والنظم ولذلك لم يُبطل الكلام على شروط
 الفصاحة كما فعل معاصره ابن سنان الحفاجي ، ولكنه مع ذلك لا ينكر ما كل الإنكار ،
 ونراه يقول في شائعة كتابه «دلائل الاعجاز» : «واعلم أن الأباي أن تكون سلافة
 الحروف وسلامتها مما يقلل على اللسان داخلًا فيما يوجب التفضيلة ، وأن تكون مما
 يؤكد أمر الاعجاز ، وإنما الذي ننكره ونُمرِّبُ رأي من يذهب إليه أن يجعله معجزاً به
 وحده ويصله الأصيل والعمدة فيخرج إلى ما ذكرنا من شائعات» (٣) ، فهو لم ينكر
 فصاحة الألفاظ ونظمها ولكنه لم يُرد أن يفسر الاعجاز بها ، ولذلك لم يدرسها كما

(١) دلائل الاعجاز ص ٧٨ .

(٢) أسرار البلاغة ص ٨ .

(٣) دلائل الاعجاز ص ١٠١ ، قبل - بتشديد الهاء - وأنه : تبعه واسطاه .

فعل الأخرى ولم يُعْنَ بها عناية نظير ميزانها وتأثيرها في الكلام (١) .
السوزي .

عرف قطر الدين الرازي (١٠٦٠هـ) الفصاحة بأنها «خلوص الكلام من التعقيد»
وهي - عنده - تحصل بالمعنى ، لأن الإفادة اللفظية يستحيل تطرق الكلام
والفصاحان إليها ، فإن السامع للفظ إما أن يكون عملاً بكونه موضوعاً لسماعه أو لا
يكون . فإن كان عملاً به عرف مفهومه بنجاسه ، وإن لم يكن عملاً به لم يعرف منه شيء
أصلاً .

وحصر البحوث المتعلقة بالدلالة اللفظية في امرين .

الأول : أن الفصاحة والبلاغة لا يميز عودهما إلى الدلالة اللفظية .

الثاني : أن الفصاحة وإن كانت غير عائدة إلى الدلالة اللفظية ، لكن من الأمور
العائدة إلى جوهر اللفظ وإلى دلالاته الوضعية ما يفيد الكلام كمالاً وزيئة وجمالاً (٢) .
وهذه فكرة عبد القاهر التي تبني عليها نظريته في النظم ، ويرى بها الدين السبكي
أن الرازي يميل إلى أن الفصاحة راجعة إلى الالتقاط والمعاني (٣) .

ابن الأثير :

وكان ضياء الدين بن الأثير (١٠٣٧هـ) أوضح من السابقين تصوراً وفهماً
لفصاحة ، وقد اعتم بها اعتماداً عظيماً وصحح كثيراً من الآراء في كتابيه «التلخيص»
والسائر في أدب الكاتب والشاعر ، و«الجامع الكبير» . يقول عن الفصاحة : «واعلم
أن هذا باب متعلق على الواجب وسلك متفرع على التامع ، ولم يزل للعلماء من
القديم الوقت وحديثه يكترون القول فيه والبحث عنه ، ولم أجد من ذلك ما يعولك

(١) ينظر الفصل الثالث «اللفظ والمعنى» في كتابه «عبدالقاهر الجرجاني» - بلاغته وبلده» من ٨٧ - ١١٨ .

(٢) نهاية الأثر ص ٩ .

(٣) نهاية الأثر ص ١١ .

(٤) عروض الأفراح - شرح التلخيص ج ١ ص ١٣٥ .

عليه الا القليل . وغاية ما يقال في هذا الباب : ان القصاحة هي الظهور والبيان في أصل الرضع القوي ، يقال : أفصح الصبح اذا ظهر . ثم انهم يتقنون عند ذلك ولا يكشفون عن السر فيه ، (١) . ولا تبيين القصاحة بهذا القول لانه يعترض عليه بوجوه من الاعتراضات :

الاول : انه اذا لم يكن اللفظ ظاهراً يبيناً لم يكن فصيحاً ، ثم اذا ظهر وتبين صار فصيحاً .

الثاني : انه اذا كان اللفظ القصيح هو الظاهر اليقين فقد صار ذلك بالنسب والاضافات الى الاشخاص ، فان اللفظ قد يكون ظاهراً ثرياً ولا يكون ظاهراً لعمرو ، فهو اذن فصيح عند هذا وغير فصيح عند هذا . وليس كذلك ، بل القصيح هو فصيح عند الجميع لا خلاف فيه بحال من الاحوال ، لانه اذا تحقق حد القصاحة وعرف ما هي لم يبق في اللفظ الذي يختص به خلاف :

الثالث : انه اذا جرى بلفظ قبيح يتبرع عنه السمع وهو مع ذلك ظاهر بين ، ينبغي أن يكون فصيحاً ، وليس كذلك لان القصاحة وصف حسن اللفظ لا وصف قبيح : فهذه الاعتراضات الثلاثة وارادة على قول القائل : ان اللفظ القصيح هو الظاهر اليقين . ومعنى ذلك ان ابن الاثير لا يأخذ بهذا القول الذي اثار حيرته فمضى يبحث عن تعريف القصاحة ، ويحقق القول فيها . وقد شرح المسألة بوضوح فقال ان القصود : ان الكلام القصيح هو الظاهر اليقين ، ان تكون الفاظه مفهومة لا يحتاج فهمها الى استخراج من كتاب لغة ، وانما كانت بهذه الصفة لانها تكون مأثورة الاستعمال بين ارباب النظم والنثر دائرة في كلامهم ، وانما كانت مأثورة الاستعمال دائرة في الكلام دون غيرها من الالفاظ لمكان حسنها ، وذلك ان ارباب النظم والنثر غلبوا اللغة باعتبار الفاظها وسبوا وقسموا افاعتاروا الحسن من الالفاظ فاستعملوه وقرأوا القبيح منها فلم يستعملوه ، فحسن الالفاظ سبب استعمالها دون غيرها

(١) اللؤلؤ السراج ١ من ٦٤ .

واستعمالا دون ظهورها وبياتها ، فالنصيح من الالفاظ هو الحسن .
قال ليل : من أي وجه علم أرباب النظم والنثر الحسن من الالفاظ حتى استعمالوه
وعلموا القبيح منها حتى تقوه ولم يستعملوه ؟

قيل لهم : إن هذا من الامور المحسوسة التي شاعدها في نفسها ، لان الالفاظ دالة
في حيز الاصوات ، فالذي يستلذه السمع منها ويعيل اليه هو الحسن ، والذي
يكرهه ويبتقر عنه هو القبيح . ألا ترى ان السمع يستلذ صوت الليل من نظيره
وصوت الشحرور ويعيل اليهما ، ويكره صوت الغراب ويبتقر عنه ، وكذلك يكره
نوت الخمار ولا يجد ذلك في صهيل القرس ، والالفاظ جارية هذا المجرى فانه
لا خلاف في أن لفظ « الزنة » و « الدببة » حسنة يستلذها السمع ، وان لفظه « الباق »
قبيحة يكرهها السمع . وهذه اللفظات الثلاثة من صفة الطر ، وهي كذلك على معنى واحد ،
ومع هذا فالتك ترى لفظي « الزنة » و « الدببة » وما جرى مجراها مأثورة الاستعمال
وترى لفظ « الباق » وما جرى مجراه متروكا لا يستعمل ، وان استعمل قاتما
يستعمل جاهل بحقيقة القضاة أو من فوقه غير سليم .

لقد ثبت ان النصيح من الالفاظ هو المظاهر البين ، وانا كان ظاهرا بينا
لانه مأثور الاستعمال ، وانا كان مأثور الاستعمال لكان حسنة ، وحسنة مدرك
بالسمع ، والذي يدرك بالسمع انما هو اللفظ لانه صوت بألف من مخارج الحروف ،
فما استلذه السمع منه فهو الحسن وما كرهه فهو القبيح ، والحسن هو الموصوف
بالقضاة والقبيح غير موصوف بالقضاة لانه ضد ما كان لبيحة . ولو كانت
القضاة لأمر يرجع الى المعنى لكانت هذه الالفاظ في الدلالة عليه سواء ليس
منها حسن ومنها قبيح ، ولما لم يكن كذلك علم انها تخص اللفظ دون المعنى .
وابن الاثير لم يفصل بين اللفظ والمعنى في هذا القول وانما خص اللفظ بصفة هي له
والمعنى يجه فيه ضمنا وتبعاً .

واشار الى القضاة عند المتضمنين فقال : وقد ذكر من تضمني من علماء
البيان للالفاظ القرينة لخصائص وحيات تصف بها ، واختلفوا في ذلك ، واستحسن

احدهم شيئا فخولف فيه وكذلك استضح الآخر شيئا فخولف فيه ، ولو حلقوا
 النظر ووقفوا على السر في اتصاف بعض الالفاظ بالحسن وبعضها بالفج لما كان
 بينهم خلاف في شيء منها ، (١) .

ورد رأي من ذهب الى ان كل الالفاظ حسن وقال : « ومن يبلغ جهله الى
 ان لا يفرق بين لفظة «الخصن» ولفظة «المسلوج» ، وبين لفظة «الدامنة» ولفظة
 «الاستنء» ، وبين لفظة «السيف» ولفظة «الخشيل» ، وبين لفظة «الاسد» ولفظة
 «القدركس» ، فلا ينبغي ان يخاطب ولا يخاطب بحجاب ، بل يتروك وشأنه كما قيل :

« اتركوا ابغضل بعجهه ولو القى البجر (٢) في رحله ، وما مثاله في هذا المقام الا كمن
 يسري بين صورة زجبة سوداء شوهاء المخلق ذات عين حمراء وشفة غليظة كأنها
 كلوة وشعر قطط (٣) كأنه زبيبة ، وبين صورة رومية يضاه مشربة بحمرة ذات
 خد اسيل وطرف كحيل ، وبسم كأنها فطم من القاح ، وطرة كأنها ليل على صباح .

فإذا كان انسان من قسم النظر ان يسوّي بين هذه الصورة وهذه فلا يعد ان يكون به
 من قسم النظر ان يسوّي بين هذه الالفاظ وهذه . ولا فرق بين النظر والسبح في
 هذا المقام فان هنا حاسة ، وقياس حاسة على حاسة مناسب . ثم قال : « ومن له
 ادنى بصيرة يعلم أن للالفاظ في الاذن لفظة للذبة كلفظة لوتار ، وصوتا منكرا
 كصوت حمار ، وأنّ لها في العم ايضا حلاوة كحلاوة العسل ومرارة كمرارة
 الحنظل ، وهي على ذلك تجري مجرى النسمات والطعوم » (٤) .

وذكر ان ابن سنان قد تحدث عما يتعلق باللفظة الواحدة من الاوصاف وتقسما
 عدة القسام - كما مرّ - وفيما قاله ابن سنان لا حاجة اليه ، لان تعاقد المطارح

(١) المثل المأثور ج ١ ص ١٢٨ .

(٢) البجر : ما يس من الشدة في البجر أي الدهر ، أو بجر كل ذات سلب من الصباح .

(٣) الشعر القطط : التصير الجدد .

(٤) المثل المأثور ج ١ ص ١١٩ - ١٢٠ .

يشمل معظم اللغة العربية ، وإن جريان اللفظة على العرف العربي ليس مما يوجب لها حسنا ولا قبحا ، وإنما يندرج في معرفة استعمالها بما ينقله من الالفاظ ، وإن تصغير للكلمة بما لا حاجة إلى ذكره لأن المعنى يسوق إليه . أما الأوصاف الأخرى التي ذكرها ابن سنان فقد أقام عليها ابن الأثير بحثه في الالفاظ قبل منها ما قيل ورفض ما رفض ، وشرح تلك الأوصاف بما ينفي عن كثير من الكتب ، وكانت دراسته من أوسع الدراسات وأعقها ولم يأت بعده من أضاف إليها ، واتجهت الكتب إلى التلخيص والقضاء على الشذوذ الأدبية التي اتسمت بها دراسة ابن الأثير .

السكاكي :

وعندما قسم السكاكي (- ٦٢٦هـ) البلاغة إلى علومها لم يعد لتقصاحة فصلا وإنما تكلم عليها بعد أن انتهى من علم البيان ، وذكر أنها قسيان : -
 الأول : راجع إلى المعنى وهو خلوص الكلام من التعقيد .

وشرح تعقيد الكلام وقال : هو أن يعثر صاحبه الفكر في متصرفه ويشيك الطريق إلى المعنى ، كتقول الفرزدق :

وما مثله في التماس إلا مُعَلِّكاً لئو له حسي أبوه يقاربه
 وكتقول أبي تمام :

تائبه في كبد السماء ولم يكن كائنين كان إذ هما في العسار
 أما غير المقيد فهو أن يفتح صاحبه الفكرة الطريق ويسهده (١) .

الثاني : راجع إلى اللفظ ، وهو :

- ١ - أن تكون الكلمة عربية أصيلة ، وعلامة ذلك أن تكون على ألسنة القاصحاء من العرب الوثوق بعريتهم أدور واستعمالها لها أكثر ، لا بما أحدثها المؤلفون ولا بما أعطت له العامة .
- ٢ - وأن تكون أجري على قوانين اللغة .
- ٣ - وأن تكون سليمة من الشذوذ .

(١) صلتح العلوم من ١٩٦ - ١٩٧ .

وجعل الفصاحة غير لازمة للبلاغة التي حصر مرجعها في المعاني والبيان، ولم يجعل الفصاحة مرجعاً في شيء منهما، وهو في ذلك يتابع عبد القاهر والرازي اللذين نظرا إلى النظم ولم يوليا اللفظ المفرد أهمية كبيرة.
ابن مالك :

واعترض بدر الدين بن مالك (- ٥٦٨٦) القسم الثالث من «مفتاح العلوم» وتكلم على الفصاحة وأطلق عليها اسم البديع الذي قال عنه «هو معرفة أنواع الفصاحة» وعرف الفصاحة بأنها «صوغ الكلام على وجه له توفيق بتسام الالهام لمعناه وتبيين المراد منه» (١). ولسمها إلى معنوية والفظية، وذكر ما في «مفتاح العلوم» من صفاتها، ثم قسم المعنوية إلى مختصة بالالهام والتبيين ومختصة بالتزيين والتحصين . وهذه الأنواع الثلاثة هي علم البديع عند المتأخرين:
القزويني :

وحينما جاء الخطيب القزويني (- ٥٧٣٩) وجد الطريق مهدداً فأخذ عن علماء البلاغة المتقدمين ورتب بحث الألفاظ ترتيباً علمياً خالف فيه السكاكي ويدر الدين، لأنه اتخذها مقدمة للبلاغة، وفي هذه المقدمة التي كانت كشفاً عن معنى الفصاحة والبلاغة وانحصار علم البلاغة في المعاني والبيان - تكلم على صفات الألفاظ وما ينبغي أن تكون عليه. وكان بحثه إلهامياً يتخذ الفصاحة مقدمة لعلوم البلاغة بعد أن كانت موضوعاً تشيع فيه الحياة (٢).

بدأ القزويني مقدمته بقوله : « الناس في تفسير الفصاحة والبلاغة أموراً مختلفة لم أجد - فيما بلغتني منها - ما يصلح لتعريفهما به ولا ما يشير إلى الفرق بين الموصوف بهما الكلام وكون الموصوف بهما للتكلم ، فالأول أن تقتصر

(١) الصياح ص ٧٥.

(٢) ينظر القزويني وشرح التلخيص ص ٢١٩-٢٨٢.

على تلخيص القول فيهما بالاعتبارين ، (١). وهذا غير صحيح ، لان البلاغيين اعتنوا بهما ووضعا لها حدوداً وفرقوا بينهما ، وكانت بحوث الجاحظ وقدامة وأبي هلال وعبد القاهر وابن سنان وابن الأثير من أروع ما كتب وأبدع ما خطه يد بلاغي ناقد ، وما مقدمة القزويني إلا خلاصة هذه الدراسات ، فكيف لم يترك القدماء تعريفاً للقصاحة أو البلاغة يسكن الركون إليه ، ولعله في ذلك متأثر بدعوى عبد القاهر الذي يقول : « لم أتزل منذ خدمت العلم أنظر فيما قاله العلماء في معنى القصاحة والبلاغة والبيان والبراعة وفي بيان المعنى من هذه العبارات وتفسير المراد بها فأجد بعض تلك كالمزج والاشارة في غفاء ، وبعضه كالتنبيه على مكان الخفية ليطلب وموضع الدفين ليبحث عنه ليخرج » (٢) ويقول : « انا لم نثر القلاء قد زعموا من أنفسهم في شيء من العلوم أن يحفظوا كلاماً للاولين ويتدارسوه ، ويحكم به بعضهم بعضاً من غير أن يعرفوا له معنى ويقفوا منه على غرض صحيح ، ويكون عندهم أن يسألوا عن بيان له وتفسير ، الا علم القصاحة فانك ترى طبقات من الناس يتداولون فيما بينهم القاطعاً للقدماء وعبارات من غير أن يعرفوا لها معنى أصلاً أو يستطيعوا ان يسألوا عنها أن يذكرها لها تفسيراً صحيحاً » (٣).

وهذا صحيح في عهد التأليف الاول وعند عبد القاهر الذي لم يفرق بين المصطلحين ، لانهما عنده يعبر بهما عن فضل بعض القائلين على بعض من حيث لفظوا وتكلموا وتعبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد وراموا أن يظنهم ماني نفوسهم ويكشفوا لهم عن سمائل قلوبهم (١) ، اما القزويني فالامر عنده مختلف ، لان مصطلحات البلاغة استقرت في عهده وأصبح للقصاحة والبلاغة محتوى واضح .

والقصاحة والبلاغة عند القزويني تقع كل واحدة منهما صفة لمعين :

الاول : الكلام كما في « قصيدة نصيحة أو بليغة » و « رسالة نصيحة أو بليغة »

(١) الأيضاح ص ٢.

(٢) دلائل الامتياز ص ٢٨.

(٣) دلائل الامتياز ص ٣٥٠.

(٤) دلائل الامتياز ص ٣٥.

الثاني : للتكلم كما في «شاعر فصيح أو بليغ»، و «كاتب فصيح أو بليغ» .
ولمحدث عن فصاحة القنطرة المفردة ، وقال ان الفصاحة تقع صفة للمفرد فهذا
الكلمة فصيحة، ولا يقال «كلمة بليغة» . ووضع لقنطرة المفردة شروطا هي خلوصها
من :

١ - تناثر الحروف : والتناثر منه ما تكون الكلمة بسببه متناهية في الثقل على اللسان
كما روي أن أمربيا مثل عن لاقته فقال : «الركبتا ترعى المصنع» .

ومنه ما دون ذلك كلقطة «مستشزرة» في قول امرئ القيس :

فدأرتها مستشزرات إلى العلى نضل العاقص في مشى ومرسل
ولم يشرح الفريزوني هذا التناثر ولم يذكره طه، وكان ابن سنان قد علقه بقوله :
وهذه هنا واقصة وهي ان الحروف التي هي أصوات تجري من السمع هجري
الالوان من البصر ولاشك في أن الالوان المتباينة اذا جمعت كانت في النظر أحسن
من الالوان المتقاربة ولهذا كان البياض مع السواد أحسن منه مع الصفرة لترب
مايته وبين الأصفر وبعد مايته وبين الأسود . واذا كان هذا موجوداً على هذه الصفة
لا يحسن الترتيب فيه كانت العلة في حسن اللفظة التوليفة من الحروف المتباعدة هي
العلة في حسن النقوش اذا مزجت من الالوان المتباعدة، (١) .

لقد جمعت لفظ «المصنع» القبح من أطرافه، لأن جميع حروفها حلقية، وحرف
حلقى واحد يبعث على الثقل فكيف اذا اجتمع الماء والمين والخاء في كلمة واحدة؟
ولفظ «مستشزرات» - وان كانت أخف منها - ثقيلة لتوسط الشين التي هي
من الحروف الهموسة الرخوة بين اثناء التي هي من الهموسة الشديدة والراء التي هي
من الجهورية الرخوة . ويرى النقاد أن امرأ القيس لو قال : «مستشزرف» لزال الثقل .
٢ - الهراة : وهي ان تكون الكلمة وحشية لا يظهر معناها فيحتاج في معرفته
إلى البحث في كتب اللغة ، كما روي عن عيسى بن عمر الصحوي أنه سقط عن حمراء
فاجتمع عليه الناس فقال : «مالككم تكأ كأم علي تكأ كؤكم علي ذي جنة المرقعوا
هني» .

(١) سر الفصاحة ٦٦

لو يخرج له وجه بعد كما في قول العجاج :

ولفاحماً ومرسماً مُسرجاً

قائه لم يعرف ما أراد بقوله « مسرجاً » حتى اختلف في تحريكه ، قيل : هو من
لومح للسيوف « سرجية » منسوبة إلى قين يقال له سريج ، يريد أنه في الاستواء
والدقة كالسيف السرجي . وقيل من السراج ، يريد أنه في البريق كالسراج ، وهذا
يقرب من لومح : « سرج وجهه أي : حَسُنَ » ، و« سرج الله وجهه أي يهجه
وحسنه .

وهذا بحث اعتم به الفراء والبلاغيون كابن سنان الذي عاب الذين يكثرون من
الوحشي الغريب في كلامهم وذكر ما وقع فيه بعضهم فخرج كلامه عن الفصاحة
ويعد من القهمل (١) . وكابن الأثير الذي يرى أن الوحشي ليس المستخرج من اللفاظ
وانما هو تسمان : غريب حسن ، وغريب فيح (٢) .

٣ - مخالفة القياس القوي : كقول الرازي :

الحمد لله العليّ الأجلّ السواحب التنقيل الكريمة المنجزل
فان القياس « الأجل » بالأدغام .

ولم يوضح مخالفة القياس ، وكان ابن سنان قد تكلم عليه ووضحه وأدخل فيه
كل ما ينكره أهل اللغة ويردّه علماء النحو من التصرف القاسد في الكلمة (٣) .
ووضع الفروبي قاعدة لفظة التصبيحة فقال : « ثم علامة كون الكلمة فصيحة أن
يكون استعمال العرب الموثوق بعربيتهم لها كثيراً أو أكثر من استعمالها بمعناها (٤) .
ويعد أن انتهى من شروط اللفظة التصبيحة تحدث عن فصاحة الكلام وهي :
١ - خلوصه من ضعف التأليف : ومثل له بقوله : « ضرب علامة زبداء »
فإن رجوع الضمير إلى الفعل التأخر لفظاً يمنع عند الجمهور لئلا يلزم رجوعه
إلى ما هو متأخر لفظاً ورتبة ، وقيل يجوز لقول الشاعر :

(١) سر الفصاحة ص ٧٥ .

(٢) النحل السارج ص ٤٧ ، ١٥٥ ، ١٧٣ .

(٣) سر الفصاحة ص ٨٦ - ٩١ .

(٤) الأيضاح ص ١ .

جزى ربه عني عهدي بن حاتم جزء الكلاب العاوييات وقد فعل
٢ - المثال: وهو أن تكون اللفاظ بسببه متعاقبة في التثني على اللسان متتابعة كما
في البيت الذي أشده الجاحظ :

وقبر حروب يسكنان قصر وليس فرب قبر حروب قبر
ومنه ما دون ذلك كقول أبي تمام :

كريم مني أمدحه وأمدحه والورى
وسب لئناني في أمدحه ما بين الحاء والفاء من تالف لانهما حقيقتان ، وتكرار
الكلمة في الشرط والجزاء .

٣ - التعقيد : وهو أن لا يكون ظاهر الدلالة على المراد به وله سببان :
الأول : ما يرجع إلى اللفظ وهو أن يختل الكلام ولا يلوي السامع كيف يتوصل
منه إلى معناه كقول الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا ملكاً أبو له حي أبوه بفاربه
ووضع الفرزوني قاعدة للكلام الخليل من التعقيد اللفظي وقال انه : « ما سلم نظمه
من الخلل فلم يكن فيه ما يخالف الأصل من تقديم أو تأخير أو انحصار أو غير
ذلك إلا وقد قامت عليه قرينة ظاهرة لفظية أو معنوية (١) . وهذا ما تكلم عليه
عبدالقاهر وسماه « التعقيد » أو « فساد النظم » (٢) وادخله ابن سنان في بحث
التقديم والتأخير (٣) ، وعده ابن الأثير من المعاطلة المعنوية التي يسببها التقديم
والتأخير (٤) .

الثاني : ما يرجع إلى المعنى وهو أن لا يكون في انتقال المعنى من المعنى الأول
إلى المعنى الثاني الذي هو لازمه والمراد به ظاهراً كقول العباس بن الأحنف :
سأطيقُ بَعْدَ الدارِ عنكم التَّرويراً وتكعب عيناى التدمرغ لتجسدا

(١) الأضاح ص ٦٠ .

(٢) اسرار البلاغة ص ١٦٢ .

(٣) سر القصة ص ١٦٥ .

(٤) التل المذبح ص ١٩٤ ، ج ٢ ص ٤٤ وما بعدها .

كأن يسكب السموع مما يوجه القرائن من الحزن ، وأصابع ، لأن من شأن
البكاء أن يكون كتابة عنه كقولهم : أبكاني والضحكتني أي : أساقني وسراني ،
كما قال :

أبكاني الدهر وبأ ريمسا أضحكتني الدهر بما يرضي
ثم طرد ذلك في تقييده فأراد أن يكنى مما يوجه دوام التلافي من السرور بالجمود
لأنه أن الجمود غلو العين من البكاء مطلقاً من غير اعتبار شيء آخر ، وانعطف لأن
الجمود غلو العين من البكاء في حال إرادة البكاء منها فلا يكون كتابة عن السرور
وإنما يكون كتابة عن البخل كما قال الشاعر :

ألا أن عينا لم تجد يوم واسط عليك بجاري سمعها لجمود
وضبط القزويني الكلام البخالي من التعيد وقال عنه : « ما كان الانتقال من معناه
الأول إلى معناه الثاني الذي هو المراد به ظاهراً حتى يتخيل إلى السامع أنه فهمه
من حاقّ القطفه (1) .

وأضاف إلى ذلك خلوص الكلام من كثرة التكرار ، كقول النبي :
وتسعدني في ضمرة بعد ضمرة سبوح لما منها عليها شواهد
وخلوه من تنابع الإضافات ، كقول ابن بابك :

حمامة جرحا حومة الجنان اسجمي قالت برأئي من سعاد وسميع
وكان صاحب بن عباد قد أشار إليه بقوله : « أباك والإضافات للتداخلة فإنها
لا تحسن ، ويرى القزويني أن هذا الشرط لا يؤخذ به دائماً ، لأن ذلك أن أغلبي
باللفظ إلى النقل على اللسان فقد حصل الاحتراز عنه وإلا فلا نخل بالنصاحة ،
وقد قال النبي - صل الله عليه وسلم - : « الكرم بين الكرمين يوصف
ابن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم ، وهذا رأي عبد القاهر الذي قال : « ولكنه إذا
سلم من الاستكراه طلع ولطفه »
ومما حسن فيه قول ابن المعتز :

(1) الإيضاح ص ٦٠

وظلت تدبر الراج أبدي جاذب عاني فتأثير الرجوع وسلاج
وما جاء فيه حشا جديلا قول الخالدي يصفك فلاما له :

ويعرف الشعر مثل مورخسي وهو على أن يزيد مجتهد
ومعبرفي التعريف ووزان دينا ، الألماني القديان منصف (١)
وما يتصل بالانفاط المركبة : القنون التي سماها البلاغيون ، الحسنة الفظية،
وهي عظمة الاعمدة في دراسة الانفاط ، وينبغي ان توضع في بحث النفاحة لان
ها تأييرا في الكلام . وانا تابع القزويني صاحب مفتاح العلوم ، فتحدث عنها في
البيج فان دراستها حيا ابدي وأكثر قضا . وقد سبق إلى ذلك علماء البلاغة كالمين
الاقير الذي قسم النفاحة الفظية قسمين :
الأول : في النفاحة المترفة .

الثاني : في الانفاط المركبة ، وهي السجع ، والتصريح ، والتجنيس ، والترصيع
والمع ما لا يلزم ، والموازنة ، والاختلاف صيغ الانفاط ، وتكرار الحروف .
هذه دراسة البلاغيين للنفاحة أما النقاد فقد تحدثوا عن دقة الانفاط وابعانها
وسهولتها وجزالتها وافتها وخرابيتها وغير ذلك مما لجدته في كتب البلاغة والنقد،
وهو حديث فيه طرفة وجداء ينسبها لكره البلاغيون عن النفاحة ولو صانها .

(١) الاضاح ص ٤٨ ودلائل الاعجاز ص ٨٢ .

البحث الثاني البلاغة

كلمة «البلاغة» من الكلمات التي شاع استعمالها في كتب الأدب، وكانت هي والنصاحة صفتين تستعملان معاً أو تستعمل الواحدة في موضع الأخرى .
في اللغة :

والبلاغة - في اللغة - الانتهاء والوصول، وفي لسان العرب : «بلغ الشيء يبلغ بلوغاً وبلاغاً : وصل وانتهى . تبلغ بالشيء : وصل إلى مراده . البلاغ ما يبلغ به ويوصل إلى الشيء المطلوب . البلاغ : ما بلفك ، والكفاية . الإيلاج : الإيصال بلغت للكان بلوغاً : وصلت إليه ، وكذا إذا شارفت عليه .

وأشار ابن منظور إلى المعنى الاصطلاحي فقال : «البلاغة : النصيحة . والبلاغ والبلوغ : البلوغ من الرجال . ورجل بلغ ويكفح ويبلغ : حسن الكلام فصيحاً . يبلغ بمرارة لسانه كأنه مافي قلبه ، والجصع بلفاء . وقد يكفح بلاغة : صار بليغاً . وليس في هذا القول غير للمعنى العام للكلمة ، فهي - أولاً - الانتهاء والوصول إلى الغاية ، وهي - ثانياً - النصيحة ، أي إن الكلمتين مترادفتان . وهذا رأي معظم اللغويين والبلاغيين الأوائل .
في الفرق :

ولو تلمسنا هذه اللفظة في التراث العربي لرأيناها شائعة معروفة ، وقد جعلت لفظ «بليغ» في قوله تعالى : «فأعرض عنهم ، وأعرض عنهم ، وأقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً» (١) .

يقول الراسب الأصفهاني في تفسيرها : «البلاغة» يقال حل وجهين : أحدهما أن يكون بلفظه بليغاً ، وذلك بأن يجمع ثلاثة أوصاف : صواباً في موضوع لفته ،

(١) السد ١٣ .

وطبقاً للمعنى المقصود، وصدقاً في نفسه: ومن اعترم وصف من ذلك وكان نالها في البلاغة.

والثاني : أن يكون بليغاً باعتبار القائل والقول له وهو أن يقصد القائل أمراً فرددته على وجه حقيق أن يقبله القول له، وقوله تعالى : وقال لهم في أنفسهم قولاً بليغاً يصح حمله على المعين، (١).

وذهب الرمخسري ملعباً لسياً في تفسيرها ، وأشار إلى تأثيرها رمزاً في قوله : فل لم قولاً بليغاً مؤثراً في قلوبهم يعتبرون به اعتماداً ويستشعرون من الخوف استشعاراً ، (٢).

في الحديث :

وليس في احاديث النبي - صلى الله عليه وسلم - ما يشير إلى هذا المعنى مع كثرة ما جاء من مشتقاتها في كلامه (٣). فقد ورد عنه قوله : وأن الله يفض البليغ الذي يتخلل بلسانه . وجاء عنه انه عاب فيه المشادقين والثرثارين والذي يتخلل بلسانه يتخلل الباقرة بلساتها (٤).

في التراث :

ولا تكاد نعر على بغيثنا في فترة صدر الاسلام ، وحينما جاء العصر الاموي نجد معاوية بن أبي سفيان يسأل صحار بن عياش : ما هذه البلاغة التي فيكم ؟ قال : شيء نجيش به صلواتنا ففضلناه على البسنا . وقال له معاوية : ما تمدون البلاغة فيكم ؟ وقال : والايجاز . قال له معاوية : وما الايجاز ؟ قال صحار : وان نجيب فلا نبطي ، وتقول فلا نخطي ، (٥).

وفي كتاب « البيان والبيان » تعريفات كثيرة للبلاغة عند العرب وغيرهم ، فقد قيل للفارسي : ما البلاغة ؟ قال معرفة الفصل من الوصل ، وقيل للبيروني : ما البلاغة ؟

(١) المفردات في غريب القرآن ص ٦٠.

(٢) الكشف ج ١ ص ١٠٧.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ج ١ ص ١٥٢.

(٤) البيان والبيان ج ١ ص ٢٧١.

(٥) البيان ج ١ ص ٩٦.

قال: حسن الانقباض عند البدأة ، والتفرقة يوم الاطالة . وقيل لهندي : ما البلاغة ؟
قال : وضوح الدلالة وانتهاز القرصه وحسن الاشارة . وقال بعض أهل الفن :
« جناح البلاغة البصر بالحجة ، والمعرفة بمواضع القرصه » (١) .

وقد رواها عمرو بن عبيد (- ١٤٤ هـ) في أول الامر تفسيراً ذهبنا حين قيل
له ما البلاغة ؟ قال : ما بلغ بك الجنة ، وعدل بك عن النار ، وما يصرك مواقع
رشدك وحوالب خيك . قال السائل : ليس هذا أريد . قال : من لم يحسن أن
يسكت لم يحسن أن يسمع ، ومن لم يحسن الاستماع لم يحسن القول . قال :
ليس هذا أريد . قال : قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « إن معشر الاثنياء
بكاه ، أي قليلو الكلام ، ومنه قيل « رجل بكى » . وكانوا يكرهون أن يزيد متعلق
الرجل على عقله . قال السائل : ليس هذا أريد . قال كانوا يخافون من فنة القول
ومن مقطعات الكلام مالا يخافون من فنة السكوت ومن مقطعات الصمت . قال
السائل : ليس هذا أريد . قال عمرو : فكأنك تريد تخيير اللفظ في حسن الافهام ؟
قال : نعم . قال : انك اذا أوتيت تقرير حجة الله في عقول المكلفين وتخفيف
المؤونة على المستمعين وتزيين تلك المعاني في قلوب المرئيين بالاتقاط المستحسنة
في الأذان ، القبوله عند الاذعان ورغبة في سرعة استجابتهم ونفي الشواغل عن
قلوبهم بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة ، كنت قد أوتيت لفصل الخطاب
واستحقت على الله جزيل الثواب (٢) .

وقال الاصمعي (- ٢١٦ هـ) عن البلخي انه : « من طبع للفصل واختاك عن
الفسر » (٣) :

وقال الخطابي (- ٢٢٠ هـ) أن « كل من أنهك حاجته من غير اعادة ولا
حسنة فأنظروا ما ضمنى من الحق وتصوير الباطل في صورة الحق » (٤) :

(١) البيان ج ١ ص ٨٨

(٢) البيان ج ١ ص ١١٤ ، ونظر عيون الاصحاح ٢ ص ١٧٠

(٣) البيان ج ١ ص ١٠٦

(٤) البيان ج ١ ص ١١٣

الجاحظ :

ولم يعرفها الجاحظ (- ٢٢٥٥) بعد أن ذكر كثيراً من تعريفاتها ، واكتفى بأن اختار قولاً أعجبه . يقول : « ولال بعضهم - وهو من أحسن ما اجتريتهاء ودوناه - لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ، ولفظه معناه ، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك » (١) .

وليس في هذا التعريف ما يشير إلى المعنى الاصطلاحي الذي حددته البلاغيون . والجاحظ في كل ما ذكر لا يوضح بين التصاحفة والبلاغة حتماً ، فكثيراً ما أتبان مترادفتين ، وهما عنده البيان بمعناه الواسع لئلا أن يتعده المتأخرون .

المبرد :

والمبرد (- ٢٢٨٥) رسالة صغيرة سماها «البلاغة» أجاب فيها عن رسالة أحمد ابن الواثق الذي سأله : «أي البلاغتين أبلغ ؟ أ بلاغة الشعر أم بلاغة الخطب والكلام المشهور والسجع وأيهما عندك - أعزك الله - أبلغ ؟ » .

وأجاب المبرد : «إن حتى البلاغة إحاطة القول بالمعنى واختيار للكلام وحسن النظر حتى تكون الكلمة مقاربة احتها ومعاندة شكلها ، وأن يقرب بها المبدأ ، ويختلف منها القبول » (٢) .

ومصطلح «البلاغة» في هذه الرسالة لا يعني العلم المعروف ، وإنما هو تحديد لبعض معانيها . وإذا لم يجد فيها ما نطمح إليه قلنا نستطيع القول أن المبرد أول من أطلق «البلاغة» على بعض رسائله .

العسكري :

ويظهر مصطلح «البلاغة» بوضوح في «كتاب» الصناعتين «الذي» لجلال العسكري (- ٥٣٩٥) الذي قال : «إن أحسن العلول بالتعلم وأولادها بالتحفظ بعد المعرفة بالله - جل ثناؤه - علم البلاغة ومعرفة التصاحفة» (٣) وقال : «البلاغة من قولهم

(١) البيان ج ١ ص ١١٥ .

(٢) البلاغة ص ٥٩ .

(٣) كتاب الصناعتين ص ١ .

بلغت المكان ، اذا انتهت إليها وبلغتها غيري ، وبلغ الشيء انتهاءه والبالغة في الشيء :-
 الانتهاء الى غاية ، سميت البلاغة ، بلاغة ، لانها تعني المعنى الى قلب السامع ،
 فيفهمه . وسميت البلاغة بلغة لانك تتبلغ بها فتنتهي بك الى ما فوقها وهي البلاغة
 ايضاً (١) وأبدي رأيه في تعريفها ، وأخذها بقوله : والبلاغة : كل ما تبلغ
 به قلب السامع فتسكنه في نفسه كتسكنه في قسك ، مع صورة مفهولة ومعروض
 حسن ، (٢) .

والبلاغة - عتده - من صفة الكلام لا من صفة المتكلم ، ولذلك لا يجوز
 ان يسمى الله بليغاً ، إذ لا يجوز ان يوصف بصفة موضوعها الكلام . وتسميه المتكلم
 باله بليغ توسع وحظيته أن كلامه بليغ كما تقول : رجل محكم . والمعنى
 أن أقواله محكمة . فكذلك تعال بحكمة بالغة (٣) فيجعل البلاغة من صفة الحكمة
 ولم يجعلها من صفة الحكيم ، الا أن كثرة الاستعمال جعلت نسبة المتكلم باله
 بليغ كالحقيقة .

وفي كتاب الصائغين رأيت :

الأول : أن التصاحفة والبلاغة ترجمان الى معنى واحد وان اختلف اصلاهما ،
 لأن كل واحد منهما إنما هو الأداة عن المعنى والاعطاش له .

والثاني : ان التصاحفة والبلاغة مختلفتان ، ذلك ان التصاحفة تمام آلة البيان فهي
 مقصورة على اللفظ لان الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى ، والبلاغة التامة هي
 إنهاء المعنى الى القلب فكأنها مقصورة على المعنى (٤) .

ابن سنان :

وحاول ابن سنان الخفاجي (- ١٦٦هـ) ان يحدد البلاغة ويرسم معالمها فغير
 انه لم يأت بالكلمة الفاصلة والتعريف الجامع الناتج : ولم يك وحده الذي فعل ذلك

(١) كتاب الصائغين ص ٦

(٢) كتاب الصائغين ص ١٠

(٣) القصر

(٤) كتاب الصائغين ص ٧

فقدمرت بالبلاغة تعريفات كثيرة قلها الملاحظ في البيان والبيان ، وأبو هلال في كتاب الصناعين ، ، ولذلك أشار الى اضطراب القوم في حدتها والوقوف على كتبها وقال : وقد حدّ الثامن البلاغة بحدود اذا حلفت كانت كالرسوم والعلامم وليست بالحدود الصحيحة . فمن ذلك قول بعضهم ألمحة ناقة ، وهذا وصف من صفاتها فأما أن يكون حاصراً لها وحداً يحيط فليس ذلك يمكن للدخول الاشارة من غير كلام يلفظ به تحت هذا الحد ، (١) .

ولم يعرف البلاغة ، وإنما فرّق بينها وبين القصاحة وقال : والفرق بين القصاحة والبلاغة ، أن القصاحة مقصورة على وصف الالفاظ ، والبلاغة لا تكون الا وصفاً للالفاظ مع المعاني : لا يقال في كلمة واحدة لا تدل على معنى يفضل عن مثلاً بليغة وإن قيل فيها نصيحة ، وكل كلام يبلغ نصيح ، وليس كل نصيح بليغاً ، (٢) .
 لقد وضع ابن سنان حدّاً فاصلاً بين المصطلحين ، وحصر القصاحة في الالفاظ والبلاغة في المعاني والالفاظ ، واصبحت القصاحة شرطاً لبلاغة وأحد جزئياتها . وهذه النظافة حسنة ، ولكنه اطلق القصاحة على موضوعات البلاغة وسمى كتابه بصر القصاحة ، ومعنى ذلك أنها تشمل الالفاظ والمعاني . وقد أوضح ذلك بقوله : هو في البلاغة اقوال كثيرة غير خارجة عن هذا النحو وإذا كانت القصاحة شرطاً وأحد جزئياتها فكلامي على المقصود - وهو القصاحة - غير متميز الا في الموضع الذي يجب بيانه من الفرق بينهما على ما قدمت ذكره ، فأما ما سوى ذلك فعام لا يختص ، وعليط لا ينضم ، (٣) :

وابن سنان حينما ينتقل الى تأليف الكلام يقل مرتباً بالحديث عن الالفاظ ، لان البلاغة أن توضع الالفاظ موضعها حقيقة أو مجازاً ، قديماً أو مؤخراً ، قلياً أو حشواً ، وغير ذلك مما فصل القول فيه .

(١) سر القصاحة ص ١٠

(٢) سر القصاحة ص ١٠

(٣) سر القصاحة ص ١١

عبد القاهر :

ولم يفرق عبد القاهر (٤٧١هـ) أو (٤٧٤هـ) بين المصطلحين ، لأنهما يعبر بهما عن أفضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا أو تكلموا واشتهروا السامعين عن الاغراض والمقاصد ، وراموا أن يعلوهم ما في قلوبهم ، ويكشفوا لهم عن خيانتهم للوجه (١) .

والفصاحة والبلاغة والرياسة والبيان تأتي مترادفة عنده ، ومعنى ذلك أن الحدود بينها لم تتضح ، وأن هذه المصطلحات لم تستقل وتأخذ معانها الدقيقة .

الرازي :

ولم تأخذ لفظة البلاغة دلالتها المعروفة عند فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ) وهي عنده : بلوغ الرجل بعبارة كنه ما في قلبه مع الاحتراز عن الإيجاز والمخل والاطالة الملبسة (٢) ولكنه ربط الفصاحة والبلاغة بالمعنى ، ونعاهتني عبد القاهر في فهمها . ابن الأثير :

وقال ابن الأثير (- ٦٣٧هـ) أن الكلام يسمى بليغاً لأنه بلغ الأوصاف الفظية والمعنوية ، والبلاغة شاملة للاقتضاط والمعاني وهي أخص من الفصاحة كالإنسان من الحيوان وليس كل حيوان إنساناً ، وكذلك يقال : كل كلام بليغ فصيح ، وليس كل فصيح بليغ ، وفرق بينها وبين الفصاحة من وجه آخر غير الخاص والعام ، وهي أنها لا تكون إلا في القبط والمعنى بشرط التركيب ، فإن الفظة المفردة لا تمت بالبلاغة وتمت بالفصاحة إذ يوجد فيها الوصف المختص بالفصاحة وهو الحسن ، وأما وصف البلاغة فلا يوجد فيها لخلوها من المعنى المفيد الذي ينظم كلاماً (٣) .

السكاكي :

وحينما قسم السكاكي (٦٢٦هـ - ٦٢٦هـ) البلاغة ووضع محلها في كتابه «مفتاح العلوم» عرّفها تعريفاً دقيقاً وقال : «هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدّاً له اختصاص

(١) دلائل الاستدلال ص ٢٥

(٢) نهاية الإيجاز ص ٩

(٣) المنار السراج ١ ص ٦٩

بترقية خواص التراكيب حقها ، وإيراد التشبيه والمجاز والكتابة على وجهها ، (١) :
وبهذا التعريف أدخل مباحث علم المعاني وعلم البيان ، وأخرج مباحث البديع
لأنه وجوهٌ يكتفى بها لتحسين الكلام وهي ليست من مرجعي البلاغة .

والبلاغة طرقتان : أعلى وأسفل متباينان تبايناً لا يترامى لأحد قارعهما وبينهما
مراتب متفاوتة تكاد تحوت الحصر ، فمن الأسفل تبتدىء البلاغة ، وهو القدر
الذي إذا قلص منه شيء التحق ذلك الكلام بأصوات الحيوانات ثم تأخذ في التزايد
متصاعدة إلى أن تبلغ حد الأصجاز ، وهو الطرف الأعلى وما يقرب منه .

ولم يعرف الفصاحة واكتفى بتقسيمها إلى قسمين : قسم راجع إلى المعنى ،
وقسم راجع إلى اللفظ ، ولم يجعلها لازمة لبلاغة التي وحصر مرجعها في المعاني
والبيان . وقد أشار القزويني إلى ذلك بقوله : فوجعل الفصاحة غير لازمة لبلاغة ،
وحصر مرجع البلاغة في القتين ، ولم يجعل الفصاحة مرجعاً لشيء منهما (٢)
وقال الشافعي ، لم يجعل البلاغة مستزمنة للفصاحة ، وحصر مرجعها في
المعاني والبيان دون اللغة والصرف والنحو (٣) ، ورأى أن مرجعها إلى هذه العلوم
جميعاً لا إلى مجرد المعاني والبيان .

والكن السكاكي - مع ذلك كله - رأى أن البلاغة بمرجعها والفصاحة بمرجعها
، مما يكسر الكلام حلة الترتيب ويرقيه أعلى درجات التحسين (٤) ، ولذلك
نراه حينما حل بعض الآيات القرآنية أخذ من مرجعي البلاغة ومن الفصاحة مقياساً
لاظهار ما فيها من صور بيانية ، ومن روعة وتأثير في النفوس .
القزويني :

وكان الخطيب القزويني (- ٥٧٣٩هـ) آخر من وقف عند البلاغة من المتأخرين
وميز بين بلاغة الكلام وبلاغة للتكلم فقال عن الأول : وأما بلاغة الكلام فهي
مطابقتها للتضمني الحال مع فصاحته ، ومقتضى الحال مختلف ومقامات الكلام

(١) مفتاح العلوم ص ١٩٦ .

(٢) الأيضاح ص ٢٤٠ .

(٣) اللؤلؤ ص ٣ .

(٤) مفتاح العلوم ص ٢٠٠ .

مساواة ، ، ومقام التذكير بيان مقام التعريف ، ومقام الاطلاق بيان مقام التقييد ، ومقام التقديم بيان مقام التأخير ، ومقام الذكر بيان مقام الخذف ومقام التخصيص بيان مقام خلافة ، ومقام الفصل بيان مقام الوصل ، ومقام الأيجاز بيان مقام الاضباب والمساواة ، وكلها خطاب الذكي بيان خطاب النسي ، وكلها لكل كلمة مع صاحبها مقام . وتطبيق الكلام على مقتضى الحال هو الذي يسميه عبد القاهر النظم ، (١) .

وقال عن الآتية : «ولما بلاغة التكلم فهي ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ» (٢) .

وقرر ان كل بليغ - كلاماً كان أم متكلماً - فصيح ، وليس كل فصيح - بليغاً ، وأن البلاغة في الكلام مرجعها الى الاحتراف عن الخطأ في تأدية المعنى المراد ، والى تمييز الكلام الفصيح من غيره .

والعلم بالبلاغة الى ثلاثة أقسام ، فكان ما يمتاز به عن الخطأ علم المعالي ، وما يمتاز به عن التقييد المنوي علم البيان ، وما يعرف به وجوه تصحيح الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحت علم البديع . فالبلاغة - عتده - ثلاثة :

١. علم المعالي

٢. علم البيان

٣. علم البديع

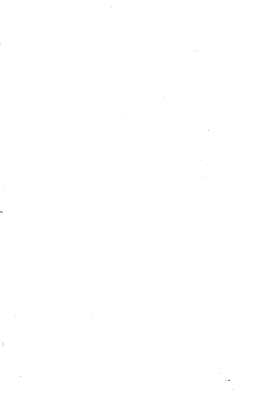
ولم يخرج البلاغيون المتأخرون عن هذا التعريف والتقسيم ، واصبح مصطلح البلاغة يضم هذه العلوم الثلاثة .

(١) الايضاح ص ٩ ، والتلخيص ص ٣٣ .

(٢) الايضاح ص ١١ .

الباب الثاني

علم المعاني



الفصل الأول

العلماني

علم العلماني من المصطلحات التي اطلقها البلازيون على مباحث بلاغية تتصل بالجملة وما يطرأ عليها من تقديم وتأخير ، أو ذكر وحذف ، أو تعريف وتكبير ، أو قصر ، أو فصل ووصل ، أو إيجاز وإطناب ومساواة .

وليس في كتب البلاغة الأولى إشارة إلى هذا العلم ، ولا نعرف أحداً استعمله وسمى به قسماً من موضوعات البلاغة قبل السكاكي (- ٤٦٦هـ) . وكان الأوائل يستعملون مصطلح «العلماني» في دراساتهم القرآنية والشعرية ، فيقولون : «معاني القرآن وأثره معاني الشعر» ، ويتخذون من ذلك أسماء لكتبهم ، وليس في هذه المصطلحات ما يتصل بالبلاغة أو أحد علومها .

ولعل عبارة «معاني النحو» التي وردت في المناظرة التي جرت بين الحسن بن عبد الله بن المرزبان المعروف بأبي سعيد السيرافي (- ٤٦٨هـ) وأبي بشر متى بن يونس في مجلس الوزير أبي الفتح بن جعفر بن القرات كانت من أقدم الإشارات إلى هذا المصطلح بمعناه القريب من البلاغة . قال السيرافي : «معاني النحو منقسمة بين حركات القبط ومساكناته ، وبين وضع الحروف في مواضعها المنتزعة لها ، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير ، وتوخي الصواب في ذلك وتجنب الخطأ من ذلك ، وإن زاغ شيء عن هذا التمت فانه لا يخلو من أن يكون سائفاً بالاستعمال التامر والتأويل الجيد أو مردوداً لخروجه عن عادة القوم الجارية على فطرته» (١) .

وعقد أحمد بن فارس (- ٤٦٥هـ) في كتابه «الصحاح» باباً سماه «معاني الكلام» (٢) وهي عند أهل العلم عشرة : خبر واستخبار ، وأمر ونهي ، ودعاء وطلب ، وعرض وتحضيض ، وتحن وتعجب ، وبذلك يكون ابن فارس أول من أطلق مصطلح «معاني الكلام» على مباحث الخبر والإنشاء التي أصبحت فيما بعد أهم فصول علم العلماني .

(١) الانتاج والثلاثة ج ١ ص ١٢١ ، ومنجم الأدباء ج ٣ ص ١١٧ .

(٢) الصحاح ص ١٧٩ ، ولاحقاً .

المبحث الأول

نظرية النظم

وكان لنظرية النظم اثر كبير في ظهور هذا اللون من الدراسات ، والنحاة العرب يد طول في دراسة الكلام وتحليله والوقوف عند الجملة وما يطرأ عليها من تقدم وتأخير ، أو ذكر وحذف . ولعل سيوريه (- ١٨٠٠هـ) كان من اقدم الذين اهتموا عند هذه الجوانب ودرسها بعمق في فصول كتابه الشهير وأبوابه ، ولكن سيوريه والنحاة لم يمسوا هذه البحوث نظماً وإنما هي قواعد تدر عليها العرب في كلامها أو انشائها . ولا نستطيع ان ننسب اليهم بعد ذلك نظرية النظم التي حاول بعض المعاصرين أن يربطها ببثلاء النحاة ربطاً وثيقاً ليجرد البلاغيين الاصابة والتجديد مع إيماننا بان الموضوعات التي بنيت عليها هذه الفكرة كانت تجريبية محضة ، وقد استفاد منها البلاغيون وطوروها وصوروها احسن تصوير .

وإذا اردنا ان نطمس فكرة النظم فينبغي ان نلتصها في كتب اخرى بعد ان رأينا ارتباطها بكتب النحو . وادقم اشارة مختراً عليها في الكتب العربية عبارة ابن القفج (- ١٤٣٣هـ) التي اشار فيها الى صياغة الكلام . قال : «فانما خرج الناس من أن يكون لهم عمل وأن يقولوا قولاً بديهياً ، فليعلم الواصفون للخبرون ان احداهم وان احسن والبلغ ليس زائلاً على ان يكون كصاحب قصص وجد باقياً وزبرجناً ومرجلاً فنظمه فلامد وسوطاً واكابيل ووضع كل قصص مرضعه وجمع الى كل لون شبيه بما يزيد به ذلك حسناً فسمي بذلك صانعاً رقيقاً ، وكصانعة للعب والفضة صنعوا فيها ما يوجب الناس من الحلى والآنية ، وكالتحل وجدت ثمرات اشترجها الله طيبة وسلكت ميلاً جعلها الله ذكلاً فعصار ذلك خفاء وطعاماً وشراباً منسوباً اليها مذكوراً به امرها وصنعها : فمن جرى على لسانه كلام يستحسنه او يستحسن منه فلا يعجب به اعجاب المخترع البصير ، فانه انما اجتهاد كما وصفنا (١) .

(١) الادب الصغير - آثار ابن القفج من ٣١٩ ، رسائل البلاغ من ٦-٤

ولم يحط البلاغيون هذا الكلام واداروه في كتاباتهم من غير أن يشيروا إلى ابن
 المقفع : فقال الجاحظ (- ٥٢٥٥) : وإنما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس
 من التصوير (١). وتحدث عن النظم في كتبه وسمى أحدها ونظم القرآن ،
 قال : وكأجبت كتابي في الاحتجاج لنظم القرآن وغريب تأليفه وبتدريج تركيبه (٢).
 وقال : هوئي كتابنا المنزل الذي يدل على أنه صدق ، نظمه البديع الذي لا يقدر
 على مثله العباد مع ما سوى ذلك من الدلائل التي جاء بها من جاء به (٣) : والجاحظ
 في هذين النصين وغيرهما يؤمن بأن القرآن الكريم معجز بنظمه ومأثبه من بلاغة
 نأسر القلوب .

وكان لمسألة إعجاز القرآن أثر في بلورة فكرة النظم ، وقد ذهب قوم من المتكلمين
 إلى أن وجه الإعجاز هو ما اشتمل عليه القرآن من النظم الغريب المخالف لنظم العرب
 وشعرهم في مطالبه ومقاطعته وفواصله . وذهبت جماعة منهم إلى أن وجه الإعجاز
 في مجموع الأمرين : النظم ، وكونه في أهل درجات البلاغة .

ولأبي عبدالله محمد بن يزيد الواسطي (- ٥٢٠٦) كتاب في إعجاز القرآن
 سماه « إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه » ، ولا يعرف عنه شيئا مع أن عبد القاهر
 الجرجاني شرحه مرتين ، لأن الأصل وشرحه لم تصل وإن كان العنوان يدل
 على أنه عالج مسألة النظم وأقام عليها إعجاز كتاب الله .

وفي كتب الإعجاز التي وصلت حديث عن النظم ، ولكنه لا يجلو الصور قولاً
 يوضح الهدف ، وإنما هو ومضات في الطريق سار عليها البلاغيون ، كابو سليمان
 حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (- ٥٣٨٨) يرى أن القرآن إنما صار معجزاً
 لأنه جاء بأفصح اللفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني ، ويقول إن
 « صمود هذه البلاغة التي تجمع لها هذه الصفات هو وضع كل نوع من اللفاظ

(١) الحيوان ج ٣ ص ١٢٢ .

(٢) الحيوان ج ١ ص ٩ .

(٣) الحيوان ج ٤ ص ٩٠ .

التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به، لذي اذا أهمل مكانه غيره جاء منه اما بذلك المعنى الذي يكون منه فساد الكلام ، ولما ذهب الرواق الذي يكون معه سقوط البلاغة (١). ويرى ابو الحسن علي بن عيسى الرماني (٥٣٨٦) ان اعلى مرتبة في حسن البيان ما جمع اسباب الحسن في العبارة من تعديل النظم حتى يحسن في السمع ويسهل على اللسان وتقبله النفس تقبل الير (٢). ويرى أبو بكر محمد بن الطبيب الباقلائي (٥٤٠٣) أن كتاباته معجز بالنظم ، لانه خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب ، يقول : «فاما شأؤ نظم القرآن فليس له مثال يحتذى عليه ولا امام يُتشدى به ، ولا يصح وفرح مثله كما يفتق للشاعر البيت النادر ، والكلمة الشارفة ، والمعنى اللذ الغريب ، والشئ القليل العجيب (٣)» ويقول : «ليس الاعجاز في نفس الحروف وانما هو في نظمها واحكام رصفها ، وكونها على وزن ما أتى به الذي - صل الله عليه وسلم - وليس نظمها أكثر من وجودها منقضة ومتأخرة ومتوترة في الوجود ، وليس لها نظم سواها (٤)». ويقول عن القرآن : « وهو معجزة الرسول - عليه السلام - قال هل نبوته من الالة أرجه : أحدها ما فيه من عجب النظم وبدع الرصف ، وانه لاقرنة لاحد من المخلوق على تأليف مثله ولا تأليف صورة منه أو آية بغير سورة (٥).

وكان كلام الفاضل عبد الجبار الاسد آبادي (٥٤١٥) أكثر وضوحاً حينما رأى أن الفصاحة والبلاغة تفرمان على ضم الكلمات وتفرتها ، قال : « اعلم أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام بالضم على طريقة مخصوصة ، ولا يد مع القسم من أن يكون لكل كلمة صفة ، وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالواصفة التي

(١) بيان اعجاز القرآن - ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ص ٢٦.

(٢) التكت في اعجاز القرآن - ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ص ٩٨.

(٣) اعجاز القرآن ص ١٦٩.

(٤) كتاب التهد ص ١٥١.

(٥) تكت الانحصار نقل القرآن ص ٥٩.

تتأول الضم ، وقد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه ، وقد تكون بالرفع . وليس لهذه الانقسام الثلاثة رابع ، لأنه إما أن تعتبر فيه الكلمة أو حركاتها أو مواقعها ، ولا بد من هذا الاعتبار في كل كلمة ، ثم لا بد من اعتبار مثل في الكلمات إذا انضم بعضها إلى بعض ، لأنه قد يكون لها عند الانضمام صفة ، وكذلك لكيلية إعرابها وحركاتها ومواقعها . فعلى هذا الوجه الذي ذكرناه إنما تظهر مزية الفصاحة ببله الوجه دون غيرها .

قال قال : فقد قلتم ان في جملة ما يدخل في الفصاحة حسن المعنى ، فهلاً اعتبر نونه؟
 نقول له : ان المعاني وان كان لا بد منها فلا تظهر فيها الزيادة ، ولذلك نجد المعبرين عن المعنى الواحد يكون أحدهما أنصح من الآخر والمعنى مثنى . على أن تعلم أن المعاني لا تقع فيها تزايد فإذن يجب أن يكون الذي يعتبر التزايد عنده الالفاظ التي يعبر بها عنها . فإذا صححت هذه الجملة فالذي يظهر به الزيادة ليس الا الابدال - الاختيار الذي يختص الكلمات أو التقدم والتأخر الذي يختص الرفع أو الحركات التي تختص الإعراب ، فذلك تقع المباني . ولا بد في الكلامين اللذين أحدهما أنصح من الآخر أن يكون إنما زاد عليه بكل ذلك أو يعضه ولا يمنع في النقطة الواحدة أن تكون إذا استعملت في معنى تكون أنصح منها إذا استعملت في غيره ، وكذلك فيها إذا تغيرت حركاتها . وكذلك القول في جملة من الكلام . ثم قال :
 وهذا بين أن المعبر في الزيادة ليس بنية النقطة ، وان للمعبر فيه ما ذكرناه من الوجوه . فلما حسن النظم وعلوية القول فمما يزيد الكلام حسناً على السجع لأنه يوجد فضلاً في الفصاحة (١) .

ذلك ما كانت عليه نظرية النظم قبل القرن الخامس للهجرة ، وليس في أقوال الجاحظ ومن جاء بعده فكرة واضحة عنها الا ما كان من كلام القاضي عبد الجبار الذي ربط الفصاحة بالنظم وبني عليه رأيه في اعجاز القرآن .

(١) للمزج ١٦ ص ١٩٩ واجمعاً .

لقد وضحت هذه النظرية وطلبت مدافعا على يد عبدالقاهر الجرجاني (- ١٧١هـ
 أو ١٧٤هـ) الذي أحاط الكلام عليها ، وسنسى موضوعات التقديم والتأخير ، والذكر
 والخلف ، والقصر ، والتصل والوصل ، والتعريف والتكثير : معاني النحو أو النظم :
 والنظم - عنده - تطبيق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها سبب من بعض (١) ،
 أو هو نوعي معاني النحو . وقد حصر موضوعاته بقوله : « واعلم أن ليس للنظم
 إلا أن تضع كلامك التوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوائمه وأصوله ،
 وتعرف متاعجه التي تهجت فلاتخرج عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخطئ
 بشيء منها ، وذلك أن لا تعلم شيئا ينتبه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل
 باب وفروقه فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك : زيد مطلق هو
 زيد مطلق ، و « ينطلق زيد » و « مطلق زيد » و « زيد المطلق » و « المتعلق زيد »
 و « زيد هو المطلق » و « زيد هو مطلق » .

وفي القشرط والجزاء إلى الوجوه التي تراها في قولك : « إن نخرج أمرج » ،
 و « إن خرجت خرجت » و « إن نخرج فأنا خارج » و « أنا خارج إن خرجت » و
 « أنا إن خرجت خارج » .

وفي الحال إلى الوجوه التي تراها في قولك : « جاءني زيد مسرعا » و « جاءني
 يسرعا » و « جاءني وهو مسرع » أو « هو يسرع » و « جاءني قد أمرج » و « جاءني وقد
 أمرج » ، فيعرف لكل من ذلك موضعه وبجيء به حيث ينبغي له .

وينظر في الحروف التي تشترك في معنى ثم يفردها كل واحد منها بخصوصية في
 ذلك المعنى ، فيضع كلاما من ذلك في خاص معناه نحو أن يجيء « ما » في قضي الحال ،
 و « لا » إذا أراد قضي الاستقبال ، و « إن » فيما يرجع بين أن يكون وأن لا يكون ،
 و « إذا » فيما علم أنه كائن .

(١) دلائل الاعتدال ص (١٠٠) .

وينظر في الجمل التي لرد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل ، ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع الواو من موضع القاء ووضع القاء من موضع أم ، وموضع أو من موضع أم ، وموضع الكن من موضع هل .
 ويصرف في التعريف والتكبير ، والتقديم والتأخير في الكلام كله ، وفي الحذف والتكرار ، والاضمار والإظهار ، فيضع كلاماً من ذلك مكانه ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له .

هذا هو السبيل ، فليست بواجب شيئاً يرجع صوابه إن كان صواباً وخطؤه إن كان خطأ إلى النظم ويختل تحت هذا الاسم ، إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه ووضع في حقه أو عومل بخلاف هذه العلامة فأزيل عن موضعه واستعمل في غير ما ينبغي له . فلا ترى كلاماً قد وصف بصحة نظم أو فساد أو وصف بمزية وفضل فيه إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وتلك الفساد وتلك الثرية وتلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه ، ووجدته يدخل في أصل من أصوله ويتصل باب من أبوابه (١) .

فمعاني النحو أو النظم تشمل : الخير ، وأركان الجملة بما يتعلق بالسند والسند إليه من شرط وحال ، وتشمل الفصل والوصل ومعرفة مواضعهما ومعاني الواو والقاء وتم ويل ولكن ، وتشمل التعريف والتكبير ، والتقديم والتأخير ، والحذف والتكرار والاضمار والإظهار والفرق بين هذه الأساليب ليس فرقاً في الحركات وما يطرأ على الكلمات ، وإنما في معاني العبارات التي يحدتها ذلك الوضع والنظم الدقيق ، ولذلك فليست الصلابة في معرفة قواعد النحو وحدها ولكن فيما تؤدي إليه هذه القواعد والأصول . وقد يكون أحدها لا يعرف التسميات السابقة لموضوعات النحو ، ولكنه يعرف القواعد بينها ويحسن بمعانيها حينما يسمعا ، شأنه في ذلك شأن البدوي الذي عاش بعيداً عن المصطلحات وما تضمني به كتب النحو ، غير أنه كان ينهم ما يسع ويميزين أسلوب وآخر .

(١) دلائل الإسماعيل من ٦٤ - ٦٥ .

ولست اللزيم بالغة ومعرفتها ، لان ذلك لا يؤدي إلى التفاوت بين الكلام ، ولا من أجل العلم بأنفس القروى والرجوع فنستد إلى اللغة ، ولكن لعلم بمواضعها وما ينشئ أن يصنع فيها ، وليست بسلطنة الحروف ، وإنما بالنظم الذي يحيط بالكلمات والإعراب معنى دقيقاً .

والنظم مراتب : فله ما لا يرى للزيم فيه الا بعد قراءة القطعة الشعرية كقول البحري :

بلونا فمراتب من قدرى فما إن رأينا فنسح ضرباً
هو للسر أهبت له الحادياتُ عزماً وشبكاً ورأياً عليها
تفتل في خلقي مودد ساجدا مرجسى وبأساً منها
فكالسيف إن جته صارخاً وكالبحر إن جته مشياً
فهي هذه الأبيات لتلاحظ الصور وضخم بعضها إلى بعض .

ومنه ما يهجم الحسن عليك من دفعة واحدة حتى يعرف من البيت الواحد مكان الشاعر من الفضل وموضع من الخلق ، ويشهد له بالفضل حتى يعلم أن البيت من بيت شاعر فحل وانه خرج من تحت يد صانع .

ومن النظم ما يتحد في الرضع ويدق فيه الصنع ، وذلك أن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض ويشد لرباط لأن منها بأول ، وان يحتاج في الجملة إلى أن توضع في النفس وضماً واحداً أو أن يكون الحال فيها حال الثاني بضع يستعني حال ما بضع يسلمه هناك . ومنه ما لا يحتاج إلى فكر وروية لكي ينتظم ، بل سبيله في ضم بعضها إلى بعض سبيل من عمد إلى لآلٍ فخرطها في ملك لا يبني أكثر من أن يتعها التفرق ولكن نطد أشياء بعضها إلى بعض لا يريد في نطده ذلك أن يجيء له من هيئة أو صورة بل ليس الا أن تكون مجموعة في رأي العين ، وذلك إذا كان المعنى لا يحتاج أن يصنع فيه شيء غير عطف لفظ على مثله . ولا بد أن يتغير المعنى إذا تغير النظم ، وفي ذلك مجال رحب يجرى فيه الشؤون (١) .

(١) للتفصيل في نظرية النظم يراجع الفصل الثاني من كتاب عهد الشاعر البحراني - بلغة وتقدمه من ٤٩ - ٥٧ .

لقد وضع عبد القاهر أصول « علم المعاني » في كتابه « دلائل الإعجاز » وسمّاه « النظم » أو « معاني النحو ». وليست معاني النحو إلا علم المعاني الذي مرّقه السكاكي بقوله : « هو تنج خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره » (١) .

جمود النظرية :

كان السكاكي (- ٨٦٦٦) أول من أطلق مصطلح « علم المعاني » على الموضوعات التي سمّاها عبد القاهر النظم أو معاني النحو . ومع أنه لم يطلق ذلك على بعض مباحث البلاغة أحد غيره إلا أن الباحث ليجاز حينما يجد مصطلحي « المعاني » و « البيان » قبله . فالزهري (- ٨٥٣٨) يشير إليها في الكشف ويقول وهو يتحدث عن التفسير : « ولا يفرص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين يختصين بالقرآن وعما : علم المعاني وعلم البيان » (٢) . وكلامه غير واضح ، لأنه كثيراً ما يرد مصطلحين للمصطلحين وكثيراً ما يطلق مصطلح « البيان » على البلاغة كلها ، يضاف إلى ذلك أنه لم يضع حداً بين موضوعات المعاني والبيان . وعلة ذلك أنه لم يكن يبحث في البلاغة حينما ألف « الكشف » وإنما كان يفسر القرآن الكريم ويوضح ما فيه من معانٍ رفيعة ومن روعة وجمال وتأثير في النفوس . وكان يستخدم مصطلحات البلاغة بوظيفتها لوصول إلى هذه الغاية ، ولذلك توزعت في الكتاب ولم يجمعها جامع أو يجعلها منهج واضح ونراه أحياناً يسمي البلاغة « بدعاً » ففي تفسير قوله تعالى : « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين » (٣) يقول : « هذا من الصنعة البديعية التي تبلغ بالمجاز اللزوم العليا ، وهي أن تساق كلمة مناسق السجزة » (٤) .

(١) مناج العلوم ص ٧٧ .

(٢) الكشف ج ١ ص (٤) .

(٣) البقرة ١٦ .

(٤) الكشف ج ١ ص ٥٣ .

ويختلف أحياناً ما تعارف عليه البلاغيون فيجعل الالتفات من البيان ويقول في العمدون من لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب : « قلت : هذا يسمى الالتفات في علم البيان » (١) .
 وذكر الدكتور شوقي غيبف أن الرغشري أول من ميز بين المصطلحين وتسم
 البلاغة إلى معانٍ وبيان ، وأن السكاكي أثره في هذا الضميمة (٢) ، ولكن ما ذكرناه
 وما يفسره تيسير الكشف لا يزيد هذا القول ، وأن كانت عبارة الرغشري لورحي
 بذلك قبل البحث والتدقيق .

وذكر فخر الدين الرازي (٥٦٠٦ -) مصطلحي « علم البيان » و « علم المعاني »
 ولكنه لم يعرفهما أو يوضحهما ولم يحدد موضوعاتهما . يقول وهو يتحدث عن
 الخير : « ولكن الخبر هو الذي يتصور بالصور الكثيرة ، وتظهر فيه الدقائق
 العجيبة والأسرار الغريبة من علم المعاني والبيان » (٣) . وعبارة « من علم المعاني
 والبيان ، غامضة لا يفهم منها إلا معنى عام هو البلاغة ، أما معانيهما التي حصرها
 السكاكي فلم يشر إليها ، وهو في ذلك يتابع الرغشري الذي ذكر المصطلحين
 من غير أن يعرفهما أو يفصل بينهما .

ويكرر السكاكي بعض العبارات مثل « صناعة علم المعاني » و « علماء علم المعاني »
 و « أذهان الراسخة من علماء المعاني » و « آفة علم المعاني » (٤) ، ولكنه لم يحدد معانيها
 أو يذكر علماء علم المعاني وآفته . ولم نعر في تاريخ البلاغة على علماء اختصوا
 بهذا العلم وبمخبرائه كما فعل السكاكي في « مفتاح العلوم » إلا ما نلاحظه من ووقوف
 عبد القاهر الجرجاني على « معاني النحو في كتابه » دلائل الإعجاز ، و « بيان » في
 كتابه « أسرار البلاغة » ولكن هذا الوقوف لا يعني أنه ميز بينهما ، لأن موضوعات
 البلاغة ظلت تختلط في الكتابين ، وأن كان الأول أقرب إلى علم المعاني والثاني أقرب
 بعلم البيان :

(١) الكشف ج ١ ص ١١ .

(٢) البلاغة تطور وتاريخ ص ١٢٢١ - ١٢٧٠ - ٢٨٨ .

(٣) نهاية الإيجاز ص ٢٦ .

(٤) مفتاح العلوم ص ١٨١ - ١٩٥ - ١١١٩ - ١٢٦ .

ولاننا لم نستطع أن نبيّن مفهوم المعاني قبل السكاكي مع ما جاء في الكشف،
 وانه نهاية الاجازة، فنقرر أنه أول من قسم البلاغة إلى معاني وبيان ومحسنات، وحدث
 موضوعاتها وارسي قواعدها، وانه أول من أطلق على الموضوعات المتعلقة بالنظم
 مصطلح «علم المعاني» وعلى الموضوعات التي تبحث في الصورة والخيال - التشبيه
 والمجاز والكتابة - مصطلح «علم البيان»، وانه أول من سمى غير هذه البحوث
 محسنات أو زجوهاً مخصوصة بصرها اليها لتقصد تحسين الكلام، وقسمها إلى ما يختص
 بالمعنى وما يتعلق بالقطف، ولم يسمها بتبعا، وكان بدر الدين بن مالك (١٠٨٦هـ)
 صاحب المصباح، هو الذي أطلق عليها هذا المصطلح وتابعه الخطيب القزويني
 والمتأخرون.

وكان للسكاكي منهج في بحث موضوعات «علم المعاني» اختلف عن كل ما
 ألفناه في كتب البلاغة الأولى، وقد قرر - كما قرر غيره - أن كلام العرب لسان:
 الخبير والطلب، ولذلك قسم المعاني إلى قانونين..

الأول : يتعلق بالخبر:

والثاني : يتصل بالطلب :

وقسم القانون الأول إلى أربعة فروع :

الأول : في تفصيل اعتبارات الاسماء الخيري، تكلم فيه على أنواع الخير واغراضه
 ومؤكدها وخروجه على مقتضى الظاهر.

الثاني : في تفصيل اعتبارات المسد اليه، تكلم فيه على حذفه وذكره، وتعريفه
 وتكثيره، واضطراره، وكونه معرفة سواء أكان موصولا أم اسم إشارة أم معرفا
 بالالف واللام أم بالاضافة. وتحدث عن نعت المعرف، وتأكيد المسد اليه، وبيانه
 وتفسيره، وبداهة، والحالة التي تقتضي العطف والفصل وتكثيره، وتقديمه على المسد
 وتأخيرها، وقصره، وخروجه على مقتضى الظاهر، والاتصاف.

الثالث : في تفصيل اعتبارات المسد، تكلم فيه على حذفه وذكره، وإفرادها،
 وكونه فعلا، وتقييده وترك تقييده، وكونه منكرا، ثم تحدث عن تخصيصه وتركه،

وكونه اسماً معرفة، وكونه جملة فعلية واسمية وظرفية، وتكلم على تقديمه وتأخيره،
وعقد في هذا الفن فصلاً تحدث فيه عن الفعل، وتركه وإثباته، وترك منجمله
وإثباته، واختار القاعل واظهاره. وتحدث عن اختيار التقديم والتأخير مع الفعل،
والحالات المتضمنة لتقييد الفعل بالشرط.

الرابع : في تفصيل اعتبارات الفصل والوصل، والايجاز والاطناب، والنصر
وتقسيم القانون الثاني إلى خمسة فصول هي التعمي، والامتناع، والامر، والنهي،
والنداء.

وبعد أن أكمل بحث الخبر والطلب تحدث عن استعمال الخبر. موضع الطلب
واستعمال الطلب موضع الخبر، وذكر أسلوب الحكيم في غائمة البحث (1).

(1) ينظر البلاغة عند السكاكي ص ٦٤٠ وما بعدها.

البحث الثاني

نقد المنهج

لقد بحث السكاكي وعلم المعاني بهذا المنهج وقسمه هذا التقسيم ، وبوجه هذا التوزيع الذي توضح فيه الترتبة اللغوية . ويلاحظ أنه قدّم البحث في الخبر مع أن كثيراً من الموضوعات التي تحدث عنها فيه لا تخص الخبر وحده وإنما هي مشتركة بينه وبين الطلب . وقد حلل سعد الدين التفتازاني (- ٧٩٢هـ) ذلك بقوله : « وإنما ابتدأ بأبحاث الخبر لكونه أعظم شأنًا وأعم فائدة ، لأنه هو الذي يتصور بالصور الكثيرة وفيه تقع الصياغات المعجزة ، وبه تنبع غالباً - أثارها التي بها يتفاضل ، ولكونه أصلاً في الكلام ، لأن الإكشاء إنما يحصل منه بإشفاق كالأمر وانتهى ، أو نقل ك«بئس» و«لعم» و«بعت» و«اشترت» ، أو زيادة أداة ك«لاستظها» و«لشي» وما أشبه ذلك .

ثم قدّم بحث أحوال الاستناد على أحوال المسند إليه والمسند مع أن نسبة متأخرة عن الطرفين ، لأن علم المعاني يبحث عن أحوال اللفظ الوصفي بكونه مسنداً إليه ومسنداً . وهذا الوصف إنما يتحقق بعد تحقيق الاستناد ، لأنه عالم بسند أحد الطرفين إلى الآخر لم يصر أحدهما مسنداً إليه والآخر مسنداً . وللتقدم على نسبة إنسا هو ذات الطرفين ولا يبحث لنا عنها ، (١) .

ومهما حاول أنصار هذا المنهج أن يوجهوه فإن البلاغة التي تقيس بها الأدب وتحكم بها عليه لا يمكن أن يعامل منهج بحثها هذا التليل ، وإن يصطغ لها اصطفاً يبعدها عن روحها الأدبية . ولكن هل يجح السكاكي في هذا المنهج ؟ وهل استطاع أن يصرر موضوعات علم المعاني حصراً دقيقاً ؟

الواقع أنه لم ينجح في هذا التقسيم الذي بناه على التلطف وحده ، فحصر به موضوعات المعاني حصراً مزقها تمزيقاً أفقدها كل حياة ، وابتعد بينها وبين ما يتطلبه الفن الأدبي الذي ينبغي أن يعتمد - أول ما يعتمد - على اللوق الربيع .

(١) اللؤلؤ من ١٢ .

والتوضيح ذلك نقول أن السكاكي قسم مباحث المعاني حسب ركني الجملة -
 للسند اليه والسند - وعلى هذا الأساس ذكر التقديم - مثلاً - في السند اليه
 مرة وفي السند ثارة أخرى . وفعل مثل هذا بالموضوعات الأخرى كالتأخير ،
 والحذف والذكر ، والتعريف والتذكير وكان من الدقة أن يبحث كل موضوع بحثاً
 مستقلاً فيتكلم على تقديمه والتأخير في فصل والذكر والحذف في ثانٍ ، والتعريف
 والتذكير في ثالث ، وبذلك يجمع أوصال الموضوع الواحد في بحث يستوفي أجزاءه
 ويجمع شتاته . أما أن يوزع أقسام الموضوع الواحد هذا التوزيع ويذكر عنه في كل
 باب نفاً بسيرة لا تُجدي نفعاً ، فما لا يمكن الأخذ به والتعويل عليه . وبالقرارة بين
 ما كتبه السكاكي وما كتبه عبد القاهر أو ابن الأثير يتضح مدى إفساده هذه المباحث
 وجوره عليها . فبعد أن كنا نقرأ في «دلائل الإعجاز» أو «اللسان السائر» موضوعات
 فيها عرض وتحليل وجمع لأطراف الموضوع الواحد جمعاً يخرج المدارس منه بفكرة
 واضحة وفائدة كبيرة - بعد هذا كله - نقرأ في «مفتاح العلوم» موضوعات
 تنازرت أطرافها في عدة أبواب لا يخرج المدارس منها إلا بصيغة حائلة ، وتواعد
 جامدة ، وأمثلة مبسرة . وقد يلجأ لكي يكون فكرة صحيحة إلى أن يلم شتات
 الموضوع الواحد ويضم بعضها إل بعض ، وفي هذا اضاعة للجهد وإفساد للبلاغة
 والذوق .

وكانت ثمرة ذلك أن يهر السكاكي الموضوعات وأضعا رونقها ، وأصبحت
 لا تُجدي نفعاً إلا بالرجوع إلى عدة فصول يجمع شتاتها وتوحيد أجزاءها .
 أما بحث خروج الكلام على منقضى الظاهر كوضع المستتر موضع للظهور ، ووضع
 الظاهر موضع الضمير ، والاتفات في السند اليه فليس دقيقاً ، لأن هذه الفنون لا تخضع
 وحده وإنما تدخل السند أيضاً . وقد أشار السكاكي إلى ذلك بقوله : «واعلم أن هذا
 النوع أعني نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة لا يختص السند اليه» (١) وكان ينبغي
 أن يضع لكل لون من هذه الفنون بحثاً يفصل القول فيه تفصيلاً .

(١) مفتاح العلوم ص ٩٥

وتكلم على استعمال المضارع مكان الماضي في الحالات المقتضية لتثنية الفعل بالشرط مع أن الاختيار عن الفعل المضارع أو بالمستقبل نوع من الالتفات كما صرح به البلاغيون .

وعقد فصلاً للفعل وما يتعلق به من تركه وإثباته، وإظهاره وإخماره، وتقديمه وتأخير مع أن الفعل مستد وكان ينبغي أن يبحث في باب المستد ويذكر أنه يأتي فعلاً واسماً وجملة :

ولكننا لابد أن نحدد للسكاكي اتجاهه إلى اشتراك كثير من الباحث التي ذكرها في المستد والمستد إليه، فقد أشار - وهو يتحدث عن الحالة المقتضية لقصر المستد إليه على المستد - إلى أن القصر لا يختص بالمستد إليه وإنما يدخل المستد أيضاً ، ويجري بين الفاعل والمفعول ، وبين المفعولين ، وبين الحال وذو الحال ، وبين كل طرفين ؛ يقول «وأعلم أن القصر كما يكون للمستد إليه على المستد يكون للمستد إليه ، ثم هو ليس مختصاً بهذا اليمين بل له شيوخ وله تعريعات ، فالأولى أن نتردد للكلام في ذلك فصلاً وتؤخره إلى تمام العرض لما سواه في الفوتنا هذا ليكون إلى الوقوف عليه أقرب» (١).

هذا ما يتعلق بالتحذير وكثي الجملة أساساً في تقسيم مباحث علم المعاني ، أما ما يتصل بالوضعيات نفسها فقد ذكر التقديم والتأخير ، والخطف والذكر ، والفصل والوصل ، والابتزاز والإطناب ، والتعريف ، والتكثير ، والتقصير ، في الثالثون الأول أي في باب الخبر . وليس في هذا دقة ، لأن هذه الموضوعات تدخل القلب كما تدخل الخبر وقد أشار عبد القاهر إلى ذلك بقوله : «انه لا يجوز أن يكون نظم الكلام وترتيب أجزائه في الاستفهام معنى لا يكون له ذلك المعنى في الخبر ، وذلك أن الاستفهام استخبار ، والاستخبار هو طلب من المخاطب أن يتحرك . فإذا كان كذلك كان محالاً أن يترق الحال بين تقديم الاسم وتأخيرها في الاستفهام فيكون المعنى إذا قلت : «أزيد قام» غيره إذا قلت : «أقام زيد» ؟ ثم لا يكون هذا الاقتران في الخبر .

(١) مفتاح العلوم ص ٩٤

ويكون قولك «زيد قام» و «قام زيد» سواء ، فاك لأنه يؤدي إلى أن تستعمله
 امرأ لاسيلا فيه إلى جواب ، وان نشئته المعنى على وجه ليس عنده عبارة بثته
 لك بها على ذلك الوجه « (١) ويقولوه : « وإذ قد عرفت الحكم في الابتداء
 بالكرة في الاستفهام فابتن الخير عليه » (٢) .

ولم يأخذ السكاكي برأي عبد القاهر مع انه اعتمد على كتابه وجردهما من
 التركة الأدبية وأحالهما هياكل بتضحياته المنطقية .

والعجيب أن الخطيب القزويني وسعد الدين الفنذرائي وغيرهما من الشراح
 تابعوا السكاكي في هذا التضم مع أنهم ذكروا أن الموضوعات التي بحثت في الخير
 تدخل الطلب أيضاً . يقول القزويني بعد أن ذكر أحوال المسند : « كثير مما ذكر
 في هذا الباب والذي قبله غير مخلص بهما كالذكر والخلف وغيرهما : والقطن إذا
 اتحن اعتبار ذلك فيهما لا يخفى عليه اعتباره في غيرهما » (٣) . واعاد هذا القول في
 كتابه «الإيضاح» بعد أن ذكر أحوال الأستاذ والسند اليه والمسند وأحوال متعلقات
 الفصل والقصر ، وقال : « ما ذكرناه في هذه الأبواب الخمسة سابقة ليس كله
 مستصفاً بالخبر بل كثير منه حكم الإنشائية حكم الخبر ، يظهر ذلك بآدنى تأمل » (٤)
 وقال الفنذرائي : « ان الاسناد الإنشائي أيضاً أما مؤكداً أو مجرد عن التأكيد ، وكذا
 السند اليه أما مذكور أو مخوف ، مقدم أو مؤخر ، معرف أو منكر ، إلى غير ذلك ،
 وكذا السند اسم أو فعل ، مطلق أو مقيد بمفعول أو بشرط أو غيره ، والمتعلقات
 أما متقدمة أو متأخرة ، مذكورة أو مملوقة ، واسناده وتعلقه أيضاً إما بقصر أو
 بغير قصر ، والاعتبارات الثابتة في ذلك مثل عامر في الخبر ، ولا يخفى عليك
 اعتباره بعد الإحاطة بما سبقه » (٥) :

ولكن البلاغيين صحروا بمنهج السكاكي وساروا عليه من غير أن يحاولوا الإصلاحه
 إلا ما صدر عنهم من ملاحظات لا تبيد البلاغة عن جوهره كثيراً ، ونرى - إذا

(١) دلائل الإعجاز ص ١٠٥

(٢) دلائل الإعجاز ص ١٠٩

(٣) الطليح ص ١٢٥

(٤) الإيضاح ص ١٠٩

(٥) الطول ص ٢١٦

مأردنا أن نعيد ترتيب مباحث علم المعاني في كتاب «مفتاح العلوم» - أن يبحث
 الخبير والإنشاء في باب مستقل وتذكر النوعين وأساليبهما، ثم يبحث الجملة في
 باب آخر، يجمع أجزاءها، ويكون للتقديم والتأخير فصل، ولتذكر والحذف فصل
 ثانٍ، وللشكير والتعريف فصل ثالث، وللقصر وأواعه وطرقه فصل رابع، ولتزيد
 للسند والسند إليه فصل خامس، ولا بد من بحث الفصل والوصل، والابتداء والاطتباب
 في بابين مستقلين. وبهذه الطريقة يجمع مألوفه السكاكي وتبعث الحياة في هذا الفن
 ليكون صالحاً للدراسات الأدبية.

وليس بغريب أن نذهب إلى هذا النهج فقد بحث المتعلمون البلاغة بما هو قريب
 منه وكان لأعلامهم كأبي هلال وابن رشيق وابن سنان وعبد القاهر وابن الأثير
 مناهج سليمة وبحوث طريفة ذات وقع عظيم وأثر كبير، لأنهم لم يعثروا الموضوعات
 في فصول كثيرة وإنما جمعوها جمعاً دقيقاً، وبذلك جاءت كتبهم آية في الإبداع،
 وكانت بحوثهم غاية في التوضيح والجلالة.

وكان الخطيب القزويني (٥٧٣٩) أوضح منهجاً من السكاكي، والمعاني عنده
 وعلم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يتطابق مقتضى الحال، (١). وقد رفض
 تعريف السكاكي وهو «تتبع خواص تركيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من
 الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي
 الحال ذكره» (٢)، لأن التتبع ليس بعلم ولا صادقاً فلا يصح تعريف شيء
 من العلوم به.

وحصر علم المعاني في ثمانية أبواب :

الأول : أحوال الاستاد للخبري :

الثاني : أحوال السند إليه :

الثالث : أحوال السند :

الرابع : أحوال متعلقات الفصل :

(١) الأضاح ص ١٢

(٢) مفتاح العلوم ص ٢٧

الخامس : القنصر .

السادس : الانشاء .

السابع : القصل والوصل .

الثامن : الایجاز والإطناب (١) .

ووجه المحصر أن الكلام إما محير أو انشاء ، لأنه إما أن يكون لشيء خارج تطابقه أو لانتطابقه أو لا يكون لها خارج ، الأول الخبر ، والثاني الإنشاء . ثم الخبر لا بد له من اسناد ومسند اليه ومسند ، واحوال هذه الثلاثة هي الأبواب الثلاثة الأولى . ثم المستند يكون له متعلقات إذا كان فعلاً أو متصلاً به أو في معناه كاسم القاعل ونحوه ، وهذا هو الباب الرابع ، ثم الاسناد ، والتعلق كل واحد منهما يكون إما بقصر أو بطير قصر ، وهذا هو الباب الخامس . والانشاء هو الباب السادس . ثم الجملة إذا قرئت بأخرى فتكون ثالثة إما معطوفة على الأولى أو غير معطوفة ، وهذا هو الباب السابع والفظ للكلام البلغ إما زائد على أصل المراد لفائدة أو غير زائد عليه ، وهذا هو الباب الثامن .

وهذا المنهج يختلف قليلاً عن منهج السكاكي ، وهو أقرب إلى الكمال ، لأن القزويني ضم الموضوعات المتشابهة في فصول مستقلة ، وكان في بحثه أخصر بالبالغة وروحها من صاحب مفتاح العلوم الذي مزقها كل مزق . وسيطر هذا المنهج على البلاغيين وظلت كتبهم تقسم علم المعاني هذا التقسيم ، ولم يخرج عنه معظم المتأخرين والمحدثين .

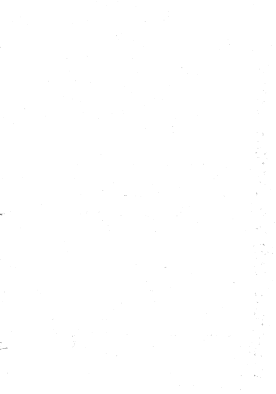
وإذا كان علم المعاني قريباً من النحو أو هو نوعي معاني النحو فإنه يختلف عنه في معالجة الموضوعات ، وقد قصر القول في ذلك عهد القاهر وانتهى إلى أننا لا نريد للمعاني الأول وإنما للمعاني التراثي وهي عنه معنى المعنى ؛ ولخص المتأخرون فائدة علم المعاني فقال بهاء الدين السبكي : بولمك تقول . أي فائدة لعلم المعاني فإن القدرات والمركبات علمت بالعلوم الثلاثة - اللغة والنحو والصرف - وعلم

(١) ينظر كتاب (القزويني وشرح التلخيص ص ٢٨٧) وما بعدها .

المعاني غايه من علم النحو؟ كلا ان غاية النحوي ان يتزل المفردات على ما وضعت له ويركبها عليها ووراء ذلك مقاصد لا تتعلق بالموضوع مما تناوت به أغراض التكلم على الوجه لاقتضاه وذلك الاسرار لا تعلم إلا بعلم المعاني، والنحوي - وإن ذكرها - فهو على وجه إجمالي يتصرف فيه اللباني تصرفاً خاصاً لا يصل اليه النحوي؛ وهذا كما أن معظم أصول الفقه من علم اللغة والنحو والحديث وإن كان مستقلاً بنفسه. وأعلم أن علمي أصول الفقه والمعاني في غاية التداخل فإن الخير والإنشاء اللذين يتكلم فيهما المعاني هما موضوع غالب الأصول وإن كان ما يتكلم عليه الأصولي من كون الأمر لتجريب والنهي لتحریم ومسائل الإعجاز والمعوم والخصوص والاملاقي والتفيد والاجمال والتفصيل والتراجم كلها ترجع إلى موضوع علم المعاني، وليس في أصول الفقه ما يفرده ككلام الشارح عن غيره إلا الحكم الشرعي والقياس وأشياء يسيرة، (١).

وهذا ما أحاط الكلام عليه عبد القاهر الذي نال إن الصحة في الكلام هي الخطوة الأولى، أما الخطوة الثانية فهي فهم الكلام واستخلاص ما فيه من المعاني التي يدل عليها، ولذلك كان علم المعاني ضرورياً في فهم الأساليب البلاغية بعد ان فقد النحو رونقه وبهاءه وأصبح قواعد لا تعنى إلا بالأحزاب والقبائل، والعوامل، والجمل لتعطي الذي لا ينجم اللغة بقدر ما يعوقها عن النحو والأزدهار:

(١) عروض الامراج - شرح قطيبي ج ١ ص ٥١-٥٢.



الفصل الثاني

الطير

البحث الاول

أمره

ظهرت دراسات هذا الموضوع في رحاب الكلام ، وكان لسألة خلق القرآن أثر في ذلك ، وقد بينى المختلة وأبهم على أساس أن القرآن أمر ونهي وغير وذلك مما ينفي عنه صفة القدم التي ذهب اليها معظم المسلمين .
وشهر في بينة الاعتزال رأيان في صدقه وكذبه :

الرأي الأول : ينسب إلى أبي اسحاق ابراهيم بن سيار المعروف بالنظام (- ٤٢٢١هـ) وخلاصة هذا الرأي ان صدق الطير مطابقة حكمه لا اعتماد للخبر صواباً كان أو خطأ ، وكذبه مطابقة حكمه له . واحتج بوجهين :

احدهما : ان من اعتقد أمراً فاطير به ثم ظهر غيره بخلاف الواقع يقال : ما كذب ، ولكنه خطأ : كما زُوي عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت فيمن شأنه كذلك ؟ ما كذب ولكنه وهم .

الثاني : قوله تعالى : « والله يشهد أن للناقين لكافرين » (١) كذا فيهم في قولهم : أنك لرسول الله ، وإن كان مطابقاً للواقع لأنهم لم يعتقدوه ورد الخطيب القزويني على الوجه الأول بان المضي لعدم الكذب لا الكذب بدليل تكذيب الكافر إذا قال : « الاسلام باطل » وتصديقه إذا قال : « الاسلام حق » : فنقول السيدة عائشة « ما كذب » متأول بما كذب عبداً :

وأجاب عن الوجه الأول بوجه .

احدها : أن المضي لشهادة شهادة وإطالت فيها قولنا أستنتا ، كما يترجم عنه « أن »

(١) الناقلون ٦ ، والآية : « إذا جاءك المنافقون قالوا : نشهد أنك لرسول الله ، وإن يعلم أنك لرسول ، والله يشهد ان للناقين لكافرين » .

والإمام ، وكون الجملة اسمية في قولهم : « انك لرسول الله » ، فالتكليب في قولهم
« نشهده وأدعاهم فيه المواظمة لاني قولهم « انك لرسول الله » .

ثانيها : أن التكليب في نسبتهم اخباره شهادة ، لان الاعيار اذا خلا من
المواظمة لم يكن شهادة في الحقيقة .

ثالثها : ان المعنى لكاذبون في قولهم : « انك لرسول الله عند انفسهم لاعتقادهم
انه خير على خلاف ما عليه حال الخبر عنه :

الرأي الثاني : ينسب إلى أبي عثمان الجاحظ (- ٢٥٥هـ) ، وفيه انكر انحصار
الخبر في الصدق والكذب ، وزعم أنه ثلاثة أقسام : صادق ، وكاذب ، وغير
صادق ، ولا كاذب . فالخبر الصادق هو المطابق للواقع مع الاعتقاد بأنه مطابق ،
والخبر الكاذب هو الذي لا يطابق الواقع مع الاعتقاد بأنه غير مطابق . أما الخبر
الذي ليس بصادق ولا كاذب فهو أربعة أنواع :

١. الخبر المطابق للواقع مع الاعتقاد بأنه غير مطابق :

٢. الخبر المطابق للواقع بلا اعتقاد .

٣. الخبر غير المطابق للواقع مع الاعتقاد بأنه مطابق .

٤. الخبر غير المطابق للواقع بلا اعتقاد (١) .

وانضمت هذه المباحث إلى كتب البلاغة والادب ، فقال ابن قتيبة (- ٢٧٦هـ)

وهو يتحدث عما كان في زمانه من معارف اذعت بعضهم : والكلام أربعة :

أمر ، وغيره ، واستخبار ، ورغبة ، ثلاثة لا يدخلها الصدق والكذب وهي : الأمر ،

والاستخبار ، والرغبة ، وواحد يدخله الصدق والكذب وهو الخبر (٢) :

ولم تغلب (- ٢٩١هـ) قواعد الشعر إلى أمر ، ونهي ، وغيره ، واستخبار (٣) :

(١) ينظر الايضاح ص ١٣ - ١٥ ، وشرح التلخيص ج ١ ص ١٧٦ وما بعدها .

(٢) أدب الكاتب ص ١ .

(٣) قواعد الشعر ص ٢٥ وما بعدها .

أبو الحسين اسحاق بن إبراهيم بن وهب الكلام إلى خير وطلب، وقال:
بر كل قول ألفت به مشيئة مالم يكن حده، كقولك: «قام زيد» وقد ألفت
م بقيامه... والطلب: كل ما طلبته من غيرك» (١).

وعقد أحمد بن فارس (٤٣٩٥ -) في كتابه «الصحاح» باباً سماه «معاني
كلام» وهي عند أهل العلم عشرة: خير واستخيار، وأمر ونهي، وودعاء وطلب
عرض وتخصيض، وتميز وتعجب. وقال في تعريف الخير: «لما أهل اللغة فلا
يقولون في الخير أكثر من أنه إعلام: تقول خيرته أخبره والخير هو العلم. وأهل
التنظير يقولون الخير ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه وهو عادة المصطلب أمر أي
ماضٍ من زمان أو مستقبل، أودعتم» (٢).

معرطه:

وكان البلاغين المتأخرين وقتة عند الخير ودلائله، وقد عانوا في بحثه إلى منهج
المتعة وأدخلوا فيه المباحث الفلسفية والمعادنية فقال فخر الدين الرازي (٦٠٦ -)
أنه «القول المنطقي بتصريحه نسبة معلوم إلى معلوم بالشيء أو بالآليات ومن حده
بأنه المحمل الصادق والكليب المحلودين بالصدق والكليب الواقع في الدور مرتين» (٣)
وعرض السكاكي (٦٣٦) أقوال السابقين في تعريف الخير والاشها وذهب
إلى أن الخير والطلب مستقيمان عن التعريف الحدتي (٤). أما الخطيب القزويني
(٧٣٩) فقد ذكر آراء السابقين كالنظام والملاحظ ولكنه أخذ برأي الجمهور
وقال في بداية بحثه الخير: «اختلف الناس في انحصار الخير في الصادق والكاذب
قلوب الجمهور إلى أنه منحصر فيهما، ثم اختلفوا فقال الأكثر منهم صدقه مطابقة
حكمة الواقع، وكذبه عدم مطابقة حكمه له. هذا هو المشهور وعليه التحويل» (٥).
وإلى ذلك ذهب معظم شراح تلخيص (٦):

- (١) البرهان في وجوه البيان ص ١١٢.
- (٢) الصحاح ص ١٢٩.
- (٣) نهاية الإيجاز ص ٢٧.
- (٤) مفاتيح العلوم ص ٧٨ - ٧٩.
- (٥) الإيضاح ص ١٢.
- (٦) شروح تلخيص ج ١ ص ١٨٢.

وصفوه القول أن الخير كل كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته ، وهذا التعريف يصدق على كل كلام يزعج من غير النظر إلى قائله ، والأخبار التي وردت في القرآن الكريم وأحاديث النبي - صلى الله عليه وسلم - والحفاظ العلمية والبدعيات التي لا يثبت فيها ، لا يمكن أن تحتمل الكذب مع أنها أخبار عن شيء ، ولذلك تخرج من هذا التعريف ، أما غيرها من الأخبار ، فهي قابلة للتصديق والتكذيب من أي إنسان صدرت لأنها ينظر إليها ، لا لذات القائلين :

أخبره :

لجملة الخبرية معنى يحدده تركيبها ، فإذا أطلقت خالية من أي تأكيد كانت لها دلالة ، وإذا أكدت بمؤكد واحد ، أو أكثر كانت لها دلالة أخرى . وقد اتفق العرب إلى ذلك في اصطلاحهم الخبر ، وأشار عبد القاهر إلى هذه الاختلافات فقال : «واعلم أن مما أخص الطريق إلى معرفة ما نحن بصدده أن ههنا فروقا خفية تجعلها العامة وكثير من الخاصة ، ليس أنهم يجهلون في موضع ويعرفونها في آخر ، بل لا يدرون أنها هي ولا يعلمونها في جملة ولا تفصيل . روى ابن الأثير أنه قال : ركب الكندي للفلسف إلى أبي العباس (١) وقال له : أي لأجد في كلام العرب حشواً . فقال له أبو العباس : في أي موضع وجدت ذلك ؟ قال : أجد العرب يقولون : «عبد الله قائم» ثم يقولون : «إن عبد الله قائم» ثم يقولون : «أن عبد الله قائم» فالألفاظ متكررة والمعنى واحد . فقال أبو العباس : بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ . فتولهم «عبد الله قائم» أخبار عن قيامه ، وتولهم : «إن عبد الله قائم» جواب عن سؤال سائل وتولهم : «إن عبد الله قائم» جواب عن الكفار منكر لقيامه . فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني . قال : فما أحلر للفلسف جواباً :

وإن كان للكندي يلعب هذا عليه حتى يركب فيه ركوب مستفهم أو معترض فما ظلك بالعامة ومن هو في عداد العامة ممن لا يخطر شبه هذا بياله (٢) :

(١) يريد به البرد .

(٢) دلائل الأجزاء ص ٢١٢ .

فالخير ثلاثة أصرب :

الأول : الابتدائي ، وهو الخير الذي يكون محالاً من المؤكدات لأن المخاطب غلي الذهن من الحكم الذي نفسه. ومن ذلك قوله تعالى : وقال بل فعله كبيرهم هذا (١) .
وقوله : «يريدون آمناء بانهم وبالرسول وأطلعنا ، ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك» (٢) ومنه قول المتنبي :

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي واسمعت كلماتي من به صمم
أقام ملء جنوني عن شواردها وسهر الخليل جراحها ويختصم
ففي هذه الأمثلة إلقاء لخير إلى مخاطب غلي الذهن من حكمه ، ولذلك جاءت من غير توكيد .

الثاني : الطلي ، وهو الخير الذي يتردد المخاطب فيه ولا يعرف مدى صحته ، أو هو كما قال السكاكي : «وإذا ألقاها إلى طالب لها مشجور طرفها عنده دون الاستناد فهو منه بين بين ليغذيه من ورطها الحيرة يستحسن تقوية الثقة بإدخاله اللام في الجملة أو وإن» (٣) ومن ذلك قوله تعالى : «وجاء رجلٌ من أقصى المدينة يسعى ، قال يا موسى إن اللام يأثرون بك ليشطوك فاعرج إلي لك من الناصحين» (٤) وقوله : «إذ قالوا: ليوستف وأخوه أحبُّ إلى أبينا منا» (٥) .
ومنه قول جرير :

إن العيون التي في طرفها حنوزٌ فلننا ثم لم يُحِين فنسلانا
وقول البحري :

هل يجلين لي عطسك موقف ثبت لبيك أقول فيه واسمع

(١) الأبيات: ٦٣ .

(٢) التيسور: ٤٧ .

(٣) مقاطع العلوم من ٨١ .

(٤) القصص: ٢٠ .

(٥) يوسف: ٨ .

في هذه الأمثلة أكد الخبر بإحدى أدوات التأكيد، مثل وإن ، في الآية الأولى والبيت الأول، واللام في الآية الثانية «يوسف» والنون في «يعلمن» والمؤكد في كل منها واحد.

الثالث : الانكاري ، وهو الخبر الذي ينكره المخاطب انكاراً يحتاج إلى أن يؤكد بأكثر من مؤكداً : ففي قوله تعالى : «وأضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون . إذ أرسلنا إليهم اثنتين فكلت بهما فمزقنا بئناك فقالوا : إنا إليكم مرسلون . قالوا ما أنتم إلا بشر ، وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون . قالوا : ربنا يعلم أننا إليكم لمرسلون» (١) . حيث قال أولاً : «إنا إليكم مرسلون» وقال ثانياً «إنا إليكم لمرسلون» حينما ازداد انكارهم ولذلك أكد به إن « أولاً وباللام تأكيداً ليزيل عنهم ذلك الشك والانكار ومنه قوله : «إنكم لذالقون للعباب الأليم» (٢) .

ومنه قول الحماسي :

إن تصبح عن جاهل قوماً ولهم سائفة العلو الأصيد (٣)
ومنى نجد يوماً لساد عشيرة تصلح وإن تر صالحاً لا تفسد
وفي هذه الأمثلة مؤكداً «إن» و«اللام» .

مؤكداته :

للخبر مؤكداً كثيرة منها :

١. «إن» وهي التي تنصب الاسم وترفع الخبر ، ومنها قوله تعالى : «يا أيها الناس
- «إن وجد الله حق» (٤) ، وقوله : «يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زكوة
- الساعة شيء عظيم» (٥) وقول الشاعر :

(١) يس ١٣-١٦ .

(٢) الصافات ٣٨ .

(٣) السائفة : سيفة العلو الأصيد : للتكبر .

(٤) قلم ٥ .

(٥) الحجج ١ .

إنّ التي زعمت فؤادك ملها خلقت هواك كما خلقت هوى له
وقول البحري:

شرفاً بني العباس إنّ أباكم عمّ قصي وعيسه المتضرع
إنّ القضية الذي استغنى به عمر وشفع إلا غد يشفع

والإنّ والرّي العبارة غير التوكيد، وفي دلائل الإعجاز (١) أشارات إلى مواضعها
في الكلام، ولكن الذي يتصل بالموضوع، التأكيد كما في بيت أبي نواس:

عليك بالياس من الناس إنّ غنى نفسك في الياس

يقول عبد القاهر مطلقاً عليه: «قد نرى حسن موضعها وكيف يقول النفس لها،
وليس ذلك إلا لأن الغالب على الناس أنهم لا يحيطون انفسهم على الياس ولا يدعون
الرجاء والطمع ولا يعرف كل أحد ولا يعلم ان الغنى في الياس، فلما كان كذلك
كان الموضوع موضع قلق إلى التأكيد فلذلك كان من حسنهما ترى. ومثلها قول محمد
ابن وهيب:

أجارتنا إنّ كتحف بالياس وصبر على استدار دنيا بالياس (٢)

حريان ان لا يفسد (٣) بطلا كريما وان لا يهوجاه إلى الناس

أجارتنا إنّ القفاح كواهب (٤) وأكثر اسباب النجاح من الياس

هو كما لا يخفى كلام مع من لا يرى ان الامر كما قال بل ينكره ويعتقد خلافه معلوم

انه لم يقله إلا والترأة تحنوه ويبحثه على التعرض للناس وعلى الطلب (٥).

٢: أنّ: وهي التي تنصبه الاسم وترفع الطير، كقوله تعالى قل إنّما يؤمن

(١) دلائل الإعجاز ص ٢٤٣، وما بعدها، وينظر نهاية الإعجاز ص ١٣٧ وما بعدها، والظرواح ص ٢٢٠.

(٢) الإياس: هو التصويت عند الطلب ليصير بين التلق والتلقا.

(٣) أي: الياس والصبر حريان.

(٤) القفاح: جمع قفح - بالكسر فيها - وهي الأزام التي يستعملون بها في المعاملة الخط.

(٥) دلائل الإعجاز ص ٢٥٠.

إلى أنما الحكم إله واحد (١) وقوله: «لإن لم يستجبوا لك فاعلم أنهم يبغون أهواءهم، ومن أفضل ممن أبع هواه بغير هدى من الله، إن الله لا يهدي القوم الظالمين» (٢).

والم يحد بعضهم وأن من الإكذابات لأن ما يعلها في حكم المفرد والتأكيد للقصود هو تأكيد النسبة لا المسند ولا المستد إليه ، ولكن ابن هشام يقول : «أن تكون حرف تأكيد لتصب الاسم وترفع الخبر ، والأصح أنها فرع عن «إن» المكسورة» (٣).

٣. كأن : وفيها التشبيه المؤكداً كانت بسيطة وإن كانت مركبة من كاف التشبيه و«أن» فهي متضمنة لأن فيها ماسبق وزيادة . كقوله تعالى : «وأصبح الذين آمنوا مكانه بالأمر يقولون «وي كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخرت بنا ، وي كأنه لا يخلق الكافرون» (٤) وقول بكر ابن الطماح :

تراهم ينظرون إلى المعالي كما نظرت إلى الشيب اللامع
يحدون العيون إلى شزراً كأنني في عيونهم سماح

٤. لكن : لتأكيد الجملة ، وقيل : لتأكيد مع الاستدراك ، وقيل : أنها لتأكيد دائماً مثل «أن» (٥) : ومنه قوله تعالى : «ذلك لأهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين» (٦) .

وقول النبي :
فلا تعجبا إن السيف كثيرة ولكن سيف النواة اليوم واحد

- (١) الأبيات ١٠٨ .
- (٢) النقص ٥٠ .
- (٣) معني الشيب ج ١ ص ٣٩ .
- (٤) النقص ٥٢ .
- (٥) معني الشيب ج ١ ص ٣٩١ ، والبرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ١٠٨ .
- (٦) النقص ٥٦ .

٥: لام الابتداء؛ وتفيد تأكيد مضمون الجملة، ولهذا زحقتوها في باب «إن» ومن صدر الجملة كراهية ابتداء الكلام بمؤكدين. ومنه قوله تعالى: «إن ربي السميع الدعاء» (١).

٦. الفصل: وهو من مؤكدات الجملة، وقد نص سيوريه على أنه يفيد التأكيد وقال في قوله تعالى: «إن شرني أنا أكل» منك مالا وولدا» (٢) «إن ضمير الفصل وأنا» وصف لبياء في «ترني» يزيد تأكيداً (٣).

٧. أمّا: وهي حرف شرط وتفصيل وتوكيد، ومنه قوله تعالى: «إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها، فأما الذين آمنوا فليطمئن أن الحق من ربهم، وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا» (٤).

ولكن ابن هشام قال: «وأما التوكيد فقل من ذكره ولم أر من أحكم شرحه غير فرمخشري فإنه قال: فائدة «أما» في الكلام أن تعطيه فضل توكيد تقول: «زيد ذاهب» فإذا قصدت توكيد ذلك وأنه لا محالة ذاهب وأنه يصعد الذهاب وأنه من عزمة قلت: «أما زيد فذاهب» ولذلك قال سيوريه في تفسيره: «مهما يكن من شيء فزيد ذاهب». وهذا التفسير مذكور في القاموسين كونه توكيداً، وأنه في معنى الشرط (٥) ومنه قول الشاعر:

ولم أرَ كالمعروفِ أما مضافٌ فحللوا وأماً وأجنهةً فجيبيلاً

٨. قل: وهي حرف تحقير، ومنه قوله تعالى: «ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم» (٦). وقوله: «قد أُلحِقَ المؤمنونَ الذين هم في صلاتهم خاشعون» (٧). وقول الفصح الكندي:

(١) إبراهيم ٢٩

(٢) الكهف ٢٩

(٣) الكتاب ج ١ ص ١٣٤، وينظر البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٤٠٩.

(٤) البقرة ٢٦

(٥) مني الرب ج ١ ص ٥٧

(٦) آل عمران ١٠١

(٧) المؤمنون ١-٢

بما ينشئ في الدين قومي وإنما
أشدُّ به مائد أخلوا وحببوا
ديوني في أشياء تكسبهم حسدا
تغور حقوق ما أطلوا لها شدا

٩ - السين : وهي حرف يختص بالفصاح ويخلصه للاستقبال - كقوله تعالى :
وأولئك سيرحيم الله ، (١) فالسين تفيد وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد
كما تؤكد الوعد في قوله : سأنضم ملك يوماء (٢) .
ومنه قول النبي :

سيعلم المجتمع من قسم جملة
باني غير من تعني به قدم
١٠ - القسم : وهو عند النحاة جملة يؤكد بها الخبر ، حتى أنهم جعلوا قوله
تعالى : والله يشهد إن المنافقين الكافرين ، (٣) ، قسما وإن كان فيه إخبار إلا أنه
لا جاء توكيدا للخبر سمي قسما (٤) :

والقسم أحرف هي : لاء والواو والهاء ، والباء هي الأصل لدفعها على كل قسم به .
ومنه قوله تعالى : والقضي والليل إذا سجا (٥) ، وقوله : هاتين والزيوت ،
وطور سين ، وهذا للبلد الأمين (٦) وقوله : وقالوا لله فضا تذكر يوسف
حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين ، (٧) ، وقوله : والله لأكيدن
أصلناكم بعد أن قولوا مدبرين (٨) .
ومنه قول ابن أبي ربيعة :

فوالله لا ادري وإن كنت طريا
بسع رمين البحر أم بسمان

(١) التوبة ٧١ .

(٢) مضي القريب ج ١ ص ١٣٤ ، والبرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ١١٨ .

(٣) المنافقون ١ .

(٤) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ١٠ .

(٥) القضي ١ - ٢ .

(٦) تين ١ - ٣ .

(٧) يوسف ٨٥ .

(٨) الأنبية ٥٧ .

١١ - لونا التوكيد : وهما الثقلة والخفيفة، ومن ذلك قوله تعالى: **هَوِّنْ لَمْ**
يَتَعَمَلْ مَالَهُ لِيَسْجَتَنَّ وليكونن^(١) من الصالحين (١)، وقوله: **وَلَتَسْكُنَنَّ**
بِالْأَصْبَاءِ (٢) ومنه قول الشاعر:

لأستسهلنَّ الصعبَ أو أتوك لتسي فما انقادت الامال الاصابير
١٢ - لن : يؤتى بها لتأكيد النفي، كقوله تعالى: **هولاً جاء موسى ليقاضيا**
وكتلمه ربه^(٣) قال: **رب أنظرني إليك**، قال: **لن تراني**، ولكن النظر إلى الجيكر
كان اسطر مكانه فسوف تراني^(٤) (٣) :
ومنه قول الطرماح :

لقد زادتني حبا لنفسي أنسي ببيض إلى كل امرئ غير طائل
وأني شقي بالانعام ولن تروى شقياً يوم الاكريم السائل
١٣ - الحروف الثلاثة : وهي كثيرة منها البدء كما في قوله تعالى: **هو ما أنا بظلام**
للعبيد^(٥) (٤) .

وقول معن بن أوس :
ولست بمشتر ماحييت لمنكر من الأمر لا يمشي إلى مشله مقل
و**أبين** كقوله تعالى: **وما نسقطُ** من ورقه إلا يعلمها^(٥) ، وقوله: **ومأثرى**
في حنكته الرحمن من خلوات^(٦) .
ومنها قول زهير :

ومهما تكن عند امرئ من خيلة وإن غالىها بظنى حل الناس تُعتمِر

(١) يوسف ٢٢ .

(٢) تعلق ١٥ .

(٣) الارواح ١٤٣ .

(٤) ن ٢٩ .

(٥) الانعام ٥٩ .

(٦) الملك ٣ .

١٤ - حروف التيه : ومنها أسماء حروف استفتاح وتكثر قبل النسم ، كقول أبي
صخر الهذلي :

أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمرُ
لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى

اليفين منها لا يروعهما الأنسفرُ
وأياء الاستفاحية ، كقوله تعالى : **أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُتَكِبُونَ** (١) ، وقوله :
أَلَا إِنَّ لَوْلِيَاءَ اللَّهِ لِأَخْرُفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢) :
ومنه قول المعري :

ألا في سينل الجسد ماأنا لساعلُ عفافٍ وإسلامٍ ومجدٍ ونائلُ

(١) البقرة ١٢ .

(٢) يونس ٦٢ .

للبحث الثاني

المراتب

الخبر فخرمان أصليان هما:

الأول: فائدة الخبر، ومعناه إفاضة الخطاب الحكيم الذي تضمنته الجملة أو الكلام، وهذا هو الأصل في كل خبر، لأن فائدته تقديم المعرفة أو العلم إلى الآخرين ومن تلك قوله تعالى: «الله نور السموات والأرض، من مثل نور كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار» نور على نور، يهدي الله لنوره من يشاء، ويتضرب الله الأمثال للناس، والله بكل شيء عليم (١). وقوله: «البارك الذي نزل القرآن على عبدك ليكون للعالمين تليماً، الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ وكناً ولم يكن له شرك في الملك، وخلق كل شيء فقدره تقدير». واتخذ من دونه آية لا يخطئون شيئا وهم يخطئون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يمتلكون شيئاً ولا حياة ولا شهواً (٢).

ومنه قول الشاعر:

فلا الجودُ يعني المالَ والجِدُّ مُقْبِلٌ ولا البخلُ يعني المالَ والجِدُّ مُدْبِرٌ
وقول أبي نواس:

فاكثر الكرخُ للزحُ الأوطان فصبا صبرةً ولات أوان
ليس لي مُعِدٌ بمصر على الشو في إلى أوجهٍ هناك يحسان

الثاني: لازم الفائدة، وهذا الفرض لا يقدم جديداً للخطاب وإنما يفيد أن المتكلم عالم بالهكم: ومن ذلك قولنا لصديق: «أراك محمد أس» فالخطاب يعلم ذلك

(١) التور ٣٥.

(٢) القرآن ١-٣.

ولكن الغرض من هذه الجملة اخباره أن المتحدث عارف بذلك : ومع قول النبي
مخاطباً سيف التولة الحمداني ومادحاً شجاعت وبطوته :

تسوس بك الخيلُ الوكورَ على الذرى وقد كثُرَتْ حول الوكور الطاعيم
وسيف التولة يعلم ذلك.
وقول أحد الشعراء معانيه :

ولفتابني في كسل نادٍ تحسَّله وترعم أقيّ لستُ كفاءً لفلانكا
ولكن الخير كثيراً ما يخرج على خلاف مقتضى الظاهر، يقول السكاكي : وهذا
م أم لك ترى للقلوب السحرة في هذا الفن يشنون الكلام لأهل مقتضى الظاهر
كثيراً (١).

ومن ذلك :

١ - أن يتزل غير السائل منزلة السائل إذا قدم إليه ما يلوح له بحكم الخير
فيستشف له استشراف المتردد الطالب، كقوله تعالى: ولا تخاطبني في الذين
ظلموا إنهم مُضْرَبُونَ (٢)، وقوله: وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة
بالسوئ (٣). قال القزويني : ووسلوك هذه الطريقة شعبة من البلاغة فيها دقة
وشعور، وروي عن الأصمعي أنه قال : كان أبو عمرو بن العلاء وحضف الأحمر
يأبيان بشراً فيسلمان عليه بغاية الاعظام ثم يقولان : يا أبا معاذ ما أحدثت؟ فيخبرهما
ويتشلهما ويكتبان عنه متواضعين له حتى يأتي وقت الزوال ثم ينصرفان ، فأبواه
يوماً قالوا : ما هذه القصيدة التي أحدثتها في ابن قتيبة؟ قال : هي التي بلغتكما :
قالا : بلغنا أنك أكثرت فيها من الغريب . قال : نعم ، ان ابن قتيبة يتناصر بالغريب ،
فلحيت أن أورد عليه ما لا يعرف : قالا : فأنشيدناها يا أبا معاذ ، فأنشدناها :
بكتيرا صاحبي قبل الهجير إن ذلك لتجاح في التكبير
حتى فرغ منها ، فقال له خلف : لو قلت يا أبا معاذ مكان إن ذلك لتجاح :

(١) مفتاح العلوم ص ١٨٢ ، ونظر الأضلع ص ١٩ .

(٢) سورة ٢٦ .

(٣) يوسف ٥٣ .

«بكرًا» فالنجاحُ كان أحسن، فقال بشار : إنما بينها أعرابية وحشية ، فقلت :
«إنَّ ذلك النجاح» كما يقول الأعراب البليويون ، ولو قلت : «بكرًا فالنجاح»
كان هذا من كلام اللولدين ، ولا يشبه ذلك الكلام ولا يدخل في معنى التصيد ،
فقام خلف فقبل بين عينيه :

فهل كان ماجري بين خلف وبشار يحضر من أبي عمرو بن العلاء - وهم من
فحولة هذا الفن - إلا اللطف المعنى في ذلك وعظما (١) :

٢ - أن يتزل غير المنكر إذا ظهر شيء عليه من أمارات الانكار ، ومنه قوله تعالى :
«ثم إنكم بعد ذلك لبيون» (٢) ، وقد أكد اثبات الموت تأكيدين - وإن كان
عما لا ينكر - لتزليل المخاطبين منزلة من يبالغ في انكار الموت لتساويهم في الغفلة
والإعراض عن العمل لما بعده ، ولهذا قيل : «ميتون» دون «موتون» ومنه قول
حجل بن نضلة :

جاء شقيقٌ عارضاً رمجاً إن بني عمك فيهم رماح
فإن مجيئه هكذا مدلاً بشجاعته قد وضع رمجاً عارضاً ، دليل على إعجاب شديد
منه واعتقاده أنه لا يتروم إليه من بني عمه أحد ، كأنهم كلهم عزول ليس مع أحد
منهم رماح .

٣ - أن يتزل المنكر منزلة غير المنكر ، إذا كان معه ما إن تأمله ارتدح عن الانكار ،
كما يقال لمنكر الإسلام : «الإسلام حق» ، وعليه قوله تعالى : «لا ريبَ فيه» (٣)
وقوله : «ثم إنكم يوم القيامة تُبعثون» (٤) . وقد أكد اثبات اليقظة تأكيداً واحداً
- وإن كان عما ينكر - لأنه لما كانت أدلته ظاهرة كان جديداً بأن لا ينكر .

(١) الإيضاح ص ١٩ ، ويظهر دلائل الاستدلال ص ٢١١ ، وعظما العلوم ص ٨٢ .

(٢) المؤمنون ١٥ .

(٣) البقرة ٢ .

(٤) المؤمنون ١٦ .

الأصل في الخير أن يلقى لغرضين هما : فائدة الخبر ، ولازم الفائدة ، غير أنه كثيراً ما يخرج على خلاف مقتضى الظاهر : ولكنه لا يقتصر على ذلك وإنما يخرج مجزئاً إلى الغراض كثيرة تفهم من السياق ولزائن الأحوال ، ومن ذلك :
 ١ - اظهار الضعف : ومنه قوله تعالى : **وقال رب إني وعنّ العظمُ مني واشتعل الرأسُ شيباً (١)** ، وقول الشاعر :

إنّ الثعابين - وبأغصانها - قد أحوجتني سمي إلى ترّجستان
 وقول أبي نواس :

دبّ في السقام مُكلاً ومُعلّواً ولزاني أموت عضواً لعضوا
 ٢ - الاضطرغام : ومنه قول إبراهيم بن المهدي غاطباً للمون :

أبتُ جُرماً شيباً وأنت لعضو أهل
 فان عضرت فمنّ وإن قتلت فتبدل
 وقول الآخر :

لما لي حيلةٌ إلا وجائي لعضولاً إن عضرت وحين طنّي
 ٣ - تحريك اللفظة : ومنه قوله تعالى : **« الذين أحسنوا الحسنَى وزيادة » (٢)**
 ٤ - اظهار التحصر : ومنه قول أعرابي يروي والده :

وأما دعوتُ الصبرِ بملكِ والأسي أجاب الأسي طوعاً ولم يجيب الصبرُ
 وقول المتنبي :

أجست بأرضٍ مصرّ فلا ورائي نخبٌ بي الركبُ ولا أمانِي
 وقوله في الرثاء :

لحزّونٍ يفتنّ والتجملُ يردع والقلبُ بينهما عصي طبعُ
 يتزعجان صرعَ عينٍ سهلٍ هلا يحيي بها وهلا يترجيعُ

(١) مريم ٤
 (٢) يونس ٢٦

٥- المدح : ومنه قول النابغة الذبياني

لذلك شمسُ والملكُ كواكبُ

إذا طلعت لم يبدُ منهن كوكبُ

٦- الفخر : ومنه قول عمرو بن كلثوم

إذا بلغ الطعامُ لنا ضجياً

وقول أبي فراس الحمداني :

نخرَ له الجيبرُ ماجيداً

إنما إذا اشتدَ الزمناً

أنيت حبول بيوتنا

لنا العدا يبيض للبهو

هذا وهذا دأبنا

وقول الشريف الرضي :

نُ وصاب غطبُ وادهمُ

عُكدةُ الشجاعة والكُرمُ

ف ، ولتندى حمر النعمُ

يُودي دمُ ويُسراقُ دمُ

غير لعل مني القتلُ والتجنبُ

وقول فلا الإلخانُ نأسر عزمي

ولا أنوف القحشاة إلا بوعصفها

ولولا العلى ما كنت في العيش أزعبُ

ولا تكسر الصهباءُ بي حين أشربُ

ولا أنطقُ العوراة والقلبُ مغضبُ

٧- التوبيخ : ومن ذلك قولنا لتارك الصلاة : « الصلاة ركن من أركان الإسلام » .

٨- التحليل : ومنه قول النبي - صل الله عليه وسلم - : « أبيضُ الخلالِ إلى الله الطلاق » .

٩- الأمر : ومنه قوله تعالى : « والطلاقُ يترتب عن (١) بقوله : « والراياتُ

يُرتفعن » (٢) ، فإن السياق يدل على أن الله تعالى أمر بذلك لأنه خير :

١٠- النهي : ومنه قوله تعالى : « الآيةُ إلا المطهرون » (٣) :

(١) البقرة ٢٢٨ .

(٢) البقرة ٢٢٣ .

(٣) الواقعة ٧٩ .

- ١١ - الرعد : ومنه قوله تعالى : مُسْتَرْجِمِينَ كَاتِبِينَ فِي الْأَعْلَاقِ (١) :
- ١٢ - الرعد : ومنه قوله تعالى : وَسَيَعْلَمَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (٢).
- ١٣ - الدعاء : ومنه قوله تعالى : إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُهُ وَإِيَّاكَ نَعْتَمِدُ وإياك نعتمد (٣) ، أي: أعنتنا على عبادتك : وقولنا : عفا الله عنه :
- ١٤ - الإنكار والتكذيب : ومنه قوله تعالى : وَذِيْ إِنْكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤) :
- ١٥ - النسي : ومنه قولنا : وردتلك عتلاء :
- ١٦ - الإنكار : ومنه : مأله علي حن .
- ١٧ - الضي : ومنه : ولأبأس عليك .
- ١٨ - التعظيم : ومنه : سبحان الله :
- وربما كان اللفظ غيرا والمعنى شرطاً وجزاء ، كقوله تعالى : وَأَنَا كَاشِفُ الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (٥) ، فظاهره غير ، والمعنى أنا إن تكشف عنكم العذاب تعودوا ، ومنه قوله : والطلاقُ مرتان (٦) ، والمعنى : من طلق امرأته مرتين فليسكنها بعدها بمعروف أو يسرحها بإحسان (٧) :

(١) فصلت ٥٣ .

(٢) الشعراء ٢٢٧ .

(٣) القانتة ٥ .

(٤) الدعاء ٢٩ .

(٥) الدعاء ١٥ .

(٦) البقرة ٢٢٩ .

(٧) انظر أمراض النحر للجاذية في الصالحين لابن فارس ص ١٧٩ ، والبرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٢٢٠ .

الفصل الثالث

الإنشاء

المبحث الأول

الأمر والنهي

الإنشاء :

الإنشاء كل كلام لا يحتمل الصدق والكذب لذاته لانه ليس لمذلول لفظه قبل التعلق به واقع خارجي يعاقبه أو لا يعاقبه ، وهذا ما اعتمد عليه القدماء حينما فصلوا بين الخبر والإنشاء فقال القزويني : « ووجه الحصر أن الكلام إما خبر أو إنشاء ، لانه إما أن يكون لتبعية مخرج تعاقبه أولاً تعاقبه ، أولاً يكون لها مخرج ، الأول للخبر ، والثاني للإنشاء (١) .

أقسامه :

والإنشاء قسمان :

الأول : الإنشاء الطلبي ، وهو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل في وقت الطلب ، وهو خمسة أنواع : الأمر ، والنهي ، والأستصمام ، والتمني ، والنداء .

الثاني : الإنشاء غير الطلبي : وهو ما لا يستدعي مطلوباً ، وله أساليب مختلفة منها :

١ - صيغ المدح والتمن : ومنها « نعم وبنس » كقوله تعالى : « إِنَّ تَبِعُوا السُّلُطَنَاتِ فَسَمَّاهِي وَإِنْ تَخَلَّوْهَا وَاللَّوْهَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ غَيْرُكُمْ وَيُكْفَرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاقْتَبَا بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرًا » (٢) ، وقوله : « وَلِدَارُ الْأَعْرَابِ لَعِينٌ وَالنَّعَمُ دَارُ الْقَبْرِ » (٣) ، وقوله : « يَدْعُو كَنْ خُسْرَهُ أَقْرَبُ مِنْ نَعْمِهِ لَيْسَ لِلرَّوْثِ وَبِشِ الْعَشِيرِ » (٤) .

وقول زهير في مدح هرم بن سنان :

نعم امرأً هرمٌ لم تَعُرْ نالِيَةً
إلا وكان لسرواع لها وذرّاً

ومنها : « حيلنا ولا حيلنا » كقول جرير :

(١) الإيضاح ص ١٣ .

(٢) البقرة ٢٧١ .

(٣) فصل ٣٠ .

(٤) الحج ١٣ .

ياحدا جبل الرومان من جبل وحيدا ماكن الرومان من ك
 وحيدا فمحات من معانية لأتوك من نيل الرومان أحيا
 ومنها الأفعال المحولة إلى الفعل مثل: «كثرت كلمة كخرج من أفواههم» (١)،
 ٢ - العجيب: وله صيغتان قياسيان هما: «ما قلناه» كقولنا تعالى: «فأقبل
 الإنسان ما كلفه» (٢) «وقوله: «لما أصبرتهم على الشراء» (٣). وقول الشاعر:
 فما أكثر الإخوان حين ندمهم ولكنهم في الثابت قيسل
 وقول الآخر:

بقي تلك الأرض ما طيبة الربى وما أحسن المصطفى والقرى
 وأقبل به كقولنا: «أشجع يوم وأبصر يوم بأثرتاه» (٤) وبأى سماعة
 كقولهم: «لله ذرة حلاء».

٣ - القسم: ويكون بالواو والياء والياء، كقوله تعالى: «والضحى، والليل
 إذا سجاء» (٥) وقوله: «تأقر للذاتك الله علينا» (٦). وقولنا: «أقسم بالله
 التي يرى».

ومن صيغ القسم التي تأتي كثيرا «لعمر» كقوله تعالى: «لعمرك إنهم لفي
 سكرانهم يعمهون» (٧).
 وقول الشاعر:

لعمرك ما أمرى واني كأوجيل على أينا نعدو الية لول
 ٤ - الرجاء: وهو طلب حصول أمر محبوب قريب الوقوع. والحرف الموضوع
 له «لعل» كقوله تعالى: «ولعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به

(١) الكهف ٥.

(٢) عبس ١٧.

(٣) البقرة ١٧٥.

(٤) مريم ٣٨.

(٥) الضحى ١-٢.

(٦) يوسف ٩١.

(٧) الحجر ٧٢.

صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كتورا أو جاء معه ملكك ، إنما أنت نذير ، والله
على كل شيء وكيل (١) .
وقول ذي الرمة :

لعل الخنار للبع بعقيب راحة من الوجد أو بشفي نحي البلبلو (٢)
أما الأفعال التي تستعمل في هذا الأسلوب فهي : أوصى ، كقولته تعالى : أوصى
الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده (٣) ، وقول الشاعر
صلى الكرب الذي أسبت فيه يكون وراده قرح قريب
وأخرى مثل : أخرى محمداً أن يقوم ،
وأخلاقه مثل : وأخلاقك السماء أن تطره ،
وتسمى هذه الثلاثة بأفعال الرجاء .

٥ - صيغ العقود : مثل : بيعت ، واشتريت ، ووهبت ، وهبلت .

وهذه أساليب غير ، لكنها لا يراد بها الأخبار لأنها لا تحتمل الصدق والكذب ،
ولذلك لم توضع مع الخبر ، ولا يتم البلاغيون بهذه الأساليب الإنشائية لغة الأعراس
المتعلقة بها ، ولأن معظمها أخبار نقلت من معانيها الأصلية . أما الإنشاء الذي يعنون
به فهو العظي لما فيه من تفنن في القول والخروج عن أغراضه الحقيقية إلى أغراض
مجازية تفهم من سياق الكلام .

وأساليب الإنشاء العظي خمسة هي : الأمر والنهي والاستفهام والتسني والتسام
الأمر :

وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والالزام ، أو كما قال القلوي :

(١) مورد ١٢ .

(٢) البطل : جمع بلبال ، وهو الهم

(٣) مورد ٥٢ .

وهو صيغة تستدعي الفعل، أو قول النبي عن استعمال الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء : (١) : وله أربع صيغ هي :

١ - فعل الأمر : كقوله تعالى : « وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ » (٢) ، وقول الخطيبه :

«عِ الْمَكَارِمَ لِأَنْ تَرْحَلَ بِسُغَيْبِهَا وَالْعَدُوَّ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي»
٢ - المضارع المقرون بلام الأمر : كقوله تعالى : «الْيُسْتَفْرَقُ» فوسعة من سعة (٣) ، وقول أبي تمام :

«كُنَّا ظِلِيلٌ الْخَطْبُ وَيُنْدَحِ الْأَمْرُ»
فليس لعين لم يتفيس ماؤها عذر
٣ - اسم فعل الأمر : كقوله تعالى : «عَلَيْكُمْ أَنْتُمْكُمْ لَا يُبْصِرْكُمْ مِنْ فَضْلِ»
إذا اعتديتم ، (٤) أي : الزموا أنفسكم :

ومنه «صه» بمعنى «سكت» ، ومنه «كف» بمعنى «أكف» ، و«أعين» بمعنى «استجب»
و«بده» بمعنى «دع» ، و«روبده» بمعنى «امهله» ، و«أزال» بمعنى «أزل» ، و«أرك»
بمعنى «أترك» :

٤ - المصدر النائب عن فعل الأمر : كقوله تعالى : «وَالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا» (٥)
وقول قطري بن النعمان :

فصبرا في مجال الموت صبيرا لما قيل الخلود بمسطاع
وقد يخرج الأمر عن معناه الأصلي : - وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء
والإتزام إلى معانٍ أخرى تفهم من سياق الكلام ، ومن هذه الأعراف المجازية :
١ - الدعاه : وهو التطلب على سبيل التضرع ، كقوله تعالى : « رَبُّ الْغَفْرِ لِي

(١) الطراز ج ٣ ص ٢٨١ .

(٢) انور ٥٦ .

(٣) الطلاق ٧ .

(٤) القائل ١٠٥ .

(٥) البقرة ٨٣ .

ولو الذي (١) . ويسيه ابن فارس والاسامة (٢) : ومنه قوله تعالى : وربنا
 إنا سمعنا صاويقناذي للامان أن آمنوا بربكم فامتنوا ، وربنا قاطر لنا ذنوبنا
 وكثرنا حسباً وآتوا مع الأبرار (٣) . وقوله : «اهدنا الصراط المستقيم» (٤) .
 ومن قول المتنبي :

أزل حسد الحساد عني بكيهم
 قالت لذي صبرهم لي حسداً

٢ - الأتماس : وهو الطلب الصادر عن المتساوين لثراً ومتزلةً على سبيل
 التلطف كقول ابن زيدون :

دومي على العهد ما دنا عاففةً
 فالحر من دان اتصالاً كما دبنا

٣ - التمني : وهو الطلب الذي لا يرجى وقوعه ، كقول عنزة :

يا دار عبلة بالهواء تكلمسي
 وعيني صباحاً دار عبلة واسلمي
 وقول امرئ القيس :

ألا أيها الليل تطويل إلا الجلي
 بقول المعري :

فيا موت زُر إن الحياة ذبيحة
 وبالضئ جدتي إن دهرتك حلزول
 وقول ابن زيدون :

ويا نسيم الصبا بلغ نحيبنا
 من لو على البعد حيناً كان يحمينا

٤ - التصح والآرشاد : وهو الطلب الذي لا إزام فيه وإنما للتصيحة الخالصة
 كقوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا إذا تدابرتهم فدين ال أجليكم مسمىً فاكثروه وليكتب
 بينكم كتاباً بالعدك» (٥) . وقوله : «واشهدوا شهدين من رجالكم» (٦) .
 وقول المتنبي في مدح سيف الدولة :

- (١) لروح ٢٤٠ .
- (٢) الصامسي ١٨٤ .
- (٣) آل عمران ١٩٣ .
- (٤) القاسم ١٠٠ .
- (٥) البقرة ٢٨٢ .
- (٦) البقرة ٢٨٢ .

كفا فلتبَسَّر من طلب الاعادي ومثل سراك فليكن الطسلاب
 ٥ - التغيير : وهو الطلب بان يختار المخاطب بين أمرين أو أكثر ، كقولك بشار :
 قمش واحداً أو وصل أهلك فانه مغاير ذنب مرة وبجانبه
 ٦ - الأباحة : كقولك تعالى : «وَكُلُوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض
 من الخيط الأسود من الفجر» (١) : وقال القزويني : ومن احسن ما جاء فيه
 قول كثير :

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومةٌ لدينا ، ولا مقلبةٌ إنْ نقلت (٢)
 أي : لا أنت ملومة ولا مقلبة .

ووجه حبه اظهار الرضا بوقوف الداخل تحت لفظ الامر حتى كأنه مطلوب أي
 مهما اعتوت في حقي من الاساءة والاحسان ، فأنا راضٍ به غاية الرضا فعاينني
 بها ، وانظري هل تفاوتت، حالي معك في الحالين » (٣) .

٧ - التعجيز : وهو الطلب بما لا يقدر عليه للمخاطب كقولك تعالى : «يا مشر
 ألحن والانس إن استطعتم ان تنفدوا من أنظر السموات والأرض فأنفدوا
 لانفدوا ولا سلطان» (٤) ، ولولاه : «وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا
 فلنرسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين» (٥)
 وقول الشاعر :

أروني بخيلا طال حُمرأ بيخله وعائوا كريباً مات من كثرة البكاه
 ٨ - التهديد : كقولك تعالى : «اعملوا ما تشتمون إنه بما تعملون بصير» (٦) وقوله :

(١) البقرة ١٨٧ .

(٢) مقلبة مكرهة بنقله قلت : تكومت وينقلت

(٣) الأبخاح ص ١٤٢ .

(٤) الرحمن ٢٢ .

(٥) البقرة ٢٣ .

(٦) فصلت ٤٠ .

قال تمشعوا فإن مصيركم إلى النار (١) .
ومع قول الشاعر :

إذا لم تخلص عاقبة الليالي ولم تستحيي فاصبح ماشاء
٩- الصوفة: كقوله تعالى: «فاصبروا أو لا تصبروا» (٢)، ومع قول النبي:
«عشوا حزراً أو مستاً وأنت كريم» بين طعن الثنا وعقوق البنود
١٠- الأهلق: كقوله تعالى: «أذى إلك أنت العزيز الكريم» (٣)، وقوله:
«كولوا حجارة أو حديد» (٤) .

١١- الصغير: كقوله تعالى: «كذّبوا فرناً حاسين» (٥) وبسبه ابن فارس
والكوزي (٦) .

١٢- الاحتظار: كقوله تعالى: «أأنتوا ما كنتم تكفون» (٧)، ومعهم بجمع
الأهالك والاحتظار في غرض واحد.

١٣- الصليم: كقوله تعالى: «فانظروا ما أتت قاصروا» (٨)

١٤- التلب: كقوله تعالى: «فانتشروا في الأرض» (٩)

١٥- العجب: كقوله تعالى: «أستعجب بهم وأينصروا» (١٠)، ومع قول كعب
ابن زهير :

أحسب بها علة لو أنها عدلت موهودتها ولو أن أفضح مقبول

(١) إبراهيم ٣٠.

(٢) الطور ١٦.

(٣) الشعان ٤٩.

(٤) الأبرار ٥٠.

(٥) الأعراف ١٦٦، حاسين: مبدئين مطردتين لا يسبح لهنم بالقرب من اليأس.

(٦) الصحاح ص ١٨٥.

(٧) يونس ٥٠، أو الشعراء ٤٣.

(٨) طه ٧١.

(٩) الجمعة ١٠.

(١٠) مريم ٥٨.

١٦ - التلخيص والتحرر : كقولہ تعالیٰ : «قُلْ مُؤْمِنُوا بِعَيْتِكُمْ» (١) ومث قول
جرير :

مؤمنوا بمن للفظ ضماً في جريرتكم ان لفظوا بطن وادى دونه مُضَمٌّ
١٧ - الوجوب : وذلك أن يكون أمراً وهو واجب كقولہ تعالیٰ : «وَأْتُوا
لِلصَّلَاةِ وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَبُوا مَعَ الرَّاكِبِينَ» (٢).

١٨ - الخبر : ويكون أمراً وللمنى خبر كقولہ تعالیٰ : «وَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً
وَلْيَبْكُوا كَثِيراً» (٣). وللمنى : انهم سيضحكون قليلاً ويكون كثيراً.

١٩ - الامتنان : كقولہ تعالیٰ : «وَلِكُلِّوا مَا رَزَقْنَاكُمْ اللَّهُ (٤) ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ نَسَمٌ
من الإباحة لكن مع امتنان.

٢٠ - الإكرام : مثل قوله تعالیٰ : «وَأَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ» (٥) ، وهو من الإباحة أيضاً.

٢١ - التكوين : كقولہ تعالیٰ : «كُنْ فَيَكُونُ» (٦) ، وهو قريب من التخيير ،
إلا أن هذا أهم.

٢٢ - التضييق كقولہ تعالیٰ : «وَاللَّعْنَةُ مَاءَتِ قَالِيهِ» (٧)

٢٣ - التكذيب : كقولہ تعالیٰ : «قُلْ فَأْتُوا بِالْبُرَاهِ فَإِنَّكُمُوهَا» (٨) وقوله : «قُلْ
هَكُمُ شُهَدَاءُ كَمُ الَّذِينَ يُشْهَدُونَ أَنْ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا» (٩) :

٢٤ - اللقوة : كقولہ تعالیٰ : «وَمَا نَقُرُّ مَاذَا تَرَى» (١٠) .

(١) آل عمران ١١٩ .

(٢) البقرة ٤٣ .

(٣) التوبة ٨٢ .

(٤) النمل ١١٤ .

(٥) الخبر ٤٦ .

(٦) البقرة ١٧٧ ، وغيره .

(٧) طه ٥٢ .

(٨) آل عمران ٩٣ .

(٩) الانعام ١٥٠ .

(١٠) الصافات ١٠٢ .

٢٥ - الاختيار: كقولهم تعالى: وانظروا إلى ثمرته إذا أنتموه (١). ويرى السبكي أن في غالب هذه للعاني نظراً (٢).

التهي:

هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والالزام. ويتفق مع الأمر في ١. أن يكون كل واحد منهما لا بد فيه من اعتبار الاستعلاء.

٢. أنهما يتعلقان بالغير، فلا يمكن أن يكون الإنساناً آمراً لنفسه أو ناهياً لها.

٣. أنهما لا بد من اعتبار حال فاعلهما في كونه مريداً لهما. ومختلفان في:

١- أن كل واحد منهما مختص بصيغة تخالف الآخر.

٢- أن الأمر حال على الطلب، والتهي حال على المنع.

٣- أن الأمر لا بد فيه من ارادة مأمورة، وأن التهي لا بد فيه من كراهية منهية (٣).

والتهي صيغة واحدة هي المضارع القرون بدلاء الناهية الجازمة، كقوله تعالى:

فَإِن تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا (٤).

وقد تخرج هذه الصيغة إلى معانٍ مجازية كثيرة منها:

١. الدعاه: ويكون صاعراً من الأدنى إلى الأعلى، كقوله تعالى: هربنا

لأننا أخذنا إن نسيتنا أو أغضبتنا، ربنا ولا تحمّل علينا إسرأه (٥) وقوله:

هربنا لأنزع قلوبنا بعد إذ هديتنا (٦).

وقوله كعب بن زهير:

لأنأخذتني بأقوال الوشاة ولم أذنب ولو كثرت في الأقاويل

٢. الاتعاص: ويكون صاعراً من أخ إلى أخيه أو صديق إلى صديقه، كقوله

(١) الانعام ٩٩.

(٢) نظر هذه الأمراض في الصامعي ص ١٨٤ ومفاتيح العلوم ص ١٥٥، والابتليح

ص ١٤٢، وشروح المفردات ج ٢ ص ٣١٣.

(٣) الطراز ج ٣ ص ٢٨٥.

(٤) المصبرات ١٢.

(٥) البقرة ٢٨٦.

(٦) آل عمران ٨.

تعالى على لسان هارون يخاطب أخاه موسى : وقال : يَا أَبْنَـمَ لَا تَأْخُذْهُ بِهِ غَنِي
وَلَا بَرَأْسِي (١) .

وقول للمري :

لَا تَطْرُقُوا السَّرَّ عَنِّي يَوْمَ نَائِبَةٍ فَإِنَّ ذَلِكَ ذَنْبٌ غَيْرُ مُغْفَرٍ
التعني : ويكون التي مرجعها الى مالا يعقل ، كقول الخشاء :

أصْبِي جُودًا وَلَا تَجْمُدْ .
الأتبكيان لسطر التلدي

٤. التصح : كقولته تعالى : وَلَا يَأْتِ كِتَابَ أَنْ يُكْتَبَ كَمَا حَلَّمَهُ اللَّهُ (٢) .
وكقول الشاعر :

لَا تَحْكِيْفَنَّ عَلَيَّ حَيْدِي وَلَا كَذِبٍ فَمَا بَعْدَكَ إِلَّا الْأَثَمُ الْحَكِيْفُ

٥. التهديد : كقولنا لمن لا يمتثل للأمر : الْأَمْتَلُ أَمْرِي .

٦. التوبيخ : كقول الشاعر :

لَا تَنْهَ عَنِّ عَمَلِي وَأَنْبِيْ مِثْلَهُ حَزُّ عَيْبِكَ إِذَا فَعَلْتَ عَطِيْمُ

٧. التحقير : كقول الخطيب :

دَعْ لِلْكَوَاكِبِ لِأَتْرَحَلِ لِيَجِيْهَا وَالْعَدُ فَالِكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

وقول المتنبي :

لَا تَشْرِبِ الْعَيْدَ إِلَّا وَالْعَصَا مَعَهُ إِنَّ الْعَيْدَ لِأَجْهَسُ مَا كَيْدُ

٨. التيسير : ومنه قوله تعالى : لَا تَعْظَمُوا لَمَّا كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ (٣) وقول
المتنبي في مدح سيف الدولة :

لَا تَطْلُبِ كَرِيْمًا بَعْدَ رُوَيْسِهِ إِنَّ الْكِرَامَ بِأَسْحَابِهِمْ بِأَيِّ حُسْبُوَا

٩. بيان العاقبة : كقولته تعالى : وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ خَافِلًا (٤) ، أي عاقبة
الظلم للعداب لا الظلمة (٥)

(١) ص ٩٤ .

(٢) البقرة ٢٨٢ .

(٣) التوبة ٦٦ .

(٤) إبراهيم ٥٢ .

(٥) تنظر هذه الألفاظ الجزئية في ملتحاح العلوم ص ١٥٢ ، والأبصاح ص ١٦٥ .

وشروح التلخيص ج ٢ ص ٢٢٥ .

البحث الثاني

الاستفهام

الاستفهام طلب العلم بشئ لم يكن معلوما من قبل ، وهو الاستخبار ، الذي قالوا فيه انه طلب غير ما ليس عندك أي طلب الفهم ، ومنهم من فرق بينهما وقال ان الاستخبار ما سبق أولا ولم يفهم حق الفهم ، فاذا سألت عنه ثانيا كان استفهاما (١) ولكن السمعيل في الدراسات البلاغية مصطلح «الاستفهام» وللإستفهام أدوات كثيرة وهي نوعان :

الأول : حرفان ، وهما الهمزة وهل : وتستعمل الهمزة لطلب التصديق وهو ادراك النسبة أي تعيينها مثل : «أقام محمد ؟» الجواب يكون عنها به نعم ، أو لا ، والتصوير وهو ادراك الفرد أي تعيينه مثل : «أقام محمد أم قعد ؟» والجواب عنها يكون بتحديد الفرد :

أما وهل ، فلا يطلب بها غير التصديق مثل :

هل قام محمد ؟ ، والجواب عنها يكون به نعم ، أو لا :

الثاني : أسماء ، ولا يطلب بها إلا التصور ، وهي :

١. ما : يطلب بها شرح الشئ ، مثل : «ما البلاغة ؟» :

٢. من : لسؤال عن الجنس مثل : «من هذا ؟» :

٣. أي : للسؤال عما يميز احد النشاركين في أمر يعتمدا ، مثل : «أي الثياب عندك ؟» :

٤. كم : لسؤال عن العدد ، مثل : «كم كتابا عندك ؟» :

٥. كيف : لسؤال عن الحال ، مثل : «كيف محمد ؟» :

٦. أين : لسؤال عن المكان ، مثل : «أين كنت ؟» :

(١) الصائسي ص ١٨١ ، والبزركان في علوم القرآن ج ١ ص ٢٢٦ .

٧. أنى : تستعمل عادة بمعنى : وكيف ، كقوله تعالى : « أنى يحيى هذه الله بعدت موتها » (١) .

واللغة بمعنى « من أين » كقوله تعالى : « يا مريم أنى لك هذا ؟ » (٢) ،
واللغة بمعنى « متى » ، مثل : « أنى تسافر ؟ » .

٨. متى : للسؤال عن الزمان ، مثل : « متى جئت ؟ » .

٩. أياناً : للسؤال عن الزمان ، كقوله تعالى : « ويسأل أياناً يوم القيامة؟ » (٣)
وقوله : « ويسألون أياناً يوم الدين » (٤)

والكناية الاستفهام قد يخرج عن معانيه الأصلية إلى معانٍ كثيرة منها :

١. انظي : كقوله تعالى : « هل جزاء الإحسان إلا الإحسان » (٥) ،
وقول البحري :

هل الشعر إلا شعرةٌ وانحلاهما وشيكاً وإلا ضيفةٌ وانفراجها

٢. التعجب : كقوله تعالى « هل لسان سليمان - عليه السلام - :

« هل لا أرى الهدى هدًى؟ » (٦) وقوله : « ما هذا الرسول يا كليلُ
الطعام وعشي في الأسواق » (٧)

وقول النبي :

« أنت الدهر عندي كليلٌ بنيت فكيف وصلت أنت من الزحام؟ »

(١) البقرة : ٢٥٩ .

(٢) آل عمران : ٣٧ .

(٣) البقرة : ٦ .

(٤) البقرة : ١٢ .

(٥) الرحمن : ٦٠ .

(٦) النمل : ٢٠ .

(٧) الفرقان : ٧ .

٣. المعنى : كقولك تعال : وهبل لنا من شعامة فيشفعوا لنا؟ (١)

وقول النبي :

أيدي الربيع أي دم أراقنا وأي قلوب هذا الركب شاقنا

٤. التفسير : كقولك تعال : ألم يتجددك بنهما أقوى، ووجدك ضالاً فهدي، (٢) :

وقوله : ألم تشرح لك صدرك؟ ووضعنا عنك وزركه (٣) ، وقوله : ألم يعمل

كيدهم في تضليل؟ (٤) .

وقول ابن الرومي :

أنت الرمة نجبي كل حمة حمة إذا سام يكن للحمير جاب

٥. التفسير : كقول النبي في الرثاء :

من للمحافل والمحافل والسرى قدت بنفسك تيسراً لا يطلع

ومن اتضلت على الضيوف خليفة ضاعوا ومثلك لا يكاد يطبع

وقول الآخر :

أضاعوني وأي نفس أضاعوا ليوم كرهته وسداد تغسرو؟

٦. التفسير : كقولك تعال على لسان الكفار : وأهلنا الذي يموت الله رسولاً، (٥) .

وقول الشاعر :

قد دع الوعيد فما وجدك ضالري أظنين أجنحة الذباب بتضير؟

٧. الأضطواء : كقولك تعال : احنى يقول الرسول والذين آمنوا معاً متى

تصر أفا؟ (٦) .

(١) الأعراف ٥٣ .

(٢) القس ١ - ٧ .

(٣) الأنشراح ١ - ٤ .

(٤) القول ٢ .

(٥) القدرتان ١١٠ .

(٦) القيرة ٢١٤ .

وقول الشاعر :

حتى من أنت في النهي وفي الحب والثوب تحرك يتهوي فافراً فساء
٨ - الاستبعاد: كقوله تعالى : «أنتى لهم الذكري وقد جامعهم رسول مبين »
ثم تولوا عنه ، وقالوا : «مطمّحون؟» (١) أي يستبعد ذلك منهم بعد أن جامعهم
لرسول ثم تولوا عنه .
وقول أبي تمام :

من لي بإنسان إذا أفضيته وجهت كان الخلم ردّ جوابه ؟
وقول المتنبي :

وما قتل الأحرار كالعفو عنهم ومن لك بالحرّ الذي يحفظ اليد ؟
٩ - الانكسار : وهو على وجهين :

١ - أمّا التوبيخ ، بمعنى ما كان ينبغي أن يكون ، مثل : «أعصيت ربك ؟ »
٢ - وإمّا للتكذيب بمعنى ولم يكن ، كقوله تعالى : «أفأصفاكم ربكم
بالبين واتخذ من الألائكة؟» (٢) ، وقوله : «اصطفى البنايت على البين ؟» (٣)
أو بمعنى «لا يكون» كقوله تعالى : «أأنزلن مكموها وأنتم لها كارهون؟» (٤)
وعليه بيت امرئ القيس :

أيفلني والشرفي مضاجعي ومستونة زُرقي كآبابِ أخوال ؟
وقول الآخر :

أترك إن قلت دراهمُ خالد زيارته ؟ إني إذنٌ لتسيم
١٠ - التهكم : كقوله تعالى : «أصلاّك أترك أن تترك ما يعبد آباؤنا لو أن
تفعل في أمواتنا ما نشاء ؟» (٥) :

- (١) الدخان ١٣ - ١٤ .
- (٢) الأحرار ٤٠ .
- (٣) الصفات ١٥٣ .
- (٤) هود ٥٨ .
- (٥) هود ٨٧ .

وقول النبي :

أني كل يوم ذا القسطن قادمٌ فناء على الأقدام لوجه لائمٍ
١١ - الصوية: كقوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنزِلَتْهُمْ أَمْ لَمْ تُنزَلْ لَهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ» (١) ، وقوله : « وَإِنْ أُنزِلَ أَقْرَبُ أَمْ يَمِيدَ مَا تُوعَدُونَ ؟ » (٢) :
وقول النبي :

ولست أبالي بعد إدراكي المصلي أكان ترائفاً ما تناولت أم كسباً
١٢ - الوحيد : كقوله تعالى: «أَلَمْ تُهْلِكِ الْوَالَيْنَ ؟ » (٣) :

١٣ - التهويل : كقوله تعالى: «وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ؛
مَنْ فَرَحُونَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُرْسَلِينَ» (٤) ، بلفظ الاستفهام وهي قرادة ابن عباس
- رضي الله عنهما - . لما وصف الله تعالى العذاب بأنه مهين لشدة وقظاعة شأنه
أراد أن يصور كنهه فقال : «مَنْ فَرَحُونَ؟» أي أتخفون من هو في قرط عتوه
وتجبره؟ ما ظنكم بعذاب يكون هو العذاب به ؟ .

١٤ - التنبيه: كقوله تعالى: «فَأَيْنَ تُلْجُونَ؟» (٥) ، وقوله: «أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ
مَدَّ الظِّلَّ؟» (٦) ، وقوله: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الثَّيْلِ؟» (٧) ، وقوله:
« أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً؟ » (٨) :
١٥ - التشويق : كقوله تعالى : «وَالْبِئْسَ الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدْرَأَكُمْ عَلَى تَجَارَةٍ مُنْجِيكُمْ
مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ؟ تَكُومُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَنَجَاهَدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ،
فَالَكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» (٩) ، وقوله : « قال : يا آدمُ هل أدركتُ

(١) البقرة : ٦ .

(٢) الأنبياء : ١٠٩ .

(٣) المرسلات : ١٦ .

(٤) النحل : ٣٠ - ٣١ .

(٥) التكاوير : ٢٦ .

(٦) الفرقان : ٤٥ .

(٧) التيول : ١ .

(٨) الحج : ٦٢ .

(٩) الصف : ١٠ - ١١ .

عل شجرة الخلد ومثلك لا يبل؟ (١)

١٦ - الأمر : كقوله تعالى: «فهل أنتم مسلمون؟» (٢) وقوله: «فهل أنتم متبهون؟» (٣) وقوله: «وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله؟» (٤).

١٧ - النهي : كقوله تعالى: «ما تركت بركك الكريم؟» (٥) وقوله: «التخشونهم لله؟ أم أن تخشوه؟» (٦) بدليل قوله: «فلا تخشوا الناس» (٧).

١٨ - العرض : كقوله تعالى: «ألا تحبون أن يغفر الله لكم؟» (٨) وقوله تعالى: «ألا تقاتلون قوماً نكروا أيمانهم؟» (٩).

١٩ - التحضيض : كقوله تعالى: «ألم أنت القوم الظالمين - قوم فرعون - ألا يتفكرون؟» (١٠) أي : انتهم وامرهم بالانفناء .

٢٠ - التضعيف : كقوله تعالى: «ما قلنا الكتاب إلا قديمًا صغيرًا ولا كبيرًا؟» (١١).

٢١ - التوكيد : كقوله تعالى: «ألم أنت فلان من الناس اتخلفوني وأمي يلين من دون الله؟» (١٢).

٢٢ - الأرشاد : كقوله تعالى: «ألم يجعل فيها من يفسد فيها؟» (١٣).

٢٣ - الإلهام : كقوله تعالى: «وما تلك بيمينك؟» (١٤).

(١) طه - ١٤٠.

(٢) حود - ١٤.

(٣) البقرة - ١٧١.

(٤) النساء - ٧٥.

(٥) الانشقاق - ٩.

(٦) التوبة - ١٣.

(٧) المائدة - ١٤.

(٨) النور - ٢٢.

(٩) التوبة - ١٣.

(١٠) الشعراء - ١٠ - ١١.

(١١) الكهف - ٤٩.

(١٢) البقرة - ١٦٦.

(١٣) البقرة - ٣٠.

(١٤) طه - ١٧.

٢٤ - التكرير : كقوله تعالى : « وكنتم من قرية أممكتنما ؟ » (١) وقوله :
« وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة تم أخذ ثمنها ؟ » (٢) والصير ، (٣) : ومنه قول
الشاعر :

كسب من شئني لما قد صرت أبعه ؟ ولو صحا القلب عنها كان لي نعا

٢٥ - الأخبار والتحقيق : كقوله تعالى : « هل أتى على الإنسان حين من الدهر
لم يكن شياً مذكوراً ؟ » (٣) .

هذه أهم الأخراس التي يخرج إليها الاستفهام عن معناه الحقيقي (٤) ، وهي
كثيرة وقد يشتمل بعضها بعض ، ولكن الفوق السام وقرائن الأحوال تشير إلى
الفرض وتحدده .

وهذا التقسيم الذي قام عليه بحث الاستفهام عمدة البلاغيين غير أن الذين عونا
بعلوم القرآن يخطونه بصورة أخرى ويقسمونه تقسيماً آخر ، فالزركشي (٥) يقسمه
إلى : الاستفهام بمعنى الخبر وهو ضربان :

أحدهما : نفي ، ويسمى استفهام النكار ، والمعنى فيه هل إن ما بعد الأداة منفي ،
ولذلك تصحبه « إلا » كقوله تعالى : « فهل يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ؟ » (٦)
والثاني : إثبات ، ويسمى استفهام تقرير ، كقوله تعالى : « أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ » (٧)
أي : أأنا ربكم . ويأتي هذا على وجوه كثيرة منها : مجرد الأثبات ، والأثبات

(١) الأعراف ١ .

(٢) الحج ٤٨ .

(٣) الإنسان ١ .

(٤) ينظر الصحاح ص ١٤١ ، وشرح القاموس ص ١٥٠ ، والصحاح ص ٥٢ ، والاشتقاق
ص ١٣٧ ، وشرح التلخيص ج ٢ ص ٢٩٠ .

(٥) ينظر كتاب البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٢٢٦ وما بعدها .

(٦) الأعراف ٢٥ .

(٧) الأعراف ١٧٢ .

مع الانتحار ، والتوبيخ ، والعتاب ، والبيكيت ، والتسوية ، والتعظيم ، والتهويل ،
والتهويل والتخفيف ، والتفجع ، والتكثير ، والأسترشاد .

والقسم الثاني : الاستفهام المراد به الإنشاء ، وهو على ضربين : مجرد الطلب ،
والنهي ، والتحذير ، والتذكير ، والتنبية ، والترغيب ، والتعني ، والدعاء ،
والعرض ، والتخفيض ، والاستبطاء ، والإيساس ، والإيهاس ، والتهكم
والاستهزاء والتحقير ، والتعجب ، والاستبعاد ، والتوبيخ .

وهذا القسم أكثر دقة غير أن التمييز بين الغراض النوعين صعب ، ولذلك كان
الجميع بين النوعين أكثر سهولة وأقرب إلى المدارك كما فعل علماء البلاغة .

البحث الثالث

التمني والثناء

التمني: التمني توقع أمر محبوب في المستقبل ، والفرق بينه وبين الترجي ، أنه يدخل المستحلات والترجي لا يكون إلا في الممكنات (١) : ولكن البلاغيين يميزون بين نوعين في التمني :

الأول : توقع الأمر المحبوب الذي لا يرجى حصوله لكونه مستحيلاً ، كقوله تعالى : « يا ليتني كنتُ معهم فأفوزَ فوزاً عظيماً » (٢) :

وقول الشاعر :

ألا ليت شبابي يعود يوماً فأخبره بما فعل الشبابُ

الثاني : توقع الأمر المحبوب الذي لا يرجى حصوله لكونه ممكناً غير مطموح في نيله ، كقوله تعالى : « يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون » (٣) :

والإدانة الموضوعية للتمني «اليت» وقد تستعمل ثلاثة أحرف للتدلالة عليه :

أحدها : هل ، كقوله تعالى : « وهل لنا من شعراء يفصحوا لنا » (٤) :

والثاني : لو ، سواء كانت مع هودية كقوله تعالى « وودوا لو تدعوا فيهم حين » (٥) أو لم تكن كقوله تعالى : « لو أن في يديكم قوة » (٦) ، وقوله : « لو أن لنا سورة فتقرأ منهم » (٧) :

(١) البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٣٢٢ .

(٢) التيسار ٧٣ .

(٣) التيسار ٧٩ .

(٤) الامارات ٥٣ .

(٥) سورة ٩٥ .

(٦) هود ٨٠ .

(٧) البقرة ١٦٧ .

الثالث: لعل ، كقول تعالى : **وَالْعَلَىٰ أَبْغُ الْأَمْيَابِ سَهَابَ السَّمَاوَاتِ**
فَأَطْلَعِ إِلَىٰ آلِهِ مَوْسَىٰ (١) .

ومنه قول الشاعر

أَسْرِبَ النَّظَا هَلْ مِنْ بَعِيرِ جَنَاحِهِ لَعَلِّي أَلِىَ مَنْ قَدْ هَوَيْتُ أَطِيرُ (٢)

النداء :

النداء التصويت بالنادي ليقبل، أو هو طلب اقبال الندوة على الداعي ، وله أدوات هي :

- ١ - الهمزة: وتكون لنداء القريب، كقول امرئ القيس:
أفأظلم مهلاً بعض هذا الدليل وإن كنت قد أزمعت صريرى جليل
- ٢ - آ - حرف لنداء البعيد، وهو مسموع لم يذكره سيويه، وذكره غيره (٣) .
- ٣ - أيا: وتكون لنداء البعيد، وقيل: لنداء القريب والبعيد، كقول الشاعر:
أيا جليلي نعماناً بالله حليماً نسم الصبا يخلص إليّ تسميها
- ٤ - أي: لنداء البعيد.
- ٥ - أي: لنداء البعيد.
- ٦ - هيا: لنداء البعيد .
- ٧ - وا: لنداء البعيد، وهي في الأصل حرف نداء مخصص بباب التثنية نحو: **واحمداه** ،
وأجاز بعضهم استعماله في النداء الخفي (٤) .

٨ - يا: لنداء البعيد، وقد ينادي به القريب تأكيداً، وقيل: هي مشتركة بين
القريب والبعيد ، وهي أكثر أسرف النداء استعمالاً، كقوله تعالى : **يَا أَدَمُ اسْكُنْ**

(١) غافر ٣٦-٣٧ .

(٢) ينظر آتني في مناجح العلوم ص ٢٤٧ ، والأيضاح ص ١٣٦ ، ضريح النخيل ج ٢ ص ٢٣٨ ،
والطراز ج ٣ ص ٤٤٦ ، والبرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٣٢١ .

(٣) مغني اللبيب ج ١ ص ٢٠ .

(٤) مغني اللبيب ج ٢ ص ٣٦ .

أنت وَرَزَجُكَ الْجَنَّةُ (١) وقد تحذف كما في قوله تعالى : وَيُؤَسِّفُ الْأَعْرَافَ
عن هذا (٢).

ومنه قول ابن زبنون :

بأسارى البرق غادر القصر واستر به من كان صيرفاً الهوى والود بسيفنا
وبالنسيم الصفاً يطلعُ تحببنا من لو على البعد حيناً كان يُحييتنا
وقد اشار صبريه إلى استعمال حروف التداء القريب مرة والتجدد تارة اخرى ،
وقال : وفقاً الاسم غير الثوب فينبه بحلقة اشياء : بهياه وأياه وهياه وأياه
وبالالف نحو قولك : أحار بن عمروه إلا ان الأربعة غير الالف فليستعملونها
إذا أرادوا أن يحدوا أصواتهم لشيء التراخي عنهم أو الاتساع المعرض عنهم
الذي يرونه أنه لا يقبل عليهم إلا باجتهاد ، أو التاتم المتصل . وقد يستعملون هذه
التي لم يأت في موضع الالف ولا يستعملون الالف في هذه المواضع التي يحدون فيها .
وقد يجوز لك ان تستعمل هذه وان شئت حذفتهن كلهن استثناء (٣) .
وقد يخرج التداء إلى الغراض مختلفة منها :

- ١ - الإغراء والتحفيز : وقد اجتمعا في قوله تعالى : **وَأَنقَضَ اللَّهُ وَوَعْفِاها** (٤)
وقول النبي :
- بأعدك الناس إلا في معاصي **فبك الخصامُ وأنت الخصمُ** والخصمُ
٢ - الاستعانة : مثل : **وإناصرُ الدين** .
- ٣ - التلذذ : كقول النبي :
- وأحرُّ قلباه ممن قلبه شبيبُ **ومن جسمي وحالي عندك سقيمُ**
- ٤ - التعجب : كقوله تعالى : **وإحسرةً على العباد** (٥) ، لأن الحسرة لا تنادى

(١) البقرة ٢٥

(٢) يوسف ٢٩

(٣) كتاب صبريه ج ١ ص ٣٢٥

(٤) الشمس ١٣

(٥) يس ٣٠

وانما تنادي الأشخاص لأن فائدته للشيء ولكن المعنى على التصحيح كقولك :
«يا صبيها ليمّ فقلت» (١).

٥ - الإحصاء: مثل: «عليّ أيتها الرجلُ بَعْتُهُ» ، و«اختر المهم لنا أيتها
العصاة» ، أي: مخصصاً بـ «دون الرجال» ، و«اختر لنا مخصصين من بين العصاب» .
٦ - التثنية : كقولك تعال: «يا ليتي ميتاً قبل هذا» (٢) ، لأن حرف النداء يختص
بالأسماء:

٧ - الفحور : كقولك أين الرومي :

يا شيباني وأين مني شيباني أذنتني حباله بالانضباب
لتهنّ نفسي على نبيسي ولهوي تحت أفتانه الدنان الرطباب
وقول الآخر:

أيا قيسراً متعزّز كيف وارتت جوده وقد كان منه قيرٌ والبحرُ متزّزعا
هذه أساليب الخبر والانشاء المختلفة ، وقد اتضح أن لكل أسلوب دلالته ،
وهي غير الإعراب وحركاته ، بل ما وراء ذلك من المعاني التي تحملها الجملة
والعبارات: وإذا كان لكل من الخبر والانشاء دلالته فإن استعمالهما قد يقع موقع
الآخر لأغراض بلاغية (٣) : والعمدة في ذلك للنوع التلهيب والإطلاق الواسع
وقرائن الأحوال:

وأساليب الخبر والانشاء مدى رحب يجرى فيه الأديباء ويتصرف فيه الشعراء
وقد أخذ بها القدماء فأحسنوا وأساءوا ، وهي من وسائل التعبير وطرق التشبيه:
وتلحق الأديب على أن يتوسّع فيها وأن يأتي بما لم يسبق إليه إذا أحسن استخدامها
وكان له طوق ولبح .

(١) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٢٥٢ .

(٢) مرصم ٢٢ .

(٣) ينظر مفتاح العلوم ص ١٥٤ ، والإيضاح ص ١٤٦ ، وشروح التلخيص ج ٢ ص ٢٢٨
والبرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٢٤٧ ، ٢٥٠ ، والطرارح ج ٢ ص ٢٩٢ .

الفصل الرابع أحوال الجملة المبحث الأول التقديم والتأخير

الجملة كلمات تأتلف لتدل على معنى، أو هي - كما يقول النحاة - والمنظ
المقيد فائدة بحسن السكوت عليها (١). ولا تكون الجملة تامة إلا إذا استوفت
ركبتين هما: السند إليه والسند، وإذا حذف منها أحد هذين الركنين فإن النحاة
يلجأون إلى التقديم ليستقيم الكلام.

واستعمل القدماء هذين المصطلحين فقال سيويه: «هذا باب السند والاستداليه
وهما ما لا يستغني واحد منهما عن الآخر ولا يحد المنكلم منه بدءاً: فمن ذلك الأسم
الابتداء والمبني عليه وهو قولك: «عبدالله أخوك» وهذا أخوك ومثل ذلك قولك:
«يلعب زيد». فلا بد للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأول بدءاً من الآخر في
الابتداء. وما يكون بمنزلة الابتداء قولك «كان عبدالله منطلقاً» وهيت زيدا منطلقاً»
لان هنا يحتاج إلى ما بعده كاحتياج المبتدأ إلى ما بعده» (٢).

ولم يأخذ النحاة هذين المصطلحين بعد سيويه وإن اذروهما في كتبهم، وإنما
استعملوا ما قبلهما من مبتدأ وخبر أو فعل وفاعل وغيرها، ولكن علماء البلاغة
اختلفوا وبنوا عليهما دراستهم في علم المعاني، فالتحصرت في السند والاستداليه
وما بينهما من ذكر وحذف، وتقديم وتأخير، والنصر: ولا يتجاوز ذلك إلا حينما
يتحدثون عن الفصل والوصل، والمساواة والإيجاز والاضطراب، وهو تجاوز لا يحد
عن الجملتين في أكثر الأحيان. وكان أكثر البلاغيين تمسكاً بهذا المنهج رجال
المدرسة الكلامية كالسكاكي والقرظيني وشراخ اللطيفي، أما عبد القاهر الجرجاني
وضياف الدين بن الأثير وغيرهما من أعلام المدرسة الأدبية فلم يتجهوا هذا الاتجاه
ولم ينحروا هذا المنحى، وإنما كانوا يحكمون القلوب ويتحسسون مواطن الجمال

(١) شرح ابن خلدون ج ١ ص ١١١.

(٢) كتاب سيويه ج ١ ص ٧.

في الكلام. ونتج عن ذلك أن مزقت البلاغة شرمز في فكان الخلف في عدة مواضع ،
والذكر في ابواب متفرقة، لانهما درسا في السند اليه مرة وفي السند ثارة وفي
متعلقات الفعل ثارة ثالثة . ومثل هذا يقال في الموضوعات التي بحثها عبد الفاهر
وابن الاثير في فصول موحدة جمعت الروعة والنفع وإنارة السبيل وتهديب النوق
وانمية الملكة الادبية .

وتصل باحوال الجملة موضوعات كثيرة، غير ان الاقتصار على أهمها وعلى ماله
علاقة بالاساليب المنوعة أقرب إلى الدراسات البلاغية، ولذلك سيكون الوقوف على
التقديم والتأخير، والفصل والوصل، والقصر.

التقديم والتأخير باب تبارى فيه الاساليب وتظهر المواهب والقدرات ،وهو
دلالة على التحكم في فصاحة وحسن التصرف في الكلام ووضع الوضوح الذي
يتطلبه المعنى. يقول الزركشي: «هو أحد أساليب البلاغة، فأنهم أتوا به دلالة على
تمكثهم في الفصاحة وملكوتهم في الكلام والقياده لهم، وانه في القلوب أحسن موقع
وأعذب ملحق»(١).

واختفوا في حده من الجواز، فمنهم من حده منه لان تقديم ما رتبته التأخير كالفعل
وتأخير ما رتبته التقديم كالفاعل، نقل كل واحد منهما عن رتبته وحده. وقال الزركشي:
«والصحيح انه ليس منه ، فإن المجاز نقل ما وضع له إلى ما لم يوضع»(٢) :
والعاني لها في التقديم خمسة أسوال:

الاولى : تقدم العلة على معلولها عند القائمين بها كتقدم الكون على الكائنة والعلة
حل العلية.

الثانية: التقدم بالذات، كتقدم الواحد على الاثني ، على معنى ان الوحدة لا يمكن
تحقق الاثنية إلا بعد سبيلها :

(١) البرهان في علوم القرآن ج٣ ص٢٢٢ .

(٢) البرهان ج٣ ص٢٢٢ ، وينظر القواعد ص٥٢ .

الثالثة: التقدم بالشرف كتقدم الأبياء على الأتباع والعلماء على الجهلاء
الرابعة: التقدم بالمكان كتقدم الامام على التأموم والتقدم من يقرب إلى الحائضون
من تأخر عنه.

الخامسة: التقدم بالزمان كتقدم الشيخ على الشباب والاب على الابن (١). وهذه المعاني
ثابتة معروفة عتلاً ولذلك لا يبع فيها تفاوت أو تفنن في التعبير:
وتقديم الشيء على وجهين:

الأول: تقديم على نية التأخير، وذلك في كل شيء افر مع التقديم على حكمه الذي
كان عليه وفي جنسه الذي كان فيه، كطير البتداء اذا قدم على البتداء، والفعل
اذا تقدم على الفاعل: والتقديم لا يخرج الخبر أو الفعول عما كانا عليه قبل التقديم.
الثاني: تقديم لاعتق نية التأخير، ولكن على ان ينقل الشيء عن حكمه إلى حكم
ويجعل باباً غير بابيه واحكاماً غير احكامه، وذلك أن يعدد إلى اسمين يحتمل كل
واحد منهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر خبراً له فيقدم تارة على ذلك والآخرى
ذلك على هذا: ومثاله: «زيد المنطلق» و«المتعلق زيد» فالتقديم والتأخير يؤثران
في معنى الجملة، لأن ما يقدم هو المبتدأ أو المستأله وما يؤخر هو الخبر أو المستأله،
وكذلك «ضربت محمداً» و«محمداً ضربته» ف«محمداً» في الجملة الأولى مفعول به،
وفي الثانية مبتدأ. وهذا يختلف عن النوع الأول الذي لا يتغير فيه حكم التقدم
أو التأخر، ففي «منطلق زيد» و«زيد منطلق» ظل زيد مستأله و«منطلق»
مستأله، وفي «ضرب زيد عمراً» و«ضرب عمراً زيد» بقي زيد مستأله
- فاعلاً - و«عمرو» مفعولاً به (٢).

وباب التقديم والتأخير واسع لانه يشمل كثيراً من أجزاء الكلام، فاستغنى
يقدم لأغراض بلاغية منها:

(١) الطراز ص ٢٤٥.

(٢) ينظر لتفصيل ذلك في دلائل الاميز ص ٤٣ وما بعدها.

١ - انه الاصل ولا يقتضى العلول عنه كتقديم الفاعل على المفعول ، والمبتدأ على الخبر ، وصاحب الحال عليها :

٢ - أن يتمكن الخبر في ذهن السامع لان في المبتدأ تشويقا اليه ، كقول المري :

والذي حاربت البرية فيه حَيَوَانٌ مستحدثٌ من جسادِ

٣ - أن يقصد تعجيل السرعة ان كان في ذكر المسند اليه تفاعول : مثل سعدى

داركهُ أو المسامة ان كان فيه ما يبطئه مثل : والسفاح في دار صدقك :

٤ - ايهام أن المسند اليه لا يزول عن الخاطر مثل : والله ربي .

٥ - ايهام التلذذ بذكره ، كقول الشاعر :

يا لله يا غياثِ القاعِ قُلْنِ لَنَا ليلاتي منكن أم ليل من البشر ؟

٦ - تخصيص المسند اليه بالخبر الفعلي إن ولي حرف الذي مثل : وما أنا قلت هذا

وقول النبي :

وما أنا أضمت جسي به ولا أنا أضمرت في القلب فلما

٧ - تقوية الحكم وتقريره : كقوله تعالى : والذين هم بربهم لا يشركون (١)

ومما يدخل في هذا الحكم تقديم مثل «وغيره» ، وقد قال عبد القاهر : «مما يرى

تقديم الاسم فيه كالتلزم» مثل «وغيره» في نحو قوله :

مِثْلَكَ يُقْتَلُ الثُّرَيَّا عَنْ صَوْبِهِ وَيَسْتَرِدُّ النَّمْعَ عَنْ فَسْوَبِهِ

وكذلك حكم «غيره» اذا سلك به هذا المسلك (٢) ، ومنه قول المتنبي :

غيري باكثر هذا الناس يشخصح إن قاتلوا جهنما أو جدكوا شجرها

وقال القزويني : «واستعمال» مثل «وغيره» هكذا مركز في الطباع ، وانما تصفحت الكلام

وجدهما يقدمان أهما على الفعل اذا لمحي بهما نحو ما ذكرناه ولا يستقيم المعنى

فيهما اذا لم يقدمهما : والسر في ذلك أن تقديمهما يفيد تقوي الحكم (٣) .

(١) الزبون ٥٩ .

(٢) دلائل الاميز من ١٠٦ .

(٣) الايضاح من ٦٥ .

٨ - افادة المبروم: مثل: «كل انسان لم يقم» فيقدم ليفيد نفي القيام عن كل واحد من الناس (١).

وقدم المسند لاغراض منها:

١ - تخصيص المسند بالمسند اليه: كقوله تعالى: «وله ملكُ السموات والارض» (٢) وقوله: «لكم دينكم ولي دين» (٣).

٢ - التنبيه من أول الامر على أنه غير لائمت، كقول حسان بن ثابت يمدح النبي - صل الله عليه وسلم -:

له هيمٌ لا تنهى الكبارها وهيمته الصخرى أجل من الدهر
له راحة لو أن معتاد جودها على ثركان قبر أندي من البحر

٣ - التنازل بتقديم مايسر، مثل: «عليه من الرحمن ما يستحقه».

٤ - التثويق إلى ذكر المسند اليه: كقول محمد بن وهيب:

ثلاثة تشرق الدنيا بيجتها شمس الفصحى وأبو اسحاق والقمر
وقول المعري:

وكالثر الحياة فمن رماها لوانرها، وأوثها دنان (٤)

ومن التقديم: تقديم متعلقات الفعل عليه كالقنول والجار والجرور والحال ويكون ذلك لاغراض منها:

١ - الاختصاص: كقوله تعالى: «إناك نعبد وإناك نستعين» (٥).

٢ - الاهتمام بالتقديم: كقوله تعالى: «قل أخير الله أبني ربيأ وهو رب كل شيء» (٦).

٣ - التبرك: مثل: «قرآنا قرأت».

(١) ينظر مفاتيح العلوم ص ٩٣، أو الايضاح ص ٥٢، وشرح المفردات ج ١ ص ٣٤٩.

(٢) آة حراء ١٤٩.

(٣) التكاثر ١.

(٤) مفاتيح العلوم ص ١٠٥، والايضاح ص ١٠٦، وشرح المفردات ج ٢ ص ١٠٩.

(٥) القامة ٥.

(٦) الانعام ١٦١.

٤ - ضرورة الشعر ، وهو كثير لا يحصره حد .

٥ - رعاية الفاصلة: كقوله تعالى: «فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَاتَهْرُ» وأما السائل فلا تنهر» (١) :

وهذه الأغراض كثيرة ، وقد ذكر الرمخسري أن تقديم هذه الأنواع للاختصاص غير أن ابن الأثير يرجع ذلك إلى وجهين :

الأول : الاختصاص ، كقوله تعالى : «قُلْ أَعْلِمُ أَنَّ اللَّهَ يَأْمُرُنِي أَنْعْبُدَ إِلَهَهَا الْجَاهِلُونَ وَلَأَدَّ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَتَنَحْنِطُنَّ عَنْكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ، بَلِّغْ اللَّهَ قَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ» (٢) :

فإنه إنما قيل «وَلِلَّهِ قَاعْبُدْ» ولم يقل «وَلِلَّهِ قَاعْبُدْ» لأنه إذا تقدم وجب الاختصاص العبادة به دون غيره ، ولو قال «وَلِلَّهِ قَاعْبُدْ» لجاز إيقاع الفعل على أي مفعول شاء : الثاني : يختص بنظم الكلام ، كقوله تعالى : «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» وقد ذكر الرمخسري في تفسيره أن التقديم في هذا الموضع قصد به الاختصاص وليس كذلك فإنه لم يقدم المفعول فيه عمل الفعل للاختصاص ، وإنما قدم لكان نظم الكلام ، لأنه لو قال : «فَعْبُدْكَ وَنَسْتَعِينُكَ» لم يكن له من الحسن ما لقوله : «وإِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» ؛ ألا ترى أنه تقدم قوله تعالى : «وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» ، الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين» (٣) فجاء بعد ذلك قوله : «وإِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» وذلك لمراعاة النظام السجعي الذي هو على حرف التثنية ، ولو قال «فَعْبُدْكَ وَنَسْتَعِينُكَ» لذهب تلك الطلاوة وزال ذلك الحسن ، وهذا غير خاف على أحد من الناس فضلاً عن أرباب علم البيان (٤) .

وهناك أنواع كثيرة من التقديم لا ترجع إلى المسند إليه والمسند ولا إلى متعلقات الفعل عليه وإنما ترجع إلى أمور كثيرة ، بحثها الزركشي (٥) في أنواع التقديم

(١) النص ٩ - ١٠ .

(٢) الزمر ١٤ - ١٦ .

(٣) الفاتحة ٢ - ٤ .

(٤) اللؤلؤ السمر ج ٢ ص ٣٩ ، ينظر الطراز ج ٢ ص ٩٩ .

(٥) البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٢٣٨ .

والأخير ، وقسمها إلى مقدم والمعنى عليه ، وماتم والمية به التفسير والقسم الأول واسع فسج ومقتضياته كثيرة ذكر منها خمسة وعشرين لوقا ، وأهمها :

١. السبق : كقولته تعالى : «ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى» (١)
 ٧. الذات : كقولته تعالى : «ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعم» ، ولا خمسة إلا هو سادسهم» (٢) :
 ٣. العلة والقيية : كقولته تعالى : «إياك نعبد وإياك نستعين» (٣) ، لأن العبادة سبب حصول الإحاة .
 ٤. المزية : كقولته تعالى : «غفورٌ رحيم» (٤) ، لأن المظفرة سلامة والرحمة غنية ، والسلامة مطلوبة قبل الغنية .
 ٥. العظيم : كقولته تعالى : «ومن يطع الله والرسول» (٥)
 ٦. العلية والكثرة : كقولته تعالى : «فمنهم ظالمٌ لنفسه» ، ومنهم مقتصدٌ ، ومنهم سابقٌ بالخيراتِ بإذنِ الله» (٦) .
 ٧. الاهتمام عند المخاطب : كقولته تعالى : «فصبروا بالحسن منها أوردوها» (٧)
 ٨. مراعاة الألفاظ : كقولته تعالى : «والنار» (٨) ، فإن المقرد سابق على الجمع .
 ٩. قصد الترتيب
 ١٠. حلة اللفظ
 ١١. رعاية الفاحصة : كقولته تعالى : «خذواوه فكلوه» : ثم الجميم صكوه» (٩)
- وهذه الأنواع التي ذكرها الزركشي لم ينطرق لها البلاغيون إلا من خلال الجملة ،

(١) الأعراب ٧

(٢) العبادة ٧

(٣) القائفة ٥

(٤) البقرة ١٧٣ ، وآيات كثيرة .

(٥) النساء ٦٩

(٦) طاهر ٣٢

(٧) النساء ٨٦

(٨) الكهف ٥٦

(٩) المائدة ٣٠ - ٣١

والملك كاتب فراساتهم لها قاهرة ، اما الذين عنوا بأسلوب القرآن الكريم فقد تجاوزوا هذه المرحلة ونظروا إلى التقديم والتأخير نظرة أوسع وأكثر عمقا فجامعت مادتهم اغزر وفراساتهم أخصب ، ولا يكاد يستثنى من ذلك إلا عبد القاهر الذي أبدع في تحليل الأساليب البلاغية ، ونقل النحو من الإعراب والبناء إلى المعاني التي تحتملها العبارات ، وكانت نظريته في «النظم» من أحسن ما عرفه النقد القديم ، ومن أمثلة تحليله للتقديم والتأخير قوله في النكرة اذا قدمت على الفعل أو قدم الفعل عليها : «اذا قلت : وأجاءك رجل؟» قالت تريد أن تسأله : هل كان صحب من أحد من الرجال إليه : فإن قدمت الاسم فقلت : «أرجل جارك؟» ، قالت تسأله عن جنس ما جاءه أرجل هو أم امرأة؟ ويكون هذا منك اذا كنت علمت انه قد أتاه آت ولكنك لم تعلم جنس ذلك الآتي فسيفك في ذلك سيفك اذا أردت أن تعرف عين الآتي فقلت : «أزيد جارك أم عمرو؟» ولا يجوز تقديم الاسم في المسألة الأولى ، لان تقديم الاسم يكون اذا كان السؤال عن الفاعل والسؤال عن الفاعل يكون اما عن عينه او عن جنسه ولا ثالث . واذا كان كذلك كان محلا أن تقدم الاسم للنكرة وأنت لا تريد السؤال عن الجنس لانه يكون لسؤالك حيثه متعلق من حيث لا يبلى بعد الجنس إلا العين والنكرة لا تدل على عين شيء فيسأل بها عنه . فان قلت : وأرجل طويل جارك أم قصير؟ كان السؤال عن أن الجاني من جنس طوال لرجال أم قصارهم؟ فان وصلت النكرة بالجملة فقلت : أرجل كنت عرفت من قبل أحطاك هذا أم رجل لم تعرفه؟ كان السؤال المعطى أكان من عرفه قبل أم كان انسانا لم تقدم منه معرفة .

واذا قد عرفت الحكم في الابتداء بالنكرة في الاستفهام فابن الخبر عليه ، فاذا قلت : «رجل جاني» لم يصلح حتى تريد أن تعلمه أن الذي جاءك رجل لا امرأة ، ويكون كلامك مع من قد عرف أن قد أتاك آت ، فان لم ترد ذلك كان الواجب أن تقول : «جاءني رجل» لتقدم الفعل (١) .

(١) دلائل الاسرار ص ١٠٩ - ١١٠ .

وعلى قيمة التقديم والتأخير في اللغة العربية ، وليس من العيب أن يشغل البلاغيون
- وحل رأسهم جيد القاهر - أنفسهم بهذه المسألة أو غيرها من المسائل الأخرى
المتصلة بالاساليب لولا أن لكل تعبير معناه ، ولكل وضع هدفه ومغزاه وفي ذلك
السماح في القول وفنونه على التعبير .

البحث الثاني الفصل والوصل

ذهب كثير من البلاغيين إلى أن أسلوب الفصل والوصل فن عظيم، صعب الملك، دقيق المأخذ، لا يحيط بأسراره إلا من أوتي فهم كلام العرب طبعاً سليماً وورق في إفلاك أسراره ذوقاً صحيحاً. ولذلك قصر بعضهم البلاغة على معرفته، ولكن بعضهم، كالغزويني قال: «والصعوبة عليه لأن الأمر كذلك، والمحاولة بذلك التيه على مزيد غموضه وإن أحداً لا يمكن فيه إلا كل في سائر فنونها، فوجب الاعتناء بتحقيقه على أبلغ وجه في البيان» (١).

والوصل عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه، ولذلك ترى أن يبحث هذا الموضوع بعد بحث الجملة لارتباطه بها ولأنه يخص النجمل ومعانيها حينما الفصل أو تربط للمشاركة الثاني للاول في الاعراب وحده، قال العلوي: «ولست أريد بتلك الاسرار والطاقات ما يكون متعلقاً بعلوم الاعراب من كون الاحرف العاطفة تلحق المعطوف في الاعراب، بل تريد أمراً يخص من ذلك وأخص على تحصيل الاسرار الغريبة والطاقات العجيبة» (٢).

تكلم النجاصط (٣) وغيره من أوائل انقاد على الفصل والوصل، ووقف عنده أبو هلال العسكري وثقة طوية وذكر اقوالاً كثيرة تدل على أهمية هذا الموضوع من ذلك أن المؤمن قال لبعضهم: «من أبلغ الناس؟ فقال: من قرب الأمر الجهد المتناول والصعب التروك بالالفاظ البسيرة. قال: ما فعل سهلك عن الغرض، ولكن البليغ من كان كلامه في مقدار حاجته، ولا يجعل الفكرة في اعتلاص ما صعب عليه من الالفاظ ولا يكره المعاني على ازالها في غير منازلها، ولا يمتد

(١) الاضاح ص ١١٧.

(٢) الطراز ج ٢ ص ٣٣.

(٣) نظر البيان والبيان ج ١ ص ٨٨.

الغريب الوحشي ولا الساقط السوي، فإنّ البلاغة إذا اعتزلتها المعرفة بمواضع
تفصل والوصول كانت كاللآتي بلا نظام (١).

ويحت ابرهلال في هذا الفصل، ما يتصل بفصول التصيد ومقاطعها، وهم يمتنون
بالتفصيل والمقاطع اواخر الايات التي تقابل مطالعها وابتدائها، وتطرق إلى فواصل
كتاب اللؤلؤ، ان من حسن المقطع جودة الفاصلة وحسن موقعها وتمكنها في
موضعها وذلك على ثلاثة أضرب :

الأول : أن يفيق على الشاعر موضع القافية فيأتي بلفظ قليل الحروف فيتم به
البيت كقول زهير :

وأعلم ما في اليوم والامس قبله ولكنني عن علم ما في غد عني
وقول ثابتة القدياني :

كالاحزان خلافاً غيباً سماته جعلت أعاليه وأسفله تسدي (٢)

ولوله :

لا مرحباً بقد ولا أهلاً به إن كان تفريق الاحبة في غد
أودّ الترحل غير أن ركابنا لما نزل برحلتنا وكان قد

الثاني : أن يفيق به المكان أيضاً ويحجز عن ايراد كلمة سائلة تحتاج إلى اعراب
ليتم بها البيت، فيأتي بكلمة سائلة لا تحتاج إلى الاعراب فيتم به، مثل قول زهير :

صحا القلب عن سلمي وقد كاد لا يسلمو وأقفر من سلمي للعالمين فالتقل (٣)

ثم قال :

وقد كنت من سلمي سبيلاً ثانياً على صيّر أمر ما يصرّ وما يخلو (٤)

الثالث : أن تكون الفاصلة لائحة بما تقدمها من الفاظ الجزء من الرسالة أو البيت
من الشعر وتكون مسفرة في قرارها وتمكنة في موضعها حتى لا يسد مسدعا
غيرها وان لم تكن تصيرة قليلة الحروف كقوله تعالى : «وأنه هو أضحك وابكي» ،
وأنه هو أمات وأحيا، وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى (٥) وقوله : «والأحرمة»

(١) كتاب الصالحين ص ١٢٨.
(٢) غيب سماته الطر.
(٣) الصالحين والتقل، وادهان.
(٤) صير أمر: سباه.
(٥) التميم ١٢ - ١٥.

خيرٌ لك من الأولى. وسوف يُعطيك ربك فريضاً، (١) ذاكبكي مع واضحك،
و أحياء مع أمات، و الأثني مع الذكوة و الأولى مع الأخرى و الرضا
مع العطف، لي نهاية الجودة وغاية حسن الموقع .

ومن الشعر قول الحطية :

هَمُّ القوم الذين اذا التَمَّتْ من الإيام مظلمة أضلوا
وقول أبي نؤاس :

إذا امتحن الدنيا لبيباً لكشفت له عن هدوء في ثياب صدق
والمصدق هنا جيد اللمع ، لان معنى البيت يقتضيه ، وهو يحتاج اليه

ودراسة أبي هلال وغيره من البلاغيين والتقاء لهذا الموضوع يختلف عن دراسة
البلاغيين المتأخرين، ولذلك لا نجد في دراساتهم ما تطرق اليه أبو هلال. ولعل عيد القاهر
الجزائري كان من أوائل الذين بحثوه بحثاً مفصلاً يقوم على التوسيم والتجديد
والتحليل والتحليل وربطه بباب العطف عندما ربط البلاغة بمعاني النحو وجعل
النظم ثمرتها له .

ولقد أجعل مواضع الفصل والوصل بقوله : "إنَّ الجملة على ثلاثة أصحرب :

١. جملة حلقا مع التي قبلها حال الصلغ مع الوصف والتأكيد مع الإكذافلا يكون
فيها العطف البتة لثبه العطف فيها - لو عطف - بعطف شيء على نفسه .
٢. وجملة حلقا مع التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله إلا انه يشاركه
في حكم ويتصل معه في معنى مثل أن يكون كلا الاسمين فاعلا أو مفعولا أو
مضافا اليه فيكون حقها العطف .

٣. جملة ليست في شيء من الحالين ، بل سبيلها مع التي قبلها سبيل الاسم مع الاسم
لا يكون منه في شيء فلا يكون إياه ولا مشاركا له في معنى بل هو شيء إن ذكر
لم يذكر إلا يأمر بفرده و يكون ذكر الذي قبله وترك للذكر سواء في حاله لعدم
التعلق بينه وبينه رأسا ، وحتى هذا ترك العطف البتة :

فترك العطف يكون إما للاتصال إلى الثانية ، أو الانفصال إلى الثانية ، والعطف لما هو واسطة بين الأمرين ، وكان له حال بين حالين ، فأمره (١) : وعلى هذا الأساس وضع عبد القاهر أصول بحث الفصل والوصل ، وقوابله ، وذكر الأمثلة الكثيرة ، وجاء علماء البلاغة فاختصروا بحوثه وبيروها ، وكان تحبيدهم أدق ضبطاً ، وقواعدهم أكثر تفصيلاً . وكان السكاكي من أشهر الذين اتبعوه ولكنه لم يوضح الموضوع ولم يبحث بحثاً جيداً ، والصرف إلى الكلام على الجامع والرواح ، واستفاد الخطيب القزويني من الرجلين فكان بحثه للفصل والوصل يجمع بين تحديد القاعدة والشرح والتعليل ، أي بين طرفي عبد القاهر والسكاكي : ثم جاء شراح النخعي فأولوا هذا الموضوع عناية كبيرة وانتهى إلى صورته الأخيرة التي نجدها في كتب البلاغة .

مواضع الفصل:

يجب الفصل في خمسة مواضع :

الأول: أن يكون بين الجملتين تمام وهو كمال الاتصال، وذلك:
١. أن تكون الجملة الثانية مؤكدة للأولى ، والمقتضى للتأكيد دفع توهم التجوز والعطف ، وهو لسان :

أحدعما : أن تنزل الثانية من الأولى جملة التأكيد المعنوي من متبوعه في العادة التضمير مع الاختلاف في المعنى ، كقوله تعالى : **وَأَلَمْ تَكُنْ لَكَ آيَاتٌ فِيهِ (٢)** ، فإن **وزان** والآية فيه وزان نفسه في جانب محمد نفسه :

وقوله : **كأن لم تستعها ، كأن في لذيذ وكثراً (٣)** ، فاللذان مقرر لما أتاه الأول :

(١) دلائل الإيجاز ص ١٨٧ .

(٢) البقرة ١ - ٢ .

(٣) لسان ٧ . التور: النقل في اللان .

وقائهما: أن تتزل الثانية من الأولى مترلة التأكيد اللفظي من متبوعه في اتحاد المعنى ،
 كقوله تعالى: وذلك الكتاب لا ريباً فيه هُدى للمتقين (١) فإن هدى للمتقين
 معناه: أنه في الهداية بالغ درجة لا يدرك كتبها حتى كأنه هداية مفضة.
 ومن أمثلة كون الجملة الثانية توكيداً للأولى قول النبي :

وما الدهر إلا من رواله فصائدي إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشأ
 فالجملة : «إذا قلت ...» توكيد للأولى، لأن معنى الجمليتين واحد، ومنه قول الشاعر:
 يهوى الشتاء مبرقاً ومفصر حب الشتاء طيبة الإنسان
 فالجملة «حب الشتاء ...» توكيد للأولى، لأن معنى الجمليتين واحد.

٢. أن تكون الجملة الثانية بدلاً من الأولى، والمقتضي للابتداء كون الأولى
 غير رافية بنصام المراد بخلاف الثانية والنصام يقتضي اعتناء بشأنه لتكثفه ككثرته مطلقاً
 في نفسه أو فصيحا أو عجبيا أو لطيفا ، وهو ضربان، أحدهما : أن تتزل الثانية من
 الأولى مترلة بدل البعض (٢) من متبوعه ، كقوله تعالى « أمدكم بما تعلمون ،
 أمدكم بالنعام وبين . وجنات وعيون ، (٣) قوله مسوق للتبني على نعم الله تعالى
 عند المخاطبين ، وقوله : « أمدكم بالنعام وبين وجنات وعيون ، أوفى بتأديته
 مما قبله لدلالته عليها بالفصيل من غير إحالة على علمهم مع كونهم معاندين ،
 والامداد بما ذكر من الألعام وغيرها بعض الإمداد بما يعلمون ، ويحتمل الاستئناف ،
 وقائهما : أن تتزل الثانية من الأولى مترلة بدل الاشتمال (٤) من متبوعه كقول
 تعالى « اتبعوا المرسلين : اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون ، (٥) ، فإن المراد
 به حمل المخاطبين على اتباع المرسل ، وقوله : « اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم

(١) البقرة ٢.

(٢) بدل البعض، هو بدل الجزء من كل تارة كان ذلك الجزء أو متساويا لخصف أو أكثر منه . مثل : «جد الطلاب ربحهم لأنفسهم أو ثلثهم .»

(٣) الشعراء ١٣٢-١٣٤

(٤) بدل الاشتمال: هو بدل الشيء ما يتصل عليه على شرط أن لا يكون جزء منه . مثل
 «فلمني العلم عليه» و«أحببت طالبا شجاعة»

(٥) يس ٢٠-٢١

مبتدون ، أو في بداية ذلك لأن معناه : لا تخشون معهم شيئا من دنياكم ولربحون
صحة دينكم فينظم لكم غير الدنيا وغير الآخرة :
ومنه قول الشاعر :

أقول له أرحل ، لا تقيمن^١ عندنا والأفكن في السر والجهر معا

وقد فصل « لا تقيمن » عن « أرحل » لفعل البدل ، لأن المقصود من كلامه هذا
أكمال اظهار الكراهة لاقامته بسبب خلاف حرمه العن ، وقوله : « لا تقيمن عندنا »
أولى بتأدية هذا المقصود من قوله « أرحل » لذلك عليه بالمطابقة مع التأكيد :
٣. أن تكون الثانية بيانا للأول ، وذلك بأن تنزل منها منزلة عطفت البيان من
متبوعه في أفادة الإيضاح ، والمقتضى للبيان أن يكون في الأول نوع خفاء مع
التضاد للمقام لزانته ، كقوله تعالى : « فوسوس إليه الشيطان » ، قال : يا آدم هل
أدرك على شجرة الخلد وسلك لا يسلكي^٢ (١) ، فصل جملة « قال » صا
لها لكرها تفسيرا له وتبيها :

ومنه قول النري :

إناس^٣ قناس من بدو ومن حنصير^٤ بتعصر^٥ لبعض وإن لم يشعروا خدع^٦
فالجملتان الثانية « بعض لبعض ... » « إضاح للأول » « إناس قناس ... » وهي بيان لها ،
الثاني : أن يكون بين الجملتين كمال الانقطاع ، وذلك :

١- أن تختلف الجملتان غيراً وإنشاءً لفظاً ومعنى ، كقول الشاعر :

وقال راشدهم : أرسوا تزاولها فكل^٧ حصف امرئ يجرى بمفطار^٨
فالجملتان الأولى : « أرسوا إنشاء لفظاً ومعنى ، و « تزاولها » غير لفظاً ومعنى لأن
الغرض تعليل الأمر بالأرصاء بالزاول للهرب أي : « أرسوا السبية تزاول الحرب » ،
أو معنى لا لفظاً ، مثل : « مات فلان ، رحمه الله » ، فالجملة الأولى خبرية لفظاً ،
والثانية أنشائية معنى لا لفظاً ، لأن لفظ الفعل خبر لا أمر .

٢. أن لا يكون بين الجملتين جامع أو مناسبه بل تكون كل جملة مستقلة بنفسها
مثل : الليل رهيب . أهمل محمد ، ولا صلة بين الجملتين ، ولذلك ترك المطب
بينهما لكساح الانتعاع .

الثالث : أن تكون الجملة الثانية جوابا عن سؤال يفهم من الجملة الأولى فنقول
متركة ويسمى هذا شبه كمال الاتصال ، أو : الاستئناف ، والاستئناف ثلاثة أصناف ،
لان السؤال الذي تضمنته الجملة الأولى أما عن :

١. سبب الحكم فيها مطلقا ، كقول الشاعر :

قال لي : كيف أنت ؟ قلت خليل سهرٌ دائمٌ ، وحزنٌ طويلٌ

أي : ما بالك حزينا ؟ او ما سبب حلك ؟

وقول الآخر :

وقد فرغيتُ من الدنيا فهل زمني مُعَطِّ حَيَاتِي لفرّ بعدما فرغها (١)

جرست دهرى وأعليه فما تركت لي لتجارب لي ود امرى فرغها

أي : لم تقول هنا ويحك ؟ وما الذي اقتضاك أن تطوي عن الحياة إلى هذا الحد
كشحك ، أي تعرض عنها .

٢ - أو عن سبب خاص له كقوله تعالى : وما أمرى نفسي ، إن النفس لأمرارة
بالسوء (٢) . كأنه قيل : هل النفس أمرارة بالسوء ؟ فقبل : إن النفس لأمرارة
بالسوء .

٣ - أو عن غير هذين النوعين ، كقوله تعالى وقالوا : سلاماً ، قال : سلام (٣)
كأنه قيل : فماذا قال إبراهيم عليه السلام ؟ فقبل : قال سلام .
ومنه قول الشاعر :

زَعِمَ الْعَرَادُ أَنْزِي لي عَمْرًا صفوا ، ولكن عمرني لا تنجلي (٤)

(١) غرض : تسخير وطن الغر : من لا تجرأ له

(٢) يوسف ٥٣ .

(٣) تود ٦٩ .

(٤) البقرة : القعدة

لما حكى عن العواذل أنهم قالوا : هو في غمرة ، وكان ذلك مما يحرك السامع لأ
 يسأله فيقول : فما قولك في ذلك وما جوابك عنه ؟ أخرج الكلام مخرجه إذا كان
 ذلك قد قيل له وصار كأنه قال : أتول صدقوا أنا كما قالوا ولكن لا طمع لهم في
 خلاصي ، ولو قال : زعم العواذل التي في غمرة وصدقوا ، لكان يكون لم يصح
 في نفسه أنه سلول وإن كلامه كلام صحيح (١).

ومنه قول الوليد بن يزيد :

عَرَفْتُ الشَّرَّاءَ الخَاصِي عَفَا مِنْ بَعْدِ أَحْوَالِ
 عَفَا كَمَلِ عَفَا انِ عَفَا السُّبُلِ هَطَطَالِ (٢)

فانه لما قال : عفا وكان العفا مما لا يحصل للمزول بنفسه كان مظنة أن يسأل عن
 الفاصل .

ومنه قول المتنبي :

وَمَا عَفَفْتُ السَّرِيحَ لَهُ مَحَلًّا عَفَا مِنْ حَسَدٍ بِهِمْ وَصَانًا

فانه لما نفى الفعل الموجود عن الرياح ، كان مظنة أن يسأل عن الفاصل .

وقد يحذف صدر الاستئناف لقيام قرينة ، كقولته تعالى : وَيَسْبَحُ لَهُ فِيهَا
 بِاللَّحْمِ وَالْأَسْمَالِ . رجال لا تُشْهِمُهُمْ نِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ (٣) فيس
 قرأه يسبح ، مبنياً للمفعول - للمجهول - كأنه قيل : من يسبحه ؟ فليل رجال .

وقد يحذف الاستئناف كله ويقام ما بدل عليه مقامه ، كقول الشاعر :

زَعَمْتُمْ أَنْ أَحْسَبُكُمْ قَمْرِيشَ لَهْمِ الْإِنْفِ وَلَيْسَ لَكُمْ الْإِنْفُ (٤)

حذف الجواب الذي هو : كذبت في زعمكم ، وأقام مقامه لَهْمِ الْإِنْفِ وليس لكم

الإنف ، مقامه للدلالة عليه . ويجوز أن يفسر قوله : لَهْمِ الْإِنْفِ ... جواباً لسؤال

(١) ينظر دلائل الإجازة ص ١٨٢ .

(٢) عفا : عفا : حان : صوت ، والقصود الردء العاصب للشر .

عفا : شديد الويل : الشر الشديد .

(٣) التور ٣٦ - ٣٧ .

(٤) الإنف : الألف : العهد .

اختصاص الجواب المحذوف كأنه لما قال المتكلم : «كذبتم» قالوا : «لم كذبنا ؟»
فقال : «لعم إلف وليس لكم إلاف» ليكون في البيت استثنافان .

والد محذوف ولا يقام شيء مقامه، كقوله تعالى : «وَيْحُمُ الْعَيْدُ» (١) أي :
أبيوب، أو «هو»، لدلالة ما قبل الآية وما بعدها عليه (٢) .

الرابع : أن يكون بين الجملتين شبه كمال الانقطاع، وذلك بأن تكون الجملة
الثانية بمنزلة المنقطعة عن الأولى وينبغي هنا الفصل لأن عطفا عليها موهوم لعطفها
على غيرها، ويسى هنا الفصل «قطعاً». ومنه قول الشاعر :

ولفان سلس أنتي أيني بها بدلاً، أراها في الضلال تهيم
لم يعطف وأراها على نظره، لئلا يتوهم السامع أنه معطوف على «أبني» لقربه منه،
مع أنه ليس بمراء، ويحتمل الاستثناف .

الخامس : أن تكون الجملتان متوسطتين بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع
مع قيام الناتج من الوصل كأن يكون للأول حكم لم يقصد إعطاؤه لثانية، كقوله
تعالى : «وإِنَّا نَحْنُ وَإِلٰهُكُمْ وَإِنَّا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ» : «اللهُ
يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ» (٣). فجملة «الله يستهزئ بهم» لا يصح عطفها على جملة
«وإنا نحن وإلهكم» لئلا يلزم من ذلك اختصاص استهزاء الله بهم بوقت علوهم إلى
شياطينهم، والواقع أن استهزاء الله بهم غير مقيد بوقت من الأوقات. ولا يصح
أن تعطف جملة «الله يستهزئ بهم» على جملة «إنا معكم» لئلا يلزم أن تكون
من مقول الثاقبين مع أنها من مقول الله تعالى :

مواضع الوصل :

يجب الوصل في ثلاثة مواضع :

الأول : أن يكون بين الجملتين كمال الانقطاع مع الإيهام، وذلك بأن تكون
أحدهما خبرية والأخرى انشائية ولو فصلت لأوهم الفصل خلاف المقصود،

(١) من ٤٤ .

(٢) تبدأ الآية ٤٦ بقوله تعالى : «وإنا نحن وإلهكم» .

(٣) البقرة ١٤ - ١٥ .

ومنه قول البلغاء : (لا، وأبدك الله، ومثل : لا، ولفظ الله) و (لا، وحفظك الله).

الثاني : أن تكون الجملةان متفتحين غيراً وانشاءً لفظاً ومعنى كقولك تعالى : (إن الأبرار لفي نعم. وإن العجّاز لفي جحيم) (١)، وقوله . ويخرج الحي من لبث ويخرج الميت من الحي، (٢)، وقوله: ويخادعون الله وهو خادعهم، (٣)، وقوله . فوكلوا واشربوا ولا تسرفوا، (٤)

لو أن تكونا متفتحين غيراً وانشاءً معنى لالفاظ كقولك تعالى : (وإذا أنعمنا ميقاتاً بني إسرائيل، لا تعبدون إلا الله، وبالوالدين إحساناً، وفي القرى النبي والمساكين، وقولوا للناس حسناً، (٥)، عطف قوله: وقولوا، على قوله: لا تعبدون، لأنه بمعنى : لا تعبدوا.

الثالث: أن يكون الجملة الأولى على من الأعراب وتعد اشراك الجملة الثانية لها في الحكم الأعرابي، وهذا كعطف المفرد على المفرد، لأن الجملة لا يكون لها على من الأعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد، وينبغي هنا أن تكون متساوية بين الجملةين كقولك تعالى : (وعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء، وما يخرج فيها، وهو الرحيم القدوس) (٦).

وقوله: (والله يقبض ويبسط، إليه ترجعون) (٧)، ولذلك يجب على أبي تمام . لا والذي هو عالم أن القوى صبير، وأن أبا الحسين كريم

(١) الانتصار ١٢ - ١٤ .

(٢) الروم ١٩ .

(٣) البقرة ١٨٢ .

(٤) الأعراف ٣١ .

(٥) البقرة ٥٣ .

(٦) سبأ ٢ .

(٧) البقرة ٢٥٥ .

إذ لا مناسبة بين كرم أبي الحسين - محمد بن الهيثم - ومرارة الثوى، ولا تعلق لأحدهما بالآخر .

ومن إشراك الجملة الثانية بالأولى في الحكم الأعرابي قول اللغوي .

والدسر مني موضع لا يناله نديم ولا يقضي إليه شراباً
فجملة «لا يناله نديم» صفة أو موضع، ولذلك جاز أن تعطف عليها جملة «ولا يقضي إليه شراباً» .

وذكر عبد القاهر الجرجاني لونا من الوصل (١)، وهو أن يؤتى بالجملة فلا تعطف على ما يليها ولكن تعطف على جملة بينها وبين هذه التي تعطف جملة أو جملتان، مثال ذلك قول اللغوي .

تولوا بنتاً فكانت بينهم ذبيلاً
فكان سيرهم معطوف على (تولوا بنتاً) دون ما يليه من قوله «فما جاني»

أما إن عطفاً على هذا الذي يليه أمئداً للمعنى من حيث أنه يدخل في معنى «كان» وذلك يؤدي إلى أن لا يكون «سيرهم» حقيقة ويكون متوهماً كما كان تهييب الذين كذلك، وهذا أصل كبير . والسبب في ذلك أن الجملة المتوسطة بين هذه المعطوفة وأخرى، والمعطوف عليها الأولى ترتبط في معناها بتلك الأولى كالتي ترى أن قوله «فكانت بنتاً تهييب» مرتبط بقوله «تولوا بنتاً» وذلك أن الثانية سبب والأولى سبب، ألا ترى أن المعنى «تولوا بنتاً فترهت أن يئاً تهييب» ولا شك أن هذا التوهم كان بسبب أن كان القول بنتاً، وإذا كان كذلك كانت مع الأولى كالشيء الواحد، وكانت مترابطة معها مترابطة القول والظرف، وسائر ما يجيء بعد تمام الجملة من معمولات الفعل، مما لا يمكن المراد على الجملة وإن يمتد كلاماً على حفته:

(١) ينظر دلائل الإيجاز ص ١٨٨ .

م قال : فوهبنا شيء آخر دليق، وهو أنك إذا نظرت إلى قوله : «فكان سير
عيسهم ذبيلاً» وجدته لم يخطف هو وحده على ما خطف عليه ولكن تجد الخطف قد
تأول جملة التي مربوطاً آخره بأوله ، ألا ترى أن الفرغ من هذا الكلام أن يجعل
توليهم بفتح وعل الوجه الذي توهم من أجله أن الين تبييه مستدعياً بكاءه وموجياً
أن يتهم بفتح طم يفتح أن يذكر إعلان التيس إلا ليذكر إعلان التبع وان يوفق
بينهما، وكذلك الحكم في الأول : فحين وان كنا قلنا ان الخطف على «تولوا بفتح»
فاننا لانفي أن الخطف جنب حده مقطوعاً عما بعده بل الخطف عليه مضموماً اليه
مابعده إلى آخره، وانما أردنا بقولنا : إن الخطف عليه، ان تطمك أنه الاصل
والتقاعدة وان نصرك عن أن تطرحه وتجعل الخطف على مايلي هذا الذي تطمك
فتوهم أن قوله «كان سير عيسهم» معطوف على «فاجاب» فضع في الخطأ كالذي
أباك «أمر الخطف» إذ ان موضوع كل أنك تطمك تارة جملة على جملة وتعمد أخرى
إلى جملتين أو جعلت الخطف بفتحاً على بعض ثم تطمك مجموع علي على مجموع
لكه (١) :

أثران الجملة الحالية بالواو

ويتصل بالفتحة والوصل وأثران الجملة الحالية الواو وعدم التزامها بها ، وقد
أخذه البلاغيون بهذا البحث، وعقد له عبد القاهر الجرجاني والرازي والسكاكي
والقزويني فصلاً (٢) في كتبهم والخروج باب الفصل والوصل : ولكن دراسة
عبد القاهر كانت أصح هذه الدراسات ولذلك سيكون تلخيصها هنا شرحاً للموضوع
وتيافاً له :

لحي الحال تارة مع الواو وأخرى بغير الواو، وفي تمييز ما يقتضي الواو مما
لا يقتضي صعوبة القول في ذلك :

(١) دلائل الامجاز من ١٨٩ .

(٢) دلائل الامجاز من ١٥٦ وينظر ونهاية الامجاز من ١٣٧، وخطاب العلوم من ١٣١

والاصطلاح من ١٦٥ .

١ - ان الجملة إذا كانت من مبتدأ وخبر فالغالب عليها أن تحي مع الواو، مثل:
جاء محمد وعمر وأحمد. ومنه قول امرئ القيس :

أبختني والشرقي مضاجعي ومسنونة زرق كآليات الخصال
قال علوها من الواو قولهم «كلتة فوه إل في» وه رجع عوداً على بداهة،
٢ - ان كان المبتدأ من الجملة ضمير ذي الحال لم يصلح بغير الواو، مثل: جاء
محمد وهو راكب.

٣ - ان كان الخبر في الجملة من المبتدأ أو الخبر ظرفاً ثم كان قد تقدم على
المبتدأ، مثل: «عليه صطف» كثر فيها أن تحي بغير الواو. ومنه قول بشر:

إذا أكرتني بلدة أو تكرتني خرجت مع الجازي علي سواد
٤ - وان كانت الجملة من فعل وقاعل والقعل مضارع مثبت غير ضمني لم يكد
يحي بالواو مثل: جاء محمد يسي أخوه بين يديه، أو: جاء محمد يسي «
وعليه التزويل والكلام، ومثاله قوله تعالى: «ولا تمشن تمشكث» (١) وقوله:
«وتسبحن بها الألقى» الذي يقى ماله بتركتي (٢)، وقوله: «ويكدرهم في
طغيانهم يعمهون» (٣).

٥ - فلان دخل حرف في على المضارع تغير الحكم فجاء بالواو وتركتها كثيراً،
كقول مسكين الناصبي:

أكتبه السورق ليض أباً ولقد كان ولا يكدني لأب

وقول مالك بن رفيع وكان جنى جناية فطلبه مصعب بن الزبير:

أنسي مصعباً ويسو بيه فأين أحميد عنهم لا أحميد
أفأخوا من ضعي وتوعدوني وكنت وما يئنهني الوعيد (٤)

(١) للشر ١.

(٢) اللز ١٧-١٨.

(٣) الأعراف ١٨٦.

(٤) أي جعلوا من سي قوداً، وهي البهة.

وقول الشاعر :

ضفوا لا يريدون الرواحَ وغالهم من الشعر أسبابُ جرين على تدار
وقول اعشى عمدة :

أبنا أصهبان فهزكنا وكنا قبل ذلك في نعيم
وكان سفاهةً مني وجهلا عيري لا أسير إلى حبيب
في التالين الأولين الترت بالواو ، وفي التالين الآخرين لم تقرأ .

٦ - وما يجيء بالواو وغير الواو للناسي ، وهو لا يقع حالا إلا مع : فقه نظيرة
أو مشفوة : مثل : « أثنى وقد جهده السير » . وثالث ما جاء بغير الواو :

فأبوا بالرمح مكسراتٍ وأبنا بالسيوف ، قد احسنا
محذات الرمح :

من محذات الرمح تناسب الجملتين في الأسمية والفعلية ، وتناسب الجملتين
الفعليتين في المنصبي والمضارعة ، وفي الإطلاق والتضيد ، ولا يمدل من ذلك إلا لفرس
أو لمائع ، كما إذا أريد بأحداهما التجدد وبالأخرى الثبوت مثل : « قام محمد وعمر
لأعده إذا أريد أن قيام محمد متجدد وعمود عمرو ثابت مستمر : أو أن يراد حكاية
الحال للمخبة واستحضار الصورة في اللعن كقولاه تعالى : « ظريفاً كلتهم وقريناً
تقتلون » (١) :

أو أن يراد الإطلاق في أحداهما والتضيد في الأخرى كقولاه تعالى : « وقالوا
لولا أنزل عليه منك » ، لو أنزلنا ملكاً لنقضى الأمر » (٢) ، وبالحلقة الأولى
مطلقة ، والثانية متقيدة ، لأن الشرط متيّد للجواب (٣) :

(١) البقرة ٨٧ .

(٢) الأنام ٨ .

(٣) ينظر مفتاح العلوم ص ١٣١ ، والإيضاح ص ١٦٥ ، وشرح التلخيص ج ٣ ص ١٠٩ .

الفصل والوصل في المفردات :

لم يتعرض البلاغيون إلا للجمل حينما تربط أو تفصل، أما المفردات فلم يتعرضوا لها، ولعل السبب وضح هذه المسألة أو أن الحكم يعلم من الجملتين: وكان عبد القاهر الجرجاني قد اتخذ من الحديث عن عطف المفردات ميلا للحديث عن عطف الجمل، ولكنه لم يفتد لهذا القسم دراسة لأنه ما يتحدث عنه النحاة ولا يقع فيه الأشكال. (١) وأشار السكاكي إلى أن الفصل والوصل بين الجمل هو الأصل في هذا الفن (٢): وظن الخطيب القزويني أن غير ذلك متروك ولذلك عرف هذا الأسلوب بقوله: والوصل عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه، (٣) وعلى ذلك سار شراح تلخيصه غير أن العصام عطف على كلام الغزالي بقوله: وهو عبارة مشهورة بأن الفصل والوصل مختصان اصطلاحاً بالجمل والقنضيات لهما جارية في المفردات أيضاً. فلا ينبغي التخصص اصطلاحاً ونحن نقدم من عبارة القنطح عدم اختصاصهما بها، وإنما هما الأصل في الجمل حيث قال: « تميز موضع العطف عن غير موضعه في الجمل هو الأصل في هذا الفن، (٤) : واحتفظها في المفردات أيضاً لئلا يكون بمنزلة عن البلاغة، وكيف يظن أن عطف الجمل التي هي اعتبار مبتدأ، أو أسوال لصاحب، أو صفات لمنوت، وتركه مبنيات على أسوال دون ما في المفردات» (٥).

ولعل بقاء الفنين السبكي فارح للخص القزويني، كان من أحسن الذين تعرضوا لهذا البحث، وقال أن الأصل في المفرد فصله عما قبله، لأن ما قبله (٦):

(١) دلائل الإعجاز ص ١٧١ وما بعدها.

(٢) مفتاح العلوم ص ١٢٠.

(٣) الأيضاح ص ١١٧.

(٤) حذ عبارة السكاكي في القنطح ص ١٢٠.

(٥) شرح الأصول ج ٢ ص ٢.

(٦) عروض الأعراف - ترويح الطلبة ج ٣ ص ١١٢ وما بعدها.

١ - اما عامل فيه مثل «زيد قائم» فلا يعطف للمعول عن عامله:

٢ - أو معول فلا يعطف للعامل عن معوله.

٣ - أو كلاهما معول والفعل يعطيهما طياً واحداً فلا يمكن عطفه لأنه يلزم قطع العامل عن الثاني مثل: «علت زيدا قائماً» .

وإذا اجتمع مفردان وامكن من جهة الصراحة عطف احدهما على الآخر فإن كان بينهما جامع تمّ الوصل وإلا كان الفصل هو الأساس:

وسار بهاء الدين السبكي في بحث هذا النوع على منهجه في الجمل، وهو انقسام:
الاول : أن يكون بين المفردين كمال الانقطاع بلا ايهام غير المراد مثل: «زيد علم قائم» فإنه لا جامع بين علمين الخبرين ولذلك يفصلون، ومثل ذلك الاعداد واحد اثنان ثلاثة اربعة ...، وحروف الهجاء ألف باء... ففي مثل هذه الحالة يجب الفصل.
الثاني : أن يكون بينهما كمال الانقطاع وفي الفصل ايهام غير المراد مثل : «علت زيدا ضارباً وعلماً» يجب العطف إذا لم يعطف لزم أن «علماً» معول «ضارباً» .

الثالث : كمال الاتصال بأن يكون تأكيداً معنوياً، أو لفظياً، أو عطف بيان أو لغزاً، أو بدلاً نحو «جاه زيد نفسه» و«جاه زيد أبو عبد الله» و«جاه زيد للقائم» فلا يعطف شيء من ذلك.

أو يكون في معنى واحد من هذه الامور كما في عطف الجمل أو فصلها، أو أن يكونا بمنزلة غير واحد، مثل: «هذا حلو حامض» إذا جعلناهما خبرين.
الرابع : شبه كمال الانقطاع بأن يكون للمفرد الأول حكم ويقصد اعطاله الثاني نحو «ولمجيئ إن قصيد صالح» إذا اريد الاعجاز بأنه صالح مطلقاً فإن عطف «صالح» على «مجيئ» يوهم انه صالح إن قصد، لأن الشرط في أحد المتماثلين شرط في الآخر بخلاف الشرط في واحد من خبري اليتاء. وتارة يكون عطفه على المفرد قبله يوهم عطفه على غيره مثل «كان زيد ضارباً صراً قائماً» فلو قيل : «وقائماً» لا يوهم انه معطوف على «صراً» للمعول .

المخلص : شبه كمال الاتصال ، مثل «زيد غضبان ناقص الخطء» كأن سائلا سأل :

لم غضب ؟

المخلص : أن يكون بينهما التوسط من كمال الانقطاع وكمال الاتصال مثل «زيد
مضط مانع» على أن يكونا خبرين ، فإذا أريد جعل الثاني صفة تميّن الوصل :
أما المطف على الفعل والفرقات ، فقد جوز أكثر النحاة مطف الفعل على
الاسم ومطف الاسم على الفعل إذا كان كل منهما في تقدير الآخر : وقال السهيلي
بممن مطف الفعل على الاسم إذا كان اسم فاعل ، ويقع مطف الاسم على الفعل :
وقال أن مثل «مررت برجل يقوم قاعدة مستنقع الآ» على وجه ، وجوزة الزجاج كمطف
الفعل على الاسم ، والأكثر على الجواز . (١) قال تعالى : «صَالِحَاتٍ وَتَتَّبِعْنَ» (٢)
وقال : «وَالصُّبْرَاتِ صَبْحًا» فَأَنْزَلْنَا بِهِ لِقَاءَهُ (٣).

(١) عروس الأعراف - شرح التلخيص ج ٣ ص ١١٥ .

(٢) اللك ١٩ .

(٣) التائيد ٣ - ٤ .

المبحث الثالث

القصر

القصر - في اللغة - الحبس، قال تعالى: «مُؤَرَّذُونَ مَقْصُورَاتٍ فِي الْبُيُوتِ» (١) أي: محبوسة فيها، وأما معناه في الاصطلاح فهو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص، وذلك كتخصيص المبدأ بالخير بطريق النبي في قوله تعالى: «وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُوقِ» (٢)، وتخصيص الخبر بالمبدأ مثل: «ما شاعر إلا لثبي» : طرفاه:

والقصر طرفان . .

١ - المقصور ، وهو الشيء المخصص .

٢ - المقصور عليه ، وهو الشيء المخصص به .

وهي الآية السابقة «وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُوقِ» خصصنا الفروع بمتاع الدنيا، وأن لا يعلم الغيب إلا الله، خصصنا علم الغيب بالله تعالى، فالحياة الدنيا مقصور عليه، و الفروع مقصور ، و «علم الغيب» مقصور ولقظ الجلالة مقصور عليه .

ويقع القصر بين .

١ - المبدأ والخير ، كقوله تعالى : «وَمَا عِندَ إِلَّا رِيسَالٌ مِّن قِبَلِهِ الرَّسُلُ» (٣) و «مأذوب إلا على»:

٢ - بين الفعل والفاعل مثل : «لا ينجح إلا محمد» ، و «المام إلا أنا» .

٣ - بين الفاعل والفعل مثل : «ما شاهد خالد إلا الحقيقة» ، في قصر الفاعل على الفعل، أما قصر الفعل على الفاعل فنقل : «ما شاهد الحقيقة إلا خالد» .

٤ - بين الفعلين مثل : «مأعطيت محمداً إلا كتاباً» في قصر الفعل الأول على الثاني، أما قصر الفعل الثاني على الأول فنقل «مأعطيت كتاباً إلا محمداً» .

(١) الرحمن ٧٢ .

(٢) الحديد ٢٠ .

(٣) آل عمران ١٤٤ .

٥ - بين الحال وصاحبها، مثل وجاء راكفاً إلا محمداً في قصر الحال على صاحبها، أما قصر صاحب الحال عليها فمثل وجاء محمد الآ راكفاً، ومثل ذلك كل متعلقات الفعل، فإن القصر يجري فيها ما عدا التين:

الأول: المصدر المؤكد، فلا يقع القصر بينه وبين الفعل ولذلك لا يجوز أن نقول وما ضربت الأقرباء، وأما قوله تعالى وإن نزلنا^(١) إلا نزلنا^(٢) فتنزيه: قلنا ضعيفاً. الثاني: الفعل مع، فإنه لا يجري بعد الآ، ولذلك لا يقال وماضت إلا والخاطئة:

السواحة :

ينقسم القصر بحسب الحقيقة والإضافة إلى:

١ - قصر حقيقي: وهو أن يخص القصور بالقصور عليه بحسب الحقيقة لا ابتداءً إلى غيره أصلاً، كقوله تعالى: وإتينا بطركم أولو الألباب^(٣) فالترك صفة لا تتجاوز إلى غيرهم من سائر الناس في الحقيقة والواقع: ومث: وما خاتم الأنبياء والرسل إلا محمد^(٤) فهذه خاتم الأنبياء والرسل وهو القصور، يخص بمحمد صل الله عليه وسلم - وهو القصور عليه لا يتجاوز إلى غيره.

٢ - قصر إضافي: وهو غير الحقيقي وذلك بأن يكون القصر فيه بالإضافة إلى شيء مخصوص لا إلى جميع ما عدا القصور عليه: ومث قوله تعالى: وما محمد^(٥) إلا رسول^(٦)، فمحمد مقصور على الرسالة بالإضافة إلى شيء آخر، وليس المقصود أن الرسالة مختصة به وحده. ومتقولنا: وما محمد إلا كاتب، وليس المقصود أن محمداً مقصور على الكتابة وحدها بحيث لا يبتدأ إلا إلى شيء آخر، لأن الحقيقة والواقع خلاف ذلك، وإنما المقصود أنه مقصور على الكتابة بالإضافة إلى شيء آخر معين كالشعر أو الرسم أو غيرها:

وينقسم القصر باختيار طرفيه: المقصور والمقصود عليه إلى:

(١) الحاقة ٢٢ .

(٢) الرعد ١٩ .

(٣) آل عمران ١٤٤ .

١ - قصر موصوف على صفة: كقولك تعالى: وما تعبدونهم إلا ليقربونا إلى الله زكوة (١) فقد قصرت العبادة على التقريب قصر موصوف على صفة.
٢ - قصر صفة على موصوف: مثل: وما لي النار الأحمدة فقد قصر الوجود على النار على موصوف قصر صفة على موصوف.

والمراد بالصفة في أسلوب القصر الصفة المعنوية لانتها الذي يذكره الصحاح، لأن أداة الاستثناء لا تقع بين الصفة والموصوف.

ويقسم القصر بحسب الحقيقة والادعاء إلى:

١ - قصر حقيقي على سبيل الحقيقة.

٢ - قصر اضمالي على سبيل الحقيقة.

وهذان النوعان هما اللذان يقصدان عند إطلاق القصر الحقيقي والقصر اضمالي كما سبق:

٣ - قصر حقيقي على سبيل الإدعاء والمبالغة: ومثال قصر الصفة على الموصوف: الأثامر في العرب إلا النبي وإذا كان هناك في العرب شعراء غير النبي ولكن لا تريد الاعتراف بهم مبالغة في انتفاء الشاعرية على النبي. ومثال قصر الموصوف على الصفة: وما حاتم إلا جزواً أي أن حاتم لا ينصف بغير الجود من الصفات مبالغة في كمال الجود فيه.

٤ - قصر اضمالي على سبيل الإدعاء والمبالغة: ومثال قصر الصفة على الموصوف: وما علم إلا حمدة وذلك إذا أريد قصر العلم على حمد بالنسبة إلى خالد إذا كان علماً أيضاً.

ومثال قصر الموصوف على الصفة: وما محمد إلا كاتب إذا قصر محمد على الكتابة بالنسبة إلى صفة الشعر أو الرسم ويراد بذلك انتفاء صفة الشعر أو الرسم عنه: ويقسم القصر اضمالي لفظ بحسب حال المخاطب إلى ثلاثة أقسام:

(١) الزمر ٢

١ - قصر افراد: وذلك اذا اعتقد المخاطب الشركة في الحكم بين القصور وغيره.

٢ - قصر قلب: وذلك اذا اعتقد المخاطب عكس الحكم الذي يثبت بالقصر،

٣ - قصر تعين: وذلك اذا كان المخاطب مترددا في الحكم بين القصور عليه وغيره.

فان قيل في قصر الصفة على الوصف: والأديب عهد لاخالده وكان المخاطب يعتقد الشراك عهد وخالده في صفة الأدب كان القصر قصر افراد. واذا كان للمخاطب يعتقد غير ذلك كان القصر قصر قلب:

واذا كان المخاطب مترددا لا يدرى أيهما الأديب كان القصر قصر تعين:

واذا قيل في قصر الوصف على الصفة: ما عهد للأ مدرس، وكان المخاطب يعتقد الصاف عهد بعبئة التدريس والادارة كان القصر قصر افراد:

واذا كان المخاطب يعتقد الصاف عهد بالتدريس لا بالادارة كان القصر قصر قلب:

واذا كان المخاطب مترددا لا يدرى أي الصفتين هي صفة عهد كان القصر قصر تعين.

ولا يجري هنا التخصيم في القصر الحقيقي، لان القصر في ذلك النوع قصر بالنسبة إلى ما عدا القصور عليه على الاطلاق فلا يمكن أن يتصور في الشركة او العكس أو التردد على متراد في القصر الاضائي الذي يجري فيه القصر بالنسبة إلى شيء محدد.

شروطه:

وشرط قصر الوصف على الصفة افراداً عدم تثنائي الصفتين حتى تكون التثنية في لونها ومازید لإشاعره كونه كائناً، لا كونه ملحماً لا يقول الشعر ليص، اعتقاد المخاطب اجتماعهما.

وشرط قصره قلباً تحقق لتأنيها حتى تكون المثنية في قولنا ومازید الاكثام،
كونه قاعداً لوجالنا ، لاكونه أسود أو أبيض، ليهكون الباتهما مشراً بانتقاء
غيرهما :

وقصر التعيين أهم، لان اعتقاد كون الشيء موصوفاً بأحد أمرين معينين على
الاطلاق لا يقتضي جواز اتصالهما بما عدا الاستثناء. وبهذا علم ان كل ما يصلح ان يكون
مثالاً للقصر الافراد أو قصر القلب يصلح أن يكون مثالاً للقصر التعيين من غير عكس.
طريقته:

أهم طرق القصر أربع :

١ - **الشيء والإستثناء**: ويكون المقصور عليه في هذه الطريقة بعد اداة الاستثناء،
كقوله تعالى: **«وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل»** (١)، وقوله:
«وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا لأكذبون» (٢)، أي : لستم في
دعواكم للرسالة عندنا بين الصدق والكذب كما يكون ظاهر حال المدعي اذا
ادعى بل انتم عندنا كاذبون فيها.

ومنه : **«وما محمد الا شاعر»** ووجه القصر فيه انه متى قيل: **«وما محمد»** توجه الشيء
إلى صفته لأذاته لان أنفس اللوات يمتنع تقيها وانما تنفي صفاتها وحيث لا تزاح
في طوله وقصره وما شاكل ذلك وانما تزاح في كونه شاعراً أو كاتباً تناولهما
الشيء ، فاننا نقول: **«والاشاعره جاز القصر»**.
وتستعمل (غيره) في القصر استعمال الآء.

٢ - **انما** : ويكون المقصور عليه مؤخرأً وجواباً ، ومنه قوله تعالى : **«انما
يخشى الله من عباده العلماء»** (٣).

(١) آل عمران ١٤٤

(٢) يس ١٥

(٣) قاطر ٢٨

ومنه قول قيس بن الرقيات:

إنما مُصَنَّبٌ شهابٌ مسن الفجر تجلَّتْ عن وجهه الظلمة
والدليل على أنها تفيد القصر أمور:

الأول: كونها متضمنة معنى «ماء» و«إلاء» لقول القسرين في قوله تعالى: «إنما حرم عليكم الميتة والدم» (١) - بالنصب - معناه «ما حرم عليكم إلا الميتة».

الثاني: لقول النحاة إن «إتاء» لايات ما يذكر بعدها ونفي ما وراءه.

الثالث: لصحة اتصال الضمير معها مثل: «إنما يضرب آناه» أي: «ما يضرب إلا آناه» ومن ذلك قول الفرزدق:

أنا اللائد الحامي للعمار وإنما يدافع عن أحبا بهم أنا أو مثل
وقول عمرو بن معد يكرب:

قد علمت سكي وجاراتها ما تظن الفارس إلا أنا (٢)

٣ - العطف ب«إلاء» أو «لكن» أو «بل» فإن كان العطف ب«إلاء» كان المقصود عليه مقابلاً لما بعدها، وإن كان العطف ب«لكن» أو «بل» كان المقصود عليه ما بعدها.

ومثال قصر الوصوف على الصفة أفراداً: محمد قائم لا كاهنه، أو ما عهدنا قاصداً بل قائم:

ومثال قصر الصفة على الوصوف أفراداً أو قلياً بحسب المقام: محمد قائم لا كاهنه، أو ما عهدنا قائما بل زينه:

٤ - تقديم ما حقه الضمير: وهذا يكون المقصود عليه هو المقدم: فمن قصر الوصوف على الصفة أفراداً وشاعر هو من يخطئه شاعراً وكانها:

(١) البقرة: ١٧٣
(٢) نظر: سجع

ومن قصر الموصوف على الصفة قلبا: «قالم هو لمن يعتقد قاعدا» ومثال قصر
الصفة على الموصوف أفرادا: وأنا كفتيت مهتمك بمعنى وحدي لمن يعتقد أنك
وغيرك كفتيتا مهتم .

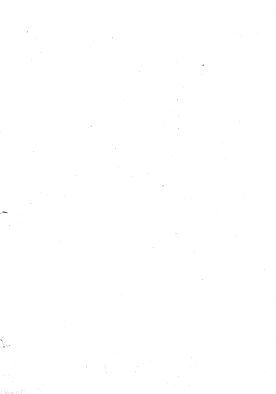
ومثال قصر الصفة على الموصوف قلبا: وأنا كفتيت مهتمك ، بمعنى لاخيري
لمن يعتقد أن غيرك كفتي مهمة ذواتك. وهذه الطرق الأربع تختلف من وجوه:
الأول: أن دلالة الثلاث الأول بالوضع دون الرابعة .

الثاني: أن الأصل في العطف أن يدل على التثبث والتضي جميعا بالنس فلا يترك
ذلك الاكراهة الاطباب في مقام الاختصاص كما اذا قيل «محمد يعلم النحو والصرف
والعروض والقواني» أو: «محمد يعلم النحو» وعالده ويكرو وعمره فتقول فيهما
«محمد يعلم النحو لا غير» وفي معناه «ليس الا» أي: لا غير النحو، ولا غير محمد،
وأما الثلاثة الباقية فتدل بالنس على التثبث دون التضي .

الثالث: أن التضي لا يجمع الأول لان شرط التضي بهلاء أن لا يكون متقيا قبلها
بغيرها ويجمع الآخرون فيقال: «انما زيد كاتب لأشاعر هو هو بأبني لا محمد»
الرابع: أن أصل التضي والاستثناء أن يكون ما استعمل له مما يجهله المخاطب وينكر
كقولك لصاحب وقد رأيت شيئا من بعيد «ها هو إلا» شبهة اذا وجدته يعتقد
غير محمد ويصر على الإنكار. وعليه قوله تعالى «وما من إله إلا الله» (١).
وهناك طرق اخرى للقصر غير أن البلاغيين لم يفتقروا عليها كل الاتفاق، ولذلك
نقل الوجوه الأربعة عمدة هذا الأسلوب (٢).

(١) آل عمران ٦٢ .

(٢) ينظر مفاتيح العلوم ص ١٢٨، والإيضاح ص ١١٨، وشرح التلخيص ج ٢ ص ١٦٦ .



فصل الخامس

الاجاز والاطاب والمساواة

البعث الأول

الاجاز

الاجاز والاطاب والمساواة من الاساليب التي لا تنضح كثيراً الا بالحديث عن تواضعها وعرض امثلتها، لان الاتفاق على مقياس يلجأ اليه الدارسون من الامور الصعبة. وكان السكاكي قد ذهب إلى ان الذي يحدد هذه الاساليب هو العرف وقد سمّاه مصارف الأوساط، يقول: «اما الاجاز والاطاب فلكونهما تبيين لا ييسر الكلام فيهما الا بتلك التحديق والبناء على شيء عرفي مثل جعل كلام الارسط على مجرى مصارفهم في تأدية المعاني فيما بينهم. ولا بد من الاعتراف بذلك مقياس عليه وتسميته مصارف الأوساط بوالله في باب البلاغة لا يحدد ولا يلم» (١) ولذلك كان الاجاز أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات مصارف الأوساط، وكان الاطاب أداءه بأكثر من عباراتهم، سواء كانت القلة أو الكثرة واجبة إلى الجميل أو إلى غير الجميل.

ولكن الخطيب القزويني رأى الاتفاق على مصارف الأوساط صعباً، ووجد أن بناء التعريف عليه أصعب، والأقرب ان يقال: «المقبول من طرق التعبير عن المعنى هو تأدية اصل المراد بلفظ مساو له أو ناقص عنه واف، أو زائد عليه لقائفة» (٢). وهذا التعريف لا يكون دقيقاً ان لم تعرض اساليب الاجاز والاطاب ليبنى عليها أسلوب المساواة ويحدد بدقة ووضوح، ولذلك قال ان المساواة وأن يكون اللفظ بطلان اصل المراد لا ناقصاً عنه يحدف أو غيره، ولا زائداً عليه بنحو تكرير أو تنعيم أو احتراس، أي ان المساواة لا تنضح الا بعد دراسة الاسلوبين الآخرين ومعرفتهما معرفة دقيقة، ولكنه قدم للكلام على المساواة لانها الاصل للمقياس عليه،

(١) مفتاح العلوم ص ١٢٢ .

(٢) الإيضاح ص ١٧٧ .

وهذا التقديم لا يخدم القياس لان المساواة لا تعرف الا بعد معرفة الكلام المحلوف
أو الزائد، وبذلك تكون الكلام الذي ليس فيه حذف أو زيادة .

وميز بين الكلام التام والتامس وذلك قال إن «وأنه احتراز عن الاخلال، وهو
أن يكون اللفظ قاصراً عن أداء المعنى، كقول عروة بن الورد:

صبيحتُ لهم إذ يقتلون قوسهم ومقتلهم عند الرضى كأن أهلها
قائه أراد: إذ يقتلون قوسهم في السلم.

وقول الخليل بن خنزة:

والعيشُ عسيرٌ في غللا ل التوك من عيش كدماً (١)
قائه أراد: العيش التام في غلال التوك خير من العيش الشاق في غلال الغل ،
فأصل بالمعنى .

واحتراز في الزيادة وقال أنها ناقصة ، لكي لا يدخل فيها :

١ - التطويل : وهو أن لا يعين الزائد في الكلام ، كقول علي بن زيد العبدي:
وقد دنت الأديم لراميه وألقى قولها كدياً وميتاً (٢)
فإن الكذب ولين واحد :

٢ - الخسوف: وهو ما يعين أنه زائد وهو نوعان :

الأول : ما يفسد المعنى ، كقول المتنبي:

ولا فضل فيه للشجاعة والتندي وصبر الفتي لولا لقاء شعوب (٣)
فإن لفظ «التندي» فيه حشو يفسد المعنى ، لأن المعنى أنه لا فضل في الدنيا للشجاعة
والصبر والتندي لولا الموت ، وهذا الحكم صحيح في الشجاعة دون التندي ، لأن
الشجاع لو علم أنه يخلد في الدنيا لم يتخسرها لئلا يهلك في الانتقام فلم يكن لشجاعته فضل ،
بخلاف الباطل ماله فانه إذا علم انه يموت هان عليه بذله .

(١) توك : الحبل . كد : الحب والشقة .

(٢) دنت : قلت . الأديم : الجلد . الراميهان : حرقان في بطن الدرايين .

(٣) شعوب : الموت ، التنية .

الثاني : ما لا يفسد المعنى ، كقول الشاعر :

ذكرتُ أنسى فعلاؤني صداعُ الراسِ والوصبُ (١)
فإن لفظ الراس، حتى لا يفسد فيه لأن الصداع لا يستعمل إلا في الرأس ، وليس يفسد المعنى.

وقول زهير :

وأعلم علم اليوم والآن قبله ولكنني من علم مالي غير عم
فإن قوله قبله ، يستثنى عنه غير مفسد .

وهذه المقدمة ضرورية في دراسة هذا الموضوع ، ولكنه إن يتضح إلا بعد الحديث عن أجزاءه لإيضاح لفظه وأساليبه.

الإيجاز :

الإيجاز - لغة - التضمير ، قول : أوجزت للكلام ، أي : قصرته ، وكلام موجز من أوجز .

والإيجاز - اصطلاحا - أن يكون اللفظ أقل من المعنى ، مع التوفيق به والالتزام اختلافاً بفرد الكلام .

وهذا الأسلوب من أهم خصائص اللغة العربية في القديم ، فقد كان العرب لا يميلون إلى الإطالة والشرح والأسهاب ، وكانوا يعدون الإيجاز هو البلاغة ، فحكيم بن حميلى يرى أن البلاغة هي الإيجاز ، وكان جعفر بن يحيى يقول لكتابه : إن قدرتم أن تجعلوا كتبكم توتيمات فالعلماء (٢) . وقولوا مثل ذلك في التصانيف ، وقد قيل لبعضهم مالك لا تريد على أربعة واثنين ؟ قال : هنن بالقلوب ألونع والمال باللفظ أسرع وبالناس أعلق ، والمعاني أجمع ، وصاحبها أبلغ وأوجز .
وليل لأخر : الأطنيل التصانيف ، فقال :

(١) الوصب : الرمس والوجع الدائم ونحوه الجسم ، وقد يطلق على الصب والقدود في البدن .

(٢) البيان والبيان ج ١ ص ١٨٦ ، وكتاب الصائحين ص ١٧٣ .

أبي في أن أطلق الشعر قصدي إلى المعنى وعلني بالصواب
 ويجزي بمختصر قريب حذفت به القسول من الجواب
 فابتدئهن أربعة وسناً مشقةً بالفاظ عذاب
 عموماً ملعداً ليل نهاراً وماحسُن الصبأ بأعني شباب
 ومن إذا وسنتُ بين قوما كأطواق الحمام في القراب
 وكن إذا أقمست سافرات نهادها الرواة مع الركاب (١)

وفي هذه الايات خلاصة لافراض الایجاز ، فيه يصل المتكلم إلى هدفه من غير
 تسويد أو زيادة لا يقتضيا المعنى ، وبه يأتي الكلام قصيراً سهلاً حفظه وروايته ، وعلينا
 مابعد وانصحا في الامثال والخطب والشعر ، وبهذا الاسلوب أيضاً تصل المعاني إلى
 القلب في أسرع ما يكون وتؤثر فيه فيكثر طرباً ان كان الكلام مما يسر ، ويتعمل ويتجهج
 ان كان مما لا يسر .

وكان هذه الصفة التي أولع بها العرب ان اعتم البلاغيون والتفاد بالاسلوب الایجاز ،
 ووضخوا له حدوداً وأقساماً ، وابتدوا مواضعه ، لانه ليس بمحمود في كل موضع
 ولا يخطأ في كل كتاب بل لكل مقام مقال ، وإلى ذلك أشار ابن قتيبة بقوله : ولو
 كان الایجاز محموداً في كل الاحوال لجرده الله تعالى في القرآن ، ولم يفعل الله ذلك
 ولكنه أطلق تارة للتوكيد وحذف تارة للایجاز وكرر التارة للانهاض (٢) .

وقال ابن جني ان الاطالة والایجاز هما في كل كلام مفيد مستقل بنفسه ولو بلغ
 الایجاز غاية لم يكن له بد من أن يعطيك تمامه وفائدته مع أنه لا بد فيه من تركيب
 الجملة فان قصصت عن ذلك لم يكن هناك استحسان ولا استعجاب . وقال ان العرب إلى
 الایجاز أميل وعن الاكثر أهدى ، وضرب مثلاً بالقرآن الكريم وما فيه من الحذف
 الذي يجعل الكلام موجزاً (٣) . ومعنى ذلك ان هذا الاسلوب ضروري كغيره إذا

(١) كتاب الصناعات ص ١٧١ .

(٢) أدب الكاتب ص ١٥ .

(٣) ينظر الصناعات ج ١ ص ٣٠ ، ٨٢ ، ٨٩ .

أراد التكلم أن يكون مطابقاً للمنتضى الحال وللك بقول أبو حلال العسكري: «ان
الإيجاز والأطاب يحتاج إليهما في جميع الكلام وكل نوع منه ، ولكل واحد منهما
موضع . فالخاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الأطاب في مكانه فمن أزال
التعبير في ذلك عن جهته ، واستعمل الأطاب في موضع الإيجاز واستعمل الإيجاز
في موضع الأطاب خطأ » (١) .

وتحدث ابن رشتين عن الإيجاز وذكر تعريف الروائي وهو: « الإيجاز هو العبارة
عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف » ونسبه إلى توجيه اللغويين (٢) .

وعقد ابن سنان له بحثاً وسماه «الأشارة» وقال عنه: «هو أن يكون المعنى
زائداً على اللفظ، أي أنه لفظ موجز يدل على معنى طويل على وجه الأشارة
واللمحة (٣) » ولخيار عنه في التصاحفة والندال على البلاغة هو أن يكون المعنى
ساوياً للفظ أو زائداً عليه، أي أن يكون اللفظ القليل يدل على الكثير دلالة واضحة
ظاهرة لأن تكون الألفاظ شرط إيجازها قد ألبست المعنى وأخففته حتى يحتاج في
استنباطه إلى طرف من القائل وذهن الفكر.

وعرف الرازي الإيجاز بقوله: «وحده أنه العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن
من الحروف من غير إخلال» (٤) .

وقال السكاكي ان الإيجاز والأطاب - كما سبق - من الأمور النسبية كالأبوة
والبنوة وهي التي يتوقف تعقلها على تعقل غيرها ، فان الكلام الموجز انما
يدرك من حيث وصفه بالإيجاز بالقياس إلى كلام آخر أكثر منه ، وكذلك اللفظ
انما يدرك من حيث وصفه بالأطاب إلى كلام آخر يكون أقل منه:

(١) كتاب الصائحين ص ١٩٠

(٢) أمثلة ج ١ ص ٢٢١ .

(٣) سر التصاحفة ص ٢٤٢ .

(٤) تجلية الإيجاز ص ١٤٠ .

وتحدث عنه ابن الأثير وعقد له فصلاً في «المثل السائر» وفصلاً في «الجامع الكبير» وقال في تعريفه: «هو حذف زيادات اللفاظ» (١)، وهذا النوع من الأساليب شريف لا يمتثل به إلا فرسان البلاغة، وذلك لعلو منزلته وبعد مثاله. ثم قال بعد أن مهد لبسته: «حذف الإيجاز هو دلالة اللفظ على المعنى من غير أن يزيد عليه، والظويل هو ضد ذلك، وهو أن يدل على المعنى بلفظ يكفيه بضمه في الدلالة عليه» (٢).

وسماه ابن الرمكاني «الإشارة» وقال: «هو إنبات المعاني المتكررة باللفظ القليل» (٣). وقال القلوي: «هو في مصطلح أهل هذه الصناعة عبارة عن تأدية للتصرد من الكلام بأقل من عبارة متعارف عليها» (٤).

وهذه التعريفات لا تخرج عن القول بأن الإيجاز هو التعبير عن المعاني بألفاظ قليلة تدل عليها دلالة لا تحتاج إلى تأمل دقيق.

المصنف:

الإيجاز ضربان :

الأول : إيجاز القصر : وهو تقليل اللفاظ وتكثير المعاني ، ويرى ابن الأثير أن التنبه لهذا النوع عسر ، لأنه يحتاج إلى فضل تأمل : (٥) ومن ذلك قوله تعالى : «ولكم في القصاص حياة» (٦). وتبين هذه الآية الكريمة حينما تقارن بتوهم : «القتل أنقى للقتل» ، ويوضح ذلك في وجوه :

أولها : أن عدة حروف ما يتألفه من «هو» في القصاص حياة ، عشرة في اللفظ وعدة حروفه أربعة عشر .

(١) المثل السائر ج ٢ ص ٧١ ، والجامع الكبير ص ١٢٢ .

(٢) المثل السائر ج ٢ ص ٧١ .

(٣) التبيان في أمم أئمة ص ١١٠ ، وينظر البرهان الكاشف من إيجاز القرآن ص ٢٢٢ .

(٤) الطراز ج ٢ ص ٢١٦ .

(٥) المثل السائر ج ٢ ص ٧٨ .

(٦) البقرة ١٧٩ .

قائما : مافيه من التصريح بالطلب الذي هو الحياة بالنص عليها فيكون لزجر
عن القتل بتبر حتى لكونه أدعى إلى الاتصاف .

قائما : مايلبده تكبير ، حياة من التسليم أو التوبة .

وايضا : اطراده بخلاف قولهم ، فان القتل الذي يقضي القتل هو ماكان على وجه
التصاص لاغيره .

خاصها : ملاتته من التكرار الذي هو من عيوب الكلام بخلاف قولهم :

خاصها : استغاثه عن تفسير معلول بخلاف قولهم ، فان تفسيره : القتل انتهى
القتل من تركه .

سابعها : ان التصاص ضد الحياة ، فالجمع بينهما طباقي .

ثامنها : جعل التصاص كالتج واللعن للحياة بادخال « في » عليه (١) .

ومن القصر قوله تعالى : « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً
لذنب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض » (٢) وقوله : « يا أيها
الناس إنما بتعبيكم على أنفسكم » (٣) وقوله : « ولا يتحيق الكفر السيء
إلا بأهله » (٤) .

ومنه قول الشريف الرضي :

مالوا إلى شعب الرّحال وأسفوا أبدي الطعان إلى قلوب تخفق
فإنه لما أراد أن يصلهم بالشجاعة في أثناء وصفهم بالفرام عبر عن ذلك بقوله
« أبدي الطعان » .

(١) الإيضاح من ١١٨٢ ويظهر كتاب الصلوات من ١١٧٥ ، والمثل للشرح ٢ من ١٢٥
ويضع القرآن من ١١٩٢ ونهاية الإيجاز من ١١٥ .

(٢) الكهف من ٩١ .

(٣) يونس ٢٢ .

(٤) طه من ١٢ .

وهذا مفهوم الأيجاز بالقصر عند البلاغيين، غير أن ابن الأثير (١) يحدده فرحاً
من الأيجاز الذي لا يخلف من شيء، لأنه ينقسم الأيجاز إلى قسمين .

١ - الأيجاز بالخلف: وهو ما يخلف من القرد والخلة:

٢ - ما لا يخلف من شيء، وهو ضربان .

الأول . ما سوى لفظة معناه ويسمى التفسير .

الثاني . ما زاد معناه على لفظة ويسمى الأيجاز بالقصر .

ونقسم الأيجاز بالقصر إلى نوعين :

أحدهما . ما دلّ لفظة على محتملات متعددة، ويمكن التعبير عنه بمثل القاطع وفي

عنها . ومنه قوله تعالى . فولد أوحياً إلى موسى أن أسر بعبادي فاقرب

لهم طريقاً في البحر بيتاً لا يخاف ذرئاً ولا خشى . فأبهم فرعون بمنزله

فغشيتهم من اليم غاشيتهم (٢) قوله : غشيتهم من اليم غاشيتهم من

جوامع الكلام التي يستدل على قلتها بالمعاني الكثيرة، أي غشيتهم من الأمور الهائلة

والخطوب لقادحة ما لا يعلم كنهه إلا الله ولا يحيط به غيره . ومنه قوله تعالى:

وعنك الظن وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین (٣) فجمع في الآية جميع

مكارم الأخلاق، لأن في الأمر بالعرف صلة الرحم ومنع اللسان عن الفرية وعن

الكذب ، وغض الطرف عن المحرمات وغير ذلك، وفي الإعراض عن الجاهلین

لصبر والحلم وغيرهما . ومثاله قول السعوي:

وان هو لم يحمل على النفس فيها فليس إلى حسر القنار سبل

لأن هذا البيت قد اشتمل على مكارم الأخلاق جميعها من ساحة وشجاعة وحيلة

وتواضع وحلم وصبر وغير ذلك، فإن هذه الأخلاق كلها من ضم النفس لأنها

تجد يحملها ضمياً أي : متلفاً ومعناه :

(١) اللؤلؤ السراج ٢ ص ١١١ . ونظر الطراز ج ٢ ص ١١٩ وما بعدها .

(٢) ط ٧٧ - ٧٩ .

(٣) الامراء ١٩٩ .

والتيهما : مادل لفظه على محصلات متعددة، ولا يمكن التعبير عنه بطل القاطن
 وفي حديثها، بل يستحيل ذلك وهو أهل طبقات الأيمان مكاناً ، ومنه قوله تعالى :
 فولكم في القصاص عيائاً الذي فاق كل كلام وفضل غيره من كلام العرب :
 التالي : إيمان الخلف : وهو ما يكون بخلاف كلمة أو جملة أو أكثر مع قرينة
 تعين المحلوف. أو هو كما قال ابن الأثير : «ما يخلف منه المفرد والجملة لدلالة
 لغوي للكلام على المحلوف ، ولا يكون إلا فيما زاد معناه على لفظه» (١). وقال عن
 هذا الأسلوب : وأما الإيماء بالخلف فإنه عجيب الأمر شبه بالسحر ، وذلك أنك
 ترى فيه ترك الذكر أنصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجهدك
 أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون شيئاً إذا لم تبين ، وهذه جملة تتكررها حتى
 تغير وتتغير حتى تنقر. والأصل في المحلوفات جميعاً على اختلاف ضروبها أن يكون
 في الكلام ما يدل على المحلوف ، فإن لم يكن هناك دليل على المحلوف فإنه لغو من
 الحديث لا يعمد بوجه ولا سبب : ومن شرط المحلوف في حكم البلاغة أنه متى
 أظهر صلت الكلام إلى شيء غث لا يناسب ما كان عليه أولاً من الطلاوة والحسن» (٢) :

أدلة الخلف :

أدلة الخلف كثيرة منها :

١ - أن يدل العقل على الخلف ، والمقصود الأظهر على تعيين المحلوف ، كقوله :
 وحُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ اللَّيْثُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِتْيِرِ» (٣) ، فإن العقل يدل على الخلف ،
 والمقصود الأظهر يرشد إلى أن الختير : حرم عليكم تناول الليث والدَّمُ وَلَحْمُ
 الْخِتْيِرِ ، لأن الفرض الأظهر منها تناولها.

٢ - أن يدل العقل على الخلف والتعيين ، كقوله تعالى : «وجاء ربك» (٤) أي :
 أمر ربك أو عذابه أو بأسه :

(١) اللؤلؤ السائر ج ٢ ص ٧٤.

(٢) اللؤلؤ السائر ج ٢ ص ٨١.

(٣) للأنبياء ٣.

(٤) الحجر ٢٢.

٣ - أن يدل الفعل على الحذف، والعادة على التعيين، كقوله تعالى حكايته عن امرأ العزيز: «فلكن الذي أئتمنتني فيه» (١)، «فل الفعل على الحذف فيه» لأن الإنسان إنما يلام على كسبه فيحتمل أن يكون التقدير «في حبه» لقوله: «وإذا شئتموها حباً» (٢)، وأن يكون في مرادته لقوله: «أثراؤد» ففاتها عن نفسه (٣)، وأن يكون في شأنه والمرء فيشملها، والعادة دللت على تعيين المرادة، لأن الجب المرط لا يلام الإنسان عليه في العادة لقهره صاحبه وغلبيته إياه، وإنما يلام على المرادة للعادة تحت كسبه التي يقدر أن يدفعها عن نفسه.

٤ - أن تدل المادة على الحذف والتعيين، كقوله تعالى: «لو تعلم قتالاً لا أتبعكم» (٤) مع أنهم كانوا أخيراً الناس بالحرب، فكيف يقولون بأنهم لا يعرفونها؟ فلا بد من حذف، وتقديره «مكان قتال» أي: أنكم تقاتلون في موضع لا يصلح للقتال ويخشى عليكم منه، ويدل على أنهم أشاروا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن لا يخرج من المدينة وأن الحزم البقاء فيها.

٥ - شروع في الفعل، كقول المؤمن: «بسم الله الرحمن الرحيم» عند الشروع في القراءة أو أي جعل، فإنه يفيد أن المراد «بسم الله أقرأ» والمحذوف يقدر ما جعلت النسبة مبدأ له.

٦ - اقتران الكلام بالفعل، فإنه يفيد تقديره، كقولنا لمن أحرص بالرفاء والبين، (٥) فإنه يفيد: بالرفاء والبين أحرصت (٦).
والمحذوف كما تقدم نوعان:

النوع الأول: حذف جزء جملة، وهو حذف المقدرات ويكون على صور مختلفة:

(١) يوسف ٢٢.

(٢) يوسف ٢٠.

(٣) يوسف ٣٠.

(٤) آل عمران ١٦٧.

(٥) الردة - بالكسر - مع الإلفاق والتلاحم.

(٦) الإيضاح ص ١٩٣، وتفسير شرح التلخيص ج ٢ ص ٢٠٢.

١ - حلف القائل والاكتماء في الدلالة عليه بذكر الفعل ، كقول العرب وأرسلت ، وهم يريدون النظر ولا يذكرون السماء . ومنه قوله تعالى : **كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ الرَّاقِيَةَ** وقيل **مَنْ رَأَى** (١) ، والضمير في **بَلَغَتْ** للنفس ولم يَجْزُرْ لها ذكر . ومنه قول حاتم الطائي :

أناؤي ما يندي الرأه عن القبي إذا حشرت يوماً وضاق بها الصدور
يريد النفس ، ولم يَجْزُرْ لها ذكر .

٢ - حلف القتل وجوابه ، وهو نوحان .

أحدهما : يظهر بدلالة القول عليه كقوله تعالى : **فَقَالَ لِمَ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا** (٢) ، أي : احطروا .

ومنه قول النبي .

ولولا أن أكثر ما نذسي معاودةً لقلت : ولا مناكما
قوله ، ولا مناكما ، فيه محطوف تقديره . ولا صاحبت مناكما .
وقوله :

ولا إلا بأن أصلي وأحكي فليذك لا يُنْتَبِهُ عسواكما
قوله ، ولا إلا بأن يعني وأحكي ، فيه محطوف تقديره : ولا أرضي إلا بأن
يعني وأحكي .

واللهما : لا يظهر فيه قسم القتل لأنه لا يكون هناك منصوب يدل عليه ، وإنما يظهر بالنظر إلى سلامة الكلام : كقوله تعالى : **وَعُرْضُوا عَلَىٰ رِجِّكَ صَدَقًا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ** (٣) ، قوله **لَقَدْ جِئْتُمُونَا** يحتاج إلى المنصوب فعل ، أي : قتل لهم : جئتمونا ، أو قلنا لهم .

ومن هذا الضرب إتياع الفعل على شئين وهو لأحدهما ، كقوله تعالى :

(١) البقرة ٢٦ - ٢٧ .

(٢) النمل ١٣ .

(٣) الكهف ٤٨ .

فأجمعوا أمركم وشركاءكم» (1) وهو «أمركم» وحده، وإنما المراد: أجمعوا أمركم وانصروا شركاءكم.

ومن حذف الفعل باب يسي «باب الامة المصدر مقام الفعل» ويؤتى به لضرب من البلاغة والتوكيد كقوله تعالى: «فإذا لقيتم الذين كفروا فنصرب الرقاب» (2) قوله: «نصرب الرقاب» أصله: فاضربوا الرقاب ضربا، فحذف الفعل وأقيم المصدر مقامه، وفي ذلك اختصار وتوكيد.

وأما حذف جواب الفعل فإنه لا يكون في الأمر المحتم كقوله تعالى: «فقد رآهم يخوضوا ويلعبوا» (3) فجزم «يلعبوا» ويلعبوا لانهما جواب أمر فلم يرد، وحذف الجواب في هذا لا يدخل في باب الإيجاز:

٣ - حذف المفعول به، كقوله تعالى: «وأنه هو أضحك وأبكى» وأنه هو أمات وأحياء (4)، فيعد كل فعل مفعول به محذوف.

ويكون ذلك لأغراض:

أحدها: أن يكون غرض التكلم بيان حال الفعل والفعل فقط كقوله تعالى: «ولما آذاهم مذبتن وجدته عليه أمة من الناس يسلطون ويؤجدهم من دولتهم لمرأين نودان» قال: «ما عطفكما؟» قالتا: «لا تسقي حتى يصدروا الرعاء» وأبونا شيخ كبير. فسقى لهما ثم ثوبن إلى الفل فقال: «رب إلى ما أتيتني» من خير فقير (5). وقد حذف المفعول به في أربعة مواضع لأن الفرض الحديث عن موسى لا عن كون السفي غنما، أو إهلا، أو غير ذلك.

لأليها: أن يكون غرض التكلم ذكره ولكنه يحذفه ليؤهم أنه لم ينعده كقول البحري:

(1) يونس ٧١.

(2) محمد ٤.

(3) لزخرف ٥٣.

(4) التيم ١٣-١١.

(5) المصدر ٢٣-٢١.

شَجْرٌ حَسَّاهُ وَعَدِيظٌ عَدَاهُ أَنْ يَرَى مَبْصَرٌ وَيَسْمَعُ وَاعِيٌ
 والمعنى : أن يرى مبصر حساه ، ويسمع واع أخباره ، ولكنه تعاضى عن ذلك ،
 ثالثها : أن يحذف للمعول لانه معلوم ، ويأتي هذا بعد فعل المشبهة كقوله
 تعالى : **هَلْ يَرَى شَاءَ فَمَا كُمْ أَجْمِينَ** (١) ، وقوله : **هَلْ يَرَى شَاءَ اللَّهُ لَعْنَةَ** يسعهم
وَأَبْصَارِهِمْ (٢) ، أي : لو شاء الله أن يلعب يسعهم وأبصارهم للعب بها ،
 ومما جاء على مثال ذلك شعراً قول البحري :

لَوْ شِئْتَ لَمْ تَسُدَّ سَاحَةَ حَاتِمٍ كَرَمًا وَلَمْ تَهْدِمِ مَأْتَرَ عَمَّالِدِ
 الْأَصْلَى فِي ذَلِكَ لَوْ شِئْتَ لَا تَسُدُّ سَاحَةَ حَاتِمٍ لَمْ تَسُدَّهَا فَحَدَفَ ذَلِكَ مِنْ
 الْأَوَّلِ اسْتِغْنَاءً بِدَلَالَتِهِ عَلَيْهِ فِي الثَّلَاثِي (٣) .

١ - حذف المضاف والمضاف إليه وإقامة كل واحد منهما مقام الآخر :
 فمن حذف المضاف قوله تعالى : **هَلْ يَسْأَلُ الْقَرْيَةَ** (٤) ، أي : أهلها .
 وقول الشاعر :

إِذَا لَأَيْتَ قَوْمِي فَاسْأَلِهِمْ كَفَيْتِي قَوْمًا يَصَاحِبُهُمْ خَيْبِرًا
 هَلْ أَحْضُو مِنْ أَصُولِ الْحَقِّ فِيهِمْ إِذَا عَسَّرَتْ وَأَنْتَطَعُ الصَّدُورَا
 أَرَادَ أَنَّهُ يَنْتَظِعُ مَا فِي الصَّدُورِ مِنَ الضَّمَانِ ، فَحَدَفَ الْمَضَافَ وَالْمَامَ الْمَضَافَ إِلَيْهِ
 مَقَامَهُ :

ومن حذف المضاف إليه قوله تعالى : **وَالَّذِي الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ** ومن بعده (٥) ،
 أي من قبل ذلك ومن بعده : وهذا النوع قليل الاستعمال لأن المضاف يكتفي منه
 تعريفاً وتخصيماً فحذفه يخلّ بالكلام لاذهب فائدته بخلاف المضاف نفسه ،
 فانه لا يخلّ حذفه من جهة أن المضاف إليه يلعب بفائدته ويقوم مقامه .

(١) النمل ١٠

(٢) البقرة ٢٠

(٣) ينظر المثال السابق ٢ ص ١٩٧ ، ويضع القرآن ص ٨٥ ، والطراز ج ٢ ص ١٠١ .

(٤) يوسف ٨٢

(٥) الروم ١

وربما حذف المضاف والمضاف اليه وهذا نادر، كقوله تعالى : «الْكَلْبُفَتُّ
 تَهْبَتُّ» من أثر الرسول (1) ، أي من أثر حافر فرس الرسول - صلى الله عليه
 وسلم - وقد قال العلوي عنه «ولا يكاد يوجد إلا حيث دلالة الكلام عليه» (2) ،
 وساء ابن الأثير وحذف المضاف مكرراً (3).

٥ - حذف الموصوف والصفة والذات كل واحد منهما مقام الآخر ، فمن حذف
 الموصوف قوله تعالى : «وَأَكْبَاهُ ثَمُودَ الثَّاقَةَ مَبْعُورَةً» (4) أي : آية مبصرة
 ولم يرد الثاقه قائما لا معنى لوصفها بالبحر . ومنه قول الشاعر .

أنا ابن جتلا وطلاح التلبيح متى أضح العمامة تعرفوني
 أي : أنا ابن رجل جلا .
 وقول البحترى :

في انخضار من الباس حل أص لم يختال في صيفة ودرسو
 فقوله «حل اصفر» أي حل فرس اصفر ، وهذا مفهوم من قرينة الحال لانه
 لما قال «حل اصفر» علم بذلك انه أراد فرسا اصفر .

ومن حذف الصفة قوله تعالى : «وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَكِيلٌ بِأَخَذِ كُلِّ صِفَةٍ
 قَسْبًا» (5) ، أي : كل صفة صحيحة أو صالحة .

٦ - حذف الشرط وجوابه : ومثال حذف الشرط قوله تعالى : «بِأَعْيَادِي
 الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَأَيُّ قَاعِلُونَ» (6) ، فإلقاء في قوله «قَاعِلُونَ»

(1) ط ٩٦ .

(2) الطراز ج ٢ ص ١٠٦ .

(3) لؤلؤ السائر ج ٢ ص ٩٩ .

(4) الأبرار ٥٩ .

(5) التكهيف ٢٩ .

(6) التذكير ٥٦ .

جواب شرط محذوف ، والمعنى : إن أرضي واسعة فإن لم تخلصوا إليّ العبادة في أرض فاطصروها في غيرها .

ومنه قوله : « فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر » (١) أي : فاطفر فعدة من أيام أخر .

ومن حذف الشرط قوله تعالى : « ويوم تقوم الساعة يُنقسم للمجرمون ما لبثوا غير ساعة ، كذلك يُؤفكون : وقال الذين أوتوا العلم والايمن لقد لئسنا في كتاب الله إلا يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم تعلمون » (٢) . يقول : إن كنتم منكربن البعث فهذا يوم البعث ، أي : قد تبين بطلان قولكم . ومنه قول الشاعر :

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ثم القصفول فقد جثنا خراسانا
كأنه قال : إن صح ما قلتم إن خراسان أقصى ما يراد بنا فقد جثنا خراسان وأن لنا أن نخلف .

وأما حذف جواب الشرط فقولته تعالى : « هل أرايتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهدت شاهد من بني اسرائيل على مبثله فلئن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين » (٣) ، فإن جواب الشرط هنا محذوف تقديره : إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألسم ظالمين ؟ وبدل على المحذوف قوله تعالى : « إن الله لا يهدي القوم الظالمين » .

ويحذف جواب الشرط :

١- مجرد الاختصار ، كآية السابقة ، وكقولته تعالى :

« ولو أن فرآنا سهرت به الجبال أو قطعت به الأرض ، أو مكلم به الموتى » (٤) أي : لكان هذا القرآن :

(١) البقرة : ١٨٥ .

(٢) الروم : ٥٥-٥٦ .

(٣) الاحقاف : ١٠ .

(٤) الرعد : ٣١ .

٢ - الدلالة على أنه شيء لا يحيط به الوصف ، أو انزهيب نفس الجامع كل
مذهب كقوله تعالى : « وَتَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ، حَتَّى إِذَا
جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَابَمَا فَادَخَلْتُمَهَا
خَالِدِينَ » (١) وقد حذف جواب الشرط لعظمة المشهد ولكن تذهب النفس في
تصوره كل مذهب (٢).

ولهذا المعنى حذفت الصلة من قولهم : « جاء بعد القيا والتي » (٣) أي المشار
إليه بهما وهي المحنة والشدائد قد بلغت شدتها ولفظة شأئها بدلنا بيوت الواصف
معها حتى لا يجرى بنت شقة (٤).

٣ - علم المخير بوضع الكلام ، وقد سأل سيويه استاذ الخليل عن قوله تعالى :
« حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا » (٥) أين جوابها؟ وعن قوله تعالى :
« وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوَى الْعَذَابَ » (٦) ، « وَلَوْ تَرَى إِذْ وَكُفُّوا عَلَى
النَّارِ » (٧) ، فقال : « إن العرب قد تركت في مثل هذا الخبر الجواب في كلامهم
علم المخير لأي شيء وضع هذا الكلام » (٨).

٧ - حذف القسم وجوابه ، ومثال حذف القسم « لا أعلن » أي : والله لا أعلن
ومثال حذف جوابه قوله تعالى : « والقجر وليل عشير ، والشامع والوتر ،
والليل إذا يسري . هل لي ذلك قسم الذي حوچتر . ألم تر كيف فعل ربك بقاد ،

(١) الزمر ٧٢ .

(٢) ينظر الإيضاح ص ١٨٧ ، وشروح التلخيص ج ٢ ص ١٩٢ .

(٣) القيا : تصغير أي .

(٤) مخرجات العلوم ص ١٣٥ - ١٣٥ ، والإيضاح ص ١٨٨ .

(٥) الزمر ٧٢ .

(٦) البقرة ١٦٥ .

(٧) الانعام ٢٧ .

(٨) كتاب سيويه ج ١ ص ٤٥٢ .

إِرَامَ ذَاتِ الْعِمَادِ، الَّتِي لَمْ يُخَلِّقْ بِمِثْلِهَا فِي الْبِلَادِ (١) ، فِجْرَابِ قَسَمِ عَنَّا
مَحْطُوفِ تَقْدِيرِهِ : لِيَطْلُبِينَ ، أَوْ لِحَرِهِ :

٨ - حَلَفَ الْوَلَاءُ وَجَوَابُهَا ، وَمِثَالُ حَلْفِ الْوَلَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَى : « مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ
وَأَكْبَرُ ، وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذْ أَنْزَلَ السُّجُودَ كُلَّهُ بِنَا خَلْقِكَ وَلَمَّا بَلَغَ مِنْهُمْ عُلُ
بَعْضُ (٢) : وَتَقْدِيرُهُ : لَوْ كَانَ مَعَهُ كَلْفٌ لِلْعَبِّ كُلِّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ .
وَمَثَلُ قَوْلِ تَرْبِطِ بَيْنَ أَيْفٍ :

لَوْ كُنْتُ مِنْ عَائِزِينَ لَمْ تَسْتَجِبْ لِيَلِي بِنَوِ الْقَبِيضَةِ مِنْ ذَهَلِ بْنِ شَيْبَانَ
إِذْ كَانَ لِقَامِ بَصْرِيِّ مَعْتَرِ عَشْرِينَ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ إِنَّهُ ذُو لَوْةٍ لَا تَلَا
وَالْقَدِيرِ : إِذْ لَوْ كُنْتُ مِنْهُمْ لِقَامِ بَصْرِيِّ مَعْتَرِ عَشْرِينَ .

وَمِثَالُ حَلْفِ جَوَابِ الْوَلَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَلَوْ تَرَى إِذْ فُتِحُوا قُلُوبُهُمْ وَأُنزِلُوا
مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ » (٣) . وَتَقْدِيرُ جَوَابِهِ : لَرَأَيْتَ امْرَأَةً عَظِيمًا . وَمَثَلُ قَوْلِ أَبِي قَامٍ :
لَوْ يَطْمُ الْكُفْرُ كُمْ مِنْ أَحْصَرَ كُنْتُ لَهُ الْعَوَابُ بَيْنَ السُّنْرِ وَالْقَضْبِ
وَالْقَدِيرِ : لَوْ يَطْمُ الْكُفْرُ لَأَخَذَ أَحَبُّهُ الْخَلَارُ .

٩ - حَلَفَ جَوَابِ الْوَلَاءِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ
فِي الَّذِينَ آمَنُوا ، لَمْ حَلَابُ أَيْمٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ .
وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ » (٤) تَقْدِيرُهُ : وَلَوْلَا
فَضْلُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ لَعَجَلُ لَكُمْ الْعَذَابُ .

١٠ - حَلَفَ جَوَابِ الْوَلَاءِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « وَغَدَاً أَسْلَمَا وَتَلَّ الْجَبِينُ ، وَغَدَايَهُ
أَنَّ يَا إِبْرَاهِيمَ لَقَدْ سَدَّدْتُ الرُّؤْيَا ، إِنْ كَذَبْتَ تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ » (٥) ، وَتَقْدِيرُهُ :

(١) الْقَمَرُ ١-٥ .

(٢) الْوَالِدُونَ ٩١ .

(٣) سَاءَ ٥١ .

(٤) التَّوْبَةُ ١٩-٢٠ .

(٥) الصَّافَّاتُ ١٠٢-١٠٥ .

فلما اسلمنا وثله للنجين واديبناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا كان ما كان منا
ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف .

١١ - حذف جواب «أما»، كقوله تعالى : «فأما الذين أسودت وجوههم
أَكْفَرْتُمْ بِعِدِّ إيمانِكُمْ» (١)، والتقدير : فيقال لهم أكفرتم بعد إيمانكم، فحذف
القول وأقام للقول مقامه.

١٢ - حذف جواب «إذ»، كقوله تعالى : «وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم
وما خلفكم لعلكم ترحمونه. وما تأتئهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها
سرحنين» (٢)، والتقدير : وإذا قيل لهم اتقوا أمرضوا وأصرأوا على تكذيبهم،
وقد دلّ عليه قوله : «إلا كانوا عنها سرحنين».

١٣ - حذف المبتدأ والخبر. ولا يكون حذف المبتدأ إلا مفرداً، والاحسن حذف
الخبر لأن منه ما يأتي جملة. ومن المواضع التي يحسن فيها حذف المبتدأ على طريق
الابتناء قوله «والليل والله أي : هذا الليل».

ومن المواضع التي يصح فيها حذف الخبر قولنا «لولا صدك لكان كذا» .
ومن المواضع التي يحتمل أن يكون المحذوف فيها إما المبتدأ وإما الخبر قوله
تعالى : «فصبر جميل» (٣)، فيحتمل أن يكون المبتدأ «علوفاً وتقدير» ، وأمري
صبر جميل» ، ويحتمل أن يكون من باب حذف الخبر وتقديره : «الصبر جميل
أجمل».

١٤ - حذف «لا» من الكلام وهي مرادة، كقوله تعالى : «قاله فتأذكر
يوسف» (٤) أي : لا فتأ، فحذفت «لا» من الكلام وهي مرادة .
ومنه قول امرئ القيس :

(١) آل عمران ١٠٦ .

(٢) يس ٤٤-٤٦ .

(٣) يوسف ١٨ + ٨٢ .

(٤) يوسف ٨٥ .

قلت : بين الله أربع قواعد ولو نظرنا رأسي لبيك ولوصالي
أي : لا أربع قاعدة.

١٥ - حذف الواو من الكلام والباها، واحسن حذفها من اللطوف والمطوف
عليه، ومنه قوله تعالى : وما أيتها الذين آمنوا لا تتخلوا بطانة من دونكم لا يآؤنكم
عبداً ودوا ما همتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر (١)؛
أي : لا يآؤنكم عبداً ودوا ...

١٦ - حذف بعض اللام وهو مسامي لا يجوز القياس عليه، (٢) ومنه قول
علقمة بن عبدة :

كان إبراهيم - أي على شرف مقدم* بسيا الكتفان مطوم* (٣)
فقوله وسننكاه يريد بسائب الكتان.

وهذا وأمثاله مما يقع ولا يحسن وإن كانت العرب قد استعملته فإنه لا يجوز
لنا أن نستعمله.

الرفع الثاني : حذف الجمل وهو لسان :

أحدهما : حذف الجمل المقيدة التي تستقل بنفسها كلياً وهذا احسن المحذوفات
وأما على الاختصار ولا تكاد تراه إلا في كتاب الله تعالى.
وثانيهما : حذف الجمل غير المقيدة .

وجملة هذين النوعين أربعة أضرب :

الضرب الأول : حذف السؤال المقدر ويسمى الاستئناف ويكون على وجهين :

١ - إعادة الأسماء والصفات، كقوله تعالى : وألم ذلك الكتاب لا ريب فيه
هدى للذين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وما رزقناهم يفتنون.

(١) آل عمران ١١٨.

(٢) ينظر اللؤلؤ السمر ج ٢ ص ١١٢، والطرار ج ١ ص ١١٢.

(٣) الكلام : حرقه ليجل في قم الإبريق . سائب الكتان : جمع سبية وهي الشفا،
ومثل : الشفا البيضاء .

والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون» (١) والامتنان واقع في هذا الكلام على أولئك لأنه لما قال «ألم ذلك الكتاب» إلى قوله : «وبالآخرة هم يوقنون» اتجه لسائل أن يقول : ما بال السائل بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى ، فأجيب بأن أولئك الموصوفين غير مستبعد أن يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلح آجلا .

٢ - الامتنان بغير إعادة الأسماء والصفات ، كقوله تعالى : « وما لي لأعبدُ الذي قطنني وآبى تُرْجِمُونَ.أَتَأْخُذُ مِنْ دُونِ آلِهَةٍ إِنِّي يُرْءِىانِ الرَّحْمٰنُ بِضُرِّ لَأَتَّيِّنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِضُونَ: إِنِّي إِذْ نَلَمِي ضَلَالِ مِيقِينَ . إِنِّي كُنْتُ مِنْ الْكٰفِرِينَ » (٢) . فخرج هذا القول فخرج الامتنان ، لأن ذلك من مظان المسألة عن حاله عند لقاء ربه ، وكان قائلا قال : كيف حال هذا الرجل عند لقاء ربه بعد ذلك الصلب في دية والشحى لوجهه بروحه ؟ فقيل : قيل أدخل الجنة ولم يقل : قيل له ، لاتصيب الفرض إلى القول لا إلى القول له مع كونه معلوماً ، وكذلك قوله تعالى : « باليت قومي يطعون » مرتب على تقدير سؤال سائل عما وجد .

الضرب الثاني : الاكتفاء بالسبب عن المسبب وبالمسبب عن السبب ، فأما الاكتفاء بالسبب عن المسبب فكقوله تعالى : « وما كُنْتُمْ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْتُمْ إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ. وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَتْ عَلَيْهِمُ الْمُعْسَرُ » (٣) . فذكر الرحمة التي هي السبب في إرساله إلى الخلق ودل بها على المسبب وهو الأرسال وعليه قول النبي :

(١) البقرة ١-٥ .

(٢) يس ٢١-٢٧ .

(٣) القصص ١١-١٥ .

أني قرآنًا بسوء في شيء فسألهم وأبناه صل القرآن
أي : فسأله .

وأما حذف الجملة غير المقيدة من هذا الضرب فكقولنا تعالى حكاية عن مريم
- عليها السلام - : « قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك
بغيا . قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة
منا وكان أمراً مقضياً » (١) ، فقوله : « ولنجعله آية للناس » تعليق معكف مخلوف
أي : وإنما فعلنا ذلك لنجعله آية للناس ، فذكر السبب الذي صدر الفعل من أجله ،
وهو جعله آية للناس ، وذلك به على السبب الذي هو «الفعل» .

وأما الاكتفاء بالسبب عن السبب ، فكقولنا تعالى : « فإذا قرأت القرآن فاستمع
بإذن من الشيطان الرجيم » (٢) ، أي : إذا أردت قراءة القرآن : فاكفي بالسبب
الذي هو القرآن عن السبب الذي هو الإرادة ، والدليل على ذلك أن الاستضافة
قبل القراءة والذي دللت عليه أنها بعد القراءة .

الضرب الثالث : الانضمام على شريطة الضمير ، وهو أن يحذف من صدر الكلام
ما هو في آخره فيكون الآخر دليلاً على الأول : وهو ثلاثة أوجه (٣) :
١ - أن يأتي على طريق الاستضمام فتذكر الجملة الأولى دون الثانية ، كقولنا
تعالى : « أمنن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم
من ذكر الله أولئك في ضلال مبين » (٤) ، فتلخيص الآية : « أمنن شرح الله صدره
للإسلام كمن أنسى قلبه ؟ » وذلك على المخلوف قوله « فويل للقاسية قلوبهم » .

(١) مريم ٢٠ - ٢١ .

(٢) النحل ٩٨ .

(٣) ينظر النمل السابع ج ٢ ص ٨٩ ، والمفاتيح الكبير ص ١٢٥ ، والطرز ج ٢ ص ٩٧ .

(٤) الزمر ٢٢ .

٢ - أن يرد على حدّ الضمي والائتمات ، كقولہ تعالى : « لا يستوي منكم من أنفق قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا » (١) ،
 فقديره لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ومن أنفق من بعده وقاتل ،
 بدل هل المحلوف قوله : وأولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ،
 ٣ - أن يرد على غير هذين الوجهين ، فلا يكون استهماً ولا تقيماً وإنما كقولہ
 تعالى : « والذين يؤثرون ما آتوا ، وقلوبهم وجيلة » أنهم إلى ربهم راجعون ، (٢)
 فالعنى في الآية : والذين يبطون ما أعطوا من الصدقات وسائر القرب الخالصة
 لوجه الله تعالى وقلوبهم وجلة أي : خائفة من أن ترد عليهم صدقاتهم لحطف
 قوله ويخالفون أن ترد عليهم هذه الصدقات ، ودل عليه بقوله « وقلوبهم وجلة »
 فظاهر الآية أنهم يجلون من الصدقة وليس وجلهم لاجل الصدقة ، وإنما
 وجلهم لاجل خوف الرد المتصل بالصدقة :
 وكقول أبي تمام :

ينجب الآثم ثم يخافها فكأنما حسنه آثامٌ
 والتفسير : أنه ينجب الآثم فإذا نجحها قد أي بحسنة ثم يخاف أن لا يكون
 تلك الحسنة مقبولة ، فكأنما حسنه آثم فلم يخف الحسنة لكونها حسنة وإنما يخاف
 ما يتصل بها من الرد فكأنما خرفه كما يخاف الآثم .
 ومنه قول أبي نواس :

سنة العشاق واحدةٌ فإذا أحببت فاستكبر
 لحطف الاستكافة من الأول وذكرها في المصراع الثاني ، لأن التفسير : سنة
 العاشقين واحدة وهي أن يستكبروا ويتضرعوا ، فإذا أحببت فاستكبر .

(١) الخليل ١٠

(٢) التوسون ٦٠

الضرب الرابع : ما ليس بسبب ولا مسبب ، ولا اضطرار على شريطة الضمير ، ولا استئناف : فمن حلف الجمل المفيدة فيه لقوله تعالى : « قال تَزْرَعُونَ سَبَّحَ سنينَ دَأبًا فما حصدتُمْ ثُمَّ قَدَرْتُمْوه في سُنْبُلِهِ إِلا قليلا مما تأكلون . ثم يأتي من بعد ذلك سَبَّحَ شِدَاداً يَأْكُلْنَ ما قَدَّمْتُمْ لمن إِلا قليلا مما تُحصدون . ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه بَطَّأَتِ الناسُ وفيه يَعْتَصِرُونَ . وقال الملك أئتمني به (١) ، فإنه حلف من هذا الكلام جملة مفيدة فتدبرها : فرجع الرسول إليهم فأخبرهم فقال يوسف فعجبوا فما أُرِ فصدقوه عليها وقال الملك : « أئتمني به . »

ومن حلف الجمل غير المفيدة لقوله تعالى : « يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً . قال : رب أنسى يكون لي غلامٌ وكانت امرأتي عاقراً وقد شككتُ من الكثير عييباً . قال كذلك قال ربك هو على هينٌ وقد خلقك من قبلٌ ولم تكن شيئاً . قال : رب اجعل لي آيةً ، قال : آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً . فخرج على نومه من الخراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرةً وعشيا . يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتياء الحكم عسياء (٢) . هذا الكلام قد حلف منه جملة دل عليها صفره وهو البشري بالغلام ، وتفسيرها : ولا جاءه الغلام ونشأ وترعرع قلنا له : يا يحيى خذ الكتاب بقوة ، فالجملة المعذوقة ليست من الجمل المفيدة .

ومما ورد على ذلك شعراً قول المتنبي :

لا أبيض العيس لكني وليت بها للبي من المم أو جسي من السكتم
وفي هذا البيت حلف ، والتقدير : لا أبيض العيس لاتصاني إياها في الأسفار ولكني
وقيت بها كلها وكلها ، الثاني دليل على حلف الأول.

(١) يوسف ١٧ - ٢٠ .

(٢) مريم ٢ - ١٢ .

وما يصل بهذا الضرب حلف ما يجيء بعد الفعل مثل : « الله أكبر أي :
 أكبر من كل كبير :
 وحله ورد قول البحري :
 قد أعطاك الحبة في التوري وحباك بالفضل الذي لا يُستكبرُ
 ولأنت أملاً في العيون لديهم وأجلّ قدراً في الصدور وأكبرُ
 أي : أنت أملاً في العيون من غيرك (١) »

(١) ينظر التفصيل في هذه المسألة، المثل السابق ج ٢ ص ٧٦ وما بعدها، والمثل الكبير
 ص ١٢٢ وما بعدها، والإيضاح ص ١٨٥ وما بعدها، والطراز ج ٢ ص ٨٨ وما
 بعدها، وشروح التلخيص ج ٢ ص ١٨٢ وما بعدها

البحث الثاني الأطبا

مصرته :

الأطبا - لغة - مصدر أطب في كلامه أطاباً ، إذا بالغ فيه وطوك ذبوراً
لإفادة المعاني . واشتقاقه من قولهم : « أطب بالكلام ، إذا طال مقامه فيه .
والأطبا اصطلاحاً - زيادة اللفظ على المعنى لقائلة .

وقد شغل هذا الأسلوب الفقه منذ عهد مبكر وعرض له الجاحظ ، وعقده البلاغيون
فصولاً اخلاقية ، من ذلك ما فعله أبو هلال العسكري الذي ذكر في مطلع البحث حجة
أصحاب الأطبا فقد قالوا : « المنطق إنما هو بيان ، والبيان لا يكون إلا بالاشباع
والشفاء لا يقع إلا بالاتناع ، وأفضل الكلام أبيض ، وأبيضه أشده اساطة بالمعنى ولا يحاط
بالمعنى اساطة تامة إلا بالاستقصاء ، والأيجاز الخواص ، والأطبا مشتمل عليه الخاصة
والعلمة ، والتمني والقطن ، والرئيس والرتاض ، والمعنى ما أطبت الكتب السلطانية في
الهام للرحايا (١) : ولكن أبا هلال يرى أن الأيجاز والأطبا يحتاج إليهما في
الكلام ، وهذا هو الصحيح لثم المطابقة للمعنى الحال .

وكان ابن الأثير من أكثر البلاغيين اعتماداً بهذا الأسلوب ، وقد عرفه بقوله :
« هو زيادة اللفظ على المعنى لقائلة » (٢) .

وعرفه ابن تيمم الجوزية بقوله : « هو زيادة في اللفظ لتقوية المعنى » (٣) ، ويتفق
هذا التعريف مع التعريفات الأخرى التي لا تكاد تخرج عن هذا المعنى وهو أن الأطبا
زيادة اللفظ لغرض يقصد إليه المتكلم ، وإلا كان إطالة لا يقتضيهما المقام :

(١) كتاب الصائين ص ١٩٠ .

(٢) اللؤلؤ السائر ج ٢ ص ١٢٨ ، وينظر الملح الكبير ص ١٤٦ .

(٣) النور ص ١٠٩ .

والطويل من المصطلحات التي ترد ، وقد ذم بعضهم هذا الاصطوب وميز
 بينه وبين الاطباب ، فقال أبو هلال : « فالاطباب بلاغة والتطويل عي » ، لان التطويل
 بمترلة سلوك ما بعد جهلا بما يقرب ، والاطباب بمترلة سلوك طريق بعد تره
 يخوي على زيادة فائدة (١) :

وفرق ابن الاثير بينهما فقال في التطويل انه « يدل على المعنى بلفظ يكفيك بعضه في
 اللالة عليه (٢) . وقال عنه : « هو زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة » (٣) في
 حين قال عن الاطباب انه « زيادة اللفظ على المعنى لفائدة » (٤) وإذا حطقت منه
 الزيادة للكتابة للمعنى لغير ذلك المعنى وزال ذلك التأكيد عنه ودعت فائدته للتصوير
 والتبيل التي تفيد السامع ما لم يكن الا بها ، فقوله تعالى : « فانها لاتعنى الا بصار »
 ولكن تعنى القلوب التي في الصدور (٥) لايسى ايجازاً لانه أئى فيه زيادة لفظ
 هي « الصدور » ولا يسمى تطويلاً لان التطويل لا فائدة فيه اصلاً وهذا فيه فائدة
 ولذلك سمي اطباباً ، وليس كذلك التطويل قالت :

طوع كتابا بالمطايا وسابق إلى غاية من ينلها يقدم
 فيه تطويل لان اللفظة « للمطايا » فصلة لا حاجة اليها (٦) :

ولرق الخطيب القزويني بين الاطباب والتطويل ولكنه قال عن الثاني : « وهو
 أن لا يمتين الزائد في الكلام » (٧) وسُمي للذي يمتين فيه الزائد حشواً :

(١) كتاب الصائين ص ١٩١ .

(٢) اللؤلؤ السائر ج ٢ ص ٧٤ .

(٣) اللؤلؤ السائر ج ٢ ص ١٢٩ .

(٤) اللؤلؤ السائر ج ٢ ص ١٢٨ .

(٥) اصحح ٤٦ .

(٦) ينظر اللؤلؤ السائر ج ٢ ص ٢٤ و ص ١٥٧ .

(٧) الإيضاح ص ١٧٧ .

يأتي الاطباح على أشكاله مختلفة منها :

١- الايضاح بعد الابهام : ويأتي لاخرناض :

الأول : ليرى المعنى في صورتين مختلفتين :

الثاني : ليسكن في النفس فضل تمكن ، فان المعنى إذا لقي على سبيل الاجمال والابهام تشوقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والايضاح .

الثالث : لتكامل الفكرة بالعلم به ، فان الشيء إذا حصل كمال للعلم به دفعة لم يتقدم حصول الفكرة به ألم وإذا حصل الشعور به من وجه دون وجه تشوقت النفس إلى العلم بالجهول فيحصل لها بسبب المعلوم لذة .

الرابع : لتضخيم الامر وتعظيمه .

ومثال هذا الأسلوب قوله تعالى : « وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحون » (١) ، فان « أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحون » ايضاح للايهام الذي تضمنه لفظ « الامر » ولما تضمنه للامر وتعظيم له . ومثله قوله تعالى : « قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري » (٢) ، فان قوله « اشرح لي » يفيد طلب شرح لشيء ما ، وقوله « يسر لي » يفيد تفسيره وبهانه ، وكذلك قوله : « يسر لي أمري » والمقام مقتضى التأكيد .

ومن الايضاح بعد الابهام باب « نعم ونس » إذ لو لم يقصد الاطباح لتقول « نعم همداء » و « نس زيد » .

(١) الحجر ٦٦ .

(٢) ش ٢٥-٢٦ .

ومنه ، التوسيع ، وهو أن يؤتى في عجز الكلام بثلاث مفسر باسمين ، أحدهما
محطوف على الآخر ، كما جاء في الخبر : « يشيب ابن آدم وتثيب معه شخصتان :
الحرص وطول الأمل » .

ومنه قول الشاعر :

سفتي في ليل شيبه بشعرها
فما زلت في ليلين : شعر وظلمة
ومنه قول ابن الرومي :

إذا أبر غاسم جادت لنا بسده
وإن أضاءت لنا أنوار غرته
وإن نضا حده أو سل عزته
من لم يبت حذراً من سطو صولة
يقال بالظن ما يصبى ليلان به
وقول البحري :

أعطانُ نضبان به وقيلود
ورحان : وردٌ جنى ووردٌ مخلود (١)
لما مشين بذي الأراك تشابت
في حلتي حبر وروض فالتقى

٢ - ذكر الخاص بعد العام : ويؤتى به للتنبيه على فضل الخاص حتى كأنه ليس
من جنس العام تزيلاً للتغاير في الوصف منزلة للتغاير في الذات ، كقوله تعالى :
وحافظوا على الصلوات ، والصلوة الوسطى (٢) وقد خصصت والصلوة الوسطى ،
وهي صلاة العصر - بالذكر لزيادة فضلها . ومنه قوله تعالى : ومن كان

(١) ينظر الإيضاح ص ١٩٥ - ١٩٦ ، وخزانة الأدب ص ١٦٩ ، وأبركان في علوم
القرآن ج ٢ ص ٤٧٧ ، وشرح الشفايع ج ٢ ص ٢١٥ .
(٢) البقرة ٢٣٨ .

حلوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال» (١)، و«جبريل يروى بكاتبه من الملائكة».

وقوله: «ولكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» (٢) والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر داخل في الخير ولكنه تعالى خصهما.

ومنه قول النبي:

فان تقُورِ الآثامَ وأنت منهم فان السكَّ بعضُ دمِ الغزالِ
وقول ابن الرومي:

كم من أيبٍ قد علا بانٍ فزاشرف كما علت برسول الله عتبان (٣)

٣ - ذكر العام بعد الطمان : ويؤتى به لإفادة العموم مع العناية بشأن الطمان - قال الزركشي: «وهذا أنكر بعض الناس وجوده، وليس بصحيح» (٤) وبمثل له بقوله تعالى: «إن صلاتي وإنسكي» (٥)، وإنسك العبادة، فهو أهم من الصلاة ومنه قوله تعالى: «لَمْ يَلْمُوا أَنْ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ، وَأَنْ لَقَدْ عَلِمُوا الْغُيُوبَ» (٦).

(١) البقرة ٦٨.

(٢) آل عمران ١٠٤.

(٣) الإيضاح ص ١٩٧، وشرح التلخيص ج ٢ ص ٢١٦، والبرهان في علوم القرآن ج ١ ص ١٦٤.

(٤) البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ١٢٦.

(٥) الأنعام ١١٢.

(٦) النور ٦٨.

١ - التكرير: وهو أن يأتي للكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء كان اللفظ منقياً
 المعنى أم مختلفاً، أو يأتي بمعنى ثم يعيده (١).
 ويبنى به لأغراض:

الأول: التأكيد، كقوله تعالى: «كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ. ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ» (٢)،
 وفيه دالة على أن الانتظار الثاني أبلغ وأشد.

الثاني: زيادة التشديد على ما ينفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول، ومنه قوله تعالى:
 «وَقَالَ الَّذِي آمَنَ: يَا قَوْمِ اهْبِئُوا بِعُنُقِكُمْ قُلُوبِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ. يَا قَوْمِ إِنَّمَا هِيَ حَيَاةُ
 الدُّنْيَا مَتَاعٌ» (٣)، فإنه كرر فيه التداء لذلك.

الثالث: إذا طال الكلام وعشي تناسي الأول أعيد ثانية بطريقة له وتجنباً لعيبه،
 كقوله تعالى: «ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمَلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ نَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
 وَأَصْلَحُوا، إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ» (٤).

الرابع: في مقام التعظيم والتحويل، كقوله تعالى: «وَالْحَالِقَةُ» (٥) والحالقة، (٥) وقوله:
 «وَالْقَارِعَةُ» (٦) والقارعة، (٦) وقوله: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ» (٧) والقدرة، (٧) والقدرة، (٧).

(١) ينظر التواتر ص ١١١، ومثل السراج ص ٢٩٩، ١٥٢، والمصباح الكبير
 ص ٢٠٤، وخرقة الأدب ص ١٦٤، والمصباح ص ١٠٥.

(٢) التكاثر ٢-٤.

(٣) طهر ٢٨-٣٩.

(٤) النحل ١١٩.

(٥) الطالعة ١-٢.

(٦) القارعة ١-٢.

(٧) القدر ١-٢.

الخاص: التعجب، كقوله تعالى: «تَقْسِيلٌ كَيْفَ قَدَّرَ» ثم قَسِيلٌ كَيْفَ قَدَّرَ (١)

فأعيد تعجبا من تقديره وأصابته الغرض.

الخاصة: التعدد المتعلق، كما كرره تعالى من قوله: «وَبَأْيِ آيَاتِنَا نَكَدِيَان» في سورة الرحمن، لأنها وإن تعددت فكل واحد منها متعلق بما قبله.

الخاص: الترويب في قبول التصحیح، كقوله تعالى: «وَقَالَ لَقَدْ آتَيْنَ الْيَوْمَ الْيَهُودَ آيَاتِنَا فَتَوَسَّعُوا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» (٢)، فقد كرر وباقومه التعطيف قلوبهم.

الخاص: التلذذ بذكر المكر، كقول الشاعر:

سقى الله نجداً والسلام على نجدٍ ويأحببنا نجداً على القرب والبعث

الخاص: اظهار التحسر كقول الحسين بن مطير يري من بن زائدة:

فيا فير متعجب أنت أول حاضرة من الأرض عظمت لسماعة موطعا
ويا فير من كيف وارتيت جوداً وقد كان منه البر والبحر متوعا

ويؤتى به لغير ذلك من الاغراض التي يبددها لتمام (٣) *

٥ - الأفعال: اختلف في معناه، فقيل: هو عَمَّ البيت بما يليه تكتة يتم المعنى بولتها، كزيادة البالغة في قول الخنساء:

«وإن صخرأ لتأتم الهداة» به كأنه عظم في رأسه نزار
فهي لم تنف عنه تشبيهه بالجلل المرتفع بل أضافت النار في رأسه. وقيل انه

(١) انكر ١٩ - ٢٠.

(٢) انكر ٢٨ - ٢٩.

(٣) ينظر الإيضاح ص ١٩٧، وشرح التلخيص ج ٣ ص ١٢١٨، والبرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ١١.

لا يختص بالنظم، ومن ذلك قوله تعالى: «اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون» (١)
 وذلك تعريفه بأنه «الاتباع في منطع البيت وعجزه أو في الفقرة الواحدة
 بنت لما قبله مفيد للتأكيد والزيادة» (٢) يصح النوعين .

٦- التظليل: قال ابن سنان: وهو أن يكون القف زائداً على المعنى وقائلاً
 عنه (٣) .

ويلهم من هذا التعريف أنه يريد «التظليل» ، أو الاطناب، لأنه قسم دلالة
 الألفاظ على المعاني ثلاثة أقسام: المساواة والتظليل والإشارة. وليس كذلك تعريف
 المشاعرين، فهو «تغيب الجملة بجملة تشتمل على معناها لتوكيده» (٤). وقد قال
 أبو هلال عن هذا الأسلوب: «ولما التذليل فهو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى
 بعينه حتى يظهر لمن لم يفهمه ويؤكد عند من فهمه ، وهو عند الإشارة والتعريض.
 وينبغي أن يستعمل في الواطن الجماسة والواقف الحافظة، لأن تلك الواطن تجمع
 لبطي لغتهم، والجميد اللحن، والثاقب القريحة، والجميد للخاطر، فلذا تكررت
 الألفاظ على المعنى الواحد تؤكد عند اللحن الفن وصح لتكليل البليده» (٥) .

(١) ص ٢١ .

(٢) الطراز ج ٢ ص ١٢١، وينظر سر التفصيح ص ١٨١، وكتاب الصالحين ص ١٢٨
 والمطلع الكبير ص ٢٤١، وللصباح ص ١٠٤، وفتح القرآن ص ٩١، وتحرير التصريح
 ص ٢٢٢، ٢٤١، وخزانة الأدب ص ٢٢٤، والإيضاح ص ١٩٩، وشرح
 التلخيص ج ٢ ص ٢٢٠ .

(٣) سر التفصيح ص ٢٤٢ ، ٢٤٦ .

(٤) الإيضاح ص ٢٠٠، للصباح ص ٩٨، القوائد ص ١٢١، شرح التلخيص ج ٢
 ص ٢٢٥، الطراز ج ٢ ص ١١٦، البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٩٨، خزانة
 الأدب ص ١١٠ .

(٥) كتاب الصالحين ص ٣٢٢ .

والثبيل ضربان :

الأول : لا يخرج مخرج اللل لعدم استقلاله بإفادة المراد وتوقفه على ما قبله كقوله تعالى : وذلك جزيتهم بما كفروا وهل تُجْزَى إلا الكفور (١) أي : هل يُجْزَى ذلك الجراء الذي يستحقه الكفور إلا الكفور ، فإن جعلنا الجراء علماً كان الثاني مفيداً قائمة زائدة :

ومنه قول الشاعر :

قد هموا نزالٍ فكنت أول نزلٍ وعلام لركبه إذا لم أنزل
فالشر الثاني لتدليل ولكنه غير مستل عن الأول :

وقول المتنبي :

وما حاجة الاضغان حراك في الدجى إلى لفر ما واجد لك حاصمه (٢)
قوله وما واجد لك حاصمه تدليل :

وقول ابن نباتة السعدي :

لم يُبَيِّنْ جودك لي شيئاً أومر تركني أصعب الدنيا بلا أمل
قوله تركني أصعب الدنيا بلا أمل تدليل غير مستل عن الجملة السابقة.
الثاني : يخرج مخرج اللل لاستقلاله بنفسه ، كقوله تعالى : هو قل : جاء الحق
وزهد الباطل إن الباطل كان زهوقاً (٣) ، قوله إن الباطل كان زهوقاً تدليل وهو
مستل عن السابق ولذلك يخرج مخرج اللل.

(١) س١٧ .

(٢) أي لا يتم لفر من يبداه .

(٣) الإسراء ٨١ .

ومنه قوله تعالى: «وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد» أفان ميت فهم الخالدون ؟
كُلُّ نفس ذائقة الموت» (١) ، فقوله «كُلُّ نفس ذائقة الموت» مستقلة وبضرب
بها الكل .

ويصح أن يكون قوله «أفان ميت فهم الخالدون» من الضرب الأول أيضاً . وقوله:
«وما أبرىء نفسي» إن النفس لأماراة بالسوء» (٢) ، فقوله «إن النفس لأماراة
بالسوء» تذييل بضرب به الكل .

ومنه قول قنابذة الليثاني .

ولست بمستجير أحداً لئلمه على شعث أي الرجال للهداب
فقوله «أي الرجال للهداب» تذييل وهو مستقل عما قبله ولذلك يضرب به الكل .
وقول أبي نواس .

حرم الزمان على الذين عهدتهم بك قاطنين ، والزمان عرام (٣)
فقوله «والزمان عرام» تذييل وهو مثل .

ومنه قول إبراهيم بن المهدي في رثاء ولده .

بذلك داراً غير دارٍ وجيرةٍ سواي ، وأحداث الزمان تنوب
فقوله «وأحداث الزمان تنوب» مثل ، وهو مستغن عما قبله .

وتذييل .

١ - أما لتأكيد منطوق كلامه ، كقوله تعالى: «وقل جاء الحنّ وزهق الباطل»

إن الباطل كان زهوقاً» (٤)

(١) الأبيات ٣٤ - ٣٥ .

(٢) يوسف ٥٣ .

(٣) العرام : الشدة والشراسة والألم .

(٤) الإسراء ٨١ .

٢- وأما لتأكيد مفهومه كبيت السابقة :

ولست بمستين إنما لانتسه
عن شعث أي الرجال المهذب

٧- التكميل: هو الاحتراس، غير أن بدر الدين بن مالك يذكر في كتابه

«الاصباح» (١) نوعين هما :

الأول: الاحتراس : وهو أن تأتي في المدح أو غيره بكلام فقرأ مدحولا يعيب
من جهة دلالة منطوقه أو فحواه فقدمه بكلام آخر لتصونه عن احتمال الخطأ،
ومنه قول الخنساء :

ولولا كثرةُ الهالكين حَوَّلِي
على إخوانهم لقطتُ نفسي

قطعت لتوجه أن يقال لها قد ساربت أخاك بالهالكين من إخوان الناس فلم

فرطت في الخزع عليه ، فاحترمت بقولها :

وما يكون مثل أخي ولكن
أعزتي النفس عنه بالنسي

الثاني: التكميل: وهو أن تأتي في شيء من الفنون بكلام فقرأ ناقصاً لكونه مدحولا

يعيب من جهة دلالة مفهومه فكمله بجملة ترفع عنه النفس :

ومنه قول السؤال :

وما مات مناً سيداً في فراشه
ولا ظلّ مناً حيث كان قبيل^(٢)

فرأى أنه وصف قومه بالصبر على القتل دون الانتصار من قاتلهم فكمله بالشر

الثاني :

(١) الصباح من ٩٧-٩٨.

(٢) يقول الشر الأول إنهم شجعان أهل حرب لا يموت أحدهم موتاً طيباً وإنما يموتون

بمراحات المعركة. وظل الرجل : أهد منه. وسند : أنهم لا يموتون تار قبيل من

قتلهم ، فهم قريه.

وجمع معظم البلاغيين المصطلحين وقال القزويني: «وأما بالتكميل ويسمى الاحتراس أيضاً وهو أن يأتي في كلام يومه خلاف المقصود بما يدل عليه (١)» وهو ضربان :

الأول : ضرب يتوسط للكلام ، كقول طرفة :

لقد دبارك - غير مفسدا -

صوباً الربيع وديعةً نسي

لقوله «غير مفسدا» احتراس من أن تذهب معالها.

وقول الآخر :

لو أن عزّةً خاصمت شمس الفضي في الحسن عند موقف لفضي لها
لقوله «عند موقف» تكميل واحتراس من أنها تقاضي الشمس عند حاكم غير موقف .

وقول ابن المعتز :

صينا عليها - ظلين - ساطنا فطارت بها أهدى صراجٍ وأرجلٍ
لقوله: «وظلين» احتراس أو تكميل، ولو حذفها الشاعر لذهب عن فرسه بطيعة تستحق الضرب .

الثاني : ضرب يقع في آخر الكلام ، كقوله تعالى: «ولسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه» أذلة على المؤمنين أذمة على الكافرين، (٢) ، فإنه لو التصر على وصفهم بالذلة على المؤمنين لذهب عن أن ذلتهم لضعفهم ، فلما قال «أذمة على الكافرين» علم أنها منهم تواضع لهم .

ومنه قول عنترة :

أني على بما علمت لاني سهيلٌ مخالفتي إنا لم ألتسر

(١) الإيضاح ص ٢٠٢ ، وينظر لروح الطنيس ج ٣ ص ٢٣١ ، والبرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ١٦١ ، وطرقات ج ٣ ص ١٠٨ وساء والأكسالة .

(٢) لسانة ص ٥٤ .

قوله «إذنا لم نعلم» احتراماً دل به على أنه قد بخالف ليرجع إلى الحق راجعاً ولكن لا يقبل النظم .

٨- التظيم : وهو أن يؤدي في كلام لا يورثهم خلاف المقصود بفضلة (١) بقيد لكمة (٢) ، أو كما قال الطولي : وهو تنيد الكلام بفضلة (٣) ، وبآتي لأغراض : الأول : المبالغة ، كقوله تعالى : «ويطعمون الطعام على حبه (٤) أي : مع حبه ، والضمير للطعام أي مع اشتهاه والحاجة إليه»
ومنه : «وآتي المال على حبه (٥) ، وقوله : «إن تناولوا لبر حتى شفقوا بما نجون» (٦) :
ومنه قول زهير :

مَنْ يَكْتَلُ يَوْمًا عَلَى عِلَالِهِ حَتْمًا يَكْتَلُ السَّاعَةَ مَهْوً لَدَى عَمَلِكُنَا
قوله «على علالته» تنميط للمبالغة :

الثاني : الصيانة عن احتمال الخطأ فترد رافعة له ، ومنه قول الشاعر :

لَنْ كَانَ بَالِي حَيْثَا مَثَلٌ مَامِضٍ فَطَحِبٌ إِنْ لَمْ يَدْخُلِ النَّارَ لَزُورِحُ

قوله «إن لم يدخل النار» معناه سلامة العاقبة وقد آتم به المعنى حياة عن احتمال الخطأ ، فقد أراد أن أول الحب لله وراحة فإن كان آخره مثل أوله فهو لأجماله أحمق حاله ، لكن على أن تكون العاقبة سليمة :

الثالث : استقامة الوزن ، ومنه قول المتنبي :

(١) الفسحة : من غير السند والقدح له .

(٢) الإيضاح ص ٢٠٥ ، وشرح التلخيص ج ٢ ص ٢٢٥ .

(٣) الطراز ج ٢ ص ١٠٥ .

(٤) الإنسان ٨ .

(٥) البقرة ١٧٧ .

(٦) آل عمران ٩٢ .

وخفوق قلب لو رأيت ليهيه باجنتي لرأيت فيه جهنما
قوله : «باجنتي» أتى بها من أجل استقامة الوزن (١) :

٩ - الاعتراض : وهو كثير في الأساليب العربية ، وقد قال ابن جني : «أعلم
أن هذا القليل من هذا العلم كثير قد جاء في القرآن ولصح الشعر ومتنور الكلام
وهو جار عند العرب مجرى التأكيد فلذلك لا يشتع عليهم ولا يستكر عندهم» (٢) ،
وقال القزويني في تعريفه : «وهو أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين
معنى ، بجسلة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لتكفة سوى ما ذكر في تعريف
التكميل» (٣) ، ومنهم من يذهب إلى أن الاعتراض هو المحشو ، (٤) ولرقي ابن
حجة المحسوي ينص ، وقال : «والفرق بينهما ظاهر ، وهو أن الاعتراض يلبس زيادة
في عرض التكلم والتأخر ، والمحشو إنما يأتي لإقامة الوزن لاغير» (٥) :

والإطناب بالاعتراض أغراض بلاغية منها :

الأول : التزيه : كقوله تعالى : «ويجعلون له البنات - سبحانه - ولهم
ما يشتهون» (٦) ، ف «سبحانه» تضمنت تزيهاً له تعالى عن البنات :
الثاني : التعظيم : كقوله تعالى : «فلا أتخيمُ بسواك النجوم وإِنَّهُ لَتَقَسَمُ» - لو
تطمون - عظيم» (٧)

(١) ينظر الإيضاح ص ٢٠٥ ، والطرز ج ٣ ص ١٠١ - ١٠٢

(٢) التمام ج ١ ص ٢٣٥ .

(٣) الإيضاح ص ٢٠٦ ، وينظر خروج التخصيص ج ٣ ص ٢٢٧ ، نهاية الإيجاز ص ١١١ ،
المصباح ص ٩٩ .

(٤) ينظر للمل السراج ج ٢ ص ١٨٣ ، وإلغام الكبير ص ١١٨ ، والطرز ج ٢ ص ١٦٧ .

(٥) حواشي الأدب ص ٣٦٦ .

(٦) النحل ص ٥٧ .

(٧) التوالة ص ٢٥ - ٢٦ .

قالت : فدعاه، كما في قول حوف بن عظم بشكو كبره :

إنَّ الصَّامِينَ - وَبَلَّغْتُهُمَا - قد أوجتُ صمي إلى تَرْجُمَانِ
وقول المتنبي .

وتحضر الدنيا احتضارَ مجرب يرى كل ما فيها - وحضارك - طابا
وقوله وحاضلك دعاه حسن في موضعه .

الربيع . للتبويه، كقول الشاعر .

واعلم - فعلم المرء بنفسه - أن سوف يأتي كلُّ ما قد بدرا
ومنه قول أبي خراش الهذلي يذكر أجداه مروءة :

تقول أراه بعد عروءة لأعياناً وذلك رزء - لو علمت - جليل
فلا تحسي أني تناسيت عهدك ولكن صبري - بالهميم - جميل
فتوله ولو علمت، و «الهميم» جمعان اعتراضيان فيبدان التثنية على عظم الضاب
وحل مجلده وصبره .

الخامس . المباشرة إلى التوم ، كقول كثير حرة .

لو إن الباعلين - وأنت منهم - رأوك تعلموا منك الطلالا

السادس . التحسر، كقول إبراهيم بن المهدي في رثاء ابنته .

وأي - وإن قدّمت قبي - لعالم - بأي - وقد أحرمت - منك قريب

السابع . الاستعطاف، ومثله له شبكي (١) بيت المتنبي .

وخفوق قلب لو رأيت لبيبي - باجتي - لرأيت فيه جهما

ودعه حسن الاعتراض وحسن الإفادة مع أن مجيء مجيء مالا معرك عليه في الأفادة

فيكون مثله مثل الحسنة تأتيك من حيث لا ترتقبها، (٢)

(١) مروس الأبراج - شرح التلخيص ج ٢ ص ٢٤١ .

(٢) الإيضاح ص ٢٠٩ .

وهذا هو النوع القيد من الاعتراض، أما الذي يأتي الغير فائدة فهو على وجهين :

الأول : أن يكون غير مفيد لكنه لا يكسب الكلام حسنا ولا قبحا، كقول زهير :

سحت تكاليف الحياة ومن يعش¹ ثمانين حولا - لا أباك - يتسام²
 لغرك ولا أباك؛ ليس فيه فائدة تؤكد، وليس فيه قبح :

الثاني : أن يكون غير مفيد لكنه يكون قبيحا لخروجه عن قوانين العربية والمراعاة
 عن ألفتها، كقول الشاعر :

قد - والشك - يتن³ لي مساء⁴ بوشك فرائهم صرود⁵ يصيح⁶
 ذ والشك⁷ هنا قبح :

وهذا النوع يكون قبيح في الشعر ولذلك لم يأت في نصح كلام العرب وبليغته (١) :

(١) ينظر الطراز ج ٢ ص ١٧٤.

البحث الثالث

المساواة

تلك أساليب الإيجاز والإطناب، وما عدا ذلك فهو أسلوب المساواة التي عرفها البلاغيون بأنها تساوي لفظ والمعنى بحيث لا يزيد أحدهما على الآخر (١)، أو هي وأن يكون اللفظ بمقدار أصل المراد لانتفاء عنه بحدف أو غيره، ولا زائفاً عليه بنحو تكثير أو تنجيم أو اعتراض، (٢).

ومعرفة أساليب الإيجاز والإطناب تحدد أسلوب المساواة، ولذلك لم نشر إليها في مطلع هذا الفصل كما فعل البلاغيون وإن كان تعريف بدر الدين بن مالك يشير إلى أنها لا تعرف إلا بعد تحديد الإيجاز والإطناب؛ يقول: وأما المساواة وهو أن يكون لفظ الكلام بمقدار معناه لانتفاء عنه بحدف للاختصار ولا زائفاً عليه بمثل الاعتراض والتنجيم والتكرار (٣)؛ ومعنى ذلك أن معرفتها رهينة بأساليب الإيجاز والإطناب، فهي تالية لها في العرض والتحديد؛ ومن أجل ذلك تأخر الحديث عنها لسهولة التمييز وتوضيح القصد، أما الاتفاق على متعارف الأوساط فهو أمر من الصعب تحديده ليقاس عليه، وذلك لاختلاف الناس في هذا المتعارف وليعد الاعتراض والأهداف التي ترسم الأسلوب الذي يقاس عليه الإيجاز والإطناب:

(١) ينظر من النصوص ص: ١٢٢، والبيان في علم البيان ص: ١١٨، وبلج القرآن ص: ١٧٩، وتحرير التعبير ص: ١٩٧، والمثل السراج ص: ١٧٨، والفوائد ص: ١٧٨، والطرلج ص: ١٢٢، وعزارة الأدب ص: ١٥٦.

(٢) الإيضاح ص: ١٧٧.

(٣) التصحيح ص: ٢٥.

ويرى أبو حلال العسكري أن المساواة هي الغلبة للتوسط بين الأجزاء والإطناب،
وإلى ذلك أشار القائل بقوله: «كأن ألفاظه نواله لعمابه وأي: لا يزيد بعضها على
بعض (١)» .

وقال حازم القرطاجني: «لأن الكلام للقطع الأجزاء، للنبر التراكيب، غير
ملذوذ ولا مستحل، وهو يشبه الرشقات المتقطعة التي لا تروي غليلاً: والكلام
النتاهي في الطول يشبه استقصاء الخرج المؤدي إلى النقص، فلا شفاء مع القطع
الخلل، ولا راحة مع التطويل الممل، ولكن غير الأمور أوسطها» (٢) :

ومن أمثلة المساواة قوله تعالى: «حَوْرٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْبُحَايِبِ» (٣) .

وقوله . «وَدَوَّا لَوْ تُدْمِينُ قَيْدُهُنَّ» (٤) .

وقوله . «وَلَا يَتَحَيَّنُ الْكُرُّ السِّبْءُ إِلَّا بِأَعْلَهُ» (٥) .

وقوله . «وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آبَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخْرُجُوا
فِي حَبِيبٍ غَيْرِهِ» (٦) .

وقوله . «هَلْ جَرَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ؟» (٧) .

وقوله . «وَهَلْ تُجَارِي إِلَّا الْكُتُوبُ؟» (٨) :

(١) كتاب الصنائع من ١٧٧ .

(٢) نهج البلاغة من ٦٥ .

(٣) الرحمن ٧٢ .

(٤) القلم ٩ .

(٥) النمل ٤٣ .

(٦) الأنعام ٦٨ .

(٧) الرحمن ٦٠ .

(٨) سبأ ١٧ .

وقوله : «إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون» (١) :

ومنها قول ثابطة الدبائي :

فذلك كالميل الذي هو مدركي
وقول طرفة :

وتأنيك بالأخبار من لم تسرود
وقول الأخر :

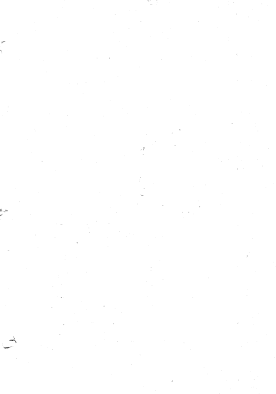
فإن تأتت بالأشراق تفقاد
وقول الأخر :

أهابك إجلالاً وما بك قسرة
وما هجرتك النفسُ إنك عندها
وقول زهير :

ومهما يكن عند امرئ من خليقة
وقوله :

إذا أنت لم تقصر عن الجهل والخنا
أصبحت حليماً أو أصابك جاهيل
وفي هذه الأمثلة مساواة بين اللفظ والمعنى ، وهذا الأسلوب لا يستغني عنه متكلم ، وهو كالأخبار والإطباخ من منطقيات الأحوال ، بل هو أكثر ضرورة منها ، ولا سيما في الدراسات العلمية المعتمدة على اللفظ المطابق للمعنى لازماً عليه ولا ناقصاً عنه لئلا يرضى بدقة واتقان .

(١) النحل ٩٠ .



الفصل السادس

تطبيقات عامة

(١)

اعلم البلاغيون والنفاد العرب بالألفاظ لأن لها أهمية كبيرة في تركيب الكلام، وطرخوا بين الألفاظ في التعبير، وقالوا إن هناك فرقا واضحا بين الكلمات،
« قائم » مثلا غير « الف » ، ورووا أن رجلا أشد ابن هرمة قوله :

بأنه ربطك إن دخلت قتل لها هلم ابن هرمة قائما بالسباب
فقال : ما كما قلت ، أكنت أصدق ؟ قال : فإنا ؟ قال : وانما . ثم قال :
« لبتك علمت ما بين هذين من قدر اللفظ والمعنى » (١) . وفاضلوا بين الألفاظ
وقالوا إن كلمة « للمدح » أحسن وأعلى من « المدح » و « نواظق » أحسن
وأعلى من « مستطقات » . و « الضمائر » صحيحة ولكنها قبله غير مأثورة ولا
مستعذبة . ويوضح ذلك في البيتين :

ماذا عسى مدح ينسي عطيتك وقد ناداك في الرuchi لتقبس وتطير
لست للمدح إلا أن السنا مستطقات بما تخفي الضمائر

وقد ذكر المرزباني : « وما شيء أملك بالشعر بعد صحة المعنى من حسن اللفظ ،
وهذا عمل أتكلف وسوء الطبع » (٢) :

وذكر الجاحظ أن الناس قد تشغف ألفاظا ويستعملونها وغيرها أحسن بذلك،
وقال إن « الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجرح إلا في موقع الخطاب أو في
موضع القفر للندح والعجز الظاهر ؛ والناس لا يذكرون السخية ولا يذكرون الجرح
في حال القدرة والسلامة ، وكذلك ذكر المطر لآنك لا نجد القرآن يلفظ به إلا في

(١) كتاب الصناعات ص ٦٥ .

(٢) التورج ص ١٠١ .

موضع الانقسام، والعامّة واكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المظهر وبين ذكر القيث،
ولفظ القرآن الذي عليه نزل انه اذا ذكر الأفعال لم يقل الاسماع، واذا ذكر صيغ
سدوات لم يذكر الارضين . ألا تراه لا يجمع الارضين ولا للسمع اسما واحداً
والجاري على الفواء العامة غير ذلك (١) .

وتحدثوا عن التلازم في العبارة وما يوحى من رقة وجمال، وفرقوا بين قول
القاتل :

وقدر حرب بمكان قصر وليس قرب لير حرب لير
وقول أبي حية الشبيري :

دعني وسر الله بيني وبينها عشية آرام للكنائس دميم
دميم التي قالت لجارات بينها فست لكم ألا يزال بهيم
ألا ربي يوم لو دعني دميها ولكسن عهدي بالتضال قديم

وقال الجاحظ عن البيت الأول: ومن ألفاظ العرب ألفاظ تتأخر وان كانت
مجموعة في بيت شعر لم يستطع النشد انشادها إلا ببعض الاستكراه (٢) وقال
الرماني عن أبيات الشبيري انها من التأليف المتلازم في حين كان البيت المفرد من
التأليف المتأخر (٣) :

وتكلموا على أثر صيغ الألفاظ في الكلام، وعقد ابن الأثير فصلاً في اختلاف
صيغ الألفاظ واتفاقاتها (٤) وقال ان صيغ الألفاظ إذا نقلت من هيئة إلى هيئة
كثفتها مثلاً من وزن من الأوزان إلى وزن آخر أو كثفتها من هيئة الاسم إلى هيئة

(١) البيان والبيان ج ١ ص ٢٠ .

(٢) البيان والبيان ج ١ ص ٦٤ .

(٣) التكت في إيجاز القرآن - ثلاث رسائل في إيجاز القرآن ص ٨٧ .

(٤) نقل المسائر ج ١ ص ٢٨٩ .

الفعل أو من صيغة الفعل إلى صيغة الاسم، أو كتحليلها من الماضي إلى المستقبل أو من المستقبل إلى الماضي أو من الواحد إلى الثنية أو إلى الجمع أو إلى غير ذلك، انقل قبحها فصار حسناً، وحسنها صار قبحاً. ومن ذلك أنه يقال «سهم صائب» فإذا جمع الجمع الحسن الذي يطلب في القم قيل: «سهم صواب وأورد صابغات» و«صائب»، فإذا جمع الجمع الذي يفتح قيل: «سهم صبي» - على وزن كتب - قال أبو نواس .

والعقل لغة ما صنعت عنه تلك العشيّة بـسـي
 قلت اتألموا كـبـيـدي بهام للردى صـبـي
 فقوله: «سهم صبي» من اللفظ الذي ينبر عنه الجمع ويجد عنه المنان، ورأى أن وزن «الفعل» جميل يقال: اعشرب للكان، والغرورقت العين واحلوق العظم. وهذا يدل على أن الصيغة المفعلة أهمية في الكلام وأقرأ في النفس، وربطوا بين اللفظ والمعنى حينما تحدثوا عن اثلاثهما، لذلك تكون ألقاظ الغزل والعتاب رفيقة وتكون الألقاظ الحامسة والهجاء جزلة و شديدة. ومن ذلك قول بشر بن برد .

تسائل ليل لما أبسرحُ وزام الصباح فما أصحُ
 وكنت امرأة بالصبا مولعا وباللهو عندي له مفتحُ
 لقد كنت أمسي على طربة وأصبح من مسرح أمسرحُ
 وألقاظ هذه الأبيات رفيقة ليس فيها شدة، ولكن يشاراً حينما نخر قال:
 إذا ما غضبنا غضبةً مضربةً هتكتنا حجاب الشمس لو قطرت دما
 إذا ما أهرنا سيدها من قبلة ذرا منبر صلتى علينا وسلمنا
 وإنما لقوم ما ناسزال جسيادنا تساور ملكا أو تاهب منسما

خلقنا سماه فرفنا بنجرههـ . سرفا وقفا يقض الطرف أنما
وهذه الألفاظ غير مائي الآيات الثلاثة. ويوضح الاختلاف بين اللفظ والمعنى في
كثير من الشعر الجيد، وظهر ذلك في كتاب الله، فهو حينما يصور المعنى يستخدم
اللفظ الدال عليه، ومن ذلك كلمة «اللهم» في قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا
ما لكم إذا قيل لكم اتقوا الله أنزلتم إلى الأرض» (١) فهي تدل على
المعنى بوضوح ونوحى بالفضل، ومثلها كلمة «تبتطن» في قوله تعالى: «وإن منكم
من من تبتطن» (٢)، فهي تدل على البعد في الحركة، ومثلها أيضاً كلمة
«يعطرون» في قوله تعالى: «والذين كفروا لهم نار جهنم لا يكفون عليهم
فيوتوا ولا يتخفف عنهم من عذابها كذلك تجزي كل كفور» وهم
يتعطرون فيها ربنا أخرجنا تمشك صالحاً غير الذي كنا تمشك» (٣)
فهي تمثل المعنى أحسن تمثيل وتصور غلط الصراخ للخطط للتجاوب من كل مكان:
فالألفاظ في الكلام ذات دلالة وإيحاء، ولذلك اعتم بها الفناء والبلاغيون وأولوها
عناية كبيرة، وتحدثوا عنها في كتبهم غير أن كتب البلاغة للتأخره حصرت هذه
الدراسة في فصاحة الكلام وفصاحة المفرد ووضعت لكل منهما شروطاً حددتها
وأوقفت نبع الحياة في مثل هذه الدراسات :

هذه بعض جوانب دراسة الألفاظ، وفي التصور الآتية ألفاظ كثيرة،
فاحتر بعضها وتحدث عنها فيها من إيحاء أو تلازم أو رقة أو جزالة وغير ذلك
بما له علاقة بين اللفظ والمعنى في ضوء ما تقدم .

(١) التوبة ٣٨ .

(٢) النساء ٧٢ .

(٣) طهر ٢٦-٢٧ .

١ - قال تعالى : **وَأَنَّكَ خَيْرُ ثُلَاةٍ أَمْ شَجَرَةِ الرُّقُومِ** : إذا جعلنا فيشكة
للقالين . **إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْحَابِ الْجَهَنَّمَ** : طلعتها كانه رؤوس
الشياطين : **فَاتَّهَمُوا لَأَكَلُونَ مِنْهَا فَأَمَّا الَّذِينَ مِنْهَا الْبُطُونَ** : ثم إن لم عليها لغزوا
من حرم . ثم إن **مَرَّجِيهِمْ كَأَنَّهُ الْجَهَنَّمُ** (١) :

٢ - وقال : **قَرِيبٌ هَبَابٌ لِي حَكْمًا وَالْحَيْفِي بِالصَّالِحِينَ** : واجعل في لسان
صيدتي في الآخريين . واجطني من **وَرَكَّةٍ جَنَّةٍ الْعَمِيمِ** : واغمر لابي إنه كان
من الغالين . **وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُنْعَمُونَ** . يوم لا يرفع ملك ولا يتون . إلا من لبي
الله بقلب سليم . **وَأَزَلَيْتَ الْجَنَّةَ لَمَنْ تَقِينُ** : وبزوت الجهم للفاوين . وليل
لم أين ما كنتم تعبدون . من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون . فكتبكوا
فيها هم والغاؤون (٢) :

٣ - قال بشر بن برد :

أبا مسلم ما طول عيش بدائم ولا مالم صبا قبلت بمسلم
على الملك الجبار يقتحم الردى ويصرعه في المأزق الملاحم

٤ - وقال بدر شاكر السياب في قصيدة «الثورة الطرية» :

عيناك غابنا نخيل ساعة السحر
أو شرقان راح بناهى عتمة النسر
عيناك حين تسمان تورق الكروم
وترقص الأضواء كالأمطار في نهر
برجة اللجذاف وقتاً ساعة السحر
كأنما تنبض في غورهما التجوم
وتشرقان في ضباب من أسى شفيف

(١) الصفات ٦٢-٦٨ .

(٢) الشعراء ٨٣-٩٤ .

كالبحر صرح البيهقي في قوله الممد
 دفعه الشتاء فيه وارتعاشه الخريف
 والموت والميلاد والظلام والضياء
 تضيق بملء روعي رهشة البكاء
 ونشوة وحشية لعانسك الحياء
 كشوة الطفل اذا عان من القصر
 كأن اقواس الحباب تشرب الفيوم
 وطرقة قطرة ليل في المطر
 وكركر الاطفال في عرائش الكروم
 ودغذغت صمت العنايف على الشجر
 أنشودة المطر ، مطر ، مطر ، مطر

(٢)

لم يعجب نقاد بعض الالفاظ التي وردت في القصص الآتية، استخراجها
 وطبق عليها، وبين ما فيها من وجوه الاستهجان:

١ - قال أبو تمام :

يا دهر فوم من أصدقك فقد أصبحيت هذا الاكام من عركك

٢ - قال ثابت فراء :

يقط بمرساته ويصي بغيرها جعشا ويمروري ظهور السالك

٣ - قال الخبي :

جفت وهم لا يجفون بياهم شيم على الحب الأخر دلائل

٤ - قالت ليل الاحيلة :

اذا عطت الحجاج أرضاً مريضة تبع انصي داتها فطفاها

شفاها من الداء العفال التي بها غلام اذا هز القفاة سفاها

٥ - قالام و تمام :

فيلأفريديجان احتيال بعدما كانت مرمس عبوة ونكسال
سجت ونينا حل استساجها ماحولها من نضرة وجسال

٦ - وقال أبو نصر عبد العزيز بن نباتة:

القام قوام اللين زج قنانه وأنضج كسي البحر وهو نظير

٧ - قال الرضائي :

سكتت الخذاني وطني كائي انمو سقر نطادكته الدروب

٨ - قال السياب :

يخفى نرسها للتمام بينها والريح حرماء يحي غيرها ماها

٩ - قال أحمد الصالي :

واحتزل العنكبوت أمري وفي يشاء مصي رفيعت

١٠ - قال الرهازي :

لقد كنت في عرب يبداد ماثياً وبنداد ليها لقمشة عروب
فصادفت شيخاً قد حني الدهر ظهره له فرق مستن للطريق ذيب
عليه ثياب رثة غير أنهما نطاف ظم تنس لهن جيسوب
تلك غضون في وسح جينه حل أنه بين الشيوخ كسشب

(٣)

يُمنى علم اللغوي بالأساليب الكلام عند العرب ، وقد كانت في كتب الشعر
الأولى أثره من تلك العناية ، ولعل كتاب سيبويه وكتاب المنقضب للبريد من بحيرة
الكتب الشعرية التي اعتمد بطرق التصير وما بينها من فروق يتركها من لغف لغة
العرب وأدرك بدوقه جمالها، ولكن العناية بالأساليب انحسرت حينما بدأ النحاة

يعنون بالعامل والاهراب والعلل الثواني والثالث وما إلى ذلك من اعتماد أبعاد كتب
لتعبر عن تفرق الأساليب .

وكان لعبد القاهر الجرجاني أثر في ردّ كثير من مزايا الكتب الأولى إلى
الوضوحات التي تكلم عليها البلاغيون في علم المعاني كالخبر والانشاء والفصل
والوصل والقصر والايجاز والاطناب: ولكن عبد القاهر لم يطبع حدوداً فاصلة بين
ما سمي خبراً وما سمي انشاء، لأنه يرى أن الفرق بينهما فيما يؤدبه كل منهما من
معنى، قال: «لا يجوز أن يكون لنظم الكلام وترتيب أجزائه في الاستفهام معنى
لا يكون له ذلك المعنى في الخبر، وذلك أن الاستفهام استخبار والاستخبار هو
طلب من المخاطب أن يخبرك، فإذا كان كذلك كان محالاً أن يفرق الحال بين
تقديم الاسم وتأخيره في الاستفهام، فيكون المعنى إذا قلت: «أزيد قام؟» غيره
إذا قلت: «أقام زيد؟»، ثم لا يكون هذا الافتراق في الخبر ويكون قولك: «زيد قام»
و «قام زيد» سواء ذلك لأنه يؤدي إلى أن تصعله أمراً لا سبيل فيه إلى جواب وأن
تستطع المعنى على وجه ليس عنده عبارة يشبه لك بها على ذلك الوجه، وجملة الأمر
أن المعنى في ادخالك حرف الاستفهام على الجملة من الكلام هو أنك تطلب أن يفتك
في معنى تلك الجملة ومؤداها على اثبات أو نفي فإذا قلت: «أزيد منطلق؟» فأت
تطلب أن يقول لك: «نعم هو منطلق»، أو يقول: «لا ما هو منطلق» وإذا كان ذلك
كذلك كان محالاً أن تكون الجملة إذا دخلتها همزة الاستفهام استخباراً عن المعنى على
وجه لا تكون هي إذا نزع منها الهمزة إخباراً به على ذلك الوجه فاعرفه (١)،
ويوضح في كلام عبد القاهر أن هناك فروقاً دقيقة تترك بالحس المعوي اللطف
والذوق السليم. وكان لجهود هذا التحري في البلاغة أثر واضح في مباحث علم
المعاني ومنها: الخبر وهو أساس التعبير قبل أن يتصرف فيه للتكلم ويخرج به إلى
أغراض مجازية متعددة .

(١) دلائل الاستبصار ص ١٠٨ .

ومن الخير قوله تعالى : «الر . كتاب أنزلناه إليك لتُخْرِجَ الناسَ من الظلمات إلى النورِ لِإِذْ نِزِيلِهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ . اللهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَيُؤْتِي مَنْ يَشَاءُ مِمَّا يَشَاءُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ . وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُبَلِّغَ قَوْمَهُ لِيَتَّقُوا اللَّهَ فَيُفَضِّلَ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْتَدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) .

هذه الآيات بما تضمنت من عبارات بدیعة رائعة تخبر عن حقائق يريد الله سبحانه وتعالى أن يضعها أمام الناس وهي تقرر والعماء وتضع الناس . وهذا هو الخير الحقيقي ، ولكن حينما يقول سبحانه وتعالى : «عيسى وتولى . أن جاءه الأعمى . وما يُسْمِعُ بَعْدَ بُرْءِهِ . أَوْ يَدُكَ كَرِيمَةً فَذَكَرَ . أَمَّا مَنْ اسْتَفْتَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّقْ . وَمَا عَلَيْكَ الْإِزْكَاتُ . وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ بِسَعْيٍ . فَانْتَ عَنْهُ تَلْهِمُ (٢) .

فإنه لا يريد اخباراً وإنما يريد عتبا للرسول صلى الله عليه وسلم وذلك حينما أتاه ابن مکتوم وعنده رجال من قريش يدعوهم إلى الاسلام وجاءه أن يسلم بسلامهم فيهم ، فقال ابن مکتوم : « يا رسول الله أقرتني وعلمني ما علمك الله . وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم ، فكرر الرسول - صلى الله عليه وسلم - قطعه لكلامه وعيسى وأعرض عنه فترت سورة «عيسى» وكان الرسول بعده يكرمه ويقول إذا رآه : «مرحبا بمن عاتبني فيه ربي» ، فالآيات اخبار عن هذه القصة ولكنها لا تريد أن تفت عن هذه الحادثة وإنما تريد أن تعاتب الرسول ، وبذلك خرج الخبر عن معناه الحقيقي إلى العتاب . ومثل ذلك ما قاله النبي العظيم حين دعا قومه إلى الاسلام : «إن الرائد لا يكلب

(١) ابراهيم ١ - ١ .

(٢) عيسى ١ - ١٠ .

أهل ، والله لو كذبت الناس ما كذبكم ، ولو غررت الناس ما غررتكم ، والله الذي لا إله إلا هو إلي رسول الله اليكم خاصة وإلى الناس كافة . وهذه الكلمات خير ولكنها خرج عن معناه ، لأن الرسول الكريم لم يكن هنا في موقف الخير لأن قومه يعرفون صدقه وأمانته وإنما هو في موقف للمتاب ، لأنهم أمرضوا عن دعوته .

فالمثير يكون حقيقياً حينما يراد به «الجنة الخيرة» أو «الأزم القالسة» ويكون مجازياً حينما يخرج عن هذين التفسيرين . وفي النصوص الآتية أخبار حقيقية ومجازية ، عيبتها وأشرح معانيها ووضح الأغراض المختلفة فيها :

١ - قال تعالى : «وأصبح الذين آمنوا مكانه بالأسس يقولون : وَيَّ كَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَضَرُّهُ لَوْلَا أَنْ مِنْ اللَّهَ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَّ كَأَنَّهُ لَا يَفْعَلُ الْكَافِرُونَ» (١) .

٢ - وقال : «لذلك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالهتئين» (٢) .

٣ - وقال النبي صلى الله عليه وسلم : «إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه» .

٤ - وقال الإمام عليّ - رضي الله عنه - من كتاب إلى بعض أمراء جيشه : «فإن عادوا إلى ظل الطاعة فلنك الذي نحب ، وإن تولت الأمور بالقوم إلى الشقاق والنصيان فانهض بمن أطاعك إلى من عصاك واستغن بمن اتقاه منك عن تقاضك منك ، فإن التكاثر مني غير من مشهده وقومده أغنى من نهوضه» (٣) .

(١) النقص ٨٢ .

(٢) النقص ٥٦ .

(٣) توالي القوم : وإلى بعضهم بعضاً حتى تم اجتماعهم . نهد : انهد .

وقال النبي :

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي
أنام مرةً نجفوني عن شاولهما
٦- وقال عبد الرحيم محمود :

سأحل روعي على راحتي
لئلا حياة تسر الصديق
ونفس الشريف لها غايتها
لتعمرك إنى أرى مصرعي
أرى مقالي دون حفي السلي
لمسرك هذا صمت السرجا
٧- وقالت أميرة تولى زوجها :

كنا كفتنين في جرثومة بنقا
حتى إذا قيل قد طالت فروعهما
أشنى على واحدني ريب الزمان وما
كنا كأنجم ليل بينها قمر

٨- وقال النبي :

ومراد القوس أصغر من أن
غير أن النفس بلائي المنايا
ولو أن الحياة تفسى حسي
وإن لم يكن من الموت بد
٩- وقال أبو فراس الحمداني :

صبرت على اللؤلؤ صبر ابن حرم
صمت حتى لومي وسدت عثرتي

وأصمت كلماتي من به صمم
ويسر الخلق جرأها ويختمهم

وألقي بها في مهاوي السرى
ق ولما صمت يهبط العبدى
ن ورود المنايا وتيلُ النسي
ولكن أفلح إليه الخطى
ب ودون بلائي هو المتبلى
ل ومن رام موتاً شريفاً فذا

جناً على غير ما يعني به الشجر
وطال فتواعها واستطر الشعر
يبقي الزمان على شيء ولا يبدل
يجلو للنسي فهوى من بينها القمر (١)

تعدى فيها وأن تضالسي
كالحات ولا بلائي الهوايا
لعدداً أتلتنا الشجانما
فمن العجز أن تكون جيانا

كثير العدا فيها قليل للمعاد (٢)
وقللت أهل غمر عذي القلاذ

(١) البرثومة: الأصل: القوس، الخندق، أمن طره العبر: لم يله وألوك.
(٢) اللؤلؤ: القشرة واللحمة.

١٠ - وقال أبو نؤاس :

دبّ في فقام سقلا وعكوا
ذهبت جدي بطاعة نفسي
لهف نفسي على ليال وأيام
قد أمنا كل الأمانة فلا

١١ - وقال أبو سلمى :

إن جيش التحرير شعب فد
وجناحاه في الشام جناح
جيش حطين جيشنا يزحف اليو
للتويلات والحدود تداغت
علم واحد وجيش وحيد
وأمام التاريخ يخفق في السا

١٢ - وقال الأخطل الصغير :

بغداد ياشغف الجمال وملعب التزل للظروب
بنّت الكارم للعروبة ليك جامعة القلوب
يت من الاخلاق ضالت عه اخلاق الشعوب
وسعت ديانات السام وهم اشقات الشعوب
زفرت أحمد في رسالته وآلام الصليب
بغداد ما حمل السرى مني سوى شيخ مرص
جفت له الصحراء وانفتحت لكليب إلى كليب
وانصت زمر الجناب من فويهاث القلوب
يشاملون وقد رأوا ليس الملوح في شحوب
والتمشيت على الشفاء مضرجات بالنسب
ليكي لها قبل الصبا ويلوب فيه كل طيب
يشاملون من القى العربي في ازي الغرب

واراني لموت عضواً لمضوا
ولذكري طاعة الله نفسوا
م تجاوزتهم لعيا ولهموا
هم صلفنا عتبا وغفرا وعضوا

طين ثبات آفاده والنسور
وعلى غزاة الجناح الأكبر
م فقد أن أن توكي الشكور
وتولت آفاتها والنسور
وتفكك وتاند ومسير
ح عليهم لوازه النشور

تعرض البلاغيون لأساليب الإنشاء المختلفة ومبازوا بينها وتشاروا إلى ما يأتي منها حقيقة وما يأتي منها مجازاً ، وكان تمييزهم دقيقاً يكشف عن المعنى وينقله بوضوح: ومن ألفت ما ذكر عبد القاهر كلامه على الاستفهام والتبني المعنى بتبني تركيب الجملة. قال: «ومن أين شيء في ذلك الاستفهام بالمعزة فإن موضع الكلام على أنك إذا قلت: «أألفت؟» وأفدت بالفاعل كان التشك في الفعل نفسه، وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده: وإذا قلت: «أأنت قلت؟» وأفدت بالاسم كان التشك في الفاعل من هو وكان التردد فيه: ومثال ذلك أنك تقول: «أبنت الدار التي كنت على أن تبنيها؟» : «أألفت للشعر الذي كان في نفسك أن تقول؟» . «أترغبت من الكتاب الذي كنت تكتبه؟» . تبدأ في هذا ونحوه بالفاعل لأن السؤال عن الفعل نفسه والتشك فيه لانه في جميع ذلك متردد في وجود الفعل واتفاهه مجوزاً أنه يكون قد كان وأن يكون لم يكن. تقول: «أأنت بنيت هذه الدار؟» : «أأنت قلت هذا الشعر؟» . «أأنت كتبت هذا الكتاب؟» : تبدأ في ذلك كله بالاسم ذلك لانه لم تشك في الفعل أنه كان . كيف وقد اشرت إلى الدار مبنية والشعر مفولاً والكتاب مكتوباً ، وإنما شككت في الفاعل من هو. فهذا من الفرق لا ينفصه قاطع ولا يشك فيه شك ولا يخفى فساد أحدهما في موضع الآخر (١) .

فالغنى في الاستفهام لتحذره صياغة العبارة والتلك وجد عبد القاهر فرقاً بين صياغة وأخرى وحدد ذلك الفرق وما يوحي من معنى يختلف باختلاف التصير . ويكون الاستفهام مجازياً كما يكون حقيقةً لمحمود سلمي البارودي حينما وثى زوجه استخدم أسلوب الاستفهام ليظهر تحسره وأنه على قبيته وما أصابه وهو في مضاه: قال :

(١) دلائل الإيجاز ص ٨٧ .

بادعهم فيهم فاجبتني بحيلة
 ان كنت لم ترحم نصاتي بعدما
 اوردتهم فلم ينمن توجعنا
 اتين ذر عقودهن وصفن من
 ييكن من وكنه لسراق حفة
 لظنوهن من التمسح ندية
 اسئلة القسرين أي لجمعة
 كانت خلافة عدي وعنهدي؟
 افلا رحمت من الاسى لولادي؟
 قرخي القيون رواجف الاكباء
 ذر القيون فلاك الاجيساء
 كانت لهن كثيرة الاحياء
 وقترجن من الهوم صوادي
 حلت لفتك بين عا النادي؟

تصيح الاستفهام ولهم لجمتي؟ واذنلا رحمت؟ اي أي لجمعة؟ لا يراد بها
 الاستفهام الحقيقي وانما يراد بها التحسر والتصوير حول المصائب.
 وفي التمسح الآتية صور من الاستفهام، حين تلك الصور وبين ما جاء منها
 حقيقة أو سجلاً:

- ١ - قال تعالى: **وعل جزاء الاحسان إلا الاحسان** (١)؛
 - ٢ - وقال: **والم تر بك لنا وليدا** (٢)؛
 - ٣ - وقال: **وقالوا مالها الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا
 أنزل اليه ملك فيكون معه نذيراً** (٣)؛
 - ٤ - **سأل رجل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أي الإسلام خير؟
 قال: تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف .**
 - ٥ - وقال ابن الرومي:
- يا بني أين عهدك ذلك الاغصاء
 أين ما كان بيتنا من صفاء ؟
 كتفت منك حاجتي مسوات
 فطيت برهسة بحسن القضاء

(١) الرحمن ٦٠
 (٢) الشعراء ١٨
 (٣) الفرقان ٧

بأني عليك لم تب من له
أفلا كان منك رد جميل

٦- وقال لير تمام في فتح عبودية
أين الرواية أم أين النجوم وما
نفرصا واحسانا مقلقة

٧- وقال للبي :
لنذكر بان السهل العاني

أنتق بك فجزاً بعد علي
٨- وقال البحري :
الأكفرك النساء عضي وقدعت

وأنت الذي أهرزني بعد ظني
٩- وقال أبو قتادة المري :
أثوق ليلتي يرفح لي مومسدا

فصت فقلت أن النجوم تدني
رويدك أيها العادي دواني
مفاه فاذ حاك الناس حاسم
التحمل وتياحه لي لفظ
١٠- وقال إيليا أبو ماضي :
الأساني كلها من ترواب

والناسي كلها ثلاثي
لا ، لهنى وثك أنتي ونفسي
أيها اللذعي إذا منك له
وإذا راحك الحبيب بهجر

بك حظا كسائر قبلاء
فيه للنفس راحة من عناء
وغير يتحدث عن ادعاء للتجيين :

صالحوه من زخرف فيها ومن كليب ؟
أبت يتبع إذا عدت ولا هزب ؟

ونحب ماه غيري من اتالي ؟
بأنك غير من تحت السماء ؟

علي " نحو لغير واقصير ساطع ؟
فلا تقول مفرغ ولا الطرف مباح ؟

أم الجوزاء تحت يدي وسعاد ؟
ومبان لتفصح والجهاد ؟
لتخبرني : متى لطق الجماد ؟
وغدي فيه مضة رشاد ؟
وأقر والقساعة لي عباد ؟

وأنايك كلها من عباد ؟
وأنايك للخلود الأكد ؟
كلوبيا وأي شيء يؤاد ؟
قم ألا تشعكي ؟ ألا تهجد ؟
ودعك للذكرى ألا تروجد ؟

١١ - وقال نسيب عريضة :

أيا نجمة سطعت في الظلام
لقد طال ليلي فهل من صبا
أيا نجمة في الخالي لعلنا

١٢ - وقال عبد الرحيم همرد :

لكيف اصطباري لكيد الخفوي
أخرفاً وعندي تهون الهيا
بقلبي سارسي وجوه العفا
وأحسي حينئسي بحدا الحيا
١٣ - وقال عبد الكريم الكرمي :

سأل الصخر : أين عمولة لانيد
هي في كل زهرة من بلاد
أبها من صروج حكاة والرمد
من كروم الجليل خيرة الآد
عطرها منذ كان أنفاس بها

١٤ - وقال القروي :

باسم العروبة بعد الله أنتح
شرحيت صدري لما طفلا وهل سوي
كم جرح عشتي ليالي بأسمارحاه

١٥ - وقال :

ما لهذا شرق لا يسرح في
أشياء هلغوا أم جرساً
وسرت الحسالة مطربة

م أتيري طريق فني لا يا - ام
ح وطال اضطرابي فويل من سلام؟
ه أطلبت السمكوت فهل من كلام؟

د؟ وكيف احتمال لسوم الأذى؟
ة ودلاً واقسي لسوب الإيساء؟
ز ، وقلبي حديد وناري لظي
م فبعلم قومي بأني القدي

ت طوب وتنتعت كيف نعال؟
ث حق لسي صميجنا يتنقل
لـة واللسد نشوة تنقل
داه نشوى ومن كروم النجل
ن ورغم الزمان لم يتسدك

ط لم لبيد لرحلة لسيح
ذ كثر العروبة صدر المرّ بشرح
فحق لي لي ليالي عرسها الفرح

كبات من طلوع الغرب سود؟
ر ن فاهقر له ثلب للوجسود ؟
حول عرش الله أرواح الجسدود

الأمر والنهي والثناء والنهي مثل الاستفهام من أساليب الإنشاء ولها معاني حقيقية وبجازية فهي حقيقية حينما يراد بها الأمر أو النهي أو الثناء أو النهي، وهي بجازية حينما تخرج عن معانيها الأصلية. قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه: «أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة، فاقفهم إذا ادعى اليك فإنه لا يرفع تكلمم بمن لا تقاتله. أمر بين الناس في مجلسك ووجهك حتى لا يطع شريفك في حيفك ولا يذات ضعيف من جورك، والينة على من ادعى واليمين على من أنكرك، والقصاص جائز بين المسلمين إلا صلحاً حرماً حلالاً أو أحل حراماً، ولا يمنعك قضاء قضيت بالأمس فراجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك أن ترجع عنه إلى الحق فإن الحق أقدم ومراجعة الحق خير من التماذي في الباطل: القوم القوم عندما يتجلبج في صلتك بما لم يقاتك في كتاب الله ولا في سنة النبي صلى الله عليه وسلم. اعرف الامثال والاشباه وقس الأمور عند ذلك ثم اصعد إلى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق فيما ترى.»

هذه قطعة من رسالة بعث بها الخليفة الثاني إلى أبي موسى الأشعري يوصيه فيها بالعدل بين الناس وقضاء حوائجهم والنظر في أمورهم وهي رسالة تعدت من أسس القضاء، وقد بدأها - رضي الله عنه - بقوله: «فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فاقفهم إذا ادعى اليك.» وهذه صيغة أمر صادرة من عمر إلى الأشعري وهي ملازمة لا تتحمل صدقاً أو كذباً. ومثل ذلك ما جاء به من صيغ الأمر في قوله: «أمر» و«اعرف» و«قس» و«اصعد» وهي كلها أوامر واجبة للتفيذ. وهذا الضرب من الأمر يسمى: أمراً حقيقياً.

وقال القروي:

يلوذة البدليات مهما تكسري عدد السنين فعدت رسك أكسري
لاستغني في الخصومة عدتاً فالعدل خلف أني للطلامة عسري

لا يخذلهم يديك أناساً
صيرت قلب من يئست من يصير
قوله: ولا تظلي بولا يخذلن، هي ولكنه ليس حقيقياً، لأن الشاعر ليس
في موقف يفتقر فيه أن يصدر لواعبه لذلك فهو يحذر ويظن:
ويأتي النداء على الحقيقة كما في قول سليمان للمسي:

يا مصر وحدة أنني قدر على الزمن الفساح
قدر على التاريخ شتاه فما بمحسوه ما ح
لن تسريح بساحة إلا لتضل نار مساح
المرء العربي حاد مع السريح مع الأتاسي
والسر فك جناحه رمض يذهب للراح

ولكنه يأتي على اللجاز لتتبعه كقول النبي:

واحر قلباه ممن قلبه شيم ومن بجسي وحالي عنده طم
أو التحر كقول ابن الرومي:

يا شباني وأين عشي شبلي
أذنتي حياها بالنفساب
لهف قسي على نعيي ولهوي
تحت أمتته القنان للسرطاب

وفي النصوص الآتية صور لأساليب الإنشاء، عيبتها وبين أفراسها:

١ - قال تعالى: ولما قضى موسى الأجل وسار بأهله كس من جانب طور
ناراً قال لأهله امكثوا اني كنت خالفاً لمن اتاكم منها بخير أو جدوة من نار لعلمكم
تصطلون: فلما أتاهم نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من
الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين وأن الذي عصاك فلما رآها هتر
كأنها جان ولى مذبراً ولم يعقب: يا موسى أتقبل ولا تخف أنك من الآتين:
أسلك بك في جيبك تخرج يفضاء من غير سوء والشمم الهك جناحك من
الرهيب فإناك يرهانان من ربك إلى فرعون ومكة لهم كانوا قوماً فاسقين؛ (١):

(١) النعصر ٢٩ - ٣٢.

٢ - وقال النبي - صل الله عليه وسلم - : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقبل رحمه . ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت .

٣ - وقال الامام علي - رضي الله عنه - : وباعشر المسلمين تجلبوا السمكة وكمكوا الأمانة وقللوا السيوف في الأضداد وكافحوا بالفضا والتصلوا السيوف بالخطى فانتكم بعين الله . وليلود كل منكم الكفر وليستحي من القرءان القرءان في الاعقاب ونزل في الحساب . وطيبوا عن الحياة قسا وسيروا إلى الموت سجيها ، ودونكم هذا الرواق الاعظم ، وعليكم بالصبر فان الشيطان راجب معدته ، فمصدماً صمناً حتى يبلغ الحق أجله والله معكم ولن يتركم أعمالكم .

٤ - وقال حافظ ابراهيم :

سألوا السبل عنهم والتهللا	كيف بالث ناولهم وتذللوا ؟
كيف لسي رغبهم فقتلوا	م وكيف اصطل مع لقوم ظارا ؟
كيف طاح العجوز تحت جدار	بتداعي وأسلف تنجاري ؟
رب إن القضاء أحسى عليهم	فاكشف للكرب واحجب الاقتارا
ومر النار أن تكف أذاعا	ومر الليل أن يسيل انهارا
أين طوفان صاحب قفك يروي	هذه الأرض فهي لشكو الأولرا

٥ - وقال بدر شاكر السياب في قصيدة بور سعيد :

يا حاصد النار من أشلاء قتلانا	ملك الضحايا وان كانوا ضحايا
كم من ردى في حياة وانخدالدى	في مينة وانتصار جسامه خذلانا
ان القيون التي طعمت أنجسها	عجك بالشمس أن تختار دهايا
وانت كالسور في اصاق لربنا	خرس لنا من دم والحقتل مولانا
فأذكرني يا هيا كسسه أولنا	ينهي عليها من الاصطام لولانا

٦- وقال ابو العليہ النخعي:

عيش حريزا أو مت وأنت كريم
وأطلب العز في لظى وذو الأكرام

٧- وقال ابن زيدون:

دومي على العيد مادنا محافظة
أولي وفاء وإن لم تبلل صلا

٨- وقال محمود حسن اساعيل:

باساء الشرق طوي بالضياء
ذاكره واذكري إياه

٩- وقال قطري بن النجماء:

أقول لها وقد طارت شعاعاً .
فانك لو سألت بقاء يوم

١٠- وقال ابن زيدون:

ياماري البرق خاد القصر واستقره
وبانهم العبا بلع تحبنا

١١- وقال مالك بن الربيعه وقد حضره الموت:

فيا صاحبي رحلي دنا للموت فالزلا
أبها علي اليوم أو بغض ليله
وقوما اذا ما سئل روي فيها
وعطا بأطراف الامنة مضجي

١٢- وقال ابراهيم طوقان في قصيدة: (الفدائي):

لا تمل عن سلامته
بدنك عن هومه
روحه فوق راحته
كفناً من وسانه

يرقب الساعة التي
شاعل نكر من برا
بين جيبه خالق
من رأى فحمة الذي
عنته جهنم

١٣ - وقال الرصالي :

تولى ان في بغداد يوماً
ويجمعهم وإياك انساب
ودين أوضحتم الناس قبلا
نحن على الحقيقة أهل قري

١٤ - وقال عمر أبو ريشة :

بارويي القفس بأجلى السنى
دون عياك في الرحب المدى
لعت الآلام عنا شلنا
لذا مصر أغاني جلق
ذبت أعمالها خالقة
كلما انقض عليها عاصف

(٦)

بعدما حول ساعات
بإطسراتر هاتسه
ينظسى بغانتسه
أضرمت من شرارته
طرقاً من رسالته

زفاً ظويهم لك بالسواد
إلى من خص منقطعهم بغواد
نواصع آية سبل فرشاد
وان قضت الليلة بالعماد

باروى عسى على جنن السنى
سهلة الليل ووهج القضب
وتت مايتكا من نسب
واذا بغداد نجوى يثرب
والسنى مشرقها بالمغرب
دفتة في طلوع الحصب

ان صياغة العبارة في اللغة العربية يحدد المعنى ، وليس من العبث تعدد الاساليب
وتلوها ، بل أن لكل أسلوب معنى يحدده وضع الألفاظ في الجملة ، فلتقديم القظة
معنى غير ماني تأخير ، والتأخيرها دلالة غير ماني تكبيرها ، وتصلها فرض غير
ماني وصلها ، ومثل ذلك يقال في القصر وغيره من طرق التعبير ، وقد اعتم التحلة
الأوائل بهذه المسألة وشاركهم في ذلك المغويون ، ولكن البلايين وعلى رأسهم عبد

للقاهر تمكنوا في دراسة الأساليب بعد أن تحولت كثير من كتب النحو عن العناية
 بنقل هذه الجوانب . وما يتصل بهذه المسألة وايضاح الفرق بين عبارة وأخرى في
 التركيب قول عبد القاهر وهو يتحدث عن التقديم والتأخير : « إذا قلت : وأجاءك
 رجل ، فأنت تريد أن تسأله : هل كان هجي من أحد من الرجال إليه : فإذا نسيت
 الاسم قلت : « لرجل جاءه ؟ فأنت تسأله عن جنس من جاءه أرجل هو أم امرأة ؟ »
 ويكون هذا منك إذا كنت علمت أنه قد أتاه آت ولكنك لم تعلم جنس ذلك الآتي ،
 فيبكي في ذلك سبيل إذا أردت أن تعرف عين الآتي فقلت : « أريد جارك أم عمرو ؟ »
 ثم قال : « وإذا لم تعرف الحكم في الابتداء بالنكرة في الاستفهام فابن الخبر عليه ،
 فإذا قلت : « رجل جاني ، لم يصلح حتى تريد أن تعلمه أن الذي جارك ورجل لا
 امرأة ، ويكون كلامك مع من قد عرف أن قد أتاك آت ، فإن لم ترد ذلك كان
 الرجاء أن تقول : « جاني رجل » فتضد الفعل : وكذلك إذا قلت : « رجل طويل
 جاني ، لم يستقم حتى يكون السامع قد ظن أنه قد أتاك نصير أو نزلته منزلة من ظن
 ذلك » (١) .

وما يتصل بهذا الباب وتركيب الكلام قول المنبي :

والسمر مني موضع لا يناله نديم ولا يقضي فيه شراب
 هي هنا قبيت جملتان هما : « لا يناله نديم » و « لا يقضي فيه شراب » ، والأولى
 صفة « موضع » وقد أريد اشتراك الثانية لها في الحكم والملك عطفت عليها ، ولا
 يصح أن تحذف الواو لأن الكلام يكون مقطوعاً ، وليس هذا من أساليب العرب :
 ويأتي عكس ذلك أي غير معطوفة في أنواع أخرى من التعبير ، فإذا قيل كما قال
 النسي أيضاً :

وما الشعر إلا من رواة لصادني إذا قلت شعراً أصبح الشعر مشدا
 كان الفصل لأن الجملة الثانية (أو الشرط الثاني) « إذا قلت شعراً أصبح الشعر مشدا »
 تركيد للأولى ولا يصح العطف في مثل هذه الحال :

(١) دلائل الإعجاز ص ١٠٩ - ١١٠ .

وهذه مسألة تتصل بالأسلوب وما يوحى من معنى ، وللملك قالوا : لا يصح أن يقال : لاحيك الله جواباً لسائل لأن معنى هذه العبارة ذم في حين أن المقصود المدح ، ولذلك يقال : لاوحيك الله ومثلها : لاوشارك الله فيك ، ولا ، وعافاك الله . قالوا وهنا واجبة لأنها تحدد المعنى الذي يقصده المتكلم أو الكاتب :

والفرق واضح بين «ما اختار إلا منكم صديقاً» و«ما اختار إلا صديقاً منكم» ، فالإختصاص في العبارة الأولى في «منكم» وفي الثانية في «صديقاً» . وكان عبد القاهر قد تحدث عن مثل ذلك عندما تكلم على قول السيد الحميري :

لو عسير لتدبر فرسانه مااختار إلا منكم فارساً

قال : «الإختصاص في «منكم» بين «فرسانه» ، ولو قلت : «ما اختار إلا فارساً منكم» - : «الإختصاص في «فرسانه» (١) : ومعنى ذلك أن التقديم والتأخير احداثاً في المعنى ، ولولا ذلك لظلت العبارة ذات معنى ثابت ، وظلت كثير من المعاني حبيسة للصنوبر . وهذا من أهم مزايا اللغة العربية ، ولذلك استطاع المتحدثون بها والتحدثون بألفاظها أن يصوروا المعاني المختلفة ويجيروا عن مشاعرهم وهواجهم أحسن ما يكون للتعبير .

وفي النصوص الآتية ألوان مختلفة من أساليب التقديم والتأخير والفصل والوصل والتقصير ، حيثما وتحدث عما تؤدي من معانٍ لو تغير لفظها أو غير أسلوبها .

١ - قال تعالى : وإن الله لا يحب من كان مختالاً فتخورا (٢) :

٢ - وقال : والله الأخر من قبل ومن يتخذ (٣) .

٣ - وقال : وما عطيتهم أخرجوا فادخلوا فزأه (٤) :

(١) دلائل الإعجاز ص ٢٦٥ .

(٢) النساء ٢٦ .

(٣) قروم ٤ .

(٤) نوح ٢٥ .

٤ - وقال : «ولا تجعلك بذلك مغرورة» إلى عفتك ولا تيسبها كل قبسط
تضعد ملوماً محسوراً» (١) :

٥ - وقال : «وخرتياً لنا مثلاً ونسي خلقته» قال من يحيى العظام وهي رميم ؟
قل يحيى الذي أنشأها أول مرة» (٢) :

٦ - وقال : «وما محمد إلا رسول» قد خلت من قبله الرسل ، «إذ إن مات أو قتل
انقلبتم على أعقابكم» ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً ، وسيجزي الله
الشاكرين» (٣) :

٧ - كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا أراد أن يقوم من المجلس :
«سبحانك اللهم وبحمدك» أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك» ،

٨ - وقال الإمام علي - كرم الله وجهه - : «إنه ليس شيء بشر من الشر إلا
خطابه ، وليس شيء بخير من الخير إلا ثوابه» ، وكل شيء من الدنيا سواه أعظم من
حياته ، وكل شيء من الآخرة عياله أعظم من صباه ، فليكنكم من العيان السماع
ومن الغيب الخبر . واعلموا أن ما نقص من الدنيا وزاد في الآخرة خير مما نقص
من الآخرة وزاد في الدنيا فكم من مفرح رابع ومزيد خامس» .

٩ - وقال العمري :

أعندي وقد مارستُ كل عقبةً بصدقي وأشر أو يخبئ مائل؟

١٠ - وقال النبي :

فل من يبط الذليل بهيش رب عيشه أصف منه الحيام
من يهون يسهل الهوان عليه ما يلحرج بيئت إسلام

(١) الامراء ٢٩ .

(٢) بس ٧٨ ، ٧٩ .

(٣) آل عمران ١٤٤ .

١١- وقال علي محمود طه :

فلسطين لأراحتك صبيحة مقال
ولا عزك الجليل المقدسي ولا عيت
صحت بأديبات الشرق تحت غبارهم

١٢- وقالت نازك الملائكة :

في قلبه قابض قد أغمسوا
من صدره الحرّ بغضبي لثري
يا رمح إسرائيل مهما ارتوى
يقضى ثرائنا عربي الشدا

١٣- وقالت :

سلمت لأجساد وعشت لأبطال
لقومك تار في فوائب أجساد
على عُلجات الروح من تربك اللاني

رحماً غليظ الخدّ عشن الشفاء
والورد يستبه من فمها
من جنحة من روحه من منساه
والضوء يقضى عربي البساء

الرحلة الكبرى لنا ركبها
يا فرحة السارين تحت اللجسي
متاً قيا بشرى الشفاء الظمساء
قد لاحت ليلار وحسان القاء

(٢)

الإيجاز والإطناب والمساواة من أساليب التعبير، لكن واحد منها غرضه وجمال استعماله وموقعه؛ فقد يدعو المعنى أو الحال إلى الإيجاز وقد يتطلب الموقف الإطناب وقد يتحقق الغرض بالمساواة؛ واللغة العربية تميل إلى الإيجاز وتتجلى ذلك في الشعر القديم وفي الأمثال السائرة، ولكن الإطناب والمساواة وجداً سيئهما إلى كثير من كلام العرب عندما اقتضاهما المقام :

وفي القصص الآتية أمثلة للإيجاز والإطناب والمساواة، عيّن أي نوعها :

١- قال تعالى: «كُلُّ امرئ بما كسب رهين» (١)؛

٢- وقال: «وإن يكذبوك فقد كذبت رُسُلٌ من قبلك» (٢)؛

(١) الطور ٢١.

(٢) طه ١.

٣ - وقال: «رب أقرني ولو لذي ولن دخل بيي طوماً ولزمتين والوالمات» (١).

٤ - وقال: «ولكم في الصياص حياة» (٢).

٥ - وقال ثني - صلى الله عليه وسلم - : «الراوا القرآن فله باني يوم لقائمة شلياً لأصحابه».

٦ - وقال ابن نياتة السعدي :

لم يُبتكر جودك لي شيئاً أؤمله تركني أصحاب الدنيا بلا أمل

٧ - وقال إبراهيم بن المهدي في رثاء ابنه :

واني وإن قدّمتُ قبل لعالم باني وإن أخرجت منك قريب

٨ - وقال اللطفي :

أني لزمان بنوه في شينته فسرهم وأنباه على الهسرم
هذه بعض النصوص من كتاب الله وكلام رسوله وأشعار العرب؛ أمّا الأدب الحديث فلا تتضح هذه الأساليب في العبارة الواحدة أو البيت مثل انضاحها في القطعة أو القصيدة أو العمل الأدبي؛ ويعرف ذلك بالموازاة بين النصوص المتشابهة أو التي تعالج موضوعاً واحداً أو تعرض لقضية واحدة؛ ولكي تتضح الرؤية وتقرب الصورة تراعى عدة نصوص تعالج العمل القائل أو بطولة الجيش أو وصف مشهد من الطبيعة أو الحياة؛ وسيلو عند الموازنة الفرق بين هذه الأساليب كالرصافي وإليها أبو ماضي تعرضاً للفقر والغنى وتحدثاً عن استغلال الأغنياء الفقراء ولكن الأول أوجز في التعبير ولم يتعرض الجوانب المتصلة بالموضوع كلها وإنما عبر تعبيراً مباشراً فقال :

أرى كل ذي فقر لذي كل ذي غني أجيراً له مستخدماً في عساره
ولم يعطه إلا البسر وإنما على كده قامت صروح بسلره

(١) نوح ٢٨ .

(٢) البقرة ١٧٩ .

وبليس من تذابله العزّ حجاباً
 يشدّ الفنى لئلاّ تفتى في حياته
 وأحسب الثاني وعرض الصور الوحيدة والمؤثرة فقال :

لسي الطين ساعة أنّه طم
 وكفى للعزّ جسمه قبامسى
 بأعني لا تمل بوجهك عني
 أنت لم تصنع الحرير الذي تلب
 ألمانيّ كلها من شراب
 وأمانيّ كلها لتلاشي
 أنت مثل من ترى وإليه
 أيها الطين لست أنقى وأسمى
 سلت أو لم تسد فما أنت إلا
 إنّ نصراً سكته سوف يند
 لا يكن الخصام قلبك ماوى
 أنا أولى بالحب منك وأحرى

فأرصدني أوجز التعبير عن الموضوع ، ولكن أيلبا أبو ماضي أظن ، وليس
 هذا هو الفرق الوحيد بين الشاعرين ، بل هناك فرق أهم وهو أن الرصافي صبر عن
 الفنى تعبيراً مباشراً خالياً من الأبداع والإيحاء ، وعبر أبو ماضي تعبيراً فنياً فيه
 إبداع وإيحاء ، وبذلك خلق في أجواء رحة ، وهذه من أهم سمات الفن الأصيل

(١) الغدار: كل من كذب. العرج: القصر. إيماو: الفنى الأزرق. الظاهر لو التوتة.
 الغدار: الصود الفنى.

الباب الثالث
علم البيان



الفصل الأول

اليان

المبحث الأول

اليان لغة واصطلاحاً

جاء في المعجم أن اليان من يان الشيء وأبان ، إذا انضح والكشف ، وفلان أبين من فلان ، أي : أوضح كلاماً منه ، (١) .

فالبيان لغة التوضيح والكشف والظهور ، أما مدلوله الاصطلاحي فلا يقتوي عدداً في التصور المتعاقبة كما لا يفتق عليه مختلف الباحثين تعريفًا جامعاً مانعاً بخلاف عبود حياة هذه للكلمة ، ومن هنا فلا بد أن تتفادع التصوص في شيء من التسلسل التاريخي :

أقدم هذه التصوص آيات من الذكر الحكيم دارت في مواقع يعينها موضعان :

أولهما : قوله تعالى : « هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين » (٢) .

والبيان هنا - على رأي الثمغصري - (٣) هو الإيضاح

وتقل القرطبي عن الحسن وغيره : أن اليان في هذه الآية للكرامة يعني القرآن (٤) . كما ذكر مصطفى كتب علوم القرآن : أن اليان اسم من أسماء القرآن الحكيم وصفة له ، ويؤيد سياق الآية هذا للذكر وذلك النقل ، فترى كلمة اليان دالة في هذه الآية للكرامة على ما ينتاز به القرآن الكريم من الأسلوب المعجز في موضوعاته الدينية والفكرية وفي لغة النصيحة التي تأتي دونها غار القرائح والناجيات العقل بلانة في كل زمان ومكان .

(١) مقاييس اللغة (بين) .

(٢) آل عمران ١٣٨ .

(٣) الكشاف ٤٤٦ ص ٢١٨ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٢١٦ .

واللهيما : قوله تعالى : الرحمن : علم القرآن : خلق الانسان : علم البيان (1) :

لقد اختلف القسرون في تحديد مدلول البيان في هذه الآيات الكريمة ، فقيل :
انه اسماء كل شيء ، وقيل : اللغات كلها ، وقيل : بيان الحلال من الحرام
واللهي من الضلال ، وقيل : الكلام والفهم وقيل لسان كل قوم الذي يتكلمون
به ، وقيل : الكتابة والخط بالقلم (2) :

وذهب الرمشتري إلى ان البيان هنا : ما يميز الانسان عن سائر الحيوان ،
وهو المنطق الصحيح للمعرب عما في التعبير (3) :

وما يحسم هذا الخلاف وينتهي به إلى ما يشبه اليقين أن القرآن الكريم في هذا
الوضع منه لم يستعمل مصطلح الفعول والاسان والكلام واللتق وغير ذلك من المصطلحات
التي لسريها لواطك القسرون مدلول كلمة البيان ، مما يبين ذلك أن هذا المدلول
تدل عليه كلمة البيان نفسها : وهذه الدلالة في ضوء الدراسات القوية العلمية
والبحوث البلاغية والتفدية القديمة والمعاصرة لا تصدى للكلامي علق الله تعالى عليها
الانسان كائنا قادراً على التعبير عما في نفسه والتأثير فيمن حوله من بني جنسه ،
فمدلول كلمة البيان الاصطلاحي بين يدي القرآن الكريم وفي فجر القرن الاول للهجرة
هو مدلول التعبير وتحتاج هذه اللمعة من فن القول :

وتلطي في الحديث النبوي الشريف بكلمة البيان في موضعين وليس (4) :
اولهما : ما روي عنه - صلى الله عليه وسلم - من قوله : **إنّ من البيان**
لسحراً ، وإنّ من الشعر الحكمة :

-
- (1) الرحمن 1 - 2 .
 - (2) الجامع لأحكام القرآن ج 17 ص 102 .
 - (3) الكشف ج 1 ص 19 .
 - (4) النهاية في غريب الحديث والأثر ج 1 ص 174 - 175 .

اللاحظ : أن بعض البيان هنا قد عدت من السر ، ولما كان معنى السر
قلب الشيء عن الإنسان ، فإن مدلول كلمة البيان اصطلاحاً في هذا الحديث الشريف
هو ما يستتار به فن القول من التأثير بمهارة أسلوبه وتكون عباراته :

لما الموضع الثاني لغير ملازوي عنه - صلى الله عليه وسلم - من أنه قال :
«الباء والبيان شعبان من التفائق» :

الشكل في هذا الحديث : أنه يلم البيان جملة وتفصيلاً وإن كانت له رواية
أخرى تصح على أن «الباء» وبعض البيان شعبان من التفائق ؛ وهذه الرواية تدل
أن «البيان» ليس مضموماً كله ، ومهما يكن من أمر فإن المدلول الاصطلاحي
لكلمة البيان في هذا الحديث هو التصنع في ترتيب فن القول والتأني في صياغة عباراته
والتكلف في إقامة أساليبه بلا مراعاة لوجه الحق في معناه وموضوعاته ؛ وعلى
هذا كله فإن كلمة البيان اصطلاحاً بتنوع مدلولها حتى نهاية العقد الأول من القرن
الأول للهجرة في ثلاثة مناح من القيم اللغوية والتعبيرية والجمالية التأثيرية وهي :
ملئكة التعبير وتناج هذه الملئكة والتصنع المفرط في شكل هذا التناج ؛
لغاة البيان :

وعندما اشتدت حركة الجمع والتأليف في مختلف العلوم ، عني الباحثون
بتدريس كلمة البيان وتحليل مدلولها وتفصيل أدواتها ؛ وربما يأتي للباحث (٢٠٥٥)
في طليعة هؤلاء الباحثين قسماً في التاريخ وسعة في البحث ، فقد سمى أحد كتبه
«البيان والتبيين» ، وثبت فيه القول للكثيرة في حد البيان والامتنع بالنعوص
التي تدخل تحت حيمته ؛ ومدلول البيان عنده : الكشف والإيضاح والفهم والالهام ،
وهو يحتاج إلى تمييز وسياسة ، وأتمام الآلة ، واحكام الصنعة ، وسهولة المخرج ،
وجهارة المنطق ، وتكميل الحروف ، وإقامة الوزن (١) ،

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ٧٦ .

ودلائه على المعاني بحسب أشياء :

أولها اللفظ ، ثم الإشارة (١) ، ثم المقادير (٢) ، ثم الخط ، ثم الحال التي تُسمى
نُصْبَةً (٣) .

وجلي من هذا أن الجاحظ يرسخ الخطوط العامة لنظرية البيان العربي في ضوء
الناحي الثلاثة لمدلول مصطلح البيان التي نوهنا بها بين يدي أي للذكر الحكيم
والحديث النبوي الشريف ، فهو حين يتحدث عن ماهية البيان ويذكر أنها للكشف
والإيضاح والفهم والانتهام يتبع على المنحى الأول الذي رسمه القرآن الكريم ملكة
وهي الله تعالى لعامل الإنسان وعندما يحل محل المثلثة رابعة من نصوص قرآنية وأثرية وأدبية
يسرد بالمنحى الثاني لمدلول كلمة البيان فيما يتعلق بتتبع تلك الملكة : كما
أنه يحدد المنحى الثالث من هذا المدلول متوافراً على تتبع مميزات الشعر وأدوات
تحقيقها .

ويجزي : إن كل هذا يدل على أصالة ولادة نظرية البيان العربي بما فيها الرواسخ
في نصوص من أي للذكر الحكيم والحديث النبوي الشريف ثم نمو ملامحها العامة
بما أثر عن الصحابة والتابعين وعلماء اللغة العربية الرواد من أحكام في التوهم لتتاج
الأدباء وبما بذله الجاحظ في هذا المجال من عناية بالمثلث والتشوين والتشخيص :
لقد انعكس ما قام به الجاحظ في التصدي لبحث البيان على الآثار البلاغية والشعرية
التي صفت بعده ، واتخذ لوق روؤس الرواد (١) من البلاغيين من أمثال ابن

(١) أما الدلالة بالإشارة فهاليد والرأس والعين والخاص والذئب أما تبادل الشخصان

وبالتوب وبالسيف، وقد يهده ورفع السيف والوسط فيكون ذلك زاجراً ومالماً
رادعاً، ويكون وعيداً ولطيفاً.

(٢) الخت هو الحساب دون اللفظ والخط .

(٣) النصب: هي الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيورة بغير اللفظ، وذلك ظاهر في علم
السموات والأرض، وفي كل صامت وتقاطع، وجماد ونام، وتقليم وتلفظ
وزكته ونقص.

(٤) راجع كتاب فنون بلاغية ص ١٥-٢٠ وكتاب مصطلحات بلاغية ص ٦٩-٧٤ حيث
تتبع مؤلفهما الدكتور أحمد مطلوب مدلول مصطلح البيان بالتفصيل والموازاة لذلك
عزلاء البلاغيين.

وعب في كتابه «البرهان في وجوه البيان» ، والرماقي (- ١٢٨٦م) في رساله «الفتك
في اجاز القرآن» ، وابن رشيق القيرواني (- ١٢٦٣م) في مؤلفه «الصلفة» ، وعبد
القاهر الجرجاني (- ١٢٧١م أو ١٢٧٤م) في كتابيه «دلائل الاجاز» و«أسرار
البلاغة» ، وسواهم من اعلام هذا الميدان .

ولعل أبرز مميزات مدلول البيان في نظر الجاحظ وهؤلاء البلاغيين ينتمى في
ثلاث خصائص :

الأولى : السعة في الفهوم .

الثانية : التقيد في الحد والتعريف :

الثالثة : الاستشهاد بالتصوص الأدبية في التحليل .

جمود البيان :

بعد التطور الذي شهده البيان بنف الباحث لسان : هل بقيت تلك الخصائص
ثلاث التي امتاز بها البيان ؟

ان تاريخ البلاغة العربية نفسه يثير هذا السؤال ويجب مؤكداً ان مدلول كلمة
البيان الاصطلاحي وصورها تلك لم تتغير كما وُلدت في فجر القرن الأول الهجري
وتطورت في عهد ازدهار البلاغة العربية . ويذكر هذا التاريخ تصدي السكاكي
(- ١٢٢٦م) بلاغة العربية في كتابه «مفتاح العلوم» بداية لتغير حال البيان العربي
ونهاية به خيرة نظريته : فالمعروف أن السكاكي (١) وضع البلاغة قواعداً للتطبيق ،
واسمها «المداني والبيان» والتي هما المحسنت ، ووضع لكل قسم تعريفاً جامعاً
مانحاً ، وحدد مباحثه ونقوته في قوالب جامعة . وعرف البيان بقوله : «هو معرفة
ايراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح دلالة عينه وبالانقصان
ليحتمز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة للكلام لتسام المراد منه» (٢) ،

(١) راجع كتاب فنون بلاغية ، ص ٢٠ .

(٢) مفتاح العلوم ، ص ٧٧ .

لم ادخل الدلالات في تقسيم موضوعاته واثار مناقشة دخول هذا الموضوع أو ذلك فيه وخروجه عنه ، فبحث من هذا الباب ثلاث دلالات للاتفاظ :

أولها : دلالة اللفظ على تمام ما وضع له .

والثبها : دلالة التضمن وهي دلالة اللفظ على جزء ما وضع له أو جزء سماء مع دخوله فيه كالسقف - مثلا - في مفهوم البيت - .

والثبها : دلالة الالتزام وهي دلالة اللفظ على معنى خارج عن سماء ، لازم له ، كالحائط في مفهوم السقف (١) :

وبني السكاكي تقسيم البيان على هذه الدلالات ، فأخرج تشبيهه لأن دلالة واضحة ، والدلالة الوضعية لا يمكن بها إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة ، في وضوح الدلالة لأن السامع إذا كان عالما بوضع اللفاظ لم يكن بعضها أوضح دلالة من بعض وإلا لم يكن كل منها دالا عليها بخلاف دلالة التضمن ودلالة الالتزام اللتين هما دلالتان عقليتان يمكن بهما التصرف في اللفاظ وإيرادهما في طرق متعددة لدلالة على المعنى الواحد .

أما الموضوعات الأخرى ، فقال في حصرها : وإذا عرفت أن إيراد المعنى الواحد على صور مختلفة لا يتأتى إلا في الدلالات العقلية وهي الانتقال من معنى إلى معنى بسبب علاقة بينهما كالتزوم أحدهما الآخر بوجه من الوجوه ظهر لك أن علم البيان مرجعه اعتبار الملازمات بين المعاني : ثم إذا عرفت أن التزوم إذا تصور بين الشئين فلما ان يكون من الجائزين كالمدي بين الإمام والخلف بمحكم العقل أو بين طول القامة وبين طول التجدد بمحكم الاعتقاد ، أو من جانب واحد كالذي بين العلم والحياة بمحكم العقل أو بين الأسد والحرث بمحكم الاعتقاد ، ظهر لك أن مرجع علم البيان اعتبار هاتين الجهتين :

(١) المصدر السابق، ص ١٥٦.

جهة الانتقال من ملزوم الى لازم ، وجهة الانتقال من لازم الى ملزوم . ولا يريدك
 بظاهرة الانتقال من أحد لازمي الشيء الى الآخر مثل ما اذا انتقل من يياض الثلج
 الى البرودة ، فمرجعه ما ذكر ينتقل من يياض الى الثلج ثم من الثلج الى البرودة
 فتأمل . وإذا ظهر لك أن مرجع علم البيان هاتان الجهتان ، علمت انصبا ب علم
 البيان الى التعرض للمجاز والكتابة ، فان المجاز ينتقل فيه من اللزوم الى اللزوم
 كما نقول : فرعينا غيثا والمراد لازمه وهو الثبت ، وقد سبق ان اللزوم لا يجب
 أن يكون عقليا بل إن كان اعتقاديا إما لعرف أو لغير عرف ، صحح البناء عليه ،
 وأما نحو قولك : وأسمرت للسماء نياتا ، أي غيثا من المجازات المنتقل فيها عن
 اللزوم الى اللزوم فمستخرط في سلك فرعينا الغيثه : وان الكتابة ينتقل فيها من
 اللزوم الى اللزوم كما نقول : «لان طويل النجاد» والمراد طول القامة الذي هو
 ملزوم طول النجاد ، فلا يصار الى جعل النجاد «طويلا» أو «قصيرا» إلا لكون
 لقامة طويلة أو قصيرة فلا علينا أن نتخذهما اصلين ، (١) :

وإذن فموضوعات البيان عند السكاكي تنحصر في بابين رئيسين هما : باب
 المجاز وباب الكتابة ، وان لم يستطع أن يجعل بحث التشبيه في علم البيان وذلك
 لسبب : -

أولهما : ان لخصوصا قرآنية وأثرية وأدبية قد جرت بأفانين شتى من اسلوب التشبيه ،
 وثانيهما : ان العلماء الذين سبقوا السكاكي ومشايعه في بناء نظرية البيان العربي
 قد درسوا التشبيه وحدوده وأوردوا في دراسته وحده صوراً ثنية رائعة (٢) ،
 ومن هنا انتف على ما قرره وقال : «ثم ان المجاز - أعني الاستعارة - من حيث
 أنها من فروع التشبيه - كما صنف عليه - لا تتحقق بمجرد حصول الانتقال من
 الملزوم الى اللزوم بل لابد فيها من تقدمه تشبيه شيء بذلك الملزوم في لازم له نستدعي
 تقديم التعرض لتشبيه فلا بد من أن تأخذ أصلها ثالثا وللقلمه ، (٣) :

- (١) مفتاح العلوم ص ١٥٧ .
- (٢) راجع كتاب الكامل ج ٣ ص ١١٥ .
- (٣) مفتاح العلوم ص ١٥٧ .

وبعد ذلك أخذ يربط أصول البيان ومباحثه الثلاثة الرئيسية ، فرأى ان الاستعارة
تعتمد على التشبيه فلا بد أن يقدم مبحث عليها ، لانه اذا مهوت فيه ملكت زمام
التدرب في فنون السحر البياني (١) ، ولما كان طريق الانتقال من اللزوم الى
للأزم واضحاً بنفسه ، ووضوح طريق الانتقال من للأزم الى اللزوم انما هو
بالغير وهو العلم بكون اللازم مساوياً لللزوم أو أعرض عنه - فقدم السكاكي
الاستعارة وأختر الكتابة ، لانها بالنظر الى هذه الجهة تازلة من المجاز منزلة المركب
من الفرد :

لقد استول منحنى السكاكي ومنهجه في حدّ البيان وتأصيل المساء ومباحث
على معاصره عامةً وعلى القزويني (- ٨٧٣٩) الذي لخص مفاتيحه والذين شرحوا
هذا التلخيص ، قاسمت نظرية البيان العربي مفتحة في حدود ضيقة بعد أن كانت
تشمّل فنون البلاغة ولفن القول لدى السابقين (٢) .

(١) المصدر السابق ١٥٧ .

(٢) ينظر شرح ذلك في البديعة عند السكاكي ، والقزويني وشرح التلخيص ، ومراجع
بلاغية ، وفتوح بلاغية ، الدكتور احمد مطروب .

المبحث الثاني

أهمية البيان

في عصرنا هذا حين تخرج التخصصون في الجامعات العربية واتصل المثقفون بالثقافة الأوربية ظن بعضهم أن البيان العربي هو ما استقر في كتب البلاغة والبدع المتأخرة ، وأن الأساليب هي التي اتجهها هذا البيان في التراب من التزيين القضي والصدمة التكلفة ، فظهرت نيارات سطحية لم تستطع أن تتوغل في أصالة هذا البيان وتقف على كتوفه النبوي صبور ازدهار الادب ، فأعلنت حرباً عليه ودعت الى التخلص من سمات الجمال التي يزدان بها هذا الادب (١) ، ولذلك تجرد باحثون فرد على :^{١٠} الثيارات وتبديد صور البيان العربي الذي نوه به البلاغيون القدماء .^{١١} استنهم عبد القاهر الجرجاني الذي قال : ^{١٢} ثم انك لا ترى علماً من أرسخ اصلاً ، وايق فرعا ، وأحل جتنى ، وأعطب وردا ، وأكرم فاجا ، وقور سراجا ، من علم البيان الذي لولاه لم تر لسانا يحرك الرشي ، ويصوغ الخلي ، ويلفظ الفير ، ويثب السحر ، ويغري (٢) الشهد ، ويريك بدائع من الزهر ، ويخنيك الخطو الياق من الشعر ، والذي لولا تحضيه بالعلوم وحنانيه بها ، وتصويره اياها ، لبقيت كلمة مستورة ولا استجبت لما يد لدمر صورة ، ولا استمر السرار (٣) بأهلتها ، واستولى الخفاء على جبلتها ، ان فوائده لا يتركها الاحصاء وهلمن لا يحصرها الاستقصاء ، (٤) .

ثم ان البيان العمود القفري لعلوم الادب العربي وتكون لغة الفصاح ، وذلك لان هذه العلوم والقنون تهدف الى عمدة البيان ، الذي عني به العرب في جاهليتهم واسلامهم ، وشكلوا به في عصور ازدهار العربية ، وفي عصور انحطاطها ،

(١) راجع كتاب البيان العربي ص ٢٨٢ .

(٢) يقرى : يجمع .

(٣) السرار - يفتح - آخر لغة في الشعر يسترن بها الشعر ، أي يخفي .

(٤) دلائل الامجاز ص ١٠٠ .

والبيان ، أو دراسة الفن الأدبي ، ينبغي أن يسلم كل نشاط فكري ، وأن لا يتخلط
 عن أية حركة علمية لتخدم التراث العربي في العلم أو في الفن ، بحثاً أو تجديداً ،
 لأغراض بعيدة في حلقة لغة العرب ، اذ هو يشرح محاسنها وصنوف التعبير بها ، ويحلل
 أساليبها المختلفة ، ويفضل التعبير بكل أسلوب منها ويلسر الملامح الجمالية التي
 تبدو في نصيدة الشاعر أو خطبة الخطيب ، أو رسالة الكاتب ، أو مقالة المتكلم ،
 كما إن له ميداناً آخر رجا نسبها في مجال الفنيدة ودراستها ، واللغة والعقيدة هما
 حلقتا المجد في سلسلة إلهام الأمة العربية ، وسر حياتها وعقيدتها ، وسر خلودها
 وبقاتها مناسكة في وجه التغيير والأحداث (١).

وتتجلى أهمية البيان في مياديه تلك : أن إجادته تحقيق قوائمه وإبداع مهارته
 وفهم ثماره أمور تقتضي توفر آلات وأدوات ذكر منها ابن الأثير (٥٦٣٧) :
 معرفة علم العربية من النحو والصرف ، ومعرفة ما يحتاج إليه من اللغة ، وهو
 التداول للأدب استعماله في تصحيح الكلام غير الوحشي الغريب ، ومعرفة أمثال
 العرب وأيامهم ، والوقائع التي جاءت في حوادث خاصة بالتوام ، والإطلاع
 على تأليفات من تقدم من أرباب هذه الصناعات المتطورة منه والثورة ، والحفظ
 الكثير منه ومعرفة الأحكام السلطانية في الامام والامارة والقضاء والحسيبة (٢) ،
 وحفظ القرآن الكريم ، والتدريب باستعماله والتراجم في منظوم كلامه ، وحفظ
 ما يحتاج إليه من الأخبار الواردة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - والملوك بها
 سلك القرآن الكريم في الاستعمال ، ومعرفة علم العروض والقوافي (٣) .

وهكذا فإن البيان العربي يتواصل حلقة بين تراث الأمة العربية وثقافتها المعاصرة ،
 كما ينبغي. نيراساً نحو المستقبل الزاهر في استمرار أصالة ثقافة هذه الأمة ودورها
 الرائد في بناء الاتمان العربي فكرياً وروحياً :

و نحن إذ نقرر لبيان العربي هذه الأهمية ندرس في الفصول القادمة أصوله
 ومبادئه دراسة تحليلية تطبيقية متوالين التشبيه والمجاز والاستعارة والكتابة ،

(١) راجع البيان العربي ص ١٢ - ١٣ .

(٢) الحسية بالكسر: الأبر ، واسم من الاحتساب ، وهو حسن الحسية : حسن التدبير .

(٣) راجع كتاب: الملل السائر ، القسم الأول ص ٢٢ - ٢٤ .

الفصل الثاني

التشبيه

المبحث الأول

تعريفه وأركانه

إذا ما التمسنا في المعجم معنى كلمة التشبيه لغة لم يكن لنا بد من المرور بالمفردات التي دارت عليها مادة تشبه، وما يراد لها من مادة مثل، ذلك لأن أصحاب المعجمات قد ذكروا تلك المفردات وذلك المعنى في سياق واحد :

ذكر ابن منظور أن «التشبيهُ والتشبيهُ والتشبيه: المثل، والجمع أشباه وأشبه، تشبه تشبهاً، مثله، وأشبهتُ لثلاثاً وشابهته وأشبهه على»، وتناهى التشبان وتشبهها أشبه كل واحد منهما صاحبه: وشبهه إياه وشبهه به مثله والتشبيه: التمثيل، (١)؛ وتقل المصنف في المعنى ذاته أنه: «مثاله شيء وتشبهٌ وتشبهٌ، وله شبهةٌ منه، وقد أشبه أباه وتشابهه، وما أشبهته بأبيه» وفي الحديث البين يشبهه عليه : : : وتشبهت الأمور وتشابهت: تشبعت لأشياء بعضها بعضاً :

وفي القرآن : المحكم والتشابه: وشبهه عليه الأمر: ليس عليه (٢) فمادة تشبه ومادة مثل، لتتجانس على ثلاثة معانٍ متحدة في صوم ومخصوص:

أولها : اتزان شيئين أو أمرين على الإطلاق في صفاتها كافة حتى لا يجد المرء بينهما مفارقة ليختلطان عليه ويظهر أحدهما الآخر:

وثانيها : تقارب شيئين أو أمرين في وجه من الوجوه ليشقان من ذلك الوجه وقد يمتثلان من صوره :

(١) لسان العرب (شبه).

(٢) أساس البلاغة (شبه).

واللهما: صاري شينين أو أمرين حتى يستوي كل أحد منهما بدلاً عن الآخر،
التشبيه اصطلاحاً :

اللفظ عليه : ان المعاني القوية لأية كلمة أسبق ظهوراً من مدلولاتها الاصطلاحية،
ومن هنا فإن علماء البلاغة الذين سعوا إلى تحديد مدلول كلمة التشبيه اصطلاحاً
قد أذكروا إلى حد كبير بما أدل به اصحاب المعجمات من معان لغوية لهذه الكلمة
ويجعل هذا التأثير في أن تعريفاتهم لكلمة التشبيه اصطلاحاً متفقة في مدلولاتها
وان انحلت طرائق تعبيرهم باختلاف اختصاصاتهم الأساسية وتباين مشاريعهم
ولعل البرد (- ٥٢٨٥) أقدم القويين الذين عرفوا التشبيه اصطلاحاً، قال
دواعلم أن تشبيه حدّاً، لأن الأشياء تتشابه من وجوه، وتباين من وجوه
فإنما ينظر إلى التشبيه من أبين وقع ، فإذا شبه الوجه بالشمس والقمر، فإنما يراد
به الشبه والرواق، ولا يراد به العظم والاحراق : قال الله جلّ وعز : **كَأَشْبَهُنَّ**
رَبِّيضٍ مَّكْتُونٍ، (١) والعرب تشبه النساء ببيض النعام، تريد نقاهة ورتقوله، (٢):
لفي هذا النص يظهر : ان البرد العالم القوي يعتمد منهج استفراء شواهد اللغة
القوية والذوق العربي ويستضيء بأحد المعاني القوية لكلمة التشبيه، وهو تقارب
شينين في وجه واختلالهما في وجه آخر، فيرى أن هذه الكلمة - اصطلاحاً -
لكل على جميع أمرين في صفة دون الصفات الأخرى التي تظلت عليها كلمة المشبه
والمشبه به .

وقد تبع قداما بن جعفر (- ٥٢٣٧) خطى البرد لما ذهب إليه من حدّ
التشبيه واحداً ما اكتسب منه في إطار منطقي قائلاً : - فإنّ الشيء لا يشبه نفسه ولا
بغيره من كل الجهات إذ كان الشينان إذا تشابها من جميع الوجوه ولم يقع بينهما
تباين البنية ، انحصار الاثنان واحداً يعني أن يكون التشبيه انسا يقع بين

(١) الصفات ١٩ .

(٢) الكامل ج ٣ ص ٥٠٠ .

ثبتيين بينهما الشراك في معانٍ لهما وبعدهما بها، وانفرادي في انتهاء بغيره كل واحد منهما عن صاحبه بصفتها؛ وإذا كان الأمر كذلك فالحسن التشبيه هو ما وقع بين الثبتيين الشراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما لهما حتى يبدئي بهما إلى حال الاتصاف (١).

ومما يلاحظ في علوم التشبيه الحسن ووقع البدء عليه المتأخر على أساس حقل مجرد أنظر به الرمانى وهو المتزلى، فقال: «تشبيه هو المقدم على أن أحد الثبتيين يعدّ مبدأ الأمر في حسن أو حقل» (٢).

والسؤال هنا يستفسر عن مدى دقة هذا التعبير ولغته وصحته في نظر علماء البلاغة المبدعين الذين يلتفتون بالشاعر بشرى بن برد في وصفه لرجح حبيته قائلاً:
وكان رَجِحٌ حديتها قطع الرياض كسبين زهرا
إذا ما لصفه أو الصفات التي تجمع بين رَجِح الحديت وهو يترك بالسح وبين قطع الرياض التي تكسوها الزهر وهو تحس بالبرص؟

فواضح أن صفات رَجِح الحديت من جرس موصلي ورقة نبات وعلوية اداء ليست لها أية علاقة عقلية وحسية بصفات قطع الرياض من جمال الزمان وطيب رائحة، واعتدال حواء، وعليه فإن التعبير الذي حرّره قدامة لا يستجيب تشبيه رَجِح الحديت بقطع الرياض وقد كسبن زهراً، ومثله في التشبيهات الفنية: ومهما يكن فإن قدامة ومن جرى مجراه في تعريف تشبيه كالمعاني وأبي هلال العسكري (٣) والباللاني (٤) قد اعتصموا المنهج الشكلي وأدخلوا موضوع تشبيه في دائرة نظر الطفل والمطفي المجردين.

(١) نقد الشعر ص ١٢٢.

(٢) الشك في اصحاب القرآن ص ٧٤.

(٣) كتاب الصائين ص ٢٣٩.

(٤) اصحاب القرآن ص ٢٩٩.

وعمل التقييد من هذه الناحية بقت عبد القاهر الجرجاني له تعريف تشبيه في
 قوله أسس المنهج التحليلي للألأ: «إن هذا التشبه العقلي ربما اترج من شيء واحد
 كما مضى من اترج التشبه لفظ من حلولة الفصل، وربما اترج من عدة أمور
 يجمع بعضها إلى بعض ثم يستخرج من مجموعها التشبه ليكون سببه سبيل التشبين
 يترج أحدهما بالآخر حتى تحدث صورة غير ما كان لهما في حال الأفراد لا سبيل
 التشبين يجمع بينهما ويحفظ صورتهما. ومثال ذلك قوله عز وجل: «متكلم الذين
 حسنوا السور لا تم لم يتحملوها كتشكل الحمار يتحمل أسفاره» (١)، التشبه
 مترج من أحوال الحمار وهو أنه يحمل الأسفار التي هي أوعية العلوم، ومستودع
 ثم القول، ثم لا يمس بما فيها ولا يشعر بمضمونها، ولا يفرق بينها وبين حائل
 الأحوال التي ليست من العلم في شيء، ولا من الدلالة عليه بسبيل، فليس له مما
 يحمل حظ سوى أنه يقل عليه، ويكده جنبيه، فهو كما ترى مقتضى أمور مجموعة
 ونتيجة لأشياء ألفت وترون بعضها إلى بعض» (٢).

فمن هنا نراه منهج لا يكتفي بتقرير الأمور وإنما يسوق صاحبه لتعريف
 التشبيه ثم يضيض في تحليل مقوماته مستشهداً بأكثر من شاهد.

بعدنا تاريخ البلاغة العربية أن الخلاف بين المنهج الشكل والمنهج التحليلي
 تحرير موضوعات هذا الفن وتصحيح أسسه وضبط أبراه قد انتهى إلى نقطة
 تامة بينهما على يدي السكاكي الذي انتهى بالبلاغة إلى قواعد منطقية وأحكام
 عقلية ليس فيها دور للذوق الفني الرفيع والحس القوي المرهف، لقد وضع
 السكاكي تشبيه حدّاً جلياً مانعاً عن أساس منطقي ونظر عقلي فقال: «التشبيه
 مستطع طرفين متشبهاً ومتشبهاً به واشتركا بينهما من وجه واتفاقاً من آخر مثل
 أن يشتركا في الحقيقة ويختلفان في الصفة أو بالعكس: لأول كالتساويين إذا اعتدنا

(١) الصفحة ٥.

(٢) السرر البلاغة ص ٩٠ - ٩١.

صفة طولاً وقصراً، والثاني كالتولين إذا اختلفا حقيقة انداءاً وقرباً وإلا فالت
 غير بأن ارتفاع الاختلاف من جميع الوجوه حتى التبين يأتي التعدد فيمثل التشبيه
 لأن تشبيه الشيء لا يكون إلا وصفاً له بمشاركته الشيء به في أمر والشيء لا يصف
 بنفسه كما أن عدم الاشتراك بين الشيئين في وجه من الوجوه يمنع محاولة التشبيه
 بينهما لرجوعه إلى طلب الوصف حيث لا وصف وإن التشبيه لا يصر إليه لغرض
 وإن حاله تفاوت بين القرب والبعد وبين القبول والرد (١)؛

فهذا التعريف يقوم أساساً على مبدأ منطقي يحدد الأشياء المجموعة في تشبيه
 من حيث الحقيقة والجنس والنوع، ويتضمن صحة الجمع بينها من زاوية للصفة
 أو الصفات التي يربطها العقل رابطاً بين الشيء والشيء به، لذلك فهو يحدد مسائل
 التشبيه ويقرر أرواها طرفين وطرفاً وما يحقق هذا الغرض من أدلة ووجه شبه،
 إن هذه المخطوط العامة لتعريف التشبيه عند السكاكي قد صارت سنة تبعها
 البلاغيون من بعده إما مباشرة أو عن طريق ما قام به القزويني من التخصيص (٢)
 كتاب السكاكي المعروف بفتح العلوم ثم ابضاحه، إذ أن القزويني أخذ
 تعريف السكاكي وللم أطرافه وحفظ حواشيه وقال: والتشبيه: دلالة على مشاركة
 أمر لآخر في معنى (٣)؛

ويشغل ما قرره من انتهاء حال تعريف التشبيه فيما جمع الأستاذ على الجندی (٤)
 من تعريفاته لدى البلاغيين القدامى وتثبيت الملاحظات عليها :
 ✓ لعند ابن الأثير : تشبيه أن يثبت للمشيء حكم من أحكام الشيء به (٥) ،
 وعند التنوخي : هو الإخبار بالشيء، وهو اشتراك الشيئين في صفة أو أكثر (٦)؛

(١) ففتح العلوم ص ١٢٧ - ١٢٨ .

(٢) ينظر كتاب التخصيص في علوم البلاغة ص ٢٢٨ .

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة ص ٢١٢ .

(٤) ينظر كتاب فن التشبيه ج ١ ص ٤٢ .

(٥) النقل السائر ج ٢ ص ١٠٢ .

(٦) الأخص القريب ص ١١ .

و عند ابن رشيق : صفة الشيء بما لا يربطه وشاكلته من جهة واحدة أو جهات كثيرة (١) .

و عند المطرزي (٢) والحلي (٣) : الدلالة على اشتراك شيئين في وصف من أوصاف الشيء الواحد في نفسه .

و عند الرطواط (٤) : أن يشبه للكاتب أو الشاعر شيئاً بشيء آخر في صفة من صفاته

و قد علق الأستاذ علي الجنتي على هذه التعريفات موقفاً إيجاباً بقوله :
ويلاحظ أن هذه الحدود جميعاً تتفق في الجوهر ، وهو اتفاق التشبه والشبه به في وصف بجمعهما . ولكن يلاحظ كذلك أنها ليست دقيقة ، فمثلاً تعريف سخطيب - وهو أشملها - اعترض عليه بأنه لا يمنع من دخول نحو : «قاتل زيد حَمْرَاءً ووجهاني زيد وحمْرُوهُ» ، مما جمع فيه بصفة المشاركة أو ولو العطف ، ولا يعد مثل ذلك من التشبيه ، لظهوره من الوصف الجامع بين الطرفين (٥) ،
ونعتقد أن المقار تعريف تشبيه اصطلاحاً إلى الدقة لدى معظم العلماء الأسلاف
فإنَّ يلزمه في تعريفات المعاصرين إيجاباً ،

ومن هؤلاء المعاصرين السيد أحمد الهاشمي الذي عرف تشبيه اصطلاحاً بقوله : هو التشبيه اصطلاحاً - عند مماثلة بين أمرين ، أو أكثر ، قصد اشتراكهما في صفة ، أو أكثر ، بأداة : لفرس بقصده المتكلم (٦) فهنا التعريف ربما يحقق الاحتراز عن أن تكون المشاركة بين التشبه والتشبه به عطفاً بينهما ، وذلك بالنص

(١) تصانيف ج ١ ص ١٩٤ .

(٢) الطراز ج ١ ص ٢٦٢ .

(٣) حسن التوسل ص ١٠٦ .

(٤) حقائق السير ص ١٣٨ .

(٥) فن التشبيه ج ١ ص ٣٥ .

(٦) جواهر البلاغة ص ٢٤٢ .

عل أن تلك المشاركة تؤديها أداة مخصوصة تسمى مع أحوال لها أدوات
التشبيه، ومع هذا فإن طبيعة هذه المشاركة تبقى قائمة لانهذه أحوال مقارنة
الشبه بالشيء به ولا تشويهاً في دقة وحصر: وآية ذلك اننا قلنا في تصوير
أدوية بتشبيهاً يقاوى فيها الطرفان : الشبه والشبه به في جهة التشبيه (١) ،
فيكون كل واحد من الطرفين مشبهاً ومشبهاً به، فإدبياً ترجيح أحد المتساويين
على الآخر، كتقول أبي اسحاق الصائغ :

تشابته دعوى إذا جرى ومدانتي فمن يشكر ماقي الكاس عيني تسكب
لوافح ما أدري أبالخدي استبكت جفوني أهن عيبرتي كنت اشترية
لها لا يشرك أبو اسحاق الصائغ دموعه مع عمره في صفة أو صفات نجع

بينهما من وجه لفرق بينهما وجوه، وإنما يرى دمه عمراً ويعتقد عمره دمه
كل هذا ولا مراء في أن الشاعر يعتمد أسلوب التشبيه في تصوير تجربة شعورية
خاصة : ولعل هذه الملاحظة لا تعني ان التعريفات التي صاغها القدامى والمعاصرون
لتشبيه قاصرة جملة وتفصيلاً، بيد أنها تقرر أن صياغة تعريف جامع مانع لتشبيه يضم
ليه دواعي تراثنا الأدبي وما تجرد به القرينة المبدعة مستقبلاً أمر يقف دون تحقيقه
حاشان :

أولها : أن تشبيه حدث معنوي ، والحادث المعنوي ليس شيئاً مادياً محسوساً
لحركة الحواس ، قصته وصف البيان واللامسة والتلوق والشم :

والثاني : أن تشبيه في جوهره ثمرة مخيلة الإنسان التي يغلبها بيان الضوم
ويشعبها اختلاف اليبات ويلولها تجدد التجارب وما إلى ذلك من العوامل المتخوقة
التي تمنع على الحصر والتضييق :

(١) يسمي البلاغيون هذا اللون من التشبيه (تشبيهاً)

ينظر كتاب تنوير بلانية ص ٦١.

لقد اتبى الأستاذ علي الجندى إلى طبيعة تشبيه هذه أفاد من الدراسات النفسية المعاصرة وتفحص آراء علماءنا القدامى البديعين فتحدث عن المصدر الحقيقي المتغير بالتشبيهات الأصلية قائلا : "إن التشبيهي" على ما ألمحه القوم من اشتراك بعض الأشياء في وصف خاص يربط بينها. ولذلك يقول أحد علماء النفس أن الأحاسيس النفسية الذي يقوم عليه التشبيه وغيره من الأساليب البديهة من تأليفها وإدراكها وتغييرها ، هو في الواقع عملية أساسية في التفكير ، تلك هي ما بين بعض الأشياء وبعض من تشابه وعلاقاته (1) :

فالتشبيه في حقيقة أمره قياس وقياس - كما يقول عبد القاهر - يجري فيما تحبه القلوب وتدركه العقول ، ونسفي فيه الأفهام والأذهان لا الإسماع والآذان(2) وما بعيننا من هذا الحديث : أن المنهج التحليلي المتكامل في الكشف عن لركان التشبيه وعرض جوهره وتبسيط فائدته هو الذي يستطيع أن يقدم لنا الصورة الحقيقية عن هذا الفن ، بخلاف المنهج التفريري الشكلى الذي يأنس بنا لدى ظاهره ويظلم لنا أجزاءه شتاتا وتضاريف : وفي المجال تطبيقي للنفس بعد القاهر الجرجاني وهو يمثل شواهد قبة أصيلة من هذا المطلق النفسي وقد ذكر هذه الآيات لابن طباطبا :

رُبَّ لَيْلٍ كَأَنَّه أَسْلَى لَيْسَ وَكَدَّ رُحْتُ عِنْدَكَ بِالْحَيْرَمَانِ
جَبَتْهُ وَتَجَرَّعَتْ نَسْ فِي الْأَنْفِ سَقَرٌ وَطَرْفَانِ كَالْعَيْرَانِ الرَّوَانِ
مَلُوهَا مِنْ ظِلَامِ لَيْسَ فِي لَحْرِ وَهِيَاءُ لَيْسَ الْأَخْضَرُ الْهَيْجَانِ (3)

(1) دراسات في علم النفس الأدي من ٤١.

(2) فن التشبيه ج ١ ص ٥٠.

(3) جبهه قطعه - طرفت العين التحركت الهجان - الكتاب الشهير من كل شيء^١ ودجل هجان الكريم الحبيب.

تم حلها قائلا: لما كان يقال في الأمر لا يرجي له نجاح: « قد أظلم علينا هذا الأمر » وهذا أمر فيه ظلمة، ثم أراد أن يبالغ في التباس وجه النجاح عليه في أمته تخيل كأن أمته تخلص شديد السواد فقام ليله به كأنه يقول: « وتفكرت فيما أظلمه من الأثياء السود، فرأيت صورة أبل فيك زائدة على جميعها في شدة السواد فجعلته قياساً في ظلمة ليل الذي جهته (١)».

ففي هذا النص يشير عبد القاهر الجرجاني إلى مصدر عد الغيبة في تحقيق الأمل ضرباً من الاغلام، وهو ما يقوله الناس عادة، ثم يتحدث عن انعكاس ذلك في مخيلة الشاعر، وبعد ذلك يلتمس انفعالات الشاعر النفسية وهو يعاني من بأسه في تحقيق أمته ويعاني حتى تخففت عن تشبه ليله بأمله للطلاب قياساً وتصوراً، طرفاً التشبيه:

حدّد البلاغيون أربعة لركان للتشبيه: هي المشبة والمشبه به ووجه التشبه واداة التشبيه. كما يظهر في قوله تعالى: «والشجر عصاك، فلما رأها تهتتراً كأنها جانّ رأتى مذبراً» (٢)

فالضمير في «كأنها» العائد إلى العصا مشبه وكلمة «جان» مشبه به والاعتزاز الذي هو شدة الاضطراب في الحركة: وجه التشبه، وكان هي أداة التشبيه، وكما يتضح ذلك أيضاً في قول ابن الفارض:

أحرام إقباله كالهيوم في فيصّر ويوم إعراضه في الطول كالحيجيج
 ففي هذا البيت تشبهان: أولهما: «أحرام إقباله كالهيوم في فيصّر»، «أحرام إقباله» مشبه و «الهيوم» مشبه به «والقصرة» وجه التشبه، «والكاف أداة التشبيه»
 وثانيهما: «هو يوم إعراضه في الطول كالحيجيج»، «يوم إعراضه» مشبه و «الحيجيج» مشبه به، «والطول» وجه التشبه، «والكاف أداة التشبيه»:

(١) سرمد لبلغة ص ٢١٤.

(٢) النبل ١٠.

وبذلك في كتب البلاغة للتشبيه والتشبيه به طرفي التشبيه ، وذلك لوجوب ورودهما في التشبيه وعدم جواز حذف أحدهما أو كليهما ، إذ يؤدي الحذف إلى تحول التشبيه ، كما سترى إلى الاستعارة .

وذهب الحصري في تعداد أركان التشبيه مذهباً آخر ، فرأى أنها : المشبه والمشبه به ، والتشبه بالكسر - وهو التكلم - والتشبيه - وهو الاعتقال المذكور في الشبه (١) . ويثير هذا التسبب مسألتين : أولاهما : هي تأكيد دور الأديب في صناعة التشبيه واتساع أثر حياكه النفسية وذوقه وبيته الخاصة في كيفية التي أخرج عليها تشبيهه .

والملاحظ أن هذه المسألة تكاد تكون مغفلة في معظم كتب البلاغة العربية ولا سيما تلك للكتب التي يتبع أصحابها المنهج الشكلي في تحليل أركان التشبيه وبيان تمييزه وتأثيره .

وثانيتها : تجاوز النظر إلى أداة التشبيه ووجه الشبه وركنيتين أساسيتين بين أركان التشبيه الأربعة . والحصري في هذه المسألة لا يأتي بمحدد فإن البلاغيين الذين سبقوه ، وذلك لأن هؤلاء يطلقون على المشبه والمشبه به اسم وطرفي التشبيه دلالة على أنهما ركنان رئيسان في فن التشبيه . وأنه لا يجوز حذف واحد منهما ، لأن هذا الحذف يحول التشبيه إلى الاستعارة .

أما وجه الشبه وأداة التشبيه ، فيجوز حذف أحدهما أو كليهما دون أن يغير هذا الحذف من التشبيه ويؤدي به إلى أسلوب آخر من أساليب البيان :
وقد صرّف البلاغيون المشبه بأنه الشيء الذي يراد تشبيهه وإبراز صفته وتحميده حاله ، وإن المشبه به هو الشيء الذي يشبه به وتوضح فيه تلك الصفة وهذه الحال ، وإجراء عملية التشبيه بين طرفي التشبيه في نظر أولئك البلاغيين ينهض على قاعدة تؤكد : أن المشبه والمشبه به لا بد من إحداهما في الحقيقة أو اشتراكهما في الذات ،

(١) عزارة الأدب ص ٢١٦ .

مع اختلافهما في الصفة ، أو اتحادهما في الصفة مع اختلافهما في الحقيقة أو الذات ، لأن التشبيه يقتضي الاختلاف في بعض الجهة والإشتراك في بعضها إذ الإشتراك من جميع الوجوه حتى الاتحاد الذي يأتي التعدد ، أو الاختلاف من جميع الوجوه حتى التعمين الذي يأتي المقاربة ، لا يأتى به تشبيه البهتان (١).

مثال ما اتفق فيه الطرفان في الحقيقة والذات واختلفا في صفة قول قيس بن فرج :-

أفسي نهارى بالحديث واللى ويصحنى وهم بالليل جمع
 نهارى نهار الناس حتى إذا بدا لي الليل عزتني اليك الضامع
 تشبه الشاعر نهاره بنهار الناس جمع بين أمرين متشدين في الحقيقة والذات :
 أما الاختلاف بينهما فيرجع إلى صفة مخصوصة تترادى لقارئه من معرفة حال
 ذلك الشاعر التيم الذي يأتي بعد جرد إليه الضم بالألام وعلمه بنهار الناس الذي
 يتخي بيلي يرثون فيه التعمين مغمضين لا يفتأهم حدث ولا يدعب عن جفونهم
 فكروا لم .

ومثال ما تشابه الطرفان في صفة وابتدأ في الحقيقة والذات قول أبي دلالة في الهجاء :

إذا ليس العمامة كان قيرناً وخزيراً إذا خلق العمامة
 فالهجر في هذا البيت يشابه مع القرد والخزير في صفتي القبح والقزم وبتباين
 جنسهما في الحقيقة والذات . والتشبيه باعتبار الطرفين أربعة أصوب :

الأول : التشبيه الذي يكون فيه المشبه والمشبه به حسين ، والمراد بالحسي مظهره
 هو أو ناداته إحدى الحواس الخمس الظاهرة وهي : البصر والسمع والشم والذوق
 واللمس ، كما في تشبيه الخد بالورد والقبل بالجليل ، في المصبرات ، والصوت
 الضعيف بالهمس في المسوعات ، والتكئة بالعبير في المسومات ، والريق بالخمر
 في اللوقات ، وإجلد الثاعم بالحرير في اللسوسات .

(١) راجع فن تشبيه ج ١ ص ١٠٢ .

الثاني : التشبيه الذي يستوي فيه الطرفان عقليين ، والقصور بالعقل مالا يدرك واحد منهما بالحس بل بالعقل كما في تشبيه العلم بالحياة ، والجهل بالموت ، والنقص بالكفر :
الثالث : التشبيه الذي كان فيه التشبه معقولاً والتشبه به محسوساً كما في تشبيه النية بالحس ، والجهل بالظلام والعلم بالنور .

الرابع : التشبيه الذي كان فيه التشبه محسوساً والتشبه به معقولاً كما في تشبيه العطر بخلق كرم (١) :

وأما الثامن مادة طرفي التشبيه على أساس هذه الأخرى الأربعة مسائل خلافية بين بعض البلاغيين ، وأول هذه المسائل أن بعضهم منع تشبيه المحسوس بالمعقول وذلك بحجة أن العقل مستفاد من الحس ، قال الرازي : «انه غير جائز لأن العلوم العقلية مستفادة من الحواس ومتبوية إليها ولذلك قيل : «من فقد حساً فقد علماً ، وإذا كان المحسوس أصلاً للمعقول فتشبيهه به يكون جملًا للقرع أصلاً وللأصل فرعاً ، وهو غير جائز . ولذلك لو حاول محاول المبالغة في وصف الشمس بالظهور والسك بالطيب فقال : «الشمس كالخجعة في الظهور ، والسك كالأخلاق فلان في الطيب» كان سخيفاً من القول»(٢).

وفي يميننا : أن هذا المنع تشبيه المحسوس بالمعقول يعتمد نظراً عقلياً ودليلاً منطقياً ، والنظر العقلي والدليل المنطقي لا يثبتان إذا لم نجد من الشواهد الأدبية الأمثلة ما يجعلها قاعدة بلاغية مستأخفة .

والخليفة أن شواهد أدبية أصيلة جرى فيها تشبيه المحسوس بالمعقول فأقامت الحجة على أن ذلك المنع ليس من فن القول في شيء : من هذه الشواهد قول القاصي الشعري :

(١) ينظر الإيضاح ص ٢١٩ .

(٢) نهاية الإيجاز ص ٥٩ .

وكانَ النجومَ بين دجاءِ سُنَّ لاج يلمن ابتداءً
 هي هذا البيت المشبه بالنجوم بين دجاء، مشهد حسني تحمى العين، والمثبه به
 من لاج يلمن ابتداءً، مركب عقلي يلم به العقل ويتصوره الخاطر،
 ومنها قول الشاعر بن عباد بن عبد الله بن عبد شمس القاسمي الجرجاني :
 يا أيها القاسمي الذي لم يزل في قُربِ عهدِ أهلك مشافه
 أهديتَ عطرًا مثلَ طيبِ ثنائهِ فكأنما أهدى له العلقه
 فهذا شبه الشاعر العطر وهو من الشمومات بطيب ثنائهِ وهو مما لا يترك إلا حتى
 الحواس الخمس الظاهرة .

لقد حلل الرازي نفسه عن التشبيه في طين الشاهدين وسواهما قائلاً : واعلم
 أن الوجد الحسن في هذه التشبيهات أن يقتر للعقول محسوساً ويجعل كالأصل في
 تلك الحسوس على طريق المبالغة وحيث يصح التشبيه (١) :
 ومن المعاصرين من أُلِّم بهذه المسألة البلاغية يردعها إلى التخيل مصدرها لخلق
 الصورة التشبيهية ، وكذلك نجد له أمثلة كثيرة حينما بدأ الشعراء العباسيون بصورون
 للعاني تصويراً يعتمد على الخيال : (٢) :

والأية هذه المسائل أن هناك نوعاً من التشبيه هو التشبيه الخيالي، رده بعض
 البلاغيين (٣) إلى التشبيه الحسي وأدخله فيه، باعتبار أن الحسي يترك هو أو مادته
 بإحدى الحواس كما في قول الشاعر :

وكانَ مُحَسَّرٌ للشقيقِ إذا تصوَّبَ أو تصدَّدُ (٤)
 أعلامُ بالقصوتِ نُشِيرُ نَ على رماحِ من زَبَرُجَدُ (٥)

(١) نهاية الإيجاز ص ٦٠، وينظر فنون بلاغية ص ٣٩.

(٢) فنون بلاغية ص ١٠.

(٣) ينظر الإيضاح ص ٢١٩.

(٤) الشقيق : ورد أحمر يباع بقط سود . تصوَّب : مال إلى أسفل ، تصدَّد : التجه
 إلى أعلى .

(٥) أباؤوت : حصر كريم صلب رزين شفاف تختلف ألوانه . والزبرجد : حجر
 كريم أيضاً يشبه الزمرد ، وأشهره الأخضر ، وينسب البيتان لصوتوري .

وثمة هذه المسائل أن أوانك البلاطين عدوا أولاً آخر من التشبيه هو التشبيه
 الوهمي من التشبيه العقلي، وذلك لأن الوهمي هو ما ليس متركماً بشيء من الحواس
 الخمس الظاهرة، مع انه أو أدرك لم يدرك إلا بها (١)، كما في قول امرئ القيس:
 أبلغني والفرغسي مضاجعي وسنوتة زرق كاثواب أذواني
 وعليه قوله تعالى: «مَلَأْنَاهَا كَمَا مَلَأْنَا رُؤُوسَ الشَّيَاطِينِ» (٢) وكلما ما يدرك
 بالوجدان، كاللذة، والألم، والشَّج، والبرق .

لقد فرّق البلاطون بين التشبيه الخيالي والتشبيه الوهمي فقال العلوي : «والفرقة
 بين الأمور الخيالية والأمور الوهومة هو أن الخيال أكثر ما يكون في الأمور
 المحسوسة، فأما الأمور الوهومية فلما تكون في المحسوس، وغير المحسوس بما
 يكون حاصلًا في أذهانهم وداخلها فيه» (٣).

وعلى هذا الأساس كان التشبيه الخيالي هو للمعنوم الذي فرض مجسماً من عدة
 أشياء، كل واحد منها يدرك بالحواس، ويتوفر في الوجود وأن الصورة التي يدخل
 فيها مع سائر الأشياء قد نسجها الخيال :

فحصر الشقيق في الشاهد السابق- انتهى به العين في الطبيعة وحاله في التصوُّب
 ولتصعد برسمها الخيال وكذلك أعلام البالوت وبساط الزبرجد يقع عليهما
 الإنسان متفرقين في الحياة اليومية. يتبدأ أن «جتمعتهما في صورة، وتأليف هذه
 الصورة مع صهر الشقيق منصوباً ومتصعباً في طرفي تشبيه حدث لغوي وعساية
 تخيلية جريا بخيال الشاعر .

أما التشبيه الوهمي فهو ما يأنف طرفاه أو إحدهما مما لا وجود له ولا لأجزائه
 كلها أو بعضها في الوجود المحسوس ولو وجد لكان متركماً بإحدى الحواس،

(١) الايضاح ص ٢٢٠ .

(٢) قصائد ٦٥، طبع الشعر : مايلو من لمرقة اوله ظهورها .

(٣) الطراز ص ٢٧٣، وينظر نقون بلاطية ص ٤٠ .

غُراب الأفعال في بيت امرئ القيس لا وجود لها في نظر الإنسان ولن يجعلها الشاعر مشبهاً به لسهام الرزق توحهاً.

وفي الشاهد القرآني للكريم شبه طلع شجرة تخرج في أصل الجحيم برؤوس الشياطين وذلك لأنه قد استقر في الفوس الناس من قبح الشياطين ما صار بمنزلة المشاهد، ولذلك ربط سبحانه وتعالى بين شجر الرزقوم ورؤوس الشياطين.

ورابعة هذه المسائل أن الصفة أو الصفات الجانبة بين طرفي التشبيه تكون أقوى في المشبه به منه في المشبه، وذلك لأن الأصل في التشبيه عند البلاغيين أن يقصد به إلحاق الناقص بالزائد في الصفة المطلوبة، إذ أن القاعدة المستتجة من التشبيه - كما يقول ابن الأثير - : أن يشبه الشيء بما يطلق عليه لفظه وأفعله (١) - أي: يشبه بما هو أزين وأوضح، أو بما هو أحسن أو ألحج. وكذلك يشبه الأقل بالأكثر، والأدنى بالأعلى .

وما ذهب إليه ابن الأثير هو معنى قول السكاكي: والمشبه به من حقه أن يكون أعرف بجهة التشبه من المشبه، ولنعص بها، وأقوى حالا معها (٢) :

وأكد الطبري أن المشبه به أعظم حالا من المشبه في كل أحواله (٣) :

وقد وردت شواهد في التشبيه تخالف هذا الأصل البلاغي وتخرج على قاعدته، منها قوله تعالى حكاية عن الكفار: **وَأَنَّمَا السَّبْحُ مِثْلُ الرِّبَا** (٤) في مقام: أن الربا مثل السبع، عكسوا ذلك لا يهيم أن الربا عندهم أصل من السبع، لأن الغرض الربح، وهو أثبت وجوداً في الربا منه في السبع، فيكون أحق باليحلّ عندهم :

(١) المثل السائر ج ١ ص ١٦٥.

(٢) ملتحاق العلوم ص ١٨٤.

(٣) الطراز ج ٣ ص ٢٢٧.

(٤) البقرة ٢٧٥.

ومنها قول محمد بن وهيب الخديري :

وبدا الصباح كأنَّ قُورمه وَجَهَهُ الخليفة حين بُمُتَسَخَّحُ
لفرة الصباح أم يافأ وإشراقاً من أي وجه، ومع ذلك جعلها الشاعر مشياً ،
جعل وجه الخليفة مشياً به .

ومنها قول البحرني :

في طائفةِ البدر شيءٌ من عاداتها والفتيبِ تصببٌ من ثكثبها
والمتعارف تشبه الوجوه الحسة بالبدور، والذات بالفتيب في الاستقامة
والشئى لكن البحرني أخرج طرفي التشبيه على غير هذه العادة .

قد تدارس البلاغيون (١) هذه الشواهد وأمثالها وسعوا إلى تطريحها لتوافق
هذا الأصل البلاغي ولا تخرج على قاعدته فسموا التشبيه فيها تشبيهاً منقولاً أو
متكسباً ومكسباً، وحدوه بأنه هو ما يرجع فيه وجه تشبيه إلى المشبه به وذلك حين
يراد تشبيه الزائد بالنقص والحق الأصل بالقرع للمباذير :

وفي يهينا أن حصر البلاغيين لأصرب مادة طرفي التشبيه في تلك الأعاط
الأربعة والارتهم لهذه السائل الخلاقية حول طبيعتها لما يعود إلى اعضاءهم
الدراسات العقلية النظرية عن مصدر معرفة الإنسان وعلمه وهو مصدر لا يتعدى
حواصه الظاهرة وما شاع عنها من مأثور ومعهود وجار مع العادة بين الناس عموماً
من سلف، وهذا المصدر في طبيعتها وحدوده ربما يفتق أمام الأدب المبدع سبيل
لخلق في التشبيه كما يأخذ على يدي البلاغي المتذوق ليمتد من الناس المنهج
الأصل لتحليل الشواهد الأصيلة في هذا الفن .

والعل للكتب البلاغية المروثة الأصيلة لتسع لهذه الخليفة وتتيح لنا مجال للتصور
بأن التشبيه في إخراج طرفيه حدث لغوي وعصاية لغوية عساعدا طريق التحليل

(١) ينظر : السرار الهلانة ص ١٨٧ وما بعدها .

في تصوير تجربة صاحب القشبة تجاه الشبه وتحقق غرضه من الجمع بينه وبين
الشبه به .

وعندما ننظر بصورة هذه التجربة علينا أن نكشف عن الصدق في التعبير ووضع
اليد على جملته منجنيب الاحتكام إلى القواعد القليلة الجديدة في صياغتها عن استقراء
التصور الأصلي :

فنأقدم هذه التصور قول امرئ القيس في تشبيه إلهه بالخصوف بمرج البحر :
وليس كمرج البحر مرخ سدود علي بالسراج المغموم ليندسي
فقلت له لعل تطاسر بعنقه وأزفت أمجاداً ولاءً بكلكل
ألا أيها الليل الطويل ألا الليل صبح ، وما الإصباح منك بأمثل (١)
يقول لنا امرؤ القيس تجربة مع إلهه الذي هو مشبه في الآيات ، فإذا هو
امرؤ عاقل متيقن في تعذيب صاحبه والشكابة به ، يرخي عليه الستور بعنق
المغموم ليخدير صبره وجزعه ، ويسلطي على صدره ويكتم انفاسه جسماً يمدد
وسطه ليحتربه ويهم بتركه فلا يثبت في ذلك حتى يرجع إليه ضالطاً عليه متباعداً
في جرمه وهيكته :

وبماورد الشاعر ومجاده ويطلب إليه أن يتكشف عنه ثم يذكر ما يأتي بعده
من صباح ، يعترف أن هذا الصباح ليس بأحسن منه :

والسؤال الذي يثيره البلاغي التقليدي عما القيس منه امرؤ القيس مشبهه هذا ،
يقضي في جوابه تعداداً غير متسجم لروايفه : ففلام هذا الليل الشبه بصدرة
حاسة البحر وانزاعه العنقي في ازعاج السدود والابتلاء وفهم الخطاب وبما يكون

(١) سدود : ستور ، ليليل : أي ليظهر ماغناه من الصبر والجزع ، وينبلي بمعنى
يختر ، تعلى بعنقه : تمدد بوسطه ، فأزفت أمجاداً : أي رجوع ، ولاءً بكلكل :
أي تيباً لينهض ، وكلكل : الصدر .
أبلي : انكشف ، الأمثل : الإحسن .

أمرًا عقلياً ووعياً في آن واحد ، وأصوات حركته امتداداً ورجوعاً واستنطاقاً
تلم به حاسة السمع ، ولكن بعد هذا كله ألوما يقضي إيل امرئ القيس هذا متمسكاً عن
التصور الحسي والعقلي للمهود ؟ نحن نظن ذلك ، ومن هنا فمصدر صورة هذا
الليل هو تجربة الشاعر المحسوسة وجدت أدوات تعبيرها من لحن وحجم وحركة
واعتقال طور معقول في ضوء مقاييسنا من وعيه ومن لا وعيه ومن شعوره واحساسه
بمعاذاه وكأبه :

أما المشبة به «موج البحر» في الآيات، فهو أمر إذا لم يكن قد أنهى العربي
لتلقي هذه الآيات كلُّ الألف في صحرائه، فهو معروف بصفات الغلظة
لثقله والحركة المتأخرة والتطوُّر على الخطاير والنهالك.

وهذه الصفات وإن كانت صسومة ومعقولة في آن واحد، لا تصلح أصلاً
تقاس به صفات الشبه وحالاته تلك ولا تنسوي صورة أوضح من صورة الشبه
كما يقرره البلاغيون التقليديون لتشبهه به وإذن فالجمع بينهما في نظر معظم البلاغيين
إنما كان في عملية التشبيه على أساس التشبيه المقلوب :

والسؤال هنا هو: أفسر هذا النظر فيه التشبيه ويقدم لنا كشفاً دقيقاً عن غاية
الشاعر الغرضية غير المستهدفة بدءاً وتحديدًا من تشبيهه ؟ نحن نزعم في الجواب
عن هذا السؤال : أن امرأ القيس لم يتبع من جمعه بين طرفي التشبيه فإنيك سوى
تصوير أثره والتعبير عنه ثم للتأثير في مناقبه من السامعين والقارئين، فكان موج
البحر في شعرة تجربته واقعاه ومعاناته غير مشبه به بألف مع إله التشبيه،
وربما يكون غرض شاعر آخر من الجمع بين الشبه والتشبه به هو إلهام الناقلين
قبل التأثير فيهم يأتي طرفاً تشبيه مألوفين ومعهودين بدرجة تحقق ذلك الغرض
وبخاصة في الموضوعات الطنبية :

والنص الذي اختاره تطبيقاً على منهجنا في تحليل طرفي التشبيه هو قول الرصافي
في تحدثت عن نظرية لبقاه الاصلح في معركة الحياة :

خيلني أن الأرض غربال قلوة تجتمع الأحياء بين المسارح
 تبيد به كنف الزمان تحركا لبحر ضعيف أو لايات قلوة
 فيلني به الأقوى فربما ارتفاه كما يسقط الأوهى رهين الدثار
 فلا جيش في الدنيا لمن لم يكن بها قليلاً على دفع الأذى والكلاب (١)

تصحح في عقل الرصائي وحافظته الواجبة كما يظهر من هذه الآيات معلومات
 ومشاهدات في الصراع بين طبقات الناس وأجناسهم فوق الأرض، ويتوقى من
 أن الأقوى من هذه الطبقات والطبقات يتغلب على الأضعف ويتبعه عن سبيله، فينتقل
 الأرض التي هي مسرح هذا الصراع مشبهاً. ثم يقلب الأشياء التي يعرفها وبمهددا
 في الحياة اليومية ليختار منها المشبه به القاهر على نقل معرفته ومشاهداته تلك إلى
 المخاطبين في وضوح ودقة.

ويدهي أن الشيء الذي يريد لهذه المهمة بين تلك الأشياء لابد أن تضح فيه
 صفة الامساك بأمور وتسريب أمور أخرى على أساس الحجم والكتلة، فكان
 الغربال هو هذا الشيء، ولذلك اتخذه مشبهاً به وجمع بينه وبين الأرض المشبه
 في صفة الاستدارة والحركة والامساك بما فيه من ذوات الحجم الكبيرة وتسريب
 ما يليق بحجمه ويتضمن هيكله .

ولما كان الغربال في تلك الصفات معروفاً لدى متلقي آياته في وطنيته تمكن
 من تحقيق طرحه من تشبيه وهو الأفهام والتعالم. وللاحظ من هذا التحليل أن
 طرفي التشبيه في مادتهما إذا كانا مقبضين من حاسة أو أكثر من الحواس الظاهرة -
 بجمالان في الوقت ذاته في طبيعتهما احساس الشاهر للشيء بتساوة الحياة ويجسدان
 شعوره لوجدانه بخيبة الأمل والاضطراب على الناس في هذا الصراع غير المتكافئ،

(١) تبيد به، أي تتوربه وتتحرك. والقاره: الملح الشديد. والراد به هنا: ما يتأهل
 الضعيف، وهو القوى. الأرض: الأضعف. وهو مقابل للأقوى في الشطر
 الأول. ينظر ديوان الرصائي ص ٣٦ (تصديداً بتحرك الحياة).

ويحتل هذا الشعور وذلك الاحساس في ظلال مدارلات انشبه والقيبه به ، ذلك
لان الأبر من حل سحها وكثرة غيراتها تفسق عن استنباط الناس ، الذين لجمعهم
وشائج متنوعة ، ولأن القربان في عمله الأكل يحفظ مثلا بالحجر الغدار بحرمه
الكبير ويحفظ الدقيق النافع لجمعه لصغير :

وجه القبه :

ان ثالث أركان التشبيه هو وجه القبه الذي يعرف اجمالا بما يشترك فيه طرفا
التشبيه ، المشبه والمشبه به من معنى :

وقد نتج البلاغيون وشفاد القدامى هذا الاشتراك ، فالنفس بعضهم الرواة في
ظوم منح استقر التي يعتمد اشعار العرب ومصادر تشبيهاهم فيها من بيئة وحياة اجتماعية
وحالات نفسية ، من هؤلاء ابن طباطبا العلوي (- ٥٢٢٢) (١) ، وابن نقيا
البيضاوي (- ٥٤٨٥) الذي حدد كيفية التشبيه قائلا : « إن الشيء يشبه بالشيء تارة في
صورته وشكله ، وتارة في حركته ولعله ، وتارة في لونه ونجده ، وتارة في سوسه (٢)
وطبعه (٣) ، وبعضهم الآخر حبس الزانه في اطار منطقي وحصرها في مصدرها الحسي
كما فعل القزويني الذي جعل المعنى المشترك بين طرفي التشبيه اما تخفيفا أو تخيلا ، (٤)
والمراد بالتحقيق ما أدرك باحدى الحواس الخمس الظاهرة كتشبيه الشعر بالليل
في السواد وتشبه النكهة بالعطر في الرائحة ، وتشبه البشرة بالحريير في الرقة ، وتشبه
الرين بالسلامة في المذاق ، وتشبه الصورت بالنمى في الطلوة :

أما للتخييل فالتصور به والآن يمكن وجوده في المشبه به إلا على تأويل كما في

قول القاضى التتوخي :

-
- (١) ينظر عبار الشعر ص ١٠ - ١١ .
 - (٢) الشعر : الاصل كالتجار ومنه المثل : « كل تجار الينجارها » أي : في كل
لون من الاعلاق ولايشك على رأي السوس : بالضم - الطبيعة والاصل .
 - (٣) الجنان في تشبيهات القرآن ص ٥٢ .
 - (٤) الايضاح ص ٢٢٠ .

وكان النجوم بين دُجائها سُنَنٌ لاح بيتهنَّ ابتداء

فإن وجه الشبه في الهيئة الحاصلة من حصول أشياء مشرقة يضي في جواب
شيء مظلم أسود ، فهي غير موجودة في الشبه إلا على طريق التخيل، (١)
وفي رأينا أن التعاس وجه الشبه على هذا عند القزويني ومن شابهه والذين تفلوه
يعود إلى مباحث عظيمة لامس الجوانب الأدبية والنسبية والشعورية التي تقوم
عليها الوجهة الأدبية :

ومما لا بد من تأكيده هنا : أن وجه الشبه الذي يلقي عليه طرفاً تشبيه لا يمكن أن
يكون متحفظاً أو متخيلاً بشكل آلي لكي يصبح مشاعراً في اللوق ومقبولاً في الطبع
فقول الشاعر :

وله طُرفةٌ كمدونٍ وصلالٍ فوقها طُرفةٌ كلون صُودٍ (٢)

يشبه طرفة حبيبة وهو شعر مقدمة الرأس بالصدود في السواد ،
والعادة جارفة يوصف الصدود وسوء الطالع بالسواد ، ولكن أين جمال سواد
الطرفة الذي هو علامة الشباب ودليل الحيوية من سواد الخط العائر وظلمة الصدود
الذي يورث حُمماً فالألا وحزناً ميتاً ؟

وعليه فإن وجه الشبه في حقيقته الأدبية والثنية ثمرة لامساس الأديب بما يجمع
مشبه الذي له معه تجربة مخصوصة مع الشبه به الذي يشر في نفسه ووجدته
ما يفيض في تشبيهه الفني : تأسكا عاطفيا وتجاوبا شعورياً بين طرفيه ؟
أداة التشبيه :

إن الركن الرابع الذي اشترنا إليه في لركان التشبيه هو أداة التشبيه التي عرفها
معظم البلاغيين القدماء (٣) والمعاصرين (٤) والتعلد رأبهم على أنها الكلمة

-
- (١) الايضاح ص ٢٢٠ .
 - (٢) لغوة : بياض في العين .
 - (٣) ينظر : كتاب الجمال في تشبيهات القرآن ص ١٣ .
والايضاح ص ٢٣٥ .
 - (٤) جوامع البلاغة ص ١٢٦ ، فن التشبيه ج ١ ص ١٩٢ وتكون بلاغية ص ٤٧ .

التي تفيد المماثلة والمشاركة بين التشبه والمثبه به فالنصوي منحها كمثل ما أفاد
 شيها ، كاللثام وكان وباء النسب ومثل ومثيل وشبه، وشبيه ونحو ومهريب وشكل
 وعشاء ومساوٍ وهناك ، وأخ ونظير ، وعدل وعديل ، وكفء ومعاكل
 وموازن ومصارع وندّ وصنور ، وما كان بمعناها أو كان مشتقاً منها من فعل أو اسم
 والأداة في مدلول استعمالها هنا عامة تشمل الحرف والأسم والتعل ، وعليه فإن
 أدوات التشبيه تصنف في ثلاث مجموعات :

أولها : أدوات تشبيه بالحروف، وأشهرها اللثام وكان،

أما اللثام فالأصل في استعمالها أن يلبس التشبه به كقول أحمد شوقي في وصف
 البحر :

يلج عد بلة عد أخرى كعذابٍ ساجت بها قبيداهُ
 وسفين طوراً تروح وجنا يسوق الشراحين الخضاهُ
 لزللاتٍ في سيرها صاصداتٌ كالبرادي يهزههُنَّ الحُصاهُ (١)
 وهيء التشبه به بعد اللثام إما لفظاً كما في الضامد السابق وإما تقديرًا كإفراءه

لعلى : وأو كصتّيب من قسمايه فيه غلّحاتٌ وزرّحدٌ ويزرّقي (٢) ،

والأصل كلوي صتّيب ، فحذف ذوي دلالة وجعلون أصابعهم في آفاجهم
 عليه ، وحذف مثل ما دل عليه عطية على قوله : «كتمتكل الذي استوقد ناراً» (٣)
 إذ لا يخفى أن التشبه ليس بين مثل السنوقدين ، وهو صفتهم العجيبة للثان وبين
 ذوات ذوي الصيب ، وإنما التشبه بين صفة أولئك وبين صفة هؤلاء .

وأما وكان، فهي تفيد التشبه سواء اعتقت نوتها أم لا ، أو اتصلت : «و»

الكتابة أم لا .

(١) البرادي : أي رحل من الأبل الحناء : الحناء في آخر الأبل .

(٢) الشوق ١٩ .

بسم النوا ١٧ .

وشاهد الخلفه قوله تعالى: «كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى صَرْفِ مَسْعَاهُ» (١) ومثال للشدة قول الشاعر :

كَأَن لَقَرَّبَهَا وَاسِعَةً تُشِيرُ الدُّجَى لِنَظَرِ طَالِ الْمِيلِ أَمْ لَقَدْ نَعَّرَ طَا
ومثال التصلة بماء الكفة قول ابن نباتة في فرس ابنه آخر :

وَكأَمَا لَطَمَ الصَّبَاحُ جَيْتَهُ فَاقْتَصَرَ مِنْهُ فَخَالِصٌ فِي أَحْسَابِهِ
والأصل في الأداة «كَأَن» أن يليها الشبه بانفاق البلاغيين وإن كان هؤلاء البلاغيين حل خلاف في اطلاق المادها التشبيه : فبعضهم يرى أنها تنبذ التشبيه بلا تقييد وبعضهم الآخر يزعم أنه إن كان غيرها اسماً جامداً فهي التشبيه كقول الشاعر :
كَمْ نَعْمَةٍ مَرَّتْ بِهَا وَكَأَنَهَا فَرَسٌ يَهْتَرُونَ أَوْ نَسَمٌ حَارِي
وإن كان جملة أو مشظاً، فعلاً أو صفة، فهي للشك بمنزلة ظلت وتوهمت كقول
حروة بن حزام العلوي :

كَأَن نَظَاةً ظَلَمْتَ فِي جَانِحِهَا عَلَى كَيْدِي مِنْ شِدَّةِ الْحَقِّقَتَيْنِ
فمثل هذا لا يكون تشبيهاً، لأن غيرها للشبه به في المعنى هو الشبه والشبه لا يشبه بظنه.

وذعب الكوفيون والرجاج إل أنها التحفيق في قول الشاعر :

وَأَصْبَحَ بَطْنٌ مَكَّةَ مَشْتَعراً كَأَن الأَرْضَ لَيْسَ بِهَا جِشَامٌ (٢)
والشبح - النمرس الأدبية - وهي العول عليها في الحكم - يدرك أن هذا الحرف يلبد التشبيه دائماً :

ولانيتها : أدوات التشبيه والأسماء : وأسرها في النمرس الأدبية : وشبهه كقول
الشاعر :

(١) يونس ١٢.
(٢) التمرنود الأيمن: أعلت.

بأشبهه صدر في الحُضْنِ وفي بُعْدِ السَّالِ
جِدًّا فَكَيْدًا تَفْجُرُ الصَّدْرَ حَرَّةً بِالنَّارِ السَّالِ

و مثلها كقول عبيد بن الرئاس الكلابي يصف قوماً أول بهم :

لا يظنون على العبياء إن تعلقوا ولا يشارون إن ماورا باكتلوا
مَنْ نَأَى مَن لَعَلَّ لا يَسْتَعِيدُهُمْ مثل " لنجوم التي يسرى بها الساري (١)

ومثلها أدوات تشبيه والأفعال وأكثرها دوراً على السنة الأدباء :-

الفعل ومخاله، بشئ نُزِمَتْ كقول أحمد شوقي في وصف جنيف وهو أجبها:
وأناك مولودٌ للجم ، مخاله مَلَكًا لَمْ يَه السَّامُ مَطَهَرًا

وذهب ابن فاقيا البغدادي إلى أنه وربما استغني عن هذه الأدوات بالصدر
بحر اخترج خُروجَ القِدْحِ (٢) وطلع ظُفْرَ النجم، ودمرق مروق السهم (٣)

وفي بيتنا أن صيغة المصدر اللين لا نوع في هذين الشاهدين وما جرى مجراها
تفيد تشبيه أصالة حتى لقد قرَّرَ ابن الأثير بهذا الصدد لثلاثاً : وراعى أن هاتين

تشبيه أن بحره مصدرياً كقولنا : والآدم إقدام الأسد، والفاخر قبس البحر،
وهو أحسن ما استعمل في باب تشبيه (٤) :

وفي هذا الباب من النظرات الخلافية (٥) يرى بعض البلاغيين أنه قد يفتني
عن أداة التشبيه وفعله، يبدل على حال التشبيه، ولا يعد أداة ، وإن كان الفعل

اللين، أفاد قرب المشابهة، كما في فعل اللين من الدلالة على يقين الامتداد وتحققه،
وهذا يفيد تشبيه مبالغة نحو قوله تعالى : وَلَمَّا رَأَوْهُ كَارِهًا اسْتَنْبَلُوا رُوَاهُ يَتَذَكَّرُونَ
قالوا هذا كارهٌ سَمَطِيرٌ ثَابِلٌ هو ما استعجبناكم به روي فيها عذاب أليم (٦)

(١) ينظر الكامل ج ١ ص ٧٢ .

(٢) القدح - بالكسر - السهم فل إن يراد وينصل .

(٣) الجسد في تشبيهات القرآن ص ١٣ - ١٤ .

(٤) ينظر هاشم المصدر السابق حيث ورد النص ص ٤١ .

(٥) جواهر البلاغة ص ٢٦٨ .

(٦) سورة الاحقاف ٢٤ .

وان كان الفعل للشك أضاف بعدها لما في فعل الرجحان من الأشعار يدمم لتحقيق
وهذا يفيد التشبيه ضحاً، نحو قوله تعالى: «ويطوف عليهم ولدان مختلفون
إذا رأيتهم حسيتهم لولاً منشوراً» (١).
وكتول الشاعر:

نورم إذا نسوا الدروع حسبتها سحبا مزودة على أقصار
وفي رأينا: أن لكلمة إذا أفادت التشبيه وعقدت مقارنة بين المشبه والمشبه به
فهي أداة تشبيه على الاطلاق أما قرعة هذه المقارنة ودرجة تلك الافادة فيحكم
في تقديرها إلى أثر التشبيه في عقل القارئ وشعره.

(١) الانسان ١٠٤.

البحث الثالث

أنواع التشبيه

يتنا فيما مضى أن ركن أداة التشبيه وركن وجه التشبيه يجر حذقهما من بين أركان التشبيه لأغراض بلاغية وافية . وقد بنى علماء البلاغة (١) على هذا الجواز قواعد في أنواع التشبيه :

التشبيه المرسل والتشبيه المؤكّد :

تحدث البلاغيون عن جواز حذف أداة التشبيه وصغروا التشبيه إلى صنفين : -

أولهما : التشبيه المرسل : وهو ما ذكرت أداته كقوله تعالى : **وَسَابِقُوا إِلَى مَفْرَقٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَمُودُهَا كَعَمْرُوسٍ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ** (٢) .
وكقول امرئ القيس :

وَنظُرِي بِرُحْمَتِهِ فِيمَ شَقَّتْهُ كَالْأَسَارِجِ عُلْيَا أَوْ سَاوِيكِ إِسْحَابِ (٣)
ففي قوله تعالى : أداة التشبيه مذكورة ، وهي الكاف ، وفي الشاهد المروي لأمرئ القيس أداة التشبيه ظاهرة أيضاً وهي **وَكَاكَ** :

والثانيهما : التشبيه المؤكّد وهو ما حذفت أداته مثل قوله تعالى : **وَيُضَافُ عَلَيْهِمْ بَابَةٌ** من لفظة **وَأَكْوَابُ كَالْأَكْوَابِ** قواويرا: قواوير من قفص قفصها تقديره (٤) .
يعني أنها كالقواوير في صفاتها ودرولتها وشغيفها ودرليلها وهي من لفظة (٥) :

(١) الإيضاح ص ١٦٥ .

(٢) الحديد ٢١ .

(٣) نظور : تناول . ورحم : لينة ، وموصوفة ملاحظ وهو البناء شق : غايظ ، الأساريج : بستان حبر ، وأحدها أسروع ، عُلْيَا : اسم واد جهات الإسحلاب .
شجر تحفظ منه أجود المطويك .

(٤) الإنسان ١٥ - ١٦ .

(٥) ينظر الجمان في تشبيهات القرآن ص ٢٦٤ .

ومثل قول الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - «الكفاة جُدْرِي الأَرْضِ»^(١)
حذف أداة التشبيه والجملة ذلك :

تحدث عبد القاهر الجرجاني عن جواز حذف أداة التشبيه حديثاً ربما نفهم
منه أن هذا الحذف عملية آلية لا ترتب عليها أي حكم لغوي معنوي إذ قال
«طارج إلى نحو «فإنك كالليل الذي هو مدركي» وأعلم أنه قد يجوز فيه أن
تُحذف الكاف وتجعل المجرور «الليل» خيراً فتقول : «فإنك الليل الذي هو مدركي»
أو أنت الليل الذي هو مدركي . وتقول في قول النبي صلى الله عليه وسلم «مثل
الؤمن مثل الخلة من الزرع» : «الؤمن الخلة من الزرع . وفي قوله عليه الصلاة
والسلام «الناس كابل مائة» : «الناس ابل مائة» ويكون تفسيره على أنك قدرت
مضاهياً مخلوقاً على حد «هولسان القرية» تجعل الأصل «فإنك مثل الليل» ثم تحذف
مضاهياً (٢) .

والحقيقة أن الأمر ليس كذلك ، لأن حذف الأداة من التشبيه اعتباطاً وفي
الأحوال كلها يقتضي تغيير معنى الجملة كما نتجم عنه أغراض بلاغية :

وقد تبه عبد القاهر الجرجاني نفسه على ما يرتب على حذف الأداة من تغيير
معنى الشاهد الذي وردت فيه أداة التشبيه فقال : «والنكتة في الفرق بين هذا الضرب
الذي لا يبدء المجرور بالكاف ونحوها من وصفه بجملة من الكلام أو نحوها وبين
الضرب الأول الذي هو نحو «زيد كالأسد» إنك إذا حذف الكاف هناك قلت :
زيد الأسد ، فالقصد أن تبالغ في التشبيه فتجعل المذكور كأنه الأسد وتشير إلى
مثل ما يحصل لك من المعنى إذا حذف ذكر المشبه أصلاً قلت :

(١) الكفاة : نبات ، الجُدْرِي : بضم الجيم ونسبها : الفروع في أريد لفظ
وتفتح . (القاموس المحيط) .

(٢) أضرار البلاغة ص ٢٢٨ .

رأيت أسداً أو الأسد : ، فإما في نحو وفانك كالليل الذي هو متركي، فلا يجوز أن نقصد جعل المنسوخ الليل ، ولكنك تنوي أنك أردت أن تقول : فانك مثل الليل ، ثم حذفت المضاف من القسط وأثبتت المعنى على حاله إذا لم تحذف ؛ وأما هناك فانه وإن كان يقال أيضاً : أن الاصل زيد مثل الأسد ثم تحذف ، فليس الحذف فيه على هذا الحد ، بل على أنه جعل كأن لم يكن لقصد المبالغة .
 الأترامهم يقولون : يجعله الأسد ويعيد أن تقول جعله الليل ، لأن القصد لم يقع إلى وصف في الليل كالتقلية ونحوها ، وإنما قصد الحكم الذي له من تسميته الآفاق واستناع أن يصير الانسان إلى مكان لا يدركه الليل فيه

وإن أردت أن تزداد علماً بأن الأمر كذلك أعني أن ههنا ما يصلح فيه تشبيه الظاهر ولا يصلح فيه المبالغة وجعل الأول الثاني فاقصد إلى ما يجد الاسم الذي المنسوخ به الليل فيه غير محتمل لضرب من التشبيه إذا أفرده وقطع عن الكلام بعده كقولته تعالى : إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء (١) لو قلت : إنما الحياة الدنيا مائة أنزلناه من السماء ، أو الماء : ينزل من السماء فتخضر منه الأرض : لم يكن للكلام وجه غير أن تقدر حذف ومثل : نحو : إنما الحياة الدنيا مثل ماء ينزل من السماء فيكون كبيت وكتب ، إذا لا يتصور بين الحياة الدنيا والماء شبه يصح قصده (٢)
 وإذن فحذف الأداة من التشبيه يتحكم فيه القصد من اشراك المشبه مع المشبه به في معنى ، وموضع حذفه على الإطلاق مشكل اعترف الجرجاني بأنه لا يمكن لقطع فيه بحكم على التفصيل ، وظل اعترافه هذا ملازماً لسائر علماء البلاغة (٣)
 هل مدى المصنوع ؟

بين البلاغة

(١) يونس ٢١ .

(٢) اسرار البلاغة ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

(٣) ينظر مثل السائر ج ٢ ص ١١٩ - ١١٧ .

وفي ملخصنا ان المعرك فيه هو النص الأدبي الذي نرى أسلوب التشبيه فيه ثمره شعورية نجحت عن الحدث الذي التفتى عند موازنة بين المشبه والمشبه به في صيغة مخصوصة هي صيغة حذف أداة التشبيه منها .

لو آتيا كان فإن حذف الاداة من التشبيه عند البلاغيين يحقق أغراضاً لغوية ونية وشعورية يتخذ الرأي حوطاً في أن التشبيه المؤكّد اوجز وأبلغ ، وأشدّ وقفاً في النفس اما انه اوجز فلحذف أداته وطبي ركن من أركانه ، وأما أنه أبلغ ، للتصويره المشبه في صورة المشبه به وجعلهما نظيرين ، وولفه التشديد في النفس يرجع إلى صيغته الموجزة وربطه الوثيق بين طرفي التشبيه :

التشبيه للفصل والتشبيه للمجمل

أما بشأن جواز ذكر وجه المشبه وحذفه فقد نه البلاغيون إلى أن ذلك يجري في التشبيه الذي يأتي فيه المعنى المشترك بين الطرفين صفة مفردة غير مركبة ، ثم قسموا التشبيه على هذا الأساس إلى قسمين (١) : -
أولهما: التشبيه للفصل وهو ما لا ذكر فيه وجه المشبه لفظاً أو ألفاظاً صريحة كقول الشاعر :

أنتَ شمسٌ لي رفعةٌ وسناءٌ
تجلببك العينونُ شرقاً وغرباً

في هذا البيت ذكر الشاعر كلمة (رفعة) وكلمة (سناء) صفتين مفردتين لجسمان بين وأنته المشبه وشمس، المشبه به، وجه شبه صريح :

وثانيهما: التشبيه للمجمل ، وهو التشبيه الذي حذف منه وجه المشبه ولم يذكر في لفاظ ظاهرة كقولهم تعالى: «وخلقنا الإنسان من صلتصال كالقشعرى» (٢)

(١) راجع الأضاح ص ٢٥٠

(٢) الرحمن ١٤

توجه الشبه في هذه الآية الكريمة بين الصلصال المشبه والفخار المشبه به هو اليس
ولم يأت صريحاً ومنصوحاً عليه.

وتقول البحري :

ألمت نرى مداً القصرات كأنه جبال شروري جن في البحر جوماً (١)
فالشاعر قد طوى ذكر وجه الشبه بين مد القرات وبين جبال شروري ،
وتفريده الضخامة والعظم .

طبعة وجه الشبه :

إن دراسة البلاغيين لمذنب القسمين من التشبيه قائمة على أساس لغوي محض
لا يتجاوز ذكر لفظ وجه الشبه أو حذفه. وفي رأينا أن هذا الاتجاه في الدراسة
لا يكشف عن حقيقتة وجه الشبه ولا يحدد طبيعته وإن كان مذكوراً في لفظ
صريح ومنصوحاً عليه بعبارة ظاهرة ، ذلك لأن وجه الشبه الذي يقصده الأديب
ويراه صفة جامعة بين طرفي التشبيه يجسد ومضات شعورية وغلاماً لفسية تضيق
عن إبرازها الكلمة المحددة .

وربما يستوي عبد القاهر الجرجاني أقرب إلى هذه المسألة من سائر البلاغيين
حين درسها مقرأً أن "الشبهين إذا شبه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين :
أحدهما : أن يكون من جهة أمر يسن لا يحتاج فيه إلى تأويل .

والآخر : أن يكون تشبه محصلاً بضرب من التأويل . (٢)

فهذا العالم البلاغي يدين في الضرب الثاني لتلقي التشبيه يحته في تأويل وجه
الشبه، والتأويل - كما هو معروف - (٣) مساحة شاسعة من التأمل والتدبير
يجول فيها الفكر ويرودها البصر بحرية :

(١) شروري : جبل مثل جبل تيرك في شرقها ، وتيل : تلي سليم ، وقيل : واد بالدم .

(٢) أسرار البلاغة ص ٨٠-٨١ .

(٣) شرح عبد القاهر الجرجاني مصطلح التأويل بقوله : «حقيقة قولنا : تأويل الشيء : أنك
تظلمت ما يكون إليه من الحقيقة أو الموضع الذي يتناول إليه من المثال لأن : تأويل =

التشبيه البليغ وأنواعه :

ومهما يكن فإن الباحث يلتقي بهذه المسألة الفكرية والدلوية أكثر فأكثر في نوع ثالث من التشبيه الذي حذف منه وجه الشبه والاداة معاً وهو ما يسمى « التشبيه البليغ » دلالة على أنه أوجز من سائر أنواع التشبيه والبليغ منها تأثيراً وإن كان في الوقت نفسه على الحد المعروف في إقامة ضرب من المشاركة بين المشبه والمثب به بخلاف الاستعارة القائمة على تاسي التشبيه :

ودرجة المشاركة بين المشبه والمثبه به في التشبيه البليغ تتباين بتباين تركيب أسلوبه الذي يتنوع إلى ثلاثة أنواع رئيسية :

أولها : جعل المشبه والمثبه به مبتدأً وخبراً أو ما أصله مبتدأً أو خبر على التوالي كقول الزهاوي في رثاء أبيه عبد النبي (١) :

وكنُّنا غصوناً أنت زهرةٌ روضيها وكنُّنا نجوماً أنت من بينها اليندرُ
ففي هذا البيت نجد أربعة تشبيهات بليغة : اثنان منها التشبه اسم لكان والتشبه به خيراً لها وهما : « كنا غصوناً » و« كنا نجوماً » .

والاثنان الآخران التشبه فيهما مبتدأً والمثبه به خبر وهما : « أنت زهرة روضيها ، و « أنت من بينها اليندر » .

وبين أن المشاركة بين طرفي التشبيه في هذا النوع من التشبيه البليغ مطلقة لا تقيد بها إلا المدلولات التي تتضح بها كلمات المشبه والمثبه به معاني وظلالاً ؛ وثانيها : اعتبار المشبه مقصوداً على المشبه به ومحصوراً معه بين حدود مدلوله ، وذلك بأسلوب التقصر والمحصر مثل قول الرصافي في قصيدته المشهورة إلى « ابنة المدارس » (٢) :

« وأزلت » - قلت وقطعت من آذ الأمر الـ كما يقول لنا انتهى إليه والآن

الرجوع . (سمرات البلاغة ص ٨٤) .

(١) الباب من ١٠ .

(٢) ديوان الرصافي ص ٥٢ .

إذا ما صُنَّ موطنهم أناسٌ ولم يَبْتَنُوا به لطم دوراً
فإن تباينهم أكفانٌ موتى وليس يسوتهم الأقبورا
فالشاعر قد سلب في الشطر الثاني من البيت الثاني من بيوت الذين عرفوا موطنهم
صفاتها التي يمكن أن تبرز فيها من جمال وحيوية ونشاط وأقامها مطابقة للمقارن
في أوصافها المعروفة ورفق بينها الحدود كافة حتى يعرفها القارىء لغيرها حقيقة
لوق سطح الأرض، كل ذلك بأسلوب النفي باليس، والمصر به إلا، الذي هو
من أساليب القصر المقررة في هذا الباب من أبواب علم المعاني
وقالتها : صياغة الشبه والمثبه به في تركيب المعاني الخمس فيه المشبه به مضافاً
والمثبه مضافاً إليه كقول الشاعر :

والريوحُ تعبثُ بالصعودِ ، وقد جرى ذهابُ الأصيلِ على لجينِ الماءِ (١)
ففي هذا الشاعر نجد تشبيهاً بليغين هما ذهابُ الأصيلِ الذي أصله :
الأصيل ذهابُ ولجين الماء الذي كان في الأساس : الماء لجين : وواضح لدى القاص
درجة المشاركة بين طرفي التشبيه في هذين التشبيهين وما يجري مجراهما أيماهل
اشد ما تكون من قوة واتحاد ، إذ خص المشبه به بالأصيل المشبه وجعل
منسوباً إليه ما كان لصفته وكذلك الأنيان باللجين مركباً مع الماء ومنسوباً إليه فهما
يتصوران في بناء جملة موحدة ترتفع بينهما القواصل وتزول في ساحتهما
للمقارنات المعنوية .

(١) الأصيل : ما ليل الغروب من آخر النهار .

اللجين : الغضا وقال ابن عطاءة الأندلسي إبراهيم بن عبد الله الشاعر لوصاف
الخرقي سنة ٥٥٣٣ .

المبحث الثالث

تشبيه المفرد وتشبيه المركب

تناول البلاغيون مثلاً المراسل الأولى لتأليف في علم تسميات التشبيه وما انتهت إليه هذه التسميات اصطلاحات وأصراً في المصنوع للتأخره تقسيم تشبيه باعتبار طرفيه إلى تشبيه المفرد وتشبيه المركب .

وهذا التقسيم أقام تشبيه بصورة اجمالية على أربعة أضرب (١) :

الأول : تشبيه المفرد بالمفرد وهو ما طرفاه مفردان اما مطلقان غير مقيدین كقوله تعالى : «هَنْ لِيَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لِهَنْ» (٢) ففي هذه الآية للكريمة تشبهان الطرفان «هَنْ» و«لِيَاسٍ» و«أَنْتُمْ» و«لِيَاسٍ» فيها مفردان غير مقيدین .
واما مفردان مقيدان (٣) كقولهم لمن لا يحصل من سعيه على شيء : وهو كالتفويض على الماء وكالراقم في الماء ، فان المشبه هو الساعي ، لا مطلقاً ، بل مقيداً بكون سعيه كذلك ، والمشبه به هو القابض أو الراقم لا مطلقاً ، بل مقيداً بكون قبضه على الماء أو رقبه فيه ، فالتقيدان هذين التشبيهيين هو لجاج والجرور : «على الماء» ، «وفي الماء» على التوالي .
وكقول الشاعر :

إنسى وتزني بمسحى معشراً كعلق دُرّاً على خيفر
لأن المشبه في هذا الشاعر هو المتكلم بقيد التعاضد بتزيته بمسحه معشراً ، فمطلق التزيين قوله «بمسحى» داخل في المشبه ، والمشبه به من يطلق دُرّاً بقيد أن يكون تعليقه إياه على خيفر :

(١) انظر الايضاح ص ٢٤٢ - ٢٤٩ . (٢) البقرة ١٥٧ .
(٣) والتقدير يكون بلاضافة أو الوصف ، أو المفعول ، أو الحال ، أو الطرف ، أو غير ذلك ويشترط في التقيد أنه يكون له تأثير في وجه الشبه .

وأما مخططان والقيده هو المشبه به كقول الراجز :
والشمس كالمراة في كسف الأشمل

إن المشبه هو الشمس على الإطلاق ، والمشبه به المراكاة على الإطلاق بل يتبد
كوتها في يد الأشمل . أو على عكس ذلك ، كتشبيه المراكاة في كسف الأشمل بالشمس .
الثاني : تشبيه المركب بالمركب وهو ما طرفاه مركبان من عدة أمور مجتمعة متداخلة
كقوله تعالى في صفة المنافقين الذين يظهرن عفاف ما يضمرون : **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ**
الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ
فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (١) . فالشبه في هذه الآية الكريمة هو حال المنافقين
المنطقة في تركيب صفاتهم من كذب ورياء ومداهنة وخسران ما يصيب غيرهم في
يذهب المصلحة من غير .

والشبه به هيئة رجل تتجدد أوضاعه في أنه أوفد ناراً في ليلة مظلمة بمنارة فاستضاء
بها ما حوله فالتى ما يخاف وأمين ، فيينا هو كذلك إذ طفت ناره فبقي خائفاً
تصغيراً .

وكقول البحرى :

ترى أحجباله يصعدن فيه صعود البرق في القيم الجاهم (٢)
فالشاعر هنا لا يريد به تشبيه بياض الحجل وصل الاتفراد بالبرق ، بل
مقصوده الهيئة المركبة من مخالطة البياض بالسواد :
الثالث : تشبيه الفرد بالمركب وهو ما يأتي فيه المشبه مفرداً ويألف المشبه به بعد
من عدة أمور مركبة كقوله تعالى : **وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ**
بِطَيْفٍ بِحَرِّهَا لظلمات ماء حتى إذا جاءهم شيئا وجَدوا الله عنده قوياً
حسابه والله سريع الحساب (٣) .

(١) البقرة ١٧ .

(٢) الأحجال : جمع حجل بالكسر . وهو البياض في رجل الفرس . الجاهم : السحاب .

لا ماء فيه .

(٣) التور ٢٤ .

فالشبه في هذه الآية الكريمة هو أعمال الكافرين وهو مفرد ، أما الشبه به فهو مركب تتجدد بهائه من السراب (١) وهو ما يرى في الغلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الأرض كأنه ماء يجري ، ومن كون هذا السراب ببيعة وهي النبط المستوي من الأرض ، ومن حبال الكافر وهو يرى ذلك السراب على هذه الحالة فيحبه بالساهرة ماء وقد غلبه العطش ؛

وكتقول الخشاء :

أمرُ أبلجٍ يأممُ الهداةَ به كائنه علكم في رأسه نثار
فالشبه هنا مفرد وهو صخر أعر الشاهرة ، أما الشبه به فهو هيئة مركبة من الجبل العالي وقروق قمته فار متفردة يهندي بالساوون وبمشي في ضوءها الضيفان .
الرابع : تشبيه المركب بالمفرد ، وهو على العكس من النوع الثالث ، إذ مشبهه مركب والشبه به فيه مفرد كقول أبي تمام :

باصاحبي تفتصبيا نظريكما تريا وجوه الأرض كيف تصور (٢)
تريا نهارا مشميا قد شابه زهر الربا ، فكأنما هو مقصير
فالشبه هنا مركب من هيئة شبات الذي صار لونه الى السواد من كثرة
ونكاته وندة خضوته فتقص من ضوء الشمس ، حتى صار كضوء القمر وأحبال
النهار الى تلك الصورة ، أما المشبه به فهو القمر بضوئه الخافت :

لقد تبع البلاغيون للتأخرون ففرحات أضرب تشبيه المستندة الى أفراد طرفي
وتركيبها ففرعوا عليها أربعة أنواع :

أولها : التشبيه المقوف هو جميع كل طرف منهما مع مثله ، كجميع المشبه مع
لشبهه ، والمشبه به مع الشبه به بحيث يكفى بالمشبهات معاً على طريق المطلق ،

(١) الكشاف ج ٢ ص ٢٤٢ .

(٢) تفتصبيا نظريكما : أجهدا في الوؤية وانظرا قصي غاية النظر .

تصور : تصور والشكل ، خلف بخلاف إحدى تاليه . مكس : ظاهر الشمس مكتوفها .

شابه : عاظم . قرين : جمع دجوة ، وهي المكان العالي البعيد عن مستنقع الماء .
قمر : طالع القمر .

أو غيره كقول امرئ القيس :

كَانَ قَلْبُ الطَّيْرِ رُحِيًّا وَهَيَاً لَدَى وَكْرَهَا الْعَنَابُ وَالْحَشْفُ الْبَالِي (١)
ففي هذا الشاعر مشيهان لكما معا وأنا متعاليين وهما لقلب الطير الرحبة التي
انقضت العناب حديثاً وقلوب الطير اليابسة التي مضى حل اقتراسها زمن طويل :
والشبه بهما في الشاعر ملفوفان ومتعاليان ايضاً وهما العناب الذي هو شبه
به لقلب الطير الرحبة ، والحشف البالي الذي هو شبه به لقلوب الطير اليابسة ،
وللها : التشبيه المفروق ويسمى المفروق ايضاً ، وهو ما اتت فيه الاطراف
مفروقة كل شبه ورد بعده التشبه به كقول المرتضى الاكبر :

فَنَشْرُ مَيْكَ ، وَالْوَجْرُ دَنَا نَيْراً ، وَأَطْرَافُ الْأَكْفِ حَتَمٌ (٢)
واللهي : المشبه للعدد ، وهو ان يتعدد المشبه دون المشبه به كقول الشاعر :
صُدُخُ الْحَيْبِ وَحَالِي كَلَاهِمَا كَالْبَالِي (٣)
وفي البيت الاول ورد مشيهان هما صُدُخُ الْحَيْبِ وَحَالِي ولما المشبه به فهو
واحد وهو البالي ، وكذلك حال التشبيه في البيت الثاني ، اذ ورد المشيهان «غمر»
و«دسي» ومثبه به واحد هو «الأكلي» :

رابعا : تشبيه الجمع ، وهو ان يتعدد المشبه به دون المشبه كقول الشاعر :

فَأَتَتْ حُسْنَ لَوَامِزَاتٍ مِنَ الْحُسْنِ نِ الْيَسِّ لَمَّا أَصَابَتْ مَرْيَسَا
فهي الشمس بهجةً والقضب السد نَقْدًا وَالرَّيْمُ طَرْفًا وَجِيدًا
فالمشبه في هذا الشاعر هو الضمير «هي» أما المشبهات بها فهي ثلاث كلمات :
«الشمس» و«القضب» و«الرَّيْم» :

- (١) وكرها : مشها ، والقصير لعناب التي يسفها ، العناب : شجر احمر اللون
الحشف : اردأ اتمر البالي : القديح .
(٢) النسر : الرائحة الطيبة ، أو الرائحة مقلناه ، أو ريح فم المرأة ، وأصلها بدائيم
العم : شجر لين الاصلان ، وهو شجر له الصنان حمر يشبه بها البنان المنضوب .
(٣) الصدخ : هو عتاء : الشعر المتفلي مابين العين والاذن .

المبحث الرابع التشبيه التمثيلي

مرّبتا في بحثنا لمعاني كلمة التشبيه لغة : ان المعجمات العربية قد اقرنت بين هذه الكلمة وكلمة التمثيل وجعلتهما متحدين في المداول : وقد ترتب على ذلك قيام مشكلة اصطلاحية في كتب البلاغة قام حولها اضطراب هو : أترادف كلمة التشبيه والتمثيل في المداول البلاغي أم أنهما مختلفان في هذا الوجه أو ذلك ؟ ونحن اذ نعرض هنا لمبحث التشبيه التمثيلي ونردله بمصطلح « تشبيه الصورة » نؤكد قبل كل شيء أن المحور الذي تدور عليه آراء جمهور البلاغيين عن التمثيل والصورة في التشبيه يستر أساساً فوق أرضية متسعة من دراسة ركن وجه الشبه في التشبيه .

أقسام وجه الشبه :

لقد انتهت هذه الدراسة في كتب البلاغيين القدامى والمعاصرين إلى أن وجه الشبه من حيث الأفراد والجمع والتركيب ثلاثة أقسام : (١) أولها : الشبه المفرد ، والمراد به ما يعد في العرف واحداً ، لا الذي لأجزء له أصلاً ، وذلك كالحمرة في تشبيه الخد بالورد مثلاً ، فإنها تشمل على مطلق التوتية والقهص البصر ، ولكنها مع ذلك تُعدّ وجهاً واحداً : وهذا الوجه المفرد قد يكون حياً ، كقول الشاعر في الموز :

مَسْوَرٌ حَلَا فِكَايَهُ	عَسَلٌ وَلَكِنْ شِيرٌ جَلِي
فَو بَاطِنٍ مِثْلِ الْأَمَاحِ	وَعَاطِرٍ مِثْلِ الشُّطْرِ
يَحْكِي إِذَا قَشَّرْتَهُ	أَنْبَابَ الْبَيْالِ صَخَارِ

ففي هذا الشاهد أشرك الشاعر الموز مع العسل في الخلاوة وهي وجه شبه مفرد

(١) عن الشيخ ج١ ص ١٢٩ .

حسي يدرك بالذاتفة ، وأشركه مع ، الاتحاح ، ثم مع الضلال والياب أنيالك صغار
في اللون والشكل .

وهذا الاشراك يكشف عن وجوه شبه مفردة حسبة ظم بها الحواس ،
وقد يكون عقلياً كقول العباس بن جرير في الصداقة .

إنَّ الصديقينَ هو الذي ، برعماك حين تغيبُ عنهُ
مثل الحمام إذا اتصفا ، أخر الحفيظة لم يتخنة
فوجه الشبه بين الصديق الغائب والحمام حين يتنصبه أخر الحفيظة هو اليقاه
على حال واحدة وهذا وجه شبه مفرد عقلي .

ولانها : وجه الشبه للركب سواء أكان مركباً تركيباً اعتبارياً يجعله بمنزلة
الواحد ، بأن يكون حقيقة ملتصقة ، أم كان أوصافاً مقصوماً من مجموعها إلى
هيئة واحدة . ووجه الشبه للركب إما أن يكون حسباً ، كقول البحرني في شقائق
النعسان :

شقائق يتحمّلينَ الذي فكأنهُ دسوحُ النصابي في غلودِ الخراذ
فوجه الشبه بين الشقائق في تلك الحالة وبين الدسوح في غلود الخراذ صورة
حسية مركبة من نقط بيض متفرجة في فحة حمراء .

ولما أن يكون عقلياً كقول أبي الفضل البكالي :

كتم والدي يحرمُ أولاده ، وتخبّره تحفظني به الأبعدُ
كالعين لا تنظر ما حوتها وتحتفظها بذكر ما يتبعدهُ
فوجه الشبه في هذا الشاعر مركب عقلي هو حرمان الأقرب المستحق ونيل الأبعد
الذي لا يستحق .

ولانها : وجه الشبه المتعدد ، وهو ما ليس واحداً ولا متزلاً متزلة الواحد ،
وذلك أن يذكر في التشبيه عدد من أوجه الشبه : شينين أو أشياء على وجه الاستقلال ،
فلا يقتيد بعضها ببعض ، بل كل واحد مفرد بنفسه كقول ابن الرومي :

كالدُّهْر في الشُّعْبِ وَالضَّرْفَةُ وَالـ حُنُكَةٌ لَكِنْ رَيْبَةٌ غَضَبَةٌ
 فَالشَّبَهُ فِي هَذَا لَيْتَ أَشْرَكَه الشَّاعِرُ مَعَ الدَّعْرِ فِي صِفَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ هِيَ الشُّعْبُ .
 وَالضَّرْفَةُ وَالْحُنُكَةُ وَكُلُّ صِفَةٍ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ مُسْتَقِلَّةٌ عَنِ الْآخَرَى مُخْتَلِفَةٌ عَنْهَا ،
 وَالْفَرْقُ بَيْنَ وَجْهِ الشَّبهِ التَّمَثُّلِ وَوَجْهِ الشَّبهِ الْمُرَكَّبِ هُوَ أَنَّ وَجْهَ الشَّبهِ التَّمَثُّلِ
 لَا يَجِبُ فِيهِ التَّرْتِيبُ فَيَجُوزُ تَقْدِيمُ بَعْضِهِ عَلَى بَعْضٍ وَإِنَّهُ إِذَا اسْتَقَطَ بَعْضُهُ لَا يَخْطُلُ
 التَّشْبِيهُ وَلَا يَتَغَيَّرُ حَالُ الْبَاقِي بِخِلَافِ وَجْهِ الشَّبهِ الْمُرَكَّبِ إِذَا لَا يَجُوزُ فِيهِ التَّقْدِيمُ أَوْ
 الحَدْفُ لِأَنَّ ذَلِكَ يُوَدِّي إِلَى اِخْتِلَالِهِ وَالتَّغْيِيرِ صُورَتِهِ . فَهَذَا قَوْلُ ابْنِ رَشِيْقٍ :

وَتَمَاحُةٌ مِنْ كَفِّ عَظْمٍ إِخْتَدَّتْهَا جَنَاحُهَا مِنَ الْعُضْوِ الَّذِي مِثْلُ قَدَمِهِ
 حَكَّتْ لَمَسَ تَهْدِيهِ وَطَيْبَ تَسْبِيهِ وَطَعْمَ تَنَابُؤِهِ وَحُمُورَةَ عَدْوِهِ
 فَوَجْهُ الشَّبهِ فِيهِ بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ مُتَعَدِّدٌ مِنَ الدِّينِ وَالطَّيْبِ وَالطَّعْمِ وَاللَّوْنِ يُمْكِنُ حَدْفُ
 أَحَدِهِمَا أَوْ تَقْدِيمُهُ وَتَأْخِيرُهُ ، وَيُقْبَلُ التَّشْبِيهُ مُسْتَضْمًا غَيْرَ غَضَلٍ . أَمَّا قَوْلُ السَّرِيِّ الرَّفَاقِ
 فِي وَصْفِ الْقَلَمِ :

أُخْرَسَ بِنِيكَ بِسَاطِرَاتِهِ عَنْ كُلِّ مَا شِئْتَ مِنَ الْأُمُورِ
 يَكْزُرِي عَلَى فِرَاطِهِ دَمْعَةً تَبْدِي لَنَا السَّرَّ وَمَا يَسْرِي
 كَمَا شِئْتَ أَعْضَى هَوَاهُ وَقَدْ تَمَيَّنَتْ عَلَيْهِ عَيْبَةٌ تَحْجُرِي
 فَيَجْمَعُ بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ فِيهِ وَجْهُ شَبِّهِ لَوْ اسْتَلْطَقَتْ مَتَهُ جِزْءٌ مِمَّا اعْتَبِرْتَ فِيهِ الْهَيْبَةَ
 بِعَلَلِ التَّشْبِيهِ فِي قَصْدِ الشُّكْلِمْ ، لِأَنَّهَا صُورَةٌ رُوعِي فِيهَا أَنْ تُكُونَ تَامَةً لِلتَّأَلِيفِ كَامِلَةً
 الْأَجْزَاءُ ، بِسُودَةِ التَّنَاسُبِ وَالِاتِّجَامِ وَالتَّسْبِيحِ .

التشليل اصطلاحاً :

إن البحث التاريخي الذي عرض الآراء في التشليل وتبناها ، في كتاب ألفه الأستاذ
 والبلاغة وفي غيرها يبين أن البلاغيين لم يتفقوا في دراسة هذا الفن ، وإنما تباينت
 آراؤهم فيه وتنازعت مواقفهم منه ، ويوضح هذا التنازع وذلك لتباين كل الانضاح
 إذا ما صنفنا هذه الآراء في ثلاثة اتجاهات :

لوما : اتجاه الفصل بين التمثيل والتشبيه ، وقد رَسَخَ هذا الاتجاه أبو عبيدة
(٥٢٠٨) الذي تحدث عن التمثيل وعده نوعاً من أنواع المجاز (١) : بمعناه
الواسع :

ولعل قدامة بن جعفر أول من عدَّ التمثيل مخالفاً للتشبيه وتحدث عنه في
نوعت اختلاف اللفظ والمعنى (٢) ، وتستلجج من تعريفه له أنه جعله مرادفاً للداول
ضرب المثل الذي يدخل في باب الاستعارة التمثيلية ، وأتبعه ابن سنان الخفاجي (٣)
وإن أبي الإصمعي المصري (٤) :

والتمثيل هو المائلة عند بعضهم كأي خلال العسكري الذي ذكر بعض امثلة
قدامة في التمثيل (٥) ، والباقلاني الذي قال «وما يحدثه من البديع المائلة ، وهو
ضرب من الاستعارة» (٦) وعده ابن رشيق من ضروب الاستعارة وهو المائلة ،
وذلك أن تمثلياً بشي فيه إشارة كقول امرئ القيس :

وما ذرقت عينك إلا لتفدني بهجك في أحشار قلب مقتك
تمثل عينها بهجي المبريحي العلى وله سبعة أنصباء ، والرفيق وله ثلاثة
أنصباء ، فصار جميع أحشار قلبه للسهمين الذين مثل بهما عينها ؛ ومثل قلبه
بأحشار الجزور تمته الاستعارة والتمثيل :

وذكر أن معنى التمثيل أيضاً اختصار قولك : مثل كذا وكذا ، ثم قال :
والتمثيل والاستعارة من التشبيه إلا أنهما يغير أداؤه وعلى غير أسلوبه : (٧)

(١) مجاز القرآن ج ١ ص ٢٦٩ .

(٢) راجع نقد الشعر ص ١٨٢ .

(٣) صر الفصاحة ص ٢٧٣ .

(٤) تحرير النخب ص ٢١٤ ، وبديع القرآن ص ٥٥ .

(٥) كتاب الصائغين ص ٣٥٣ - ٣٥٦ .

(٦) أمجاد القرآن ص ٧٨ .

(٧) الصلوة ج ١ ص ٢٨٠ .

ولذاها : القرب بين التشبيه والتشثيل ، وشجده هذا الاتجاه في دراسة عبد القاهر الجرجاني لوجه الشبه على اساس ظهوره أو تأوله ، والقاعدة التي يجرها توحده شرح هذا الاساس وتفصيله ، تؤكد أن التشثيل خاص والتشبيه أعم منه ، فكل تشثيل تشبيه ، وليس كل تشبيه تشثيلاً ، فأنت تقول في قول قيس بن الخطيم :
 وقد لاح في الصبح الرياض رأى كعصفورٍ ملأحياً حين نوره (١)
 إنه تشبيه حسن ، ولا تقول هو تشثيل : (٢)

وملاك شرح عبد القاهر لاساسه ذلك وتفصيله له يتركز في أن كل تشبيه يكون لوجه فيه حسيماً مفرداً أو مركباً أو كان من الفرائز والطباع العقلية الخفية فهو تشبيه غير تشليلي ، أما إذا كان وجه الشبه فيه عقلياً مفرداً أو مركباً غير حقيقي وحنجاً في تفصيله إلى تأول فهو «تشبيه تشليلي» .

وفي بنينا أن هذا الملاك يستمد قوامه من الدراسات التي صفت وجه الشبه إلى ثلاثة أنواع : مفرد ومركب ومتعدد ، ويخلط فيما بينها غير قاصر على أن يربط اساس التمييز بين التشبيه للعام وتشبيه تشليلي الخاص ، ذلك لأن اساس عدم التأول ، والتأول في التماس وجه الشبه أمر نسبي يختلف من شخص إلى آخر إذ قد يكون وجه الشبه صريحاً غير محتاج إلى التأول في نظر شخص ، وربما يستوي وجه شبه دقيق يترجم ليرازة التشمل في التأول في نظر شخص آخر .

ويبدو أن عبد القاهر قد أحسن بفرقه من هذا في تقويم اساسه ذلك فسمى في مودع آخر من دراسته إلى تحرير اساس آخر للتفريق بين التشبيه والتشليل فقال :
 وهذا أصل إذا اعتبرته وعرفت كل واحد منهما عليه فوجدت يجري في التشبيه حيثما حسنا وبفاد القياس فيه القهراً لا تمتص فيه ثم صادفه لا يطارحك في التشليل

(١) الملاحى - بضم الميم وتشديد اللام وتلفيحها : صب أبيض طويل ، ونور الزرع تنويراً أهدوك والشر خلق في التوى .
 (٢) السرار البلاغة ص ٥٥ .

لك المطاوعة ولا يجري في عنان مرادك ذلك الجري ، ظهر لك نوع من الفرق
والفصل بينهما غير ماحرف ، وانفتح منه باب إلى دقائق وحقائق ، وذلك جعل
الفرع أصلا والأصل فرعا ، وهو إذا استقرت التشبيهات الصريحة وجدته يكثر فيها ،
وذلك لحرأنهم يشبهون الشيء بالشيء في حال لم يحفظون على الثاني فيشبهونه
بالأول ، فترى الشيء مشبها مرة ومشبها به أخرى. فمن أظهر ذلك : أنك تقول في
النجوم : «كأنها مصابيح» ثم تقول في حالة أخرى في المصابيح : «كأنها نجوم»
(١) ثم قال : «وإذا قد تبين كيف يكون جعل الفرع أصلا والأصل فرعا في
تشبيه الصريح فالرجع إلى التمثيل ، وانظر هل نجح في هذه الطريقة هل هذه
السمة والقوة ، ثم تأمل ما حصل من التمثيل عليها كيف حكته ؟ وهل مرساة
لمارأت في التشبيه للصريح ، وحاذر حنوه على التحديق أم الخلال هل خلاف
ذلكه (٢)».

وفي ضوء شواهد كثيرة أردنا عبد القاهر لتمثيل وحلها ملتبسا فيها اطراد
هذا الأصل ، يظهر ان هذه الطريقة من جعل الأصل فرعا والفرع أصلا لا تنفرد في
التشبيه التمثيلي ولا تسع امامه هذه الطريقة لقوة وسعة ، كما نستطيع أن نستنج
حقيقة هي ان هذا الأساس لا يصبح للتمييز بين التشبيه الصريح والتشبيه التمثيلي :
ولما كان عبد القاهر كما هو معروف بمنهجية التحليلية غير مفتن بتفتين القواعد ،
اعتمد المشاهدة للتمييز بين التمثيل والتشبيه فقال : «وهيها لطيفة اخرى تعطيك
التمثيل مثلا عن طريق المشاهدة وذلك أنك بالتمثيل في حكم من يرى صورة
واحدة إلا انه يراها ثلاثة في المرأة وثلاثة على ظاهر الأمر : وأما في التشبيه للصريح
فإنك ترى صورتين على الحقيقة : بين ذلك انا لو فرضنا أن تزول عن أوهامنا
والموسنا صور الأجسام في القرب والبعد وغيرهما من الأوصاف الخاصة بالأشياء

(١) سرار ابلاغة ص ١٥٧.

(٢) سرار ابلاغة ص ٢٠٧.

المحمومة لم يمكننا تخيل شيء من تلك الأوصاف في الأشياء المنفردة، فلا يتصور
 معنى كون الرجل بعيداً من حديث العزة والسultan، قريباً من حيث الجود والأخلاق،
 حتى يخطر ببالك، وتطرح بشكرك، إلى صورة البدر وبعد جرمه عتك، وقرب
 نوره منك، وليس كذلك الحال في الشين يشبه أحدهما الآخر من جهة اللون
 والصورة والفتور، فانك لا تنتظر في معرفة كون النرجس وفرطه واستدارته
 وتوسط أسمره لأيقنه إلى تشبيهه بمداهن در حشوهن عطين، كيف وهو ذيء
 تعرضه عليك العين وتضعه في قلبك المتشاهدة، وإنما يزيدك التشبيه صورة ثانية
 مثل هذه التي معك ويجعلها لكن من مكان بعيد حتى تراها معاً وتجلسهما جميعاً.
 وأما في الأول فانك لا تجد في الفرع نفس ما في الأصل من الصفة وجسه وحقيقته،
 ولا يحضرك التمثيل أوصاف الأصل على التعيين والتحقين وإنما يخليل اليك أنه
 يحضرك ذلك، فإنه يعطيك من المدوح بدلاً ثانياً فصار وزن ذلك وزن أن
 المرأة تخيل اليك أن فيها شخصاً ثانياً صورته صورة ما هي مقابلة له، وحتى ارتفعت
 المقابلة ذهب عنك ما كنت تتخيله فلا تجد إلى وجوده سبيلاً، ولا تستطيع له
 تحصيلاً، لا جملةً ولا تفصيلاً (١).

أن هذه اللطيفة بلاروب - تؤكد ماقلناه عن عيد القاهر باحثاً محللاً لا
 مفتاً ومحرراً للقواعد والسؤال عنها يستفهم عن جدوى ميزة هذا البلاغي
 العالم وهو يتصدى لمسألة عقلية تتطلب حلاً مفجعاً وذلك يوضع الحد الفاصل بين
 أسلوبين من أساليب فن التشبيه: أسلوب تشبيه الصريح، وأسلوب التشبيه التمثيل؟
 إن هذا السؤال يستوي في حد ذاته قراراً يؤكد أن عيد القاهر إذ لم يفتصل التمثيل
 عن التشبيه في قاعدة واضحة خلط بين التمثيل والاستعارة التمثيلية، فلقد أورد
 رسالة يزيد بن الوليد إلى عامله بدمية التي نصها: «بلغني أنك تقدم رجلاً وآخر
 أخرى فإذا أتاك كتابي هذا فاحمد على أيهما شئت»؛ ثم نالش أبا احمد العسكري

(١) اسرار البلاغة ص ٢١٨ - ٢١٩.

الذي اطلق على هذا النوع من الكلام مصطلح الماتلة فقال: وهذه التسمية توهم انه شيء غير المراد بالمثل والتشبيـل، وليس الامر كذلك، كيف وانت تقول ومثلك متكل من يقدم رجلا ويؤخر اخرى وتوزان هذا انك تقول: يزيد الاسد فيكون تشبها على الحقيقة وان كنت لم تصرح بحرف التشبيه، ومثله انك تقول: وانت ترقم في الماء هو الضرب في حديد بارد، وتنتفع في غير لحم، فلماذا ذكر ما يدل صريحا على انك تشبه ولكنك تعلم أن المعنى على قولك: وأنت كمن يرقم في الماء، ولكن يفسد في حديد بارد، ولا كمن يفتح في غير لحم، وما تشبه ذلك مما تجرى فيه بتشبهه به ظاهر تقع هذه الاعمال في صفة اسمه أو صفته، (١)

وأيا كان مانسجه على عبد القاهر في الفصل بين التشبيه والتشبيـل لهما لاشك فيه أنه قد أبدع في اعتماد مصطلح الصورة، ملتصقا وجه التشبه بين الطرفين في التشبيـل فقال: وأم ان هذا التشبه العقلي ربما انتزع من شيء واحد كما مضى من انتزاع التشبه لفظ من حلالة العسل، وربما انتزع من عدة أمور يجمع بعضها إلى بعض ثم يستخرج من مجموعها تشبه ليكون سبيل التشبين بزج احدكما بالآخر حتى تحدث صورة غير ما كان لهما في حال الافراد لاسبيل التشبين يجمع بينهما ويحفظ صورتهما، (٢)

ومصطلح الصورة ربما يضح أكثر من مصطلح التشبيـل لتبنيـز هذا اللون من تشبيه الذي لا يميز في الواقع عن سائر ألوانه الا في أن وجه التشبه بين طرفيه محذوف دائما، بألف من صفات متمازجة نترجمها من التشبه والتشبه به وتدخلها صورة يجمع بينها سواء أكانت هذه الصورة محضة أم عقلية، ومن هنا كما نضد رائق مصطلح الصورة مصطلح التشبيـل واستوى مرادفاً له في كتب البلاغة المتأخرة:

(١) اسرار البلاغة ص ١٠٠.

(٢) اسرار البلاغة ص ٩٠.

واللهما : المزج بين التشبيه والتنثيل ، وقد حكى ابن الأثير آراء الأهلين بهذا الاتجاه من أمثال الرمخشري فقال : « وجدت علماء البيان قد فرقوا بين التشبيه والتنثيل ، وجعلوا هذا با مفردا ولهذا با مفرداً ، وعشائري واحد لا فرق بينهما في أصل الوضع ، يقال : شبهت هذا الشيء بهذا الشيء ، كما يقال مثله به (١) »

وابن الأثير في مذهبه هذا يعتمد الأصل اللغوي لمصطلح التشبيه ومصطلح التنثيل مفتاحاً أثر العجمات العربية - كما رأينا - في الجمع بين المصطلحين . ومع هذا فهو يرسخ بغير قصد منه أساس اتجاه جمهور البلاغيين في جعل التنثيل مصطلحاً بين ضرباً من ضرب وجه التشبه .

ويجلى هذا الأساس بشكك القنن عند السكاكي الذي لم يبحث التنثيل ضرباً مخصوصاً من التشبيه ولم يتاوله في باب مستقل ، وإنما أشار إليه من زاوية وجه التشبه قائلاً : «واعلم أن التشبيه متى كان وجهه وصفاً غير حقيقي وكان مترعاً من عدة أمور خص باسم التنثيل كالتالي في قوله :

اصْسِرْ عَلَى مَضْمُونِ الْحَسْرِ فَإِنَّ مَشْرَكَ قَائِلُهُ
فَالنَّارُ تَسْأَلُ لِقَائَهَا إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَكْتُمُهُ
فإن تشبيه الحسود التروك مقارناته بالذراتي لاتمد بالخطب ليسرح فيها القناه ليس الا في أمر مترهم وهو ما تترهم إذا لم تأخذ معه في المقارنات مع علمك بطله اياها عسى أن يتوصل بها إلى لغة مصلوب من قياته اذ ذلك مقام أن تضعه ما بعد حياته ليسرح فيه الهلاك وأنه كما ترى مترع من عدة أمور (٢) » فالتمثيل في نظر السكاكي تشبيه بمنزل وجهه بميزان :

الاولى : أنه غير حقيقي ويخيل قاره توهما بين طرفيه .

الثانية : أنه مترع من عدة أمور .

(١) لئلا لسترح ٢ ص ١١٦ .

(٢) مفتاح العلوم ص ١٦٨ .

وقد نحا الخطيب القزويني منحى السكاكي في المزج بين التشبيه والتشثيل ،
وتجنب التحدث عن التشثيل إلا من زاوية ركن وجه تشبه فقال : «وأما باعتبار
وجهه أي التشبيه فله ثلاثة تسميات : تمثيل ، وغير تمثيل ، ومجمل ومفصل ،
وقريب ، وبعبارة (١) : ثم عرف التشبيه الذي وجه تشبه فيه تشثيل بقوله : والتشثيل :
ماوجهه وصف ، متترج من متعدد ، أمرين أو أمور » .

فهذا التعريف يكاد يكون تعريف السكاكي ، اللهم إلا ما نلاحظه عليه من هجر
تعبير «غير حقيقي» الذي ورد في عبارة السكاكي .

وربما يعني ذلك أن القزويني لم يشأ أن يقيد وجه تشبه التشليلي بأي قيد من
القيد التي تفرقت بعبارة الحسي والظني والوهمي والحقيقي وغير الحقيقي ، بل
أطلقه مفرداً ميزته الرئيسة التي هي الانتزاع من أمرين أو أكثر .
تشبيه الصورة :

مرّ بنا أن التعبير عن وجه تشبه المتترج من عدة أمور يكون إما بمصطلح
الركب أو بمصطلح الصورة . وهذان للمصطلحان في أصل دلالتهما يؤدبان
مدلولاً واحداً هو المتترج من صفتين أو أكثر تمازجت وتداخلت لحدّ تبغض
بما يصح بين أوصاف طرفي التشبيه .

ويظهر من هذا أن أسلافنا البلاغيين لم ينفقوا كل الاتفاق على مفهوم التشبيه التشليلي
وإن كانوا في الوقت نفسه يلتفتون على خطوطه العامة ويدورون في دائرته الأسلوبية .
ولما كانت الدراسة التعليمية تقتضي أساساً موحداً لبحث أي فن بلاغي ،
لأننا نتجنب المسائل الخلافية ونستضيء بتلك الخطوط العامة مقررين أن مصطلح
تشبيه الصورة أقرب من مصطلح التشبيه التشليلي للدلالة على طبيعة وجه تشبه

(١) الإيضاح ص ٢٤٩ .

المختصين في هذا اللون من التشبيه ، ذلك لأن الصفات التي تتزعمها من طرف التشبيه لتتجمع بينهما تفتي عطرطاً وأكراًناً وعبقراً وحركةً لتشكل صورة مشتركة جديدة لا هي محضة للتشبه ولا هي محالمة للتشبه به ، وعليه فإننا نرى أيضاً أن نصف التشبيه من حيث وجه التشبه إلى ضربين :

الأول: التشبيه المفرد الذي جاء وجه التشبه به صفة غير مركبة سواء أكانت صفة واحدة أم متعددة .

الثاني : تشبيه صورة وهو الذي يتخوي فيه وجه التشبه صورة مترطبة من عدة لوصاف مترطجة في كيان مترطد .

إنّ ما تقرره هنا يتخلل الضرب الثالث من الضرب التشبيه وهو الضرب الذي رأينا البلاغيين يسمونه بالتشبيه المتعدد وفي وجهه ، وهذا الاختزال في حد ذاته يفتح لنا مجال الموازنة بين التشبيه المفرد وتشبيه الصورة لتحدد أهمية كل واحد منها فتحمي بذلك ثرائنا من الآراء ، البلاغية التي تحدثت بأسباب عن موقع تشبيه الصورة وتأثيره في النفس ، والتفتت على هذا التأثير ومقرماته .

المبحث الخامس

التشبيه الضمني

لمكره :

ان الفكرة الرئيسة التي ينهض عليها التشبيه الضمني هي أن هذا اللون من التعبير لا يأتي فيه الطرفان في أسلوب من أساليب التشبيه التي مرت بنا، وإنما يلمح التشبيه والتشبيه به، ويضمان من المعنى، ويكون التشبيه به دائماً يرادف على امتكان ما أسند إليه التشبيه .

ولعل عندنا من أول عالم بلاغي أشار إلى التشبيه الضمني بلاخص صريح على مصطلحه، ولرزه عن سائر أركان التشبيه بالفكرة الرئيسة التي نوهنا بها، وتبدو اشارته هذه في بحثه المعاني التي يجري التحليل في طلبها فيمن في هذا البحث أن من هذه المعاني غريب و غريب بدج يمكن أن يخالف فيه ويدعى لنتائجه واستحالة وجوده وذلك نحو قوله :

فان تشق الأنام وأنت منهم فان المسك يسك بعض دم الغزال
وذلك أنه أراد أنه فاق الأنام وفاتهم إلى حد يظل معه أن يكون بينه وبينهم مشابهة ومقاربة ، بل صار كأنه أصل بنفسه ، وجنس برأسه ، وهذا أمر غريب وهو أن يتأخر بعض اجزاء الجنس في الفضائل الخاصة به إلى أن يصير كأنه ليس من ذلك الجنس، وبالذمعي له حاجة إلى أن يصحح دعواه في جواز وجوده على الجملة إلى أن يجري إلى وجوده في الممدوح فاذا قال : فان المسك بعض دم الغزال فقد استج لدعواه وأبان أن ما ادعاه أصلاً في الوجود، وبرأ نفسه من ضعة للكذب وباعدتها من سلمه المقدم على غير بصيرة ، والتوسع في الدعوى من غير بينة، وذلك أن المسك قد يخرج عن صفة الدم وحقيقته حتى لا يعد في جنسه إذ لا يوجد في الدم

شيء من أوصاف الشرففة الخاصة بوجه من الوجوه لأمثال ولا ماكثر ولا في
المسك شيء من الأوصاف التي كان لها الدم دعا البية (١) :
خصائصه :

ويتضح من هذه الإشارة أن من أنواع التشبيه نوعاً يمتاز عن سواه بخمس
خصائص مجتمعة :

أولها : ان التشبه والتشبه به كليهما يلحقان ويستتجانان فلا ترابط لغوي مباشر
فيما بينهما بخلاف أنواع التشبيه التي يأتي فيها الطرفان في بناء لغوي تتحكم
بتوجيه قواعد انشاء الجملة العربية كأن يكون التشبه مضافاً أو ماني حكم المبتدأ
ويكون التشبه به غيراً أو ماهر في حكم الخبر وكان يكون التشبه به مضافاً والتشبه
مضافاً إليه ، أو يكون التشبه فعلاً مستنداً والتشبه به مصدرأً ميبناً لوجهه .

وثانيها : ان التشبه جملة أو مجموعة جمل مستقلة منفصلة عن التشبه به الذي
يجري جملة أو طائفة من الجمل أيضاً .

وثالثها : أن التشبه يشير فكرة فيها غرابة وادعاء فلا يطم بها القاريء تسليماً
مبادراً وإنما يحتاج في القبول بها إلى دليل يقنعه ويرسخ اعترافه بها .

ورابعها : ان التشبه به يسوي مثلاً وشاهدأً فخره المقول بداعة وتطمئن القلوب
إلى صحته سليقة كان يكون مستقراً في لطباع أو جارياً مجرى السنة والقانون
في الحياة والمشاهدة .

وخامسها : ان حال التشبه وحال التشبه به اللذين يلحقهما القاريء تشكافان وتساويان
بلا زيادة لا نداهيا على الأخرى وبلا نقصان لطرف عن سواه .
تحليل التشبيه الضمني :

وفي ضوء هذه الخصائص يحلل البلاغيون المتأخرون شواهد تشبيه الضمني
من ذلك قول المتنبي :

مَنْ يَهْنُ يَسْهُلُ الْمَوَانُ عَلَيْهِ مَالِجٌ رَجَّحَ بِمَيْتِ إِسْلَامٍ
أي : إن الذي يهزل إلى الموان ، يسهل عليه تحمله ، ولا يتألم له ، وليس
هذا الادعاء باطلا ، لأن الميت إذا جرح لا يتألم ؟

وأي ذلك تلميح بالشيء في غير صراحة ، وليس على صورة من صور التشبيه
المروقة ، بل أنه تشابهه بفتنسي الساري ، وأما « التشبيه » فيقتضي التفاوت (١)
ومن ذلك قول أبي تمام ؟

لَا تُشْكِرِي مَسْطَلَّ الْكَرِيمِ مِنَ النَّسِي فَالسَّيْلُ حَرْبٌ لِمَكَانِ الْعَالِي
في هذا البيت تدرك أن الأديب قد يتحرر عن معنى من البلاغة يوحى فيه بالتشبيه
من غير أن يصرح به في صورة من صور المروقة بفعل ذلك نزوعاً إلى الابتكار ،
واقامةً للدليل على الحكم الذي أسنده ، ودخلةً في إعفاء التشبيه ، لأن التشبيه
كلما دقّ وعنى كان أبلغ وأقفل في النفس ، وأبو تمام في هذا البيت يقول لمن
يخطأها : لا تشكري خلوة الرجل الكريم من النسي فإن ذلك ليس عجيباً لأن لعم
الجمال وهي أشرف الأماكن وأعلاها لا ينظر فيها ماء السيل ؟ فنحن نلمح هنا
تشبيهاً يشبه الرجل الكريم المحروم النسي غسماً بقمة الجبل وقد خلت من ماء السيل
ولكن الشاعر لم يشرح ذلك صريحاً بل أتى بجملة مستقلة وضعها هذا المعنى في
صورة برهان ؟ (٢) :

(١) راجع جواهر البلاغة ص ٢٧١ .

(٢) راجع البلاغة الواضحة ص ١٤-١٦ .

البحث السادس أغراض تشبيه وبلاغة

أغراضه :

تشبيه لون من ألوان التعبير الجميل للزور ، تعتمد النفوس البشرية بالقطرة حين يدورها إلى ذلك الغرض أو آخر من أغراضه التي رصدها البلاغيون القدامى (١) ، والمعاصرون (٢) فرسخوا بخصوصيتها وغناها آفاقه الرحب التي امتدت لفئات الأمة وظيفاتها في تحقيق مآربهم الفكرية وخلقاتهم الشعرية ومقاصدهم الوجدانية :

وفيما يتعلق بهذه الأغراض التي جرت بها تصوص اديبة عربية في شتى بيتاتها وأزماتها ، أكد علماء البيان العربي أن هذه الأغراض تعود بمجملها إلى الأمر الحامل على انتشاله وإبداعه وأنه لا بد لكل تشبيه من غرض وإلا كان وقوعه في الكلام عبثاً وإن هذه الأغراض تتعلق في أصولها بركن التشبيه إلا في حال قلب التشبيه فإنه يعود إلى التشبيه به .

وهذه الأغراض هي :

الأول : بيان حال التشبيه ، ويشتمل هذا الغرض حين تكون صفة التشبيه بمعطوفة لدى المخاطب وتكون صفة التشبيه مجهولة فبقاى التشبيه تمكياً للمخاطب من إدراك حال التشبيه وتمثله ، كقول المتنبي :

وما الموت إلا طارقٌ دقَّ شخصتُ
يصول بلا كفتٍ ويسعى بلا رجليك
فحال التشبيه الذي هو " التجهول " وأراد الشاعر أن يشخصه لقراءته فألى بتشبيهه به معروف لدى الناس وهو الطارق وفصل أوصافه المخصوصة من دقة شخصته وحوالاته وسعيه بلا رجليه .

(١) ينظر الملل السائر ج ٢ ص ١٢٤ ، الإيضاح ص ٢٢٦ .

(٢) ينظر في تشبيه ج ١ ص ١٢١٨ ، وفنون بلاغية ص ٦٧ .

الثاني : بيان مقدار حال المشبه ، ويحدد هذا الغرض في تجسيد قوة المشبه
 ونبهته وزيدته وقلته وسمره وانخفاضه وارتفاعه وخيفته وما إلى ذلك من الصفات
 التي تخضع للمقاييس وتستجيب للتحديد ؛ وملاك هذا الغرض أن يكون المشبه
 معروفا لدى المخاطب في صفة بشكل عام ويأتي المشبه به لتحديد هذه الصفة ؛
 مثال ذلك قوله تعالى : « وَلِلَّهِ قَسَبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ » ، وما أمرُ الساعةِ
 إلا كمنح البصر أو هو أقرب ، (1)

فالمخاطب المسلم يعرف أمر الساعة في قريتها معرفة عامة ، إذا ان الساعة آتية
 لا ريب فيها ؛ وقد جاء المشبه به « لَحِ البصر » وحدد مقدار هذا القرب ودرجته
 وبين أن إتيانه أقرب من القريب في سرعة حصوله ودنو وقوعه ، وكقول عنزة :
 فيها التسان وأربعون حلوبة سواداً كخالية الغراب الأسحمر
 فقد بين الشاعر مقدار سواد تلك النباقي يجعلها مشبها لخالية الغراب التي
 يكون سوادها على أشد الدرجات وأعنفها ؛

الثالث : بيان إمكان حصول المشبه المقصود من هذا الغرض ؛ أن المشبه أمر
 جائز الوقوع على صفة مخصوصة ، وذلك في وجه غريب لا يظهر إمكان حدوثه ؛
 فيقرن بمشبه به حاله سلم يوقعه قياتي دليلاً على صحة صفة المشبه وبرهاناً يذم
 الممارين فيما نسب إليه ، وذلك كقول ابن الرومي :

قالوا أهر الصخر من شيان قلت لهم

كلاً لعصري ولكن منه شيان

كتم من أب قد علا بين ذرا شريف كما علت برسول الله صدنان

فابن الرومي في هذين البيتين زعم أن بني شيان من ممدوحه أبي صخر وأنهم
 قد سوا به وارتفعوا بهداً وشرافاً وأن الأمام الذين نالوا السؤدد والعترة بأبائهم كثيرة ؛

(1) النحل ٧٧.

وهذا الأمر لا يسلم بإمكان حصوله الناس فجعله مشبهاً لشيء به متحقق وهو
علم عدنان برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجاء هذا التشبه به الحاصل
تاريخياً وواقعياً ليستوي حجة على ما نسبته إلى مدحوه من صفات وقطع بها ألسنة
المجادلين المتكبرين له قبل سماح تشبيهه والوقوف على حال التشبه به فيه :

الرابع : تقرير حال التشبه ، ويحقق هذا الغرض بتوضيح حال التشبه في ذهن
السامع ، وترسيخها في نفسه وتمكينها من خاطره ، ويتم ذلك بإبراز التشبه في
صورة أقوى وأظهر وذلك عندما تشبه الأمور المعنوية للجردة بالأشياء الحسية
المشاهدة عيانياً والمخيلة تحقناً ، كقول الشاعر :

إنَّ القلوبَ إذا تَنافَرُ وُدَّها بِمِثْلِ الرِّجاجةِ كَتَمَها لا يَجِيرُ
تَنافَرُ القلوبُ بسبب ما يعكس صفاء الرود أمر معنوي لا يدرك اللسان لضعفه على
التلازم ، لذلك شبه الشاعر بصورة الرجاجة المكسورة التي كسرها لا يجير وهي
صورة محسوسة تدركها العين وتلمسها اليد ، فقررت حال التشبه الترويح وأخرجتها
في قالب منظور متحقق :

الخامس : تحيين حال التشبه والترغيب فيه ، والطريق إلى تحقيق هذا الغرض
هو الموازنة بينه وبين شيء به يستحسنه المخاطب ويميل إليه ، فتسرى منه إلى ذلك
التشبه صفاته التي يعلق بها القلب وتأنس بها الشاعر كقول اللابطة الفيضاني في
مدح النعمان :

كَأَنَّكَ شَمْسٌ وَاللُّوكُ كَوَاكِبٌ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوَاكِبٌ
فالشاعر قد حسن حال مدحوه التشبه ورغب فيه وأجرى الألسنة بتعظيمه ،
وذلك بربطه بالشمس مشبهاً به تجله نفوساً وبدرك الأنام عظمته وقواته وسوره
على سائر الأجرام النيرة في السماء :

السادس : تقيح حال التشبه والتضخيم منه ، والطريق إلى حصول هذا الغرض هو
تقيح طريق تحيين حال التشبه والترغيب فيه ، إذ يقرون التشبه بشيء به تستحبه

الفرس ولا لرب فيه فيكتب صفاته للوجه للاستباح والتضير ، كقول ابن
الرومي في الهجاء :

وإذا أشارة محذوما فكأن قرده بتهته أو عجزه تلطيم
لبي هذا البيت ينجح للشبه في نظر القاريء الذي لم يعرفه وتميل عنه لغة
وتشعر من أوصافه لا للذب القوه غير ربط الشاعر له بالقرده في أبع حالاته
وبالعجز في شر أوصافها :

ج بلاغته :

إن اغراض التشبيه هذه وسواها لا ينبغي أن تؤخذ على أنها مقاصد في قراءتها
وأن محققها من الأدباء لا يفتنون إلا بالوصول إليها دون العناية ببلاغتها
والتوسل لجمال تعابيرها وقد اتبع السلف من علمائنا البلاغيين إلى هذه الحقيقة
واسهبوا القول في تفصيلها وتبع مظاهر بلاغة التشبيه وعللوا لها في ضوء شواهد
من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والآثار والأشعار وما انعقد الرأي
عليه بهذا الصدد أن العقلاء يفتنون على شرف قدر التشبيه وفخامة أمره في فن
البلاغة ، وإن تعقيب المعاني به - لا سيما قسم التمثيل منه - يضاعف قواها في
تحريك الفرس إلى المقصود بما مدحا كانت أم ذما ، أو المختارا ، أو غير ذلك ،
ويتحقق ذلك بتلمس الفرق بين قولنا : وأرى قوما لهم منظر وليس لهم مخبر
ونقطع الكلام ، وأن تسمه نحو قول ابن السكك :

في شجر السرو منهم مقل
له رواء ، وماله تسر
ولنظر في جميع ذلك إلى المعنى في الحالة الثانية كيف يتزايد شرفه عليه في
الحالة الأولى ؟

ولذلك أسباب ، منها : ما يحصل للفرد من الألسن بانعراجها من غنى إلى جلي
كالانقلاب مما يحصل لها بالذكورة ، إلى ما يعلم بالقطرة ، أو بانعراجها عما لم تألفه إلى

ما أفنت أو بما عطته إلى ما عي به أعلم ، كالاتصال من المفرد إلى المحسوس فنحن
ربما نقول : وفلان إذا هم بالشئ لم يزل ذلك عن ذكره وتصر خواطره على
انفشاء حزمه فيه ، ولم ينطقه عنه شيء ، وفلا يضادف السمع له أريحته حتى إذا
سمع قول الشاعر .

إذا همّ ألقى بين عينيه حزمه ونكبت عن ذكر المواقب جاتيا(١)
اعتادت نفسه سرورا ، وانزوتته حزمة لا يمكن دفعها عنه .

ولقد جسد الفروفي عاتيك الأسباب بقوله : « ومن الدليل على أن للاحاساس
من التحريك للنفس وتمكين المعنى ما ليس لهيره ، أنك إذا كنت أنت وصاحب
لك يسمى في أمر ، على طرف بهر ، وأنت تريد أن تقرر له أنه لا يحصل من سببه
على طائل ؛ فادخلت يدك في الماء ، ثم قلت له : انظر ، هل حصل في كفي من
الماء شيء ؟ فكذلك أنت في أمرك ، وكان لذلك ضرب من التأثير في النفس وتمكين
المعنى في القلب زالت على القول الجرد ، (٢) »

ومن فضائل التشبيه ومظاهر بلاغته وتفنن أساليبه أنه يأتي من الشيء الواحد
بأشياء عدة ، نحو أن يعطي من القدر الكمال عن التفصيص ، كما قال أبو تمام :

تهمني على تلك الشواهد فيهما لو أمهلت حتى تصير شمائلنا
لقد اسكوئها حجي ، وصباها حنما ، وتلك الأريحية نائلنا
والأغصبة لتجتم الرذ يدبها ولعاد ذلك القل جتودا وابسلا

(١) هم : حزم . ألقى بين عينيه حزمه : التصوير لعنايته بتفصيل ما عزم عليه ، حيث رسمه
وعسما لا يوجب فيه عن عينيه . نكبت عن ذكر المواقب : جال وتشمى وقائه .
سعد بن مالك وهو شاعر أموي ، من شعراء الحجازة .

(٢) الأيضاح ص ٢١٧ .

إنّ المسألة إذا رأيت نسوة . أيقنت أنّ بصيرُ بشراً كاملاً (١)
والقصصان عن الكمال ، كقول أبي العلاء المرعي :

وإن كنت تبغي العيشَ قابلاً لوسطا بعدد التناهي يتنصّرُ المتطاولُ
توقى البدورَ تنقصُ وهي أعلتُ ويُدركها نقصانُ وهي كواملُ (٢)
وتفرغ من حالي كانه ونقصه فروع لطيفة ، كقول ابن بابك :

وأهريت شطرَ الملكِ شطرَ كانه واليدزُّ في شطرِ المساقِ يتكحلُّ (٣)
وكنا ينظر إلى بعده وارتفاعه ، وغرب خوره وشعاعه ، وإلى ظهوره في كل
مكان كما في قول أبي الطيب :

كابدر من حيثُ انشفتُ وجددتُ بهندي إلى عينيك نوراً ثاقباً (٤)
إل غير ذلك من المعاني التي يبدعها الأديب بألوان تخيله أوجها من المشابهة
والتشابه بين طرفي التشبيه ، فيبلغ من خلال ذلك إلى التأثير في سامعه والتعبير عما
في ضميره .

والتشبيه مثل أي أسلوب بياني ليس على درجة واحدة من البلاغة في النواحي
كافة ، كإثاته ليس بمستوى رفيع من الجمال في النواحي جميعها ، وإنما يتفاوت
وتباين وفق مقاييس نقدية سمى عبدالقاهر إلى تحريرها وترسيخها فقال إنّ
كل شبه رجوع إلى وصف أو صورة أو هيئة من شأنها أن تروى وتبصر أبداً ، فالتشبيه
المعتاد عليه نازل مبتذل ، وما كان بالضد من هذا وفي الغاية التصوري من مخالفته ،

(١) الخصى : العقل . المرء : المسقط الرذاذ وهو النظر الخفيف . الدية : النظر
في سكون دون رده أو برفق ، انظر : النظر الضعيف . الجرد - بفتح الجيم وسكون
الواو - النظر التزير . التوايل : النظر الشديد .

(٢) توقى النقص : تظلم منه وتجنبه ، أعلت : جيع حلال .

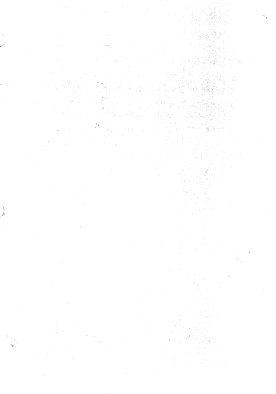
(٣) أهريت : أعليت . شطر الملك : نفسه .

(٤) راجع الأيضاح ص ٢١٧ - ٢١٩ .

فالتشبيه للردود اليه غريب نادر يتبع ، ثم تتفاضل التشبيهات التي تجيء واسعة
لهذين الطرفين بحسب حالها منهما فما كان منها إلى الطرف الأول أقرب ، فهو
أدنى وأزول وما كان إلى الطرف الثاني أذهب ، فهو أعلى وأفضل ، ويرى
لغريب أجدر ، (١) :

وواضح أن هذه المقاييس تعود في جوهرها إلى ركن وجه التشبه الجامع بين
الطرفين ومن مطلق تسميات هذا الركن على أساس الحسي والعقلي ، فهي من
هذه الناحية تعتمد معايير فكرية لا بد أن نضيف إليها في مجال التطبيق معايير فئوية
وجمالية إبداعية تشدد أحكامها من مدى ابتكار الأديب في التشبيه ونقل تجربة
صادقة له مع التشبه من خلال مقارنته بالتشبه به وخلق علاقة جديدة بينهما لم تكن
ألسنة الأدباء قبله ، ولم تتكرر في المحاطبات اليومية عبارات أقصى غاياتها الإلهام
والتعليم .

(١) أسرار البلاغة ص ١٥١ .



الفصل الثالث
الحقيقة والمجاز
المبحث الأول

تعريفهما

إذا جمعنا المباحث التي تناولت المجاز في كتب اللغة ومصنفات البلاغة فالتنا
فصل إلى نتيجة تؤكد أن ملاك المجاز يتلخص بدراسة المعنى السابق على مدلول
اللفظة المجازية .

والنقطة في معناها السابق هذا يطلق عليها مصطلح الحقيقة :

الحقيقة لغة :

إن هذا المصطلح في أصل اشتقاقه ، إما «تعمل» بمعنى «مفعول» ، من قولك :
«حَقَّقْتُ الشيء» أي «أثبتته» ، أو «تعمل» بمعنى «فاعل» من قولك : «حق الشيء»
بمعنى «أثبتت أي الحقيقة أو الثابتة في موضعها الأصلي» (١) .

والفائدة فيها في - رأى الجمهور - للتأنيث وفي ضوء هذا التحي من التماس اشتقاق
المصطلح وبيان أصله بادر اللغوي المعروف ابن فارس إلى تعريفه قائلاً : «الكلام
الموضوع موضع الذي ليس باستعارة ولا تمثيل ، ولا تقديم فيه ولا تأخير» (٢) .

وجاء ابن جني في ميدان اللغة أيضاً وأعطى تعريف الحقيقة ذلك حداً متميزاً
قال : «الحقيقة ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة» (٣) .

(١) الأيضاح ص ٢٦٦ .

(٢) السامعي ص ١٩٧ .

(٣) الخصائص ج ٢ ص ١١٢ .

واعلمنا نلاحظ أن مصطلح الحقيقة في الدراسات اللغوية ينهض تعريفه على أساسين متلازمين .

أولهما : تأكيد انتطاق التعبير الحقيقي عن أية دائرة غير لغوية ،
والثانيهما : القطع بأن اللغة الحقيقية باقية على أصل وضعها الذي حدده الاستعمال ،
الحقيقة اصطلاحا :

تقد استضاء البلاغيون بهذين الأساسين وسعوا إلى أن يضعوا الحقيقة في الدراسات البلاغية تعريفا جامعاً مانعاً ، وبأبي عبد القاهر الجرجاني في مقلة هؤلاء البلاغيين ، إذ عرف الحقيقة في النقطة المفردة قائلاً : وكل كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضح ، وإن شئت قلت : في مواضع ، وقومها لا يستند فيه إلى غيره فهي حقيقة . وهذه عبارة لتنظيم الوضع الأول وما تأخر عنه كلمة تحدث في قبلة من العرب أو في جميع العرب أو في جميع الناس مثلاً أو تحدث اليوم .
ويدخل فيها الاحلام منقولة كانت كزيد وعسرو ، أو مرتجلة كمنظمان . وكل كلمة استوفت بها على الجملة مواضع أو ادعي الاستئناف فيها ، (١) .
وأي قبيلتنا إن عبد القاهر كان مشغول الذهن بعد المجاز حين صاغ تعريفه هذا ، ذلك لأنه لم يشترط للكلمة الحقيقية سوى شرط واحد هو أن لا تستند إلى غيرها في الدلالة على معناها .

وهذا الشرط - بلا ريب - يؤكد أبرز خاصية للكلمة المجازية وهو الدلالة على مدلولها بالاستناد إلى قرينة لفظية أو معنوية .

ثم أنه حين لم يحدد الكلمة الحقيقية بالوضع الأول الذي خصت به وأطلقها لتشتمل على الوضع الآخر استئنافاً لمعنى جديد حصل اليوم وبعد معناها الذي وضع له أولاً ، أراد أن يوسع من دائرتها لتضم إليها معاني حقيقية أخرى فرعبها

(١) أسرار البلاغة ص ٣٢٤ .

فيما بعد البلاغيون الآخرون . ومن هذا المنطلق أيضا عرف الحقيقة في الجملة بقوله : « فكل جملة وضعتها على أن الحكم المقاد بها على ما هو عليه في العقل وواقع موقعه فهي حقيقة وإن تكون كذلك حتى تتعبرى من تناول ، ولا فصل بين أن تكون مصييا فيما اقدت بها من الحكم أو ساطعا وصادقا أو غير صادق» (١) ، واذن فهو لا يجتيد كل التقييد بمسألة الوضع الأول الذي أقره اللغويون وكنا أساسا للحقيقة ، وإنما يعتمد معيار العقل الذي يتخذه فصلا بين الحكم الحقيقي والحكم غير الحقيقي القول والجزائي .

وفي ملاحظتنا أن هذا المعيار يستمد مفهومه من النظرة الدينية ، وآية ذلك أنه ساق ما يوضح تعريفه ذلك قائلا : « مثال وقوع الحكم المقاد موقعه من العقل على صحة واليقين والقطع قولنا : «خلق الله تعالى الخلق وانشأ العالم وأوجد كل موجود سواء ؛ فهذه من أحن الحقائق وأرسطها في القول ، واقعدما نسياني الحقول...» . وإنما مثال أن توضع الجملة على أن الحكم المقاد بها واقع موقعه من العقل وليس كذلك إلا أنه صادر عن اعتقاد قاصد وظن كاذب فمثل ما يجيء في التزييل من الحكاية عن الكفار نحو : « وما يهلكنا إلا الدهر » (٢) فهذا ونحوه من حيث لم يتكلم به قائله على أنه متأول بل أطلقه بجهله وعماه اطلاق من يضع الصفة في موضعها ، لا يوصف بالجاز ولكن يقال عندالله أنه حقيقة ، وهو كذب وباطل» (٣) ، أنواع الحقيقة :

ولمنا تبين من هذا التعريف أن مبحث الحقيقة يأخذ على يدي عبدالقاهر قولنا فكريا اعتقاديا بالانضمام إلى أساسه اللغويين ، وقد ترتب على هذا كله تمييزان : أولاهما : أن مبحث المجاز قد انحطت بالدراسات المنطوية والعلميات المنهجية

(١) اسرار البلاغة ص ٣٥٥ .

(٢) ابلاتية ٢٤ .

(٣) اسرار البلاغة ص ٣٥٥ - ٣٥٦ .

فظهر من الباحثين من رأى أن النصوص الدينية عائدة عن المجاز وأن لغة القرآن الكريم وأحاديث النبي الشريف لم تأت فيها إلا الحقائق من الكلم القردنوا التراكيب؛ ولايتهما : اعتبار الكلمات الشرعية التي لم ترد على أصولها الأول في المواضع حقائق : ومن هنا فإن جل " البلاغين يذهبون إلى أن الحقيقة لغوية ، وشرعية ، وعرفية : خاصة ، أو عامة : لأن واضعها إن كان واضح اللغة فلهوية ، وإن كان الشارح فشرعية وإلا لعرفية ، والعرفية إن تميزت صاحبها نسبت إليه ، كقولنا : كلامية ، ولغوية ، والآ بغير مطلقة :

مثال لغوية لفظ «اسد» إذا استعمله المخاطب بمراده اللغة في السج المخصوص ، ومثال الشرعية لفظ «صلاة» إذا استعمله للمخاطب بمراده الشرح في العبادة المخصوصة ومثال العرفية الخاصة لفظ «فعل» إذا استعمله للمخاطب بمراد النحر في الكلمة المخصوصة ، ومثال العرفية العامة لفظ «دابة» إذا استعمله المخاطب بالعرف العام في ذي الأربع (١).

إن هذا اللغز يجعل الكلمة الحقيقية أربعة أنواع هي الحقيقة اللغوية ، والحقيقة الشرعية ، والحقيقة العرفية الخاصة أي الاصطلاحية ثم الحقيقة العرفية العامة ، وفي ميدان دراسة حياة الكلمة العربية وتبع خطوات نمو تطوراتها يروى الباب أمام الباحثين ويحتهم من تلمس تاريخ هذه الكلمة ويصده قلبها على أكثر من معنى بحكم عوامل اجتماعية وفكرية وحضارية وفوقية وغير ذلك .

الحقائق بين المعنى الوضعي والتداول المجازي :

وبدهي أن هذا اللغز لا يمثل رأي العلماء الأسلاف أجمعين ، فقد قال ابن برهان مثلا في الأسماء الشرعية أي الحقائق الشرعية : «اعتطف العلماء في الأسماء هل نقلت من اللغة إلى الشرع ؟ فقلعت للفتها والمعتزلة إلى أن من الأسماء ما نقل

(١) الأيضاح ص ٢٦٨ .

كالصوم والصلاة والزكاة والحج (١). وعليه فلاخبر في أن نمتلك بالوضع الاول
لكلمة ونعدنا على ذلك المعنى حقيقة ، ثم ندأي معنى آخر نقلت عليه مدلولاً
مجازياً لما نتيج بذلك للباحثين مجال وضع المعجم التاريخي لمتنا ورسوم الخط
الياتي لحياة الكلمة العربية ، فتمكن بذلك من دراسة أسس انتقال الكلمات العربية
في النصوص الشرعية الى مدلولات مجازية اقتضاعا تطور الفكر العربي بعد ظهور
الدين الاسلامي الحنيف ، وتبين مدى ذلك المصطلحات العلمية والثقافية والسياسية
التي يستوجب وضعها لتعبير عن شؤون الحياة ، ونكتشف الحقائق التي تبلور بها
الكلمات في لغتنا اليومية وهي تزدحم في مخيم الحياة واسترجيحها الأعراف الاجتماعية
بشيء مصادرها .

المجاز لغة :

إن كلمة المجاز قد نقلت في المعجمات على معانٍ لغوية مطاوعة ، وقد حكى
لنا الخليل بن احمد القرايبي بعضها في عرضه لمادة (جوز) قائلا : « وتقول :
جرت الطريق جزواً وجزواً وجزواً » (٢) والمجاز المصدر والوضع « (١) :
إن القرايبي صاحب معجم العين الذي يعد أول معجم عربي وصل الينا يرصد
لكلمة المجاز معنيين لغويين أساسيين :

أولهما : قطع الطريق وسلوكه . لالبيها : الوضع القطوع والسلوك .
لقد تقبل واضع المعجمات العربية (٣) عطى القرايبي في تحديد المعاني
اللغوية لكلمة الجاز ، فلم يقدموا للباحث في مدلول هذه الكلمة الاصطلاحي مادة
تمكته من متابعة تطور معاني هذه الكلمة قبل أن تسوي مصطلحاً بلاغياً :
أما اشتغالها في صورتها الاصطلاحية فالرأي معقول على أنها «مفعول» وأصله جوز
وقد نقلت فيه حركة القواو ال الساكن قبلها فقلت ألقاً لتعريبها حسب الأصل

(١) الزهر ج ١ ص ١٧٤ .

(٢) العين، المصنف الثاني ص ١٣٧ فطوط، مكتبة الأثر تحت رقم ٥٠٩ .

(٣) راجع مفاتيح اللغة ولسان العرب مادة (جوز) .

والفتاح مألوفها بحسب حالها الآن ، تقول : جاز المكان جزواً و مجازاً وهذا مجاز القوم ، فالجواز إذن اسم المكان الذي يجاز فيه ومصنوع ميمي لفظه .

يمكن أن تشير إلى أن المثلول الاصطلاحي لكلمة المجلز في هذا أوضح صورة مقبوس من اسم المكان ، فجعل ذلك نقل الالفاظ من محل إلى محل .

إذا سمى الباحث إلى أن يؤرخ لورود هذا المثلول في التصوص العربية يستطيع أن يؤكد أن اصحاب المرق واللل والتحل (١) هم أول من أدلروه واعتمدوه في مناقشاتهم المنطية والفلسفية .

فقد نُقِلَ عن أبي اسحق النخاس حيث ورد فيه اصطلاح المجلز إذ روي أنه كان يخطي^١ للفلسفين ، في قولهم أن الحرارة تورت اليبس ، لان الحرارة إنما ينهي أن تورت السكونة وتولد ما يشاكلها ولا تولد غيرها آخر ليس منها في شيء ، ولو جاز أن تولد من الاجناس التي تخالفها شكلاً واحداً لم يكن ذلك بأحق من كلام آخر إلا أن يذهبوا إلى سبيل المجلز ، فقد يقول الرجل إنما رأيتك لأنني لفتت ، وهو إنما رآه لفتح في البصر التارك عند ذلك الالتفات (٢) .

وإذن فسبيل المجلز في هذا النص هو دلالة اللفظ على مدلول جديد ، لفظه تستوجب شيئاً من اللابية بين هذا المثلول الجديد ومعنى اللفظ الدائر على ألسنة الناس : وقد اعتمد الجاحظ المحزلي الذي كان على صلة وثيقة بالفرق والتحل مدلول مصطلح المجلز ذلك ، فدرس قلب كلمة «أكل» على معناها الحقيقي ومدلولات مجازية فقال : قول الله عز وجل : «إن الذين يأكلون أموال» اليتامى ظلماً» (٣) وقوله تعالى : «أأكلون لأسحت» (٤) .

(١) ينظر كتاب الفصل في اللل والأمواء والتحل ج ٤ ص ١٤٣ حيث أورد نصاً لمحمد بن درهم القادي لتلول سنة ثمان عشرة و مائة للهجرة فيه مصطلح المجلز

(٢) الحيوان ج ٥ ص ١٢ .

(٣) النساء ١٠ .

(٤) لسانه ٥٢ . السحت بالفم : ما خبث من الكاسب .

وقد يقال لهم ذلك وان شربوا بطنك الاموال الابدية ، ولبسوا الخلل ، وركبوا
الذواب ، ولم ينفقوا منها درهماً واحداً في سبيل الاكل : وقد قال الله عز وجل :

«إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا» (١) وهذا بجاز آخر .

وقال الشاعر (٢) في اعلا السنين من أجزاء الخمر :

«أَكْتَلْتُ لِلدَّمْرِ مَا لَجَسَتْ مِنْهَا وَبَقِيَ مُصَاصُهَا لِلْكُنُوسِ» (٣)

قال الشاعر :

مرت بنا نختال في أربع يأكل منها بعضها بعضا (٤)

وهل لول : « وقد آكلت أفتقاره الصخر والا كقولك :

كفَسَبَ الكسبي (٥) أفنى برأيته للحقَسَرُ

واذ قالوا : «أكله الأسد» وانما يذهبون الى الاكل المعروف : واذا قالوا :

«أكله الأسود» فانما يعنون النهش واللدغ والعض فقط : وقد قال الله عز وجل :

«أَلْبَحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا» (٦) : ويقال هي لحوم الناس :

وقال لائل لاسماعيل بن حماد : «أي اللحمان أطيب ؟ قال : لحوم الناس» هي

والله أطيب من اللجاج ، ومن الفراخ ، والنعوز الخمر :

ويقولون في باب آخر : «فلان يأكل الناس» وان لم يأكل من طعامهم شيئاً :

(١) النساء ٤٠

(٢) عن ابن عباس من شجرة له .

(٣) لجسم بالسين أي صار جسماً ، قيل : أي اتقى ذرك ، وبمصاص بالضم مخلص كل شيء .

(٤) أي اربح من صولحتها .

(٥) الكسبي ، جملة كناية بالضم : هي الأرض المليقة .

(٦) الشجرات ١٢

وأما قول أوس بن حجر :

وذو شطبات قد ه ابن مجدح له روثي قريبه يأكل (١)

فهذا على خلاف الأول ، وكذلك قول دهمان النهري :

سألني عن أناس أكلوا شرب للدهر عليهم وأكل

فهذا كله مختلف ، وهو كله مجاز ، (٢)

وفي هذا النص تشبيل كلمة «أكل» ، وقد انقلبت في آيات قرآنية ونصوص

شعرية وأحاديث لوشي عن معناها اللغوي الحقيقي للعريف الذي هو تناول بالقسم

إلى مدلولات جديدة سماها بالمحافظ مجازات . وهو في هذا كله يوضع بين أيدينا

أسس منهجه لدراسة الكلمة العربية :

أولها: اعتماد موضوع محدد وجمع النصوص التي دارت فيه بمعنى كلماتها

الحقيقية ومدلولاتها المجازية .

والثاني : بيان المدلول المجازي للكلمة بالموازنة بينه وبين المدلولات المجازية

الأخرى التي خالفتها ثم الإشارة إلى معناها العريف :

والثالث : التنوع في النصوص التي تدرس الكلمة المجازية في مضامينها بين آيات

قرآنية وشواهد وقوال شعرية وقوال معاصرة وأمثال ، وفي اعتقادنا أن هذا

المنهج الذي يبدو عليه الطابع المعجمي لو راعى فيه الجاحظ الترتيب التاريخي لا

سرد فيها من المعاني الحقيقية لكلمة «أكل» ، وما أوضح من مدلولاتها المجازية لكان

هو باسمه تلك السبل القويم الذي نستطيع اعتمادَه في دراسة حياة الكلمة العربية

(١) الشطبات ، بضم الشين والمد ، جمع شبطة بالقسم ، وهي الطريقة من طرائق السيف

أبي الخطيب وقد هي به السيف ، قد : صفة ، ابن مجدح : أحد صناع السيف ،

الروث : ماء السيف وصلواته وحسنه . وذو السيف : كالتسويق إلى القدر : ماؤ

وفوقه .

(٢) الحيوان ج ٤ ص ٢٥ - ٢٩ .

ابتداء من معناها الوضحي الأول ومروراً بمدلولاتها المستجدة لها والتي رأينا معظم اللغويين يسمونها حقائق لغوية وشرعية وعرفية عامة وخاصة ، في حين أنها في ضوء منهج الجاحظ مجازات يمكن أن تفرق فيما بينها بمصطلحات المجازات الشرعية دلالة على الحقائق الشرعية والمجازات الاصطلاحية دلالة على الحقائق العرفية الخاصة والمجازات العرفية دلالة على الحقائق التي اكتسبت مدلولاتها من الاستعمال اليومي في لغة الحياة اليومية :

وأياً كان ما نُدعو إليه في وقتنا مع مصطلح الجواز في مدلوله ذلك فإن علم البلاغة قد تلقف هذا المصطلح واتماه على حدٍ وتعريفٍ مخصوص .

ولعل عبد القاهر الذي يعدّ بحق مبتدع هذا العلم بموضوعاته الفصاحة ومنهجيته الشهيرة أول من بحث المجاز بحثاً متكاملًا فعده في الفرد والجملة وبين شرائطه وتفصيل ما قد يلتبس به من الأسماء المشتركة والإعلام وتنبع طائفة من علاقاته المرسلات والقائمة على التشبيه :

ومما يتعلق بهذا البحث أن المجاز يذكر بوزنه « متعبل » ويطلق اشتقاقه على ماورد في المعجمات العربية ليقال : «المجاز متعبل من جاز الشيء يجوز» إذا تعاد. وإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي ، أوجاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً (١) .

وفي موضع آخر يسوق تعريف المجاز اصطلاحاً فيبين أن المجاز « كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع وانضمها للملاحظة بين الثاني والأول » ويحدث عن مسألة الملاحظة بين معنى الكلمة الحقيقية ومدلولها المجازي التي سميت فيما بعد بمعلقة المجاز فقال : «ومعنى للملاحظة هو أنها تستند في الجملة إلى غير هذا

(١) اسرار البلاغة ص ٣٦٥ .

الذي تريده بها الآن الآن ان هذا الاستناد يقوى ويضعف ، ياتيه ما مضى من تلك
 اذا قلت : هربت أسداه تريد رجلا شبيها بالأسد لم يشبه عليك الامر في حاجته
 الثاني الى الاول انه لا يتصور أن يقع الاسد للرجل على هذا المعنى الذي أردته على
 التشبيه على حد المبالغة وايهام أن معنى من الاسد حصل فيه الا بعد أن يجعل كونه
 اسماً لسبع لزام عينيك : فهذا استناد تعلمه ضرورة ولو حاولت دفعه عن وهك
 حاولت محالاً فمضى عقل فرح من غير اصل ومشبّه من غير مشبّه به ؟ وكل ما
 طريقة التشبيه فهذا سببه ، أعني كل اسم جرى على الشيء للاستعارة ، فلاستناد
 فيه قائم ضرورة .

واما ما عدا ذلك فلا يقوى استناده هذه القوة حتى لو حاول محاول أن يتكبره
 أمكنه في ظاهر الحال ، ولم يلزمه به خروج الى المحال ، وذلك ككاتبه للنعمة ،
 لو تكلف متكلف فزعم انه وضع مستأنف أو في حكم لغة مفردة لم يمكن دفعه
 إلا بقرينة واعتبار عيني وهو ما قدمت من أنا رأيتهم لا يوقعون هذه المنقطة على
 ما ليس بينه وبين هذه الخارحة التباس واختصاص : ودليل آخر وهو ان اليد لا تكاد
 تقع للنعمة إلا وفي الكلام إشارة الى مصدر تلك النعمة والى المراد لها (١) :
 ومن هذا التحليل الذي يضيض فيه شرحاً للشواهد ويتسلسل للفوائد ثم الظهاراً
 للنعمة البلاغية ، نستجح أن ندلول المجاز اصطلاحاً لدى عبد القاهر على اساس
 العلاقة بين ما نقلت منه الكلمة وما نقلت اليه يشمل ضريرين من المجاز :
 المجاز بالاستعارة ، وهو ما علاقته للشابهة ، والمجاز المرسل وهو ما علاقته
 ملازمات متنوعة غير المشابهة .

ملفوظات المجاز :

يعني عبد القاهر بمسألة العلاقة في المجاز عناية كبيرة فيستجح الكلمات التي ربما
 يتوهم في أنها مجاز يدعى أنها متفردة فيقول : فلو روجب اعتبار هذه النكته في
 (١) أسرار ثلاثة ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .

وصف القظ بأنه جاز لم يجز استعماله في اللفظ التي يقع فيها اشتراك من غير سبب يكون بين المشتركين كقبض الأسماء المجموعة في اللاحن مثل أن الثور يكون اسماً للقطعة الكبيرة من الأقط والنهار اسم لقرخ الحباري والليل لوكه الكروان ، (١) كما قال :

أكلت النهارَ بنصفِ النهارِ وليسلاً أكلت بيليرِ يومِ

وذلك أن اسم الثور لم يقع على الأقط لأمر به وبين الحيوان العظيم ولا النهار على القرخ لأمر بينه وبين ضوء الشمس أداءً به وسأله نحوه :

والغرض المقصود بهذه العبارة - أعني قولنا المجاز - أن نبين أن لفظ أصلاً يبدو به في الوضع ومقتضوياً ، وإن جرى على الثاني إنما هو على سبيل النقل إلى الشيء من غيره ، وكما يعين الشيء بالحق ما يجاوره ، وينصغ بلون ما يدانيه ، ولذلك تراهم لا يطلقون المجاز في الأعلام إطلاقهم لفظ النقل فيها وإن حجراً حثقة في الجساد ومجاز في اسم الرجل ، وذلك أن الحجر لم يقع اسماً للرجل لالتباس كان بينه وبين الصخر على حسب ما كان بين اليد والتمعة ؛ ولا كما كان بين الظاهر الحامل وبين المحمول في نحو تسميتهم الزادة والوية وهي اسم للبحر الذي يحملها في الأصل وتسميتهم البحر حثقةً وهو اسم لثاج البحر الذي يحمل عليه ، (٢) .

إن عبادة عبد القاهر يتبع ما ليس من الجاز ورصد علاقته وترسيخ مقوماته المميزة استهدفت تحقيق غرضين :

أولهما : إقامة مبحث الجاز في البلاغة العربية على أسس قوية وحقيقية وإثباته تتجاوز به النظرة الجزئية والتبعثري في تناول واختلاط المفاهيم إلى مرحلة الدراسة العامة المنتظمة المحددة .

(١) الأقط يقع الميزة : اليقين المتخذ من بين الخالص ، والحباري : طائر يطرب به القتل في البلاغة ، والكروان : طائر طويل الرجلين وله صوت حسن .

(٢) أموار البلاغة ص ٣٦٥ - ٣٦٦ .

واللهما: الاخذ على أيدي متأولي النصوص الدينية الذين اعتصموا بدعة المجاز في تحميل أي الذكر الحكيم والاحاديث النبوية مالا تتحمل من مدلولات مذهبية وترسيخ القواعد التي يمكن التماس المجاز وفقها في هاتيك النصوص . وفي يقيتنا أن بحث المجاز بتفاصيله تلك على يدي عبد القاهر في القرن الخامس للهجرة سهى لنا تراثاً متجدداً في كل عصر نستطيع أن نحكم اليه في منع من يتجاوز بالفاظ لغتنا الى مدلولات اعتباطاً وبلا اساس وتقليداً لما درس الاديب الاوربي التي تستمد مقوماتها الفكرية والفنية من ثقافة غير ثقافتنا ويصنر المتعمون اليها عن رسالة غير رسالتنا كالرمزية والسريالية واللامعقول .

وبدا مصطلح المجاز بأخذ صورة جامدة على يد البلاغيين المتأخرين ، وكان السكاكي إمام هؤلاء ورائدهم في هذا الاتجاه ، وقد حدد للمجاز قائلاً : وهي الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالاً في الغير بالنسبة الى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن ارادة معناها في ذلك النوع ، وقولي « بالتحقيق » احتراز أن لا تخرج الاستعارة التي هي من باب المجاز نظراً الى دعوى استعمالها فيما هي موضوعة له ، وقولي « استعمالاً في الغير بالنسبة الى نوع حقيقتها » احتراز عما اذا اتفق كونها مستعملة فيما تكون موضوعة له بالنسبة الى نوع حقيقتها كما اذا استعمل صاحب اللغة لفظ الغائط مجازاً فيما يفضل عن الانسان من منهضم مدلولاته ، أو كما اذا استعار صاحب الخليفة الشرعية الصلاة للدعاء أو صاحب العرف البداية للحمار ، والمراد بنوع حقيقتها الثغوية إن كانت لها أو الشرعية أو العرفية أية كانت ، وقولي « مع قرينة مانعة عن ارادة معناها في ذلك النوع » احتراز عن الكتابة ، (١) :

لنضي في هذا النص بحث عبد القاهر للمجاز مفتناً ، فنتستنج أن للمجاز أربعة لركان أولها : المعنى الحقيقي للكلمة ، وثانيها : مدلولها المجازي ، وثالثها : العلاقة بين المدلول المجازي والمعنى الحقيقي ، ورابعها : القرينة التي تدل على أن الكلمة مجاز في استعمالها وأنه لا يراد بها معناها الحقيقي .

(١) مفتاح العلوم ص ١٧٠ .

وفي ضوء أن كان المجاز هذه وما جرى فيه ، أمر كلمة أو جملة قسّمه المتأخرون
 القساما لخصها السكاكي قائلا : واعلم أن المجاز عند السلف من علماء هذا الفن
 قسيان .

لغوي ، ويسمى مجازاً في الفرد ، وعقلي ويسمى مجازاً في الجملة ، واللغوي
 قسيان : قسم يرجع إلى معنى الكلمة ، وقسم يرجع إلى حكم لها في الكلام ،
 والراجع إلى معنى الكلمة قسيان . خال عن القاعدة ومتضمن لها ، والمتضمن
 لقاعدة قسيان : خال عن الباطنة في التشبيه ومتضمن لها ، وأنه يسمى لاستعارة (١) ،
 ويدهي أن لكل قسم حدّه وقبوده وتفرجاته ، ونحن نتحدث فيما تبقى من
 هذا الفصل عن قسيان من أقسام المجاز هما : المجاز المرسل والمجاز اللغوي .



(١) يحتاج العلوم ص ١٧٢ .



المبحث الثاني المجاز المرسل

لقد ثبت في تاريخ البلاغة العربية (١) أن السكاكي هو أول من أطلق مصطلح المرسل على هذا النوع من المجاز مولفاً بينه وبين الاستعارة التي تندرج معه في ضرب المجاز المنفوي أو المجاز المقرد ، إذ قال : «وغير معناها - أي معنى للكلمة - أما أن يقدر قائماً مقام معناها بواسطة المبالغة في التشبيه أولاً يقدر ، والأول هو الاستعارة والثاني المجاز المرسل » (٢) .
تعريفه :

وقى ضوء هذه الموازنة عرف القزويني المجاز المرسل مستفيداً من جملة الآراء التي أدارها عبد القاهر في حجه للمجاز فقال : «هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملاحظة غير التشبيه ، كالميد إذا استعملت في النعمة ، لأن من شأنها أن تصدر عن الجارحة ، ومنها تصل إلى المقصود بها ، ويشترط أن يكون في الكلام إشارة إلى اللولي لها ، فلا يقال : اتسعت اليد في البلد ، أو اتسبت بدأ ، كما يقال : اتسعت النعمة في البلد ، أو : اتسبت نعمة ، وإنما يقال . جلت يده عندي وكثرت أباديه لدي» (٣) .

ومصطلح الأرسال في اللغة يعني الإطلاق وعدم التقييد؛ ولما كان هذا المصطلح قد جاء لتمييز بين الاستعارة وبين هذا النوع من المجاز فإن البلاغيين قد اتسوا على هذه التسمية على أساس طبيعة العلاقة بين المعنى الحقيقي والدلول المجازي في الكلمة : وهذه العلة تتجه اتجاهين :

(١) ينظر كتاب فنون بلاغية ص ١٦٠ .

(٢) ملتحاح العلوم ص ١٩٥ .

(٣) الأيضاح ص ٢٧٠ .

أولهما : أن الجاز الاستعاري متبّد بدماءه أن المشبه من جنس الشيء به ،
 والمرسل مطلق من هذا القيد ؛
والثاني : أنه صمي مرسلاً لأرساله عن القيد بعلاقة مخصوصة بل ردة بين
 علاقات بخلاف الجاز الاستعاري فإنه بعلاقة واحدة وهي المشابهة (١) .
علاقته :

علاقات الجاز المرسل غير محددة ولا متبّدة بعدد معين من الملامح وإنما
 تتسع وتتلون في معجم اللغة العربية الذي له القدرة على استيعاب المدلولات المتجددة
 في عظم الحياة تبقى لفته أبداً الدهر لغة الحضارة والثقافة والعلم .
 وعليه أن هذا لا يعني أن الكلمة العربية مهمة في هذا المجال ترك حبلها
 على غاربها بلا ضابط ، ذلك لأن الملامح بين معاني الكلم الحقيقية ومدلولاتها
 المجازية ركن لا يمكن إغفاله بل لابد أن يوطد دائماً وفق العرف المغربي والنطق
 السليم والحس العربي المرفه .

لقد اتجه اللغويون والبلاغيون منذ أول العهد بالتأليف إلى توسع العرب في
 استعمال الكلمات بأكثر من معنى ، فرصدوا طائفة من العلاقات التي سوغت
 ذلك التوسع ولبنوها ، وتفيل خطاهم المتأخرون فانتهوا إلى وضع اليد على طائفة
 من هذه العلاقات التي نظمها الشيخ أحمد السجاني الشوفي (١١٧٩هـ) في منظومة
 نستخلص منها أنها بلغت على أياها (٢) عشر علاقات عمداً وحسراً : وواضح
 أن هذا العدد أقل بكثير مما يسطه جلال الدين السيوطي (٣) (٥٩١١ -) :

(١) راجع حاشية السوئي في شرح الطنخيص، ج ١ ص ٥٢٩ وفتون بلاغية ص ١١٠
 (٢) انظر إلى منظومة الاموز في بيان علاقات الجاز ، ورقة مطبوعة في مكتبة جامعة
 الأزهر .
 (٣) راجع الاطلاق في علوم القرآن ج ٢ ص ٢٦ - ١٠ .

وأشهر هذه العائلات وأسبغها في النصوص القرآنية والأدبية ، ما يأتي :

الأولى : الجزئية وهي أن يذكر جزء الشيء ويراد كله ، كقوله تعالى : ونحريه رقبة مؤمنة ، (١) فقد ذكر الرقبة في الآية والقصود بها الجسد ، وكقول الشاعر :

وكم حلّمته نكّمت القواني فلما قال فاقبة هجانسي

فذكر الشاعر الفاقبة ومقصده القصيدة كلها التي تأتي الفاقبة جزءاً من نظمها .

الثانية : الكلية وهي على عكس الجزئية يذكر الكل ويراد به مدلول جزئه كقوله تعالى : ويجعلون أصابعهم في آذانهم ، (٢) :

فالمقصود بالأصابع في الآية الكريمة هو الأناامل التي هي رءوس الأصابع فقط .

الثالثة : السببية وهي أن يطلق السبب ويراد به نتيجة وسببه ، كقوله تعالى :

ما كانوا يستطيعون السمع ، (٣) : فالمراد القبول والعمل بالقرآن الكريم إذ أن هذا العمل والقبول نتيجة لسمع القرآن وميعة عن وعيه :

وكقول المرصاني* :

لثبها لثبي ما كسحت ألقاها نحي ولد أقل اللاتق مشاعا

فالشاعر هنا ذكر اللاتق وأراد المرض الذي هو نتيجة للاملاق وسبب عن القفر :

الرابعة : السببية التي هي بخلاف السببية إذ يذكر السبب والنتيجة والمراد سببه الذي كان حلة في ذلك كقوله تعالى : ويتزل لكم من السماء رزقا ، (٤)

فالمذكور هنا السبب والمقصود هو المطر الذي يسبب الرزق من زرع وما يحتاج على هذا الزرع من أشعاع :

الخاصة : اعتبار ما كان في الماضي وما سبق من الزمان ، كقوله تعالى :

وأتوا اليتامى أموالهم ، (٥) أي الذين كانوا يتامى فيما مضى ، أما حين يتم لهم أخذ ميراثهم فأنهم يكونون قد تجاوزوا السن التي يسعون فيها يتامى ،

(١) النساء ٩٢ .

(٢) البقرة ١٧٩ .

(٣) هود ٢٠ .

(٤) طه ١٣ .

(٥) النساء ٣ .

السادسة : اجبار ما سيكون في المستقبل ، كقوله تعالى : « لئن ارايت اعيصرت عثرا » (١) ، فالعصر لا يعصرت وإنما يعصر العنب الذي سيؤول الى العصر في المستقبل :

السابعة : التكاية والمحبة وهو ان يذكر مكان الشيء ويحل المكان فيه والمراد من هنا المكان وذلك الشيء كقوله تعالى : « فليبدع ناديه » (٢) والمقصود من النادي في هذه الآية الكريمة ، القوم الذين يقيمون في النادي لان النادي مكان جلوسهم ويحل مشاورتهم :

الثامنة : الحاليت ، وهو ان يذكر ما يحل في المكان ويظهر بسجل والمراد به المحل والمكان كقوله تعالى : « وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون » (٣) ، فالتذكور هنا كلمة الرحمة ، والمقصود الجنة التي هي مكان الرحمة ويحلها يوم الآخر .

التاسعة : تسمية الشيء باسم آتته ، كقوله تعالى : « واجعل في لسان صدقي في الآخرين » (٤) أي ذكرنا حسنا ، واللسان أداة الذكر .

العاشر : تسمية الشيء باسم ضده ، كقوله تعالى : « فبشرهم بعذاب اليم » (٥) والبشارة حقيقة في الخير والشار واطلق على ضده مجازاً :

الحادية عشر : التزومية : وهي اطلاق اسم المأزوم على المأزوم ، كقوله تعالى : « أم أنزلنا عليهم سلطانا ليعرفوا بما كانوا ينشرون » (٦) ، أي أنزلنا برهانا يستدلون به وهو يدلهم : سمي الدلالة كلاما ، لانها من لوازم الكلام :

- (١) يوسف ٣٦ .
- (٢) الملق ١٧ .
- (٣) آل عمران ١٠٧ .
- (٤) الشعراء ٨٤ .
- (٥) آل عمران ٢٦ .
- (٦) الروم ٣٥ .

الثانية عشرة : الخصوص : وهي اطلاق اسم الخاص ، والمراد به العام كقوله تعالى : « هم العدو فاحذرّوهم » (١) أي : الاعداء .

الثالثة عشرة : العموم : وهي اطلاق اسم العام ، والمراد الخاص ، كقوله تعالى : « الذين قال لهم الناس : « (٢) ، فالتصود بالناس في هذه الآية الكريمة - كما تذكر كتب أسباب النزول - شخص واحد هو نعيم بن مسعود الأشجعي . تبين لنا هذه العلاقات وسواها بما تتبعها القدامى والمعاصرون (٣) ، أن المجاز المرسل فن متسع رحب ينسج بين يدي الأديب البليغ ليعبر عما يستجد في حياته من مدلولات وليجسد مشاعره وأفكاره بلا عائق من قيد لغوي غير النوق السلم والأصلوب العربي الأصيل الذي ترسم شواهدة الفنية أسس التعبير وسبيل التفتن :

(١) المذنبون ٤ .

(٢) آل عمران ٧٣ .

(٣) راجع كتاب فنون بلاغية ص ١١١-١١٨ حيث حلل الدكتور أحمد مطلوب إحدى وعشرين علاقة عدا الشخصيات الثمانية للعلاقة الحادية والعشرين علاقة إقامة صيغة مقام أخرى .

المبحث الثالث

المجاز العقلي

يشتمل المجاز العقلي في صورته العامة بالتركيب والجملة ، ويخرج عن دائرة الكلمة . ويحدثنا تاريخ (١) البلاغة العربية : ان القديس من اللغويين والمشتغلين في دراسة فن القول قد انبهوا الى هذا الضرب من المجاز وأوردوا بعض شواهده من آبي الذكر الحكيم والشعر العربي وان لم يسموه بهذا الاصطلاح ولم يحرروا حده أو يخلصوا أركانته ، وان عبد القاهر هو الرائد في هذا الميدان ، إذ أنه قد تناول به بالتفصيل ورسم حدوده واناض في شرح المقصود منه .

بين المجاز العقلي واللغوي :

تبدأ الصورة التفضيلية للمجاز العقلي لدى عبد القاهر بتفريقه بينه وبين المجاز اللغوي قائلاً : «واعلم ان المجاز على ضربين ، مجاز من طريق اللغة ومجاز من طريق المعنى والمقول ، فإذا وصفنا بالمجاز الكلمة المتردة كقولنا : «اليد مجاز في النعمة ، والاسد مجاز في الانسان وكل ما ليس بالسج المعروف كان حكماً أجريته على ما جرى عليه من طريق اللغة لأننا اردنا أن نتكلم قد جاز باللفظة اصلها الذي ولدت له ابتداءً في اللغة وأرقعها على غير ذلك اما تشبيهاً ، واما لصلة وملازمة بين ما نقلها اليه وما نقلها عنه .

ومنى وصفنا بالمجاز الجملة من الكلام كان مجازاً من طريق القول دون اللغة وذلك ان الأوصاف اللاحقة للجمل من حيث هي جمل لا يصبغ ردها الى اللغة ولا وجه لتبنيها الي واضعها ، لان التأليف هو اسناد فعل الى اسم ، أو اسم الى اسم وذلك شيء يحصل بقصد التكلم فلا يصير «ضرب» محيراً عن

(١) راجع : فنون بلاغية ٩٥ .

زيد بواضع اللغة بل بمن قصد اثبات الضرب فعلاً له (١) . وفي ضوء هذا النص وما تحدثنا عنه فيما مضى من حدّ المجاز والسامع يظهر أنّ المجاز اللغوي الذي يجري في الكلمة ينقسم على أساس طبيعة العلاقة بين معنى الكلمة الحقيقي ومدلولها للمجازي إلى مجاز بالاستعارة إذا كانت تلك العلاقة مشابهة وإن مجاز مرسل إذا كانت العلاقة ملازمة وصلة من الصلات التي حددتها طائفة منها في البحث السابق :

أركان الجملة :

أما للمجاز العقلي فهو يستمد مقوماته من الجملة ، ومن هنا حلل عبد القاهر بناء الجملة ، ونفهم من تحليله أن مدار الفائدة من الجملة يكون على الأبيات والنفي : إن الخبر أول معاني الكلام وأقدمها ، والتي تستند سائر المعاني إليه وترتب عليه وهو ينقسم إلى هذين الحكمين . وإذا ثبت ذلك فإن الأبيات ينقسمي مثبتاً ومثبتاً له ، نحو أنك إذا قلت : وضرب زيد ، أو زيد ضارب ، فقد اثبت الضرب فعلاً أو وصفاً ، وكذلك النفي ينقسمي مضمياً ومضمياً عنه فإذا قلت : «ما ضرب زيد» و«ما زيد ضارب» فقد ثبت الضرب عن زيد وأخرجه عن أن يكون فعلاً له : فلما كان الأمر كذلك احتج إلى شقين يتعلق الأبيات والنفي بهما فيكون أحدهما مثبتاً والأخر مثبتاً له ، وكذلك يكون أحدهما مضمياً والأخر مضمياً عنه ، فكان ذلك الشيطان البتأ والخبر والفعل والتفاعل ، وقيل للمثبت والمضمي «مسند» و«محدث» والمثبت له والمضمي عنه «مسند إليه» و«محدث عنه» (٢) وإذا فالجملة سواء أكانت اسمية أم فعلية مثبتة أم مضمية تتألف من ثلاثة أركان متحدة في العقل :

أولها : الأبيات في الجملة المثبتة وهو الترابط بين المثبت والمثبت له ، والنفي في الجملة للمضمي ، وهو تقي الترابط وسليه عن المثبت والمثبت له :

والثاني : المثبت في الجملة المثبتة والنفي في الجملة المضمية .

(١) اسرار البلاغة ص ٢٢٦ .

(٢) اسرار البلاغة ص ٢٢٨ .

وفي هذه المساحة التي تقوم عليها أركان البنية الباطنة ونفيا الشمس عبد القاهر
والبلاغيون الذين تليقوه موضوع المجاز العقلي الذي تناولته في تحليلات عبد القاهر
أربعة اصطلاحات هي المجاز العقلي ، والمجاز الحكمي ، والمجاز في الآيات ،
والاستاد المجازي .

وعلى ابن يعقوب المغربي تسميات هذه الاصطلاحات فقال : «ومن الاستاد مطلقاً
مجاز عقلي ، لان حصوله بالتصرف العقلي ، ويسمى مجازاً حكماً لوقوعه في
الحكم بالسند اليه ، ويسمى أيضاً مجازاً في الآيات لحصوله في آيات أحد
الطرفين للآخر والسلب حقيقته ومجازه تابع لما يحقق في الآيات . ويسمى
أيضاً اسماً مجازياً نسبة إلى المجاز بمعنى المصدر ، لان الاستاد جاوز به التكلم
حقيقته وأصله إلى غير ذلك (١)» .

وأياً كان فإن اعتماد اصطلاح المجاز العقلي دون سواه من تلك الاصطلاحات
يجسد الفرق الرئيس الذي نوهنا به بين هذا الضرب من المجاز والمجاز القلبي .
حد المجاز العقلي :

ويجلى حد المجاز العقلي الذي تعرضنا له في مطلع هذا البحث اذا ما وقفنا
مع عبد القاهر وهو يظل شواهد التي منها قوله تعالى : «فما ربحتم تجارتهم» (٢) ،
فالمجاز في هذه الآية الكريمة ليس في «ربحت» ولكن في استنادها إلى التجارة :
ومنها قول القرزني :

سقاها خروق في السبع لم تكن هيلاً ولا مخبرطة في الملاخر (٣)
قوله : «سقاها خروق ليس التجوز في كلمة «سقاها» ولكن في ان استنادها
إلى الخروق .

-
- (١) مواهب اللطائف - فروع التلخيص - ج ١ ص ٢٢١ ، وقولون بلاغية ص ٩٦ .
(٢) البقرة : ١٦ .
(٣) طوطى الناقة : وسبها بالملاط وهي صفحة السبق أو حبل يحمل في عنق البعير .
اللحم : اللحم والاتف وما حوّلها ، والبمع : ملائم .

أفلا ترى أنك لا ترى شيئاً منها إلا وقد أريد به معناه الذي وضع له على وجهه
وحقيقته لم يرد به وباحت، غير الريح ولا به صفت، غير السفي كما أريد في قوله:
« وسالت بأعناق المظي الأباطح » (١) غير السيل.

وكذا المجاز العلفي :

والمجاز العلفي - شأنه شأن سائر أصرب المجاز - ينبغي أن يتوفر فيه ركبان
أساسيان هما : القرينة الدالة على أن في الجملة مجازاً والعلاقة التي تسوغ ذلك
المجاز في العلف والتوق .

لما القرينة قد تكون لفظية كقول أبي النجم :

قد أصبحت أمّ الخبار تدعي عليّ قلباً كله لم أصطنع
من أن رأيت رأسي كمراس الأصبع مبرز منه قترعاً عن قترع (٢)
جذب السبالي : أبغضني أو أسرعتي

فهذا مجاز يدل على قوله بعده :

أفناه قيل الله للشمس اطلعي حتى إذا وافاك ألتق فارجمني
فهو قد استد تمييز شعر رأسه واستقامته إلى جذب القباي على ميل اللان بقرينة
قوله :

أفناه قيل الله للشمس اطلعي حتى إذا وافاك ألتق فارجمني
وقد تكون غير لفظية كتجلى في استعانة صدور السد من السد إليه كقولهم:
« أتى بي الشرق إلى أفتاك » و« سار بي الجنين إلى رؤيتك » و« أتى الأمير
المدينة » (٣) .

لقد هذه الجملة لا تصدق حقلاً أن « الشرق » فاعل لتفعل « أتى » ، وأن « الجنين »
هو الذي أجرى الفعل « سار » ، وأن « الأمير » هو الذي قام وحدة ببناء المدينة .

(١) دلائل الإعجاز ص ٢٢٧ .

(٢) الفروع، الشعر حواشي الرأس .

(٣) دلائل الإعجاز ص ٢٢٨-٢٢٩ .

علاقات المجاز العقلي :

لما العلاقة في المجاز العقلي فمتنوعة أشهرها (١) :

الأولى : المفعولية : فيما بُني للفاعل واستند إلى الفعل به الخفي نحو قوله تعالى : « عيشة والحياة » (٢) فالراضية مبنية للفاعل وحقيقتها مرضية : وكقوله تعالى : « ماء دائر » (٣) أي مدقوق .

الثانية : الفاعلية : وهي على خلاف الأولى ، إذا بُني للمفعول وأستد للفاعل الخفي مثل « سَيْلٌ مَسْتَمٌ » ، لأن السيل هو الذي ينعق ويملا .

الثالثة : المصدرية : فيما بُني للفاعل واستند إلى المصدر مجازاً كقول أبي فراس الحمداني :

سَيْدٌ كَرِيٌّ قَوْمِي إِذَا جَدَّ جَدُّهُمْ وَفِي الْبَيْتِ الظُّلْمَاءُ يُقْتَتَلُ الْبَدْرُ

فقد استد « جد » إلى المصدر « الجدة » وهو ليس بفاعل له ، بل فاعله الجدة .

الرابعة : الزمانية : فيما بُني إلى الزمان مثل « تَهَارَةٌ عَالِمٌ » و« لَيْلَةٌ قَائِمٌ » ، إذ إن النهار لا يصوم والليل لا يقوم وإنما يُصَامُ في النهار ويُقَامُ في الليل والفاعل الخفي هو الصائم والقائم . وكقول الشاعر :

لَقَدْ نَسْنَا بِأُمِّ خَيْلَانَ فِي السَّرِيِّ وَبِئْسَتْ وَمَا لَيْلُ اللَّطِيِّ بِنَائِسِرِ
ظِلُّ اللَّطِيِّ لَا يَنَامُ وَالنَّامُ يَنَامُ فِيهِ :

الخامسة : المكانية : فيما بُني للفاعل واستند للمكان ، كقوله تعالى : « وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ » (٤) لأنه مكان يجري الماء وإنما يجري مائه وهو الماء ،

(١) راجع الإيضاح ص ٢٢ ، وقول بلايا ص ٦٥ .

(٢) القافية ٧

(٣) الطارق ٦

(٤) الأنعام ٦

السادسة : السبية : فيما بني للفاعل واستد لسبب كقول الشاعر :

إني لمن معشر أئني أو التهم قيل الكفاة : ألا أين المحامونا

والقيل لم يُعزّر ، وإنما الذي أئني هو الشجعان ، وذكر القيل لانه السبب في

دفع الكفاة إلى القائلة والتزال بلا تردد .

أقسام المجاز العقلي :

صنف المجاز العقلي باعتبار طريقه - المسند والمسند إليه - أربعة أقسام (١) :

أولها : المجاز العقلي الذي طريقه حقيقة ، كقول الشاعر :

وشيب أيام السراقرم سفارتي وأنشز نقي فوقي حيث تكون

ثاني : ما طريقه مجازيان ، كقولنا : « أحمأ الأرض شيب الزمان » .

الثالث : ما المسند فيه مجاز والمسند إليه حقيقة ، كقول الرجل لصاحبه : « أحييني

ورؤحك » أي : آتني وسرتني ، فقد جعل الحاصل بالرؤية من الألس والسررة

حياة ، ثم جعل الرؤية فاعلة له ، ومثله قول أبي الطيب :

وتحيسي له السال الصوارم والقنا ويقتل ما تحيي التيسم والجدا (٢)

جعل الزيادة والوفور حياة المال ، وتفريقه في المعطاء قتلا له ، ثم أثبت الأحياء

فعلا للصوارم ، والقتل فعلا للتيسم ، مع أن الفعل لا يصح منهما .

الرابع : ما يكون فيه المسند حقيقة والمسند إليه مجازاً كقولهم : « أثبت البقل

شباب الزمان » فاستد إثبات البقل وهو حقيقة إلى شباب الزمان الذي هو مجاز .

(١) الإيضاح ص ٢٦٦ .

(٢) الصوارم : السيوف ، والقنا : جمع نناة ، وهي الرمح ، والجدا : المعطاء .

الفصل الرابع
المجاز بالاستعارة
للبحث الأول
تعريفها وركابها

تعريفها :

إن كلمة الاستعارة لغة مأخوذة من قولهم : « استعار المال : طلبه عطية »
أما اصطلاحاً فإن تعريفها قد تقلب (١) على أيدي اللغويين والمصنفين للكتب
العامية وعلماء البلاغة بين السعة لتشمل المجاز المرسل وبين التصور والفساد وعدم
اللفظ .

ولعل الجاحظ أول من عرف الاستعارة في ميدان الدراسات العامة بقوله :
« الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه » (٢) .

يستمد هذا التعريف بقومته من المعنى اللغوي لكلمة الاستعارة ولا يوضح
ركابها وخصائصها توضيحاً دقيقاً :

وتناول ابن المعتز الاستعارة لأول مرة في كتاب بلاغته متخصص وجعلها
الباب الأول (٣) من أبواب البديع ، وأورد لها شواهد من آي الذكر الحكيم
وأحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - وكلام الصحابة والعرب :

والاستعارة عنده هي : « استعارة الكلمة الشيء لم يعرفها من شيء عرف بها »
وهذا التعريف على غموضه واتساعه يجمع في النصوص التي ساقها ابن المعتز

(١) فلون بلاغية ص ١٢٢ .

(٢) البيان والبيان ج ١ ص ١٥٣ .

(٣) البديع ص ٣ .

شئ التعيرات التي مالت عن معانيها الحقيقية إلى مدلولات جديدة ، فقصت
إليها المجاز ببعض الروايات التي وضع البلاغيون بعده اليد عليها .
ويظهر هذا من أنه أورد قول الطائي يخاطب منزلاً :

بامتزلاً أعطى الجوارحت حُكْمَهَا لا مَطْلَقَ في عِدَّةٍ ولا تَرْوِفاً
أرسي بناديك السدى وثقَّنتِ نَفْساً بعقولك الرياحُ ضيفاً
ولئن ثوى بك مَكْتَباً بهجرانه ضيف الخطوب لقد أصاب مضيئاً
ثم علّق عليها قائلاً : « المعنى أنه أصاب موضعاً يضيف إليه فيه أي يجل إليه
لأنه قد فارقه ومضيف محال لأن البلد لا يضيف ولأن الزمان لا يحتاج
وأما المعنى أن الزمان مال عليك فأصاب موضع محل ومثول » (١) .

فهو في هذا النص يتحدث عن كلمة مضيئ التي استعمالها الشاعر فيما لم يعرف
به من مدلول وهي مجاز مرسل علاقته المكانية في حين أنه أوردتها في باب الاستعارة
مبتدأً قريتها التي من أجلها انصرف القدر إلى أنها لم تستعمل في المعنى الذي عرفت
به

إن ابن المعتز لم يعرف الاستعارة تعريفاً دقيقاً يميزها عن المجاز بشئ
الواضح ، وإنما كان ذلك منه لطبيعة منهجه الأدبي التاريخي الذي سعى في ضوئه
إلى البرهان على أن فنون البديع لم يتدعها الشعراء المحذرون من أمثال بشر (٢)
ومسلم وإبي نواس ومن تقيّلهم وسلك سبيلهم بل جرت به أقاليم اللغة العربية
مثل سالفات جهودها :

وتجلى قيمة تعريف ابن المعتز للاستعارة على أساس منهجه ذلك في أنه لم يه
على طائفة من النصوص أدار فيها أصحابها كلمات فيما لم تعرف بمن قبله ، فبين
أنهم قد خرجوا على الذوق والسليقة العربية الأصيلة في صياغة الكلام فقال : وهذا

(١) البديع ص ٢٢ .

(٢) البديع ص ١ .

وامثاله من الاستعارة مآء حبيب من الشعر والكلام ، وانما نظير بالقليل ليعرف فينتجبه ؛
قال الهلب لرجل من الأزد متى أتت ؟ قال : أكلت من حياة رسول الله صلى
له عليه ستين . فقال أطمعتك الله لحملك . وقال عبيد الله بن زياد يوما ، وكانت
فيه لكثة : انضروا سبيلي ، يريد مآءه ، (١) :

فذلك الأزدى في قوله : «أكلت من حياة رسول الله صلى الله عليه ستين» شطبا
بتعبيره هذا وخالف الحسن المغربي السليم فيما أثر عنه من التعبير عن المعاصرة
والمصاحبة . وكذلك عبيد الله بن زياد لم يقل من العربة في التعبير عن المنازلة
بالسورف فبسر عن جردها لئلا بما عرف عن غيرها من الأشياء التي تغلق ويوضح
عليها الغطاء :

فإن ابن المعتز قد وضع لاستعمال الكلمة فيما لم يعرف بها من مدلول فيردأ
من العرف المغربي والذوق السليم والاصالة العربية ، فرسم بذلك للاستعارة مدارعا
تعريفيا واستعمالا وأتى عبد القاهر في ميدان الدراسات البلاغية فعرف الاستعارة
تعريفيا مبرها به عن المجاز المرسل فقال : «الاستعارة ان تريد تشبيه الشيء بالشيء»
ويظهره وتجيء الى اسم التشبه به فتعبيره الشبه وتجريه عليه» (٢) .

فهو ههنا يقيم الاستعارة على اساس التشبيه ويضع الحد الفاصل بينها وبين
المجاز المرسل الذي علاقته بالمعنى الحقيقي هي غير المشابهة فتصبح معه من المجاز
المغربي :

ان تعريف عبد القاهر الجرجاني هذا ليس جامعا شاملا ، وآية ذلك أنه حصر
الاستعارة في المشبه به الذي حذف من تشبيهه ركن المشبه ، فحصر بذلك الاستعارة
على احد ضربيها الذي هو الاستعارة التصريحية وأبعد عن التعريف الاستعارة
المكنية التي هي تشبه حذف منه المشبه به ، وقصور هذا التعريف بما يعود الى ان صاحبه

(١) البديع ص ٢٣ .

(٢) دلائل الاعجاز ص ٥٣ .

كان يردد فيها، فجعلها مجازاً اختيارياً ومجالاً لغوياً آخرى. وجعله إياها من المجاز العقلي أو مما هي أقرب إليه يستند إلى أنه نظر إلى تعريف ابن المعتز للاستعارة فقرأها ليست ونقل اسم عن شيء إلى شيء ولكنها ادعاء معنى الاسم لشيء (١) .

وأياً كان شأن هذا التعريف فإن ربطه بين الاستعارة والتشبيه قد رسم له دائرة ضيقة وضع للسكاكيني ومن قبله (٢) من البلاغيين في إطارها حداً واسطاً للاستعارة لم يخرج عن مدها حتى إيماناً هذه فأصبحت تعرف بأنها : وهي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعيًا دخول التشبيه في جنس التشبيه به دالاً على ذلك باتزانك للتشبيه ما يخص التشبيه به (٣) .

فهذا التعريف يجري في دائرة تعريف عبد القاهر ذلك متسعاً بعض الشيء ليتلائم تصورهم ويضم إليه الاستعارة بضمها المذكورين .
فركابها :

إن للاستعارة في تعريفاتها المختلفة أربعة أركان :

أولها : المتعار منه ، وهو التشبيه به .

وثانيها : المتعار له ، وهو التشبيه .

وثالثها : المتعار ، وهو اللفظ المنقول والمستعمل فيما لم يعرف به من معنى .

ورابعها : القرينة النظمية أو المعنوية التي تمنع أن يكون المقصود بالاستعارة

معاناً التي ورد به المتعار منه .

(١) دلائل الإعجاز ص ٣٣٣ .

(٢) الإيضاح ص ٢٨٠ .

(٣) مفتاح العلوم ص ١٧٤ .

ففي قوله تعالى : « حتى تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون » (١) ،
كلمة « حتى » مستعارة ، والمستعار منه التي لا تنجي بولد ، والمستعار له هو
إن ذلك اليوم لم يأت بمنفعة حين جاء ، ولم يبق خيراً حين مر ، والقرينة معنوية
ذلك لأن العظم من صفات المرأة .

وفي قول الرسول الكريم (ص) : « خير الناس رجل أمسك بعنان فرسه في
سبيل الله كلما سمع هيفة طار إليها » ، فلفظ طار مستعار ، والمستعار منه
الطيران ، والمستعار له الاسراع بطريفة أن الرجل لا يطير .

وفي قول الاغوي الأودي :

مُلْكُنَا مَلِكُكَ لَسَفَاحُ أَوْلَادِنا وَمِنْ بَنِي أَوْلَادِنا خِيَارُنا
لفظ «السفاح» مستعار ، والمستعار منه لقاح الأبل ، والمستعار له هو الاستغناء بما عندهم
من العز عن غيرهم ، والقرينة معنوية ؟

بين التشبيه والاستعارة :

إن الجمع بين التشبيه والاستعارة في الكتب البلاغية وجعلهما بمثابة الأصل
والفرع نتج عنه خلط بينهما لدى بعض علماء البلاغة ، وقد حكى ابن الأثير هنا
الخلط قائلاً : « على أن أبا القاسم الحسن بن بشر الأمدى كان أثبت القوم لئماً
في فنّ القصاحة والبلاغة ، و... وما أعلم كيف خفي عليه الفرق بين الاستعارة
والتشبيه المفسر الأداة ؟ »

من ذلك قول امرئ القيس :

قللت له لماً تمطى بصنّبه وأردفت أصجاراً وثاءً بكلكلور
وهذا البيت من التشبيه المفسر الأداة ، لأن المستعار له مذكور - وهو الليل (٢) ،

(١) ليج ٥٥ .

(٢) اقل السائر ج ٢ ص ١١٠ .

ولد البري نفيف من علماء البلاغة لازالة دواعي ذلك الخط **القرار المقارنات**
العقلى والذوقية بين التشبيه والاستعارة ، من هؤلاء العلماء عبدالقاهر (١) والقاضي
أبو الحسن الجرجاني (٢) والقدر الرازي (٣) .

وهذه المقارنات التي استقرت بصورة رئيسة على يدي عبدالقاهر تناولت
الاستعارة التصريحية وتجنبت الاستعارة المكنية لعدة ربما تعود إلى انه رأها لا يهتم
منها التشبيه مثل التصريحية وانما تقوم على التوهم والتخييل :

ونحن اذا تعدد الاستعارة للمكنية تشبيها حذفت منه المشبه به وأقيم الشبه مقامه ،
نستطيع أن نطلق عليها تلك المقارنات التي هي : -

أولا : في الاستعارة يسقط ذكر المشبه حتى لا يطم من ظاهر الحال أنك أردته
مثل : **عنت لنا طيبة** ، والقصود امرأة . أما التشبيه فهو أن تذكر كل واحد من
المشبه والمشبه به ، **عنت لنا طيبة** ، **عنت لنا طيبة** ، **عنت لنا طيبة** .

والحب **ظهور أنت راكبه** فإذا صرقت عنته تصرفنا
بهذا اليت ليس فيه استعارة لان معناه أن الحب مثل ظهر ، أو الحب
كظهور ظهره كيف شئت اذا ملكت عنته .

لأننا: ان حقيقة الاستعارة في اللغة والعادة يوضح الفرق بين العنين وذلك ان من
شرط الستعار أن يحصل للمستعير منافع على الحد الذي يحصل للمالك، أما في التشبيه
فلا يقع ذلك الواقع ففي قولنا : **عنت طيبة يعقل من اخلاقه** أننا تصدنا الجنس
المعلوم من الحيوان ولكن استعناه للمرأة ، ولا يقع مثل هذا في قولنا **زيد أسده**؛
لأننا : ان الحالة التي يختلف في الاسم اذا وقع فيها أبسى استعارة أهلا
بسى هي الحالة التي يكون الاسم فيها غير مبتدأ أو متزلا متزلة كظهير وكان أو

(١) راجع لقرار البلاغة ص ٢١٩ وما بعدها وص ٢٢٩ وما بعدها .

(٢) راجع القوساة ص ١١ .

(٣) راجع نوبة الأجزاء ص ٥٩ .

المفعول الثاني لـ « علمت » أو الخلال . والاسم في هذه المواضع يكون لإثبات معناه في مثل : « زيد منطلق » فالاسم هنا لإثبات الانطلاق لزيد ، في حين لا يكون مثل ذلك في « زيد أسد » لانا لا نستطيع أن نثبت النسبة لزيد على حقيقته .

إن هذه المغارقات إذا ما فهمنا إليها مفارقة عدم جواز ذكر أداة التشبيه وطرفي التشبيه معاً في الاستعارة وذكر الأداة وجواز حذفها ووجوب ذكر المشبوه والمشبه به في التشبيه تشكل قواعد علمية منطقية لتمييز بين الاستعارة والتشبيه ، بيد أن أساس هذا التمييز كما نوه به ابن الأثير ينبغي أن يؤسس على قضية ذوقية فنية ، ذلك إنك إذا أظهرت الأداة والمشتبه له في الكلام ذهب حسنه ، ألا ترى إننا إذا لوردنا هذا البيت الذي هو :

فأسطرت لسؤاؤاً من نرجس وسقنت
ورداً وعلمت على العناب بالبرود
وهو بيت فيه استعارة وقلت : وأسطرت دعماً كالتلؤؤ من عين كالنرجس ، وسقت دعماً كالورد وعلمت على التلؤؤ مخضوبة كالعناب بأسان كالبرود صرفاً إلى كلام غث لا تلاوة عليه .

أقسام الاستعارة :

لقد قسم البلاغيون (١) للتأخرون الاستعارة إلى الاسم كثيرة استعملها عبد القاهر بتضمينها على أساس الالادة إلى استعارة مفيدة واستعارة غير مفيدة (٢) ويريد بالمفيدة ما كان لفظها قائدة ، ويريد بغير المفيدة ما لا يكون لها قائدة في النقل ، وموضعها حيث يكون التخصص الاسم بما وضع له من طريق يريد به التوسع في أوضاع اللفظ والتفوق في مراعاة دقائق في الفروق في الدلالي المدلول عليها كوضعهم للمضمر الواحد أسامي كثيرة بحسب اختلاف أجناس الحيوان نحو وضع الشفة للإنسان والمخفر للبعير والجمحلة للفرس .

(١) الملل السار ج ٢ ص ٧٠ .

(٢) اسرار البلاغة ص ٢٩ .

ولست باعتبار ما يذكر من الطرفين إلى استعارة تصريحية واستعارة مكنية ،
وباعتبار تحقق المستعار له حسا وعقلا وعدم تحققه إلى استعارة تطبيقية واستعارة تخيلية ،
وصفت باعتبار اللفظ المستعار إلى استعارة أصلية وتبعية تصريحية وتبعية
مكنية إذا كان المستعار اسما مشتقا ، أو اسما مبهما : وباعتبار ما يتصل بها من
اللامات وعدم اتصالها إلى استعارة مطلقة ومرشحة ومجردة . ويرتبط باعتبار
الجامع بين المستعار منه والمستعار له إلى خمسة أقسام هي :

الأول : استعارة حسي لحسي بوجه حسي .

الثاني : استعارة حسي لحسري بوجه عقلي .

الثالث : استعارة معقول لمعقول والجامع أمر عقلي :

الرابع : استعارة محسوس لمعقول بوجه عقلي :

الخامس : استعارة معقول لمحسوس لاشتراكهما في أمر عقلي :

وواضح من هذه التقسيمات أن معظمها يرجع إلى المباحث التي عقدتها علماء
البيان لفن التشبيه متناولين مادة طرفيه أي حية أم عقلية أم وهمية وإلى طبيعتهما
أي جامدة مشتقة كما تعود إلى الألوان وجه تشبه الجامع بين الطرفين تحققتا وتخيلا
وتوهما .

ونحن في المباحث القادمة سوف نتطرق من بين هذه التقسيمات إلى ما يتعلق
بالتبعية للقرود متوخين إتمام الفصول على التقسيمات الرئيسة التي لم يرد لها ذكر في هذا المنهج :

البحث الثاني الاستعارة التصريحية

التصريح لغة واصطلاحاً :

التصريح لغة :

مصدر منه الفعل صرّح بكذا (١) اذا اظهره : واصطلاحاً يأتي صفة لأحد ضربي الاستعارة وهو الاستعارة التصريحية التي حدّتها البلاغيون بقولهم : هي ما صرّح فيها بلفظ التشبيه به دون التشبيه .

وقد تسمّى هذه الاستعارة مصرحة أو تحقيقية ، ولفظ المصرحة هو من مادة التصريح ويدل على ما تدل عليه من أن الشاعر مذكور ومنصوص عليه : لنا الحديقة : ونحن نحقق معنى الشاعر حساً أو عقلاً أي : التي تناول امرأ مطروماً يمكن أن ينص عليه ويشار إليه اشارة حسية أو عقلية ، فيقال : ان اللفظ نقل من معناه الاصيل ، فيجعل اسماً له على سبيل الاعارة للعبارة في التشبيه .

اما الحسي فنكتولك ورايت أمدأ ، وأنت تريد رجلاً شجاعاً ، وعليه قول زهير :

لدي أمدأ شامي السلاح مُتَدَفِّفٍ له يدُ أظفاره لم تُفكِّم (٢)

واما العقلي : فنكتولك : « أهديت نوراً » ، وأنت تريد احجة « فان الحجة مما يدرك بالعقل من غير وساطة حس » ، اذ المفهوم من الالفاظ هو الذي يتوزع القلب ويكشف عن الحق ، لا الالفاظ أنفسها : وعليه قوله تعالى : «اعدنا الصراط للمطيع » (٣) أي : للذين الحق (٤) :

(١) اسرار البلاغة (صرح)

(٢) شامي السلاح : قويه ، متدافف : شجاع ، يد : جرح لينة ، وهي الشعر المتكاثف بين كتفي الأسد ، أظفاره : لم تقلم اعزير سنج قوي ، بطريق التكنية .

(٣) لقائمة ٦ .

(٤) الايضاح ص ٢٧٨ .

نفسا الاستعارة التصريحية :

نَسَمَ الْمُتَأَخَّرُونَ الْأَسْتَعَارَةَ التَّصْرِيحِيَّةَ بِإِخْتِيارِ طَرَفَيْهَا - الْمُسْتَعَارِ وَالْمُسْتَعَارَ لَهُ -

أَوْ الشَّبْهَ وَالْمَشَبَّهَ بِهِ إِلَى قَسْمَيْنِ :

أولهما: الاستعارة التصريحية الوفاقية وهي التي يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد لعدم التناقض ، مثل : اجتماع الحياة والمداية في كلمة وأحياء التي جاءت في قوله تعالى : « أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَاهُ ؟ » (١) فالمراد بأحيائه هديته أي : أو من كان ضالًّا فهديته ؟ والمداية والحياة لا شك في جواز اجتماعهما في شيء (٢) ، والثانيهما : الاستعارة التصريحية العنادية وهي التي لا يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد لثانيتهما كاجتماع الموت والفضلال كما في الآية السابقة : « أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَاهُ » أي ضالًّا فهديته . فكلمة وميتاء استعارة تصريحية عنادية إذ شبه الضلال بالموت ، بجاع تربب نفي الانطفاع في ككل ، واستعير الموت للضلال ، واشتق من الموت بمعنى الضلال ، « ميتاء » بمعنى « ضالًّا » ، وهي عنادية ، لأنه لا يمكن اجتماع الموت والفضلال في شيء واحد :

والاستعارة العنادية في ضوء السياق والقربة ربما تكون تحليجية ، أي المقصود منها التسلح والفرادة . وقد تكون نهكية - أي المقصود منها التهكم والاستهزاء - بأن يستعمل اللفظ الموضوع لمعنى على ضده ونقيضه : نحو قولك للنعيم تلحاحا ف رأيت يدراء ونحو قوله تعالى : « قَبَشْرَهُمْ بِغُلَابٍ أَيْمٍ » (٣) أي : انذرهم فاستعيرت البشارة التي هي الخبر السار ، للانذار الذي هو ضده بادخال الانذار في جنس البشارة على سبيل التهكم والاستهزاء

(١) الانعام ١٢٢ .

(٢) راجع الايضاح ص ٢٨٩ .

(٣) آل عمران ٢١ .

المبحث الثالث الاستعارة المكتبة

المكتبة لغة واصطلاحاً :

المكتبة لغةً : اسم مفعول من كَتَبَ بمعنى ألقى وستر ، واصطلاحاً هي صفة مميزة للضرب الثاني من الاستعارة الذي سماه القزويني الاستعارة بالكناية ايضاً وحدةً قالوا : « قد يضمّر التشبيه في النفس ، فلا يصرح بشيء من أركانه سوى اللفظ المشبه ، ويدل عليه (١) بأن يثبت للمشيئة أمر مختص بالمشبه به ، من غير أن يكون هناك أمر ثابت حساً أو عقلاً أجري عليه اسم ذلك الأمر ليسي التشبيه استعارة بالكناية ، أو مكتبةً عنها ، وثابت ذلك الأمر للمشبه استعارة تخيلية والعلم في ذلك قول لبيد :

وغداة ريسر قد كَشَفَتْ وقرّةٌ إذا أصبحت بيد الشمال زمامها (٢)

قائه جعل للشمال بدأ ، ومعلوم أنه ليس هناك أمر ثابت حساً أو عقلاً يجري اليد عليه ، كاجراء الأسد على الرجل الشجاع ، ولكن لما شبه الشمال - لتصرفها القرّة على حكم طبيعتها في التصريف - بالإنسان المصروف لما زمامه يده ، أتت لما بدأ على سبيل التخييل ، مبالغة في تشبيهها به ، وحكم الزمام في استعارته للقرّة - حكم اليد في استعارتها للشمال ، فجعل للقرّة زماماً ، ليكون أتمّ في أياها مصرفةً ، كما جعل للشمال بدأ ، ليكون أبلغ في تصيرها مصرفةً لوقى المبالغة حثها من الطرفين (٣) :

(١) عليه: أي على التشبيه الأمر في النفس .

(٢) كَشَفَتْ: هزمت وأزلت وأعلنت عليها .

قرّة: فر: برد. الشمال: الريح الهابطة من جهة الشمال. وهي أبرد الرياح.
زمامها: قيادتها .

(٣) الإيضاح ص ٣٠٩ .

لازم الاستعارة المكتبة :

لقد اعتمد القاصرون حدّ القزويني ذلك للاستعارة المكتبة وتحليله لشواهد ،
فاستخلصوا تعريفاً لوائمه حذف طرف التشبه به من التشبيه مؤكداً أن الاستعارة
المكتبة أو بالكناية : « هي التي انضمت إليها لفظ التشبه به واكتفى بذكر شيء
من لوائمه دليلاً عليه » (١) :

ومن هنا فإن استكمال صورة الاستعارة المكتبة لدى القزويني ألزمه بتتبع
لازم التشبه به المحذوف وعلاقة هذا اللازم بعملية التشبيه فقال : « واعلم أن الأمر
المخصص بالتشبه به الثابت للتشبه ، منه مالا يكمل وجه التشبه في التشبه به بدونه ،
كما في قول أبي نؤيب الهذلي :

إذا المنية أنشيت أنفاسها أنبت كل نبتة لا تنضج (٢)
فإنه شبه المنية بالسبح ، في اغتيال النفوس بالقهر والغلبة ، من غير تفرقة بين
السبح وخرر ، ولا رقة لرحوم ، ولا بيا على ذي فضيلة ، فأثبت للمنية الاظفار
التي لا يكمل ذلك في السبح بدونها ، تحفيظاً للمبالغة في التشبيه .

ومنه ما به يكون قوام وجه التشبه في التشبه به ، كما في قول الآخر :
ولئن نطقت بشكر برك مُنصيحاً فسان حالي بالشكاة أنطق
فإنه شبه الحال الدالة على القصور بانسان متكلم في الدلالة ، فأثبت لها اللسان
الذي به قوام الدلالة في الانسان (٣) :

إن ما جعله القزويني استعارة تحليلية ينبغي أن يرتبط بالاستعارة المكتبة وبأبي
معها ويبرز في سياقها ، ذلك لأنه يكمل وجه التشبه في التشبه به ويتصب قواماً له
في كيانها ، وهو يرتبط من خلاله بالتشبه :

(١) غرور بلاغية ص ١٣٣ .

(٢) التنبية : الخزرة وشبهها يستعملون بها الأوقات ويصعدون بها من ثمر السنين .

(٣) الايضاح ص ٣١ .

السكاكي والاستعارة التخيلية :

إن هذه النتيجة منطقية مادامت الاستعارة المكنية هي أحد طرفي التشبيه الضمر
يبد أن السكاكي نظر إلى الاستعارة التخيلية نظرة أخرى ولسرها وبما اتصل في
صورة وهمية عضفة قدّرت مشابهة لصورة محفلة هي معناه كلفظ الاطلاق في
قول الهلالي ، فإنه لما شبه النية بالسبح في الاعتبال على ما تقدم ، أخذ الوهم في
تصويرها بصورته ، واختراع مثل ما يلائم صورته ويتم به شكله لها ، من الهبات
والخوارج ، وهل الخصوص ما يكون لتمام اغتياله للخصوص به ، فافتتح للنية
صورة مشابهة لصورة الاطلاق المحفلة ، فأطلق عليها اسمها (١) .

خيلة الاستعارة التخيلية :

ودّ القزويني حل تفسير السكاكي هذا بوجه عقلي ومنطقي أتت معظم
الباحثين المعاصرين برأيه ، ولكننا نستند إلى ما عقد عليه رأي جمهور البلاغيين
من أن الاستعارة المكنية والاستعارة التصريحية كليهما تشبه مختصر ، ونستذكر
ما يتبادر من أن الاستعارة التخيلية سند هؤلاء الجمهوري لازم المشبه به
المحلوف من التشبه الذي هو أساس الاستعارة المكنية فنقرر مطمئن أن الاستعارة
التخيلية ليس لها كيان مستقل وأنها قريبة الاستعارة المكنية (٢) .

وعليه فلا داعي في رأينا من إقامة الاستعارة التخيلية فترتّباً ثالثاً نصيغ إلى
ضربي الاستعارة : التصريحية والمكنية ونفرّع ونصنح الأقسام بلا أسس من
حقيقة التوابع الأدبية والقرن التعبيرية .

غرض الاستعارة المكنية :

إن التعموس التي جرت بالاستعارة المكنية قد اعتمدتها أداة نية لتحقّق
أحد غرضين حسب طبيعة المشبه به المحلوف ولازمه التيّ للمشبه :

(١) الأضاح ٣١٣ .

(٢) راجع فنون بلاغية ص ١٣٨ .

الأول هذين الفرضين هو تجسيد الأمور المعنوية وإبرازها للحس في كيان مادي ملموس من ذلك قوله تعالى في تجسيد ذلك الولد لوالديه : « وَاتَّخِضْ لَهَا جَنَاحَ الذَّكْوٰنِ مِنَ الرِّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا » (١) .

فالذَّكْوٰنِ في هذه الآية الكريمة يتجسد في هيئة ماله جناح خفيف ويرزق لعيان في أضخم صورة ارتضاء الله تعالى للولد تعبيراً للطاعة والبر .

ومنه قول الامام علي (رضي) في كتابه إلى ابن عباس وهو عامله على البصرة في بعض كلامه : « أَرْغَبُ وَأَغْنَبُهُمْ وَأَحْلَى عَقْدِ الْخَوْفِ عَنْهُمْ » (٢) .

فالخوف في هذه الرسالة استعارة مكنية ، اذ شبهت بما يتعد من المواد وينفذ حول الاعناق ثم حذف هذا التشبه به ورمز اليه بكلمة العقد التي هي من لوازمه وثبتت هذه العقد إلى الخوف فتجسد في هيئة قيد يغل الاعناق والأيدي ويمنع الناس عن الحركة ، واذاً فلا بد أن تحل هذه العقد ليعود أولئك الناس إلى التجاوب والعمل ؟

والثاني الفرضين : هو تشخيص الجسادات وبث الحياة فيها ومنحها الحركة بشئ مظاهرها ، من ذلك قول أشجع :

وجارية لم تشرق الشمس نظرةً اليها ولم يتعبتْ بأيامها الدهرُ
فالشمس التي هي من الجسادات تشخص في حركات من له نظر ، ومع ذلك فهي لم تستطع أن ترى تلك الجارية وتكحل عينها بجمالها .

(١) الاسراء ٢٤ .

(٢) البقيع ص ٤٠ .

الاستعارة المرشحة والمجردة والمطلقة

أولع البلاغيون الشاعرون (١) بتقسيمات الاستعارة وتفرع أنواعها ، فتصنيفها في خارج لو كانها الأربعة التي هي المستعار منه والمستعار له والمقارنة ، ووفقوا بها مع الملاحظات التي تذكر للمستعار منه أو للمستعار له أو لكليهما أو يجعل ذكره قسموها في ضده أحد هذه الاعتبارات إلى ثلاثة أصرب :

أولها الاستعارة المرشحة :

إن الترشيح لغةً يعني التعقيب والتفوية ، واصطلاحاً هو أن يقرن اللفظ المستعار بعلامت المستعار منه بأي التشبه به ، كما قرره تعالى : « وأولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم » (٢) : فكلمة « اشتروا » استعارة بقرينة الضلالة إذ إن الضلالة ليست مما يباع ويشترى : والمستعار له هو الاستبدال والاختيار ، ثم وضحنا هذه الاستعارة وتوقيتها بذكر ما يلائم المستعار منه من الريح والتجارة ، لأنها : الاستعارة المجردة :

المجردة لغةً اسم مفعول من الفعل جرد بمعنى قشر ونزع وسلب (٣) ، واصطلاحاً هو أن يقرن اللفظ المستعار بوصف المستعار له أي التشبه وملائمته وذلك لتجريدته عن بعض البالغة ، وسلبه ما يجعل التشبه به متحدداً مع التشبه كما هو أساس الاستعارة المرشحة والمطلقة : من ذلك قول كثير :

خَسِرْتُ الرِّدَاءَ : إِذَا لَبَسْتُ ضَاحِكاً فَخَلَقْتُ لَضَحِكِكَ رِقَابُ الْإِثَالِ (٤)
 قرنته استعارة الرداء المعروف ، لأنه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء ما يلقى عليه ،

- (١) واسع الإيضاح ص ٢٠٠ .
- (٢) البقرة ١٦ .
- (٣) القاسم من المحيط (جرد) .
- (٤) لشر: كثير ، أو واسع ، الرداء : المعطاء التشبه بالرداء في صون العرض وسر العيوب خلقت : انقل ملكها إلى أيدي السائلين ، كما ينتقل ملك الرحمن إلى المرثمين إذا نقل ، أي حيز صاحبه من الضحكة .

ورصفه بالغمز الذي هو وصف المعروف لا الرداء ، فنظر الى المستعار له :
 وعليه قوله تعالى : «فأذاقها الله لباس الجوع والخوف» (١) حيث قال :
 «أذاقها» ولم يقل «كسماها» فإن المراد بالإذاعة اصحابهم بما استعير له لباس : كأنه
 قال : فأصابها الله بلباس الجوع والخوف (٢) :

الثالث : الاستعارة المطلقة :

والمطلقة لغة اسم مفعول من الفعل أطلق بمعنى ارسل ولم يقيد : واصطلاحاً صفة
 للاستعارة التي لم تتنوع بما يلائم المستعار منه أو بما يلائم المستعار له ، كقوله تعالى :
 «قال رب إني وإنَّ العظمُ مني واشتعل الرأسُ شيباً» (٣) فلفظ اشتعل مستعار
 والمستعار له الشيب الذي شبهه بشرائط النار في بياضه والقارته وانتشاره في الشعر
 ونشوة فيه واخذه منه كل مأخذ باشتعال النار (٤) . وكلمة الشيب قرينة الاستعارة
 «اشتعل» واذ لم يذكر في الآية ما يلائم المستعار منه الذي هو الاشتعال وملائم
 المستعار له الذي هو انتشار الشيب عسى ذلك التحولان هذه الاستعارة مطلقة :
 وإذا ذكر ملائم المستعار منه وملائم المستعار له معا ، فإن تلك الاستعارة تعد
 مطلقة اليها كقول زهير بن أبي سلمى :

لدى أسدٍ شاكِي السلاحِ مقلِّبٍ له ليدٌ أظفاره لم تُسَلِّحْ
 فكما مر بنا استعار الشاعر لفظه الأسد للرجل الشجاع وقد ذكر ما يلائم المستعار له
 في قوله «شاكِي السلاحِ مقلِّبٍ» فجرده ثم ذكر ما يناسب المستعار منه في قوله
 «له ليدٌ أظفاره لم تُسَلِّحْ» فرسحه ، واجتماع التجريد والترشيح يؤدي الى تعارضهما
 وتناقضهما فكان الاستعارة لم تتنوع بشيء ، وتكون في صورة المطلقة وربتها من
 قوة البالغة .

(١) التيسل ١١٢ .

(٢) الأيضاح ص ٣٠١ .

(٣) مرسم ٤ .

(٤) الكشف ج ٣ ص ١ .

البحث الخامس الاستعارة التمثيلية

يتخذ مبحث الاستعارة التمثيلية مفومات موضوعية بالوازنة مع الاستعارة المفردة التي تقع في غير الصورة المركبة من متعدد والمتزعة من أمور في هيئة ، وقد تعددت في كتب البلاغة المصطلحات الدالة عليه ، فذكر منها الغزوي (١) « المجاز المركب » والتمثيل على سبيل الاستعارة والتمثيل مطلقاً ونص^٢ على أنه متى نشأ استعماله كذلك سمي مثلاً .

تعريفها :

حد الاستعارة عند القدماء والمعاصرين (٢) هو اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه ، أي تشبيه إحدى صورتين متزعتين من أمرين أو أمور بالأخرى ، ثم تدخل المشبهة في جنس المشبه بها ، مبالغة في التشبيه ، فذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه : كقوله تعالى : « والارضُ جميعاً قَبِيضَةٌ يومَ القيامةِ » (٣) « اذ المعنى - والله اعلم - أن مثل الارض في تصرفها تحت أمر الله تعالى وتقدرته مثل الشيء يكون في قبضة الآخذ له متاً ، والجامع يده عليه » (٤) .

ففي بيان معنى تلك الآية الكريمة شبهت صورة ثم حطفت صورة المشبه وأداة التشبيه وبقيت صورة المشبه به على سبيل الاستعارة التمثيلية وكقول الرسول الكريم رواية عن أبي هريرة : « إنا أهدكم إذا تصدق بالشرعة من الطيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - جعل الله ذلك في كفه ، فيرتبها كما يربي أهدكم ظلوه ، حتى يبلغ بالمرءة مثل أحد » (٥) .

(١) رابع الايضاح ص ٣٠١ .

(٢) الايضاح ص ٣٠١ ، فون بلاغة ص ١٤٣ .

(٣) الزمر ٦٧ .

(٤) الايضاح ص ٣٠٥ .

(٥) ظله : بهمه على وزن ظله أو بهمه أو بهمه .

والمعنى في اللذين على التزاع الشبه من المجموع : (١)

عضان الاستعارة التمثيلية :

ان الاستعارة التمثيلية كثيرة الجريان في الامثال نحو: « الصيف ضيقت اللبن »
يضرب لمن فرط في تحصيل أمر في زمن يمكنه الحصول عليه فيه ، ثم طلبه في
زمن لا يمكنه الحصول عليه فيه .

وكما يقال لمن يعمل في غير مهله : « أراك تنفخ في غير قفم » وتخطأ على الماء »
والمعنى : انك في فعلك كمن يفعل ذلك ، وكما يقال لمن يعمل الخيلة حتى يميل
صاحبه الى ما كان يتنعم منه بما زال بفشل منه في القدرة والغارب حتى يبلغ منه
ما أراد . والمعنى أنه لم يزل يرفق بصاحبه وفقاً يشبه حاله فيه حال من ينجي الى
البحر الصعب ، فيحكته ، ويفشل الشعر في فروته وغاربه حتى يسكن ويستأنس (٢) :
وفي قول الشاعر :

منى يلبغ البنيان يوماً تمامه اذا كئنت لبنيه وغررك بهتهم
استعارة تمثيلية ايضاً اذ شبهت حال المصلح بجهده نفسه في الاصلاح ثم يأتي غيره
فيطلب ثمار جهده بحال البنيان ينهض به حتى اذا اوشك أن يتم جاء من يهدمه ،
وروجه الشبه بين هاتين الحالتين هو الحالة الحاصلة من عدم الوصول الى الغاية لوجود
ما يقصد على المصلح جهوده الاصلاحية ثم حلف المشبه واستمير التركيب للدال على
الشبه به للمشبه وذلك على سبيل الاستعارة التمثيلية :

(١) الايضاح ص ٣٠٧ .

(٢) راجع الايضاح ص ٣٠٥ .

المبحث السادس بلاغة الاستعارة وسمّ جمالها

تحدث السلف من البلاغيين والباحثون. المعاصرون عن بلاغة الاستعارة وسمّ جمالها ، وحديث القوم في هذا الجانب القندي البلاغي من جوانب موضوع الاستعارة ربما يأتي عاما مطلقا مادام منهجوه يستقبلون الاستعارة أداة فنية للتصوير ويلصقونها لغة بمنحة للتخييل .

مدار بلاغة الاستعارة وجمالها .

ويتخذ هذا الاطلاق ويخصص ذلك العموم لدى بعض البلاغيين والنقاد القنداسي في موضوعين :

اولهما : تقسيم الاستعارة باختيار الجامع بين المستعار منه والمستعار له الى نسبين هما : الاستعارة العامة والاستعارة الخاصة ، فالعامة المبتذلة لظهور السامع فيها ، كقولك : رأيتُ أسداً ، ووردتُ بحراً. والخاصية الغريبة التي لا يظفر بها إلا من ارتفع عن طبقة العامة كقول طليل الغنوي :

وجعلت ككُوري فوق ناصيةٍ بفتاتٍ شحْمٍ ستامِها الرِحلُ (١)
وموضع اللطف والغرابة من أتم استعار الاقنيات لأذهاب الرِحل شحم السنام ، مع ان الشحم مما يفتات (٢) :

وعلى اساس هذا التقسيم فإن الاستعارة العامة التي يلدو فيها وجه الشبه من الطالب حتى يلمسه في أحاديثه اليومية وعباراته العابرة لا يمكن أن تكون بلغة مقرة وأن البلاغة وسمار الجمال تكمن في الاستعارة التي يصعد وجه الشبه على أجنحتها في مرالي التخيل ويبعد عن المألوف المبتذل .

(١) الكور: الرِحل، الناصية: لسان السرعة تنجو براكبها.

(٢) راجع الايضاح ص ٢٩٢.

والثانيهما : ترسيخ الأسس الفنية من الذوق السليم والحس اللغوي الرفيع والاستعمال
شعري الأصيل ، وهذا الموضوع ربما يبدو معاكساً في نتائج وأهدافه للموضوع الأول
ذلك لأن الذين كتبوا فيه لم يروا الاستعارة المتعلقة بلا قيود وبلا حدود بليغة ،
أسس الاستعارة البليغة الجميلة :

والحقيقة ان تقوم هذه الأسس في تحديد الاجراء التي تحلقت فيها الاستعارة
مسألة تاريخية ترجع بملورها الى حركة شعر المولدين والمحدثين التي انثرت صورا
بيانية واساليب تعبيرية خرجت على عمود الشعر العربي فتحزب زمامها علماء اللغة
والفناء والبلاغيون فريقين ، فريق يناصرها وبشدة من أزر متبليها وفرض يندد
بها ويتنصص من ملكات مبتدعيها . وفيما يتعلق الامر من هذه المسألة ببلغة الاستعارة
وسر جمالها تصدئ الأمدي لاستعارات أبي تمام للفرطة في الانطلاق والاعراب
تأسس بتصديه الأسس الذوقية واللغوية والعرفية للاستعارة البليغة الجميلة :

ومن صور تصديه هذا أنه أورد قول أبي تمام :

لم تُسَقِّ بعد الموى ماءً أقلّ لقدى من ماءٍ قافيةٍ يشبُّكهُ لَهيمٌ
ثم علق عليه قائلا : « فجعل للقافية ماء على الاستعارة فهو أرواد الروثي تصلح
ولكنه قال : « يشبُّكهُ » قصد معنى الروثي ، لأنك اذا قلت : « هذا ثوب ماء »
أو « لفظ له ماء » لم تجعل الماء مشروبا على الاستعارة فتقول : « ما شربت ماء أعذب
من ماء ثوب شربته عند فلان » و « رأيت على فلان » و « كللك لا تقول : « ما شربت
ماء أعذب من ماء لقا نيك » أو « أعذب من نصيدة كذا » ، لأن الاستعارة حدّا
تصلح فيه فإذا جاوزته فسدت وقبحت » (1) :

ففي هذا النص يرى الأمدي حدّا للاستعارة التي تصلح ذوقاً ولا تصد لغة

وعرفنا :

(1) الموازنة ج ١ ص ٢٥٩ .

سر بلاغة الاستعارة وجمالها :

كتبه
الشيخ
المراد
بن
الشيخ
المراد

ولعل عيد القاهر هو البلاغي القديم الذي تمكن أن يرسم لبلاغة الاستعارة وجمالها مضمارها الخفي بالتماس هذا المجال وتلك البلاغة في النظم الذي يجمع الاستعارة بناءً عاماً متكاملًا مع سائر الألفاظ التي وردت في تركيبها فلهذا أشار إلى ضرورة الاستعارة العملي المبتذل والخاصي النادر وأكد على أن القريب الثاني لا يوجد إلا في كلام النحول ، ولا يترى عليه إلا أفراد الرجال كقول الشاعر :

أعلمنا بأطراف الأحقاد هيبت بيننا ومالت باصتاق للظني الأباطح
أراد أنها سارت سيراً حثيثاً في غابة السرعة ، وكانت سرعة في لين وسلامة كأنها كانت سيولا وقعت في تلك الأباطح فجرت بها ، ومثل هذه الاستعارة في الحسن واللفظ وعلو الطبقة في هذه اللفظة يعينها قول الآخر :

مالت عليه شيعاب الحمي حين دعا أنصاره بوجوه كالدنانير
أراد أنه مطاع في الحمي ، وأنهم يسرعون إلى نصرته ، وأنه لا يدعهم لحرب أو نزال خطب ، إلا أتوه وكثروا عليه ، ولزدهموا حوالبه ، حتى تجدهم كالسيول تجري من ههنا وههنا ، وتنصب من هذا وذلك حتى يفيض بها الوادي ويطلق منها ، ومن يدعج الاستعارة ونادرها - إلا أن جهة الغرابة فيه غير جيتها في هذا قول يزيد بن مسلمة بن عبد الملك يصف فرسانه ، وأنه مؤدب ، وأنه إذا نزل عنه والتي عتاته في فريروس سرجه وقف مكانه إلى أن يعود إليه :

صودته فيما أوزر حيايبي إعماله ، وكذلك كل مخاطر
وإذا احتبى قريوسه بيعينانه عكك الشكيم إلى انصراف الزائر
فالغرابة ههنا في الشبه نفسه ، وفي أن استدرك أن هيئة العنان في موقفه من

قربوس السرج ، كالمقينة في موقع الثوب من ركني المحتي (١) ، وليست الغرابة في قوله : « وضالت بأعناق المظي الأباطح » على هذه الجملة ، وذلك انه لم يفرغ لان جعل المظي في سرعة سيرها وسهولته كأنه يجري في الأبطح ، فان هذا شبه معروف ظاهر ، ولكن الدقة واللفظ في خصوصية أقدامها بأن جعل « سال » فعلا للأباطح ثم عداه بالباء ، ثم بأن ادخل الاعناق في البيت فقال « بأعناق المظي » ولم يقل بالمظي ، ولو قال : « سالت المظي في الأباطح » لم يكن شيا :

وكذلك الغرابة في البيت الآخر ، ليست في مطلق معنى سال ، ولكن في تعديته على والباء ، وبأن جملة فعلا لقوله وشعاب الحني ، ولولا هذه الامور كلها لم يكن هذا الحسن (٢) :

ففي هذا النص يتجلى لنا في ضوء منهج تحليلي الموازن أن الاستعارة لن تكون بليغة جميلة بذاتها ويلفظها المراد وأن ما بعد منها عاميا مبتذلا اذا ما تناولها الشاعر الفنان في نظم دقيق وبناء رصين استوى شاميا نادرا

وعلى هذا الاساس فانه رأى أن اللفظ المستعار بعينه يبدو بليغا آتلا بمجموع القلوب في بيت من الابيات ثم يظهر قبيحا سمجا بنوعه الذوق في بيت آخر ، وفي بيتنا أن ما ذهب اليه عبد القاهر في تقويم بلاغة الاستعارة وبيان سر جمالها يمثل دعوة نقدية اساسها النظر الشامل في النص الأدبي وتلمس وشائج اللفظ المستعار الممتدة في نفس مبدعها والمتناخلة مع الالفاظ المتكاثرة في سياقها لرسم الصورة بالخطوط والالوان والاشكال والحجوم :

شروط حسن الاستعارة :

ان اللوح لبلاغة العربية لا يكاد يلعب صدى هذه الدعوة العلمية الفنية بشكل واضح فيمن جاء بعد عبد القاهر من البلاغيين بل ان بعض هؤلاء البلاغيين من امثال

(١) التشبيه هنا واقع بين مغرمين باختيار ما لمسته كل منهما من الهيئة لا أنه واقع بين هيتين وفي احسنه استعارة تبعية من اطلاق الاحياء على لقاء العنان .

(٢) دلائل الاعجاز ص ٥٩ - ٦٠ .

السكاكي ومن تبع خطاه قد حولوا دراسة بلاغة الاستعارة وسر جمالها الى وصايا
وإصالح مقننة في قواعد .

فقد تصدى السكاكي نفسه لهذه المسألة اللغوية الفنية بقوله : « فاعلم ان الاستعارة
لها شروط في الحسن ان صادقتها حسنت والآ عرّيت عن الحسن ، وربما اكتسبت
قبحا وتلك الشروط رعاية جهات حسن التشبيه :: بين المستعار له والمستعار منه في
الاستعارة بالتصريح الحقيقية والاستعارة بالكناية وأن لا تشمها في كلامك من
جانب اللفظ راحة من تشبيه ولذلك نوصي في الاستعارة بالتصريح أن يكون
التشبه بين المستعار له والمستعار منه جليا بنفسه أو معروفا سائرا بين الاقوام والأ
خرجت الاستعارة عن كونها استعارة ودخلت في باب التعمية والالغاز كما اذا
قلت : « رأيت حوراً سفيا أوان الفرسه وأردت انسانا مؤدبا في صباه أوقت : « رأيت
ابلا مائة لا تجد فيها راحته وأردت الناس ، ولما حسن الاستعارة التخيلية فيحسب
حسن الاستعارة بالكناية متى كانت تابعة لما كما في قولك فلان بين أنياب النية
ومخالبها ثم اذا انضم اليها المشاكلة كما في قوله عز اسمه : « يدُ اللغوف أيديهم (١) »
كانت الحسن وأحسن وقلما تحسن الحسن البليغ غير تابعة لما ولذلك استهجت
في قول الطائي :

لأنسفتي ماءً السلام فأنسي صبأ : قد استعلبتُ ماءً يكاني (٢)
المظاهر الحقيقية لبلاغة الاستعارة وجمالها :

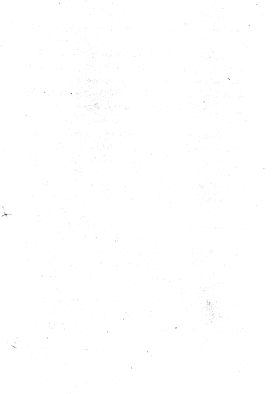
ولمنا نلاحظ هنا ان قواعد بيان حسن الاستعارة بالأضافة إلى ما تقدمنا نفضل
نفسية الأبداع في صياغة الاستعارة وتهمل دور الخيال في اتخاذها وسيلة للتعبير
بالتصوير والتأثير بشحناتها النفسية وومضاتها الحية والفكرية التابعة عن التجربة
الصادقة .

والاستعارة (٣) بعد ذلك تفيد شرح المعنى وتفضل في النفس مالا تفعل الحقيقة ،
وتفيد تأكيد المعنى والمبالغة فيه والأيجاز وتحسين المعنى وإبرازه ، ثم هي إلى
جانب ذلك كله طريق للتوليد والتجديد ، لأنها تكشف عن صور جديدة ومعان
بدیعة .

(١) الفصح ١٠ .

(٢) مفتاح العلوم ص ١٨٣ .

(٣) راجع فنون بلاغية ص ١٦٠ .



المجلد الرابع

الفصل الخامس

الكتابة والتعريف

المبحث الأول

الكتابة وأنواعها

الكتابة لغة :

الكتابة : هي مصدر وفعلة ثلاثي جاءت لانه باء وواو ، قيل كنى يكنى
 وكما يكنو : وذكر ابن منظور في كنى (١) ثلاثة اوجه :
 احدها : أن يكنى عن الشيء الذي يستحسن ذكره .
 والثاني : أن يكنى الرجل باسم توفيراً وتعظيماً :
 والثالث : أن تقوم الكتابة مقام الاسم فيعرف بها :
 وتلحق هذه الواجه الثلاثة في مادة كنى معنى لغويًا وليس هو أن لا يصر عن
 الشيء بظاهر ما وضع له من تعابير : وقد ادرك العلماء الاسلاف (٢) مصدر هذه
 الذي هو الكتابة في مؤلفاتهم بمفردات متفرقة :
 الكتابة اصطلاحاً :

واعلم ابن المعتز أول من عقد لهذا الفن عنوان «التعريف والكتابة» (٣) في الكتب
 البلاغية المتخصصة وساق له شواهد من الشرواح الشعر :ومما يلاحظ على عمله هذا
 انه لم يعرف الكتابة ، ولم يفرق بينهما وبين التعريف كما انه لم يوجه شواهدهما
 ولم يجرها على حد مفرد ، وانما ساقها سوفاً بلا شرح وتبيين : ويسود أن الكتابة
 بقيت على هذه الحال حتى العهود القرون الرابع للهجرة وظلت وجوه
 معانيها اللغوية الثلاثة تحكم خلطاً به ونبرز هذه الحقيقة
 في دراسة البرد لشواهد الكتابة ومنتها واحوال الفقهاء في النصوص القرآنية

(١) راجع لسان العرب (كنى) .

(٢) راجع فنون بلاغية ص ١٦١ .

(٣) راجع البدع ص ٦١ .

التي أوكدها على غير ظواهر معانيها ، وإن كان له فضل في ذلك على ابن المعتز البلاغي ، ذلك لأنه لم يتوك مؤاضع الاستشهاد بلا تبين وشرح بل حللتها ووجهت معانيها حسب المراد منها فقد أورد قوله تعالى في المسح وانه مريم : « كانا يأكلان الطعام » (١) : لم شرح الكتابة في هذه الآية قائلا : « كتابة باجماع عن قضاء الحاجة ، لان كل من أكل الطعام في الدنيا أنهي ، يقال : نجا وأنهى اذا قام لحاجة الإنسان » (٢) . وربما ينتمس العلل للمبرد في ذلك بما عرف عنه من اشتغاله بالدراسات اللغوية والنحوية ، ولكن هذا العذر لا يشمل لابي حلال العسكري الذي تجرد في كتابه الصناعتين لمباحث بلاغية ونقدية صرفة . فقد غلط بين الكتابة والتعريف كما فعل ابن المعتز وأدار مصطلح الاراداف مدار الكتابة ، واعتمد مصطلح المماثلة في شرح ما هو من الكتابة قائلا : وهي «أن يريد للتكلم العبارة عن معنى فبأنه بلفظة تكون موضوعة لمعنى آخر ، إلا أنه ينبغي اذا أوردته عن المعنى الذي أراده كقولهم : «فلان نقي الثوب» يريدون أنه لا عيب فيه : وليس موضوع نقاء الثوب البراءة من العيوب وإنما استعمل فيه تشبيهاً» (٣) .

تعبير «فلان نقي الثوب» كتابة عن النسبة ويحل على معنى لازم له هو البراءة من العيوب ، ولكن أبا حلال - كما يظهر - من ذلك كله لم يكن على هيئة من مدلول مصطلح الكتابة كما لم تستقر لديه مدلولات اصطلاح للتعريف والاراداف والمماثلة .

وقد كان هذا شأن ابن رشيق القيرواني ايضا ، ذلك لأنه قد ادخل الكتابة في باب الاشارة وعدد من التواعها : الوحي والتفخيم والاياء ، والتعريف ، والتلويح ، والتشليل ، والرمز ، والتلخر ، واللحن ، والحاجة ، والتعبية ، والحذف ، والتورية (٤) وسواها مما استوى بعضها أنواعاً من الكتابات واستقل بعضها الآخر عن علم البيان والتفسير تحت موضوعات من علم البديع كما سنرى .

(١) ابياتة ٧٥ .

(٢) الكامل ج ٢ ص ١٣١ .

(٣) كتاب الصناعتين ص ٣٥٣ .

(٤) راجع المجلد ج ١ ص ٢٧١ .

تعريف الكتابة :

انخذت الكتابة ظاهرها المميز ومدلولها الاصطلاحي العلمي وترسخت شواهدنا على يدي عبدالقاهر الذي عرفها بقوله : « الكتابة أن يريد التكلم البات معنى من المعاني فلا يذكره بالنفخ الموضوع له في اللغة ولكن يبيح إلى معنى هو تاليه ويردده في الوجود فيومي به اليه ويحمله دليلا عليه .

مثال ذلك قولهم : « هو طويل النجاد » يريدون طويل القامة ، « وكثير رماة القدر » يعنون كثير القري ، وفي المرأة « تزوم الضحى » والمراد : انها متوقفة مخلومة ، لما من يكفيها امرها . فقد ارادوا في هذا كنه - كما ترى - معنى ، ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به ، ولكنهم توصلوا اليه بذكر معنى آخر ، من شأنه أن يردده في الوجود وان يكون إذا كان : أملا ترى أن القامة إذا طالت طالت النجاد ؟ وإذا كثرت قري كثرت رماة القدر ؟ وإذا كانت المرأة متوقفة لما من يكفيها امرها ردها ذلك أن تمام إلى الضحى (١) .

ويعد عبدالقاهر عاش معظم البلاغيين على ما كتبه عن الكتابة مستعينين بتعريفه اياها ومكررين شواهد. ومن بين هؤلاء البلاغيين يبرز السكاكي (٢) منظرأ تعريف الكتابة ضمن مبحث دلالات الالفاظ ، كما يأتي القزويني ليجسد ذلك التعريف في قوله المنطقي قائلا : « الكتابة : لفظ أريد به لازم معناه مع جواز ارادة معناه حيث (٣) .

الفرق بين الكتابة والمجاز :

وفي ضوء هذا التعريف فرّق ما بين الكتابة والمجاز بقوله : « الفرق بينها وبين المجاز من هذا الوجه ، أي من جهة ارادة المعنى مع ارادة لازمه ، فان للمجازينافي ذلك فلا يصح في نحو قولك : « في الحمام أسد » أن تريد معنى الأسد من غير تلوك ، لأن للمجاز ملزوم قرينة معاندة لارادة الحقيقية ، وملزوم معاندة الشيء بمعاندة ذلك الشيء .

(١) دلائل الايجاز ص ٥٢ .

(٢) راجع مفتاح العلوم ص ١٨٩ .

(٣) الايضاح ص ٣١٨ .

وفرق السكاكي وغيره بينهما بوجه آخر أيضاً ، وهو أن معنى الكتابة على الانتقال
من اللازم إلى اللازم ، ومعنى المجاز على الانتقال من اللازم إلى اللازم .

وفيه نظر ، لأن اللازم مالم يكن مقزوماً يتبع أن يتقل منه إلى اللازم ، فيكون
الانتقال حيثل من اللازم إلى اللازم .

ولو قيل : لزوم من الطرفين من الكتابة دون المجاز أو شرط لها صونه ، انداع
هذا الاضراءس ، لكن الوجه مع الاختصاص والاشراط(١) :

ان هذه الأوجه من التفرقة بين الكتابة والمجاز في أصلها وودها لا تستوي خصوصاً
فأصلة في ضوء الفوائد ، وذلك لأن الكتابة والمجاز في جوهرها من أساليب البيان
وعليه فلا يمكن أن تدل الكتابة مطلقاً على ظاهر معناه ولا يمكن أن تكون كذلك
دائماً والأولى بأنها تفقد تيمنها الفنية وتفسخ ميزتها اللفظية وتصبح لفظاً ظاهراً للمنى
حقلياً المألوف .

ومن هنا فان محمولات تولدك البلاغين بهذا الصدد سميت إلى أمكاه تعريف
الكتابة واقامته حداً جليلاً صالحاً لها .

أركان الكتابة :

تألف الكتابة في بنائها التعبيري من ثلاثة أركان :

أولها : الكنى به ، وهو دلالة اللفظ الظاهرة التي تنوم دليلاً على مراد التكلم .
والثاني : الكنى عنه ، وهو المعنى اللازم للمكنى به الذي يرمى إليه الساطن
بالكتابة .

والثالث : القرينة العقلية التي يفرزها سياق الكلام لترشد إلى الكنى عنه وتنبع
لإدانة المعنى الكنى به .

(١) الإيضاح ص ٢١٩ .

المصاحف الكتابة :

قسم البلاغيون لكتابة أنواعاً متعددة تستطيع أن تثيرها على مجرعتين :
لولاها : مجموعة أنواع الكتابة على أساس طبيعة المكتنى عنه وتشتمل على ثلاثة
أنواع هي الكتابة عن الصفة والكتابة عن الموصوف والكتابة عن النسبة .

ولتاثيرهما : مجموعة أنواع الكتابة في ضوء السياق والوسائل التي نوصلنا إلى
المكتنى عنه ، وبرزها أربعة أنواع ، هي التعريض والتلويح والرمز والاشارة .

الواع الكتابة :

المس البلاغيون المتأخرون (١) الواع الكتابة وفق المكتنى عنه ، وفي ضوء
ماهية وطبيعته فقسموها على ثلاثة أنواع متميزة :

اولها : لكتابة عن الموصوف : وهو المراد به غير صفة ولا نسبة ، شتمها بلير
معنى واحد كقولنا : « المصيف » كناية عن زيد ، ومنه قوله كناية عن القلب :

الضاروبين بكلل أبيض عظيم والطاعنين بملح الاستعداد (٢)
وتحده قول البحرني في قصيدته التي يذكر فيها لفظ القلب :

فأزبعتُها أخرى ، فأضللتُ نصلها بحيث يكون الب والرحب والحيد (٣)
فقوله : « بحيث يكون الب ، والرحب ، والحيد » ثلاث كليات لا كناية واحدة ،

لاستقلال كل واحد منها بالمادة المقصود .

ومنها ما هو مجموع معاني : كقولنا كناية عن الانسان : « حي سحري قلقة
عريض الاظفار » . وشرط كل واحدة منهما أن تكون مختصة بالمكتنى عنه لاكتفاءه ،
ليحصل الانتقال منها إليه (٤) .

(١) راجع ملحق العلوم ص ١٩٠ ، والايضاح ص ٢١٩ .

(٢) أبيض : سواد أبيض . عظيم : قاطع . الاستعداد : الاحتماد .

(٣) أضللت : دفقت وغيت . النصل : حديدة الرمح والقضوي . بالسطح : ضمير تصريح .

الب : العطل الذي .

(٤) راجع الايضاح ص ٢١٩ .

وللاحظ أن ما كتبي عنه في هذه الشواهد : زيد والقلب والألسان ، وكل واحد منها موصوف يمكن نعت . وعليه قوله تعالى كتابه عن النساء : « أَرَمْنَ يَنْشَأَ فِي الْحَيَاةِ وَهُوَ فِي الْخِيَامِ غَيْرُ مَبِينٍ » (١) .

لأنها : الكتابة عن الصفة : والمراد الصفة المعنوية ، كالجود ، والكرم ، والشجاعة ، وأمثالها ، لا النعت كقوله تعالى : « وَلَا تَجْعَلْ بِتَدَاكِ مَقُولَةً إِلَى عَسْكَكَ » ولا تَبْسُطُهَا كُلَّ السَّطْرِ (٢) . فجعل اليد مقولة إلى العنق في هذه الآية الكريمة كتابة من البطل وجعلها مبسوطة كل لبسط كتابة عن الاسراف ، وبالبطل والاسراف كلاهما صفتان معنويتان : ومن ذلك قول ابن النعمية :

أريني ألي يُمْنِي بِدِيكَ جَعَلَنِي فَارِحَ أُمِّ صَبْرَتِي فِي شِمَالِيكَ ؟
قوله : « في يميني يدك جعلني » كتابة عن إكرام المترلة ، وقوله « جعلني في شماليك » كتابة عن هوان المترلة . ولما كان اليمين عنهما إكرام المترلة وهوان شماليك معنويتين فنوع الكتابة فيهما : كتابة عن الصفة وكقول الشاعر :

وَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدَمَّى كَلِمَاتُنا وَلَكِنْ عَلَى أُنْفُسِنَا تَقَطَّرُ الدَّمَا
ففي هذا البيت كتابة عن الصفة لأن اليمين عنه هو الثبات في المعركة ومواجهة الأعداء وجهها لوجه ، وعدم الفرار والتحير الدال عليه هو قوله « ولستنا على الأعقاب تدمى كلماتنا » .

واللهي : الكتابة عن النسبة ، وهي أن يأتي بالمراد منسوبا إلى أمر يشتمل عليه من هي له حقيقة والثابتة (٣) منها تلخيص صفة أو مجموعة صفات بموصوف كقول زياد الأصم :

إِنَّ السَّاحَةَ وَالرُّومَةَ ، وَالنَّدَى فِي قَبْرِ ضَرِيَّتِي عَلَى ابْنِ الْحَشْرِجِ
لأنه حين أراد أن لا يصرح بإثبات هذه الصفات لابن الحشرج جمعها في قبة ،

(١) التزوير ١٨ .

(٢) الاسراء ٢٩ .

(٣) راجع البرهان في وجوه البيان ص ١٠٥ .

نتيهاً بذلك على أن محلها ظرفية ، وجعلها مضمونة عليه ، لوجود ذوي قباب في الدنيا كثيرين ، فأقاد اثبات الصفات المذكورة له بطريق الكتابة (١) .
 وإذا كانت المكتوبات عنها صفات انصف بها المدحوح عن طريق نسبتها إليه كانت تلك الكتابة على هذا الأساس كتابة عن نسبة . ومنها قول الشنفرى في وصف امرأة بالغة :

بَيْتٌ بِمَجَافٍ عَنِ الْقَوْمِ بَيْتُهَا إِذَا مَا بِيوتُ بِاللَّكَامِ حَلَاةٌ
 فَالشاعر هنا وصف بيت تلك المرأة بالنتيجة عن الملاحة ، وكان مراده أن يسمي
 المرأة نفسها بهذه الصفة على سبيل الكتابة عن النسبة .
 وقسم البلاغيون للتأخرين الكتابة في ضوء السياق الذي يفهم منها ، وفي ضوء
 الوسائط التي توصل القارئ إليها على أربعة أنواع :

أولها : التعريض :

والتعريض لغة هو خلاف التصريح ، والتعريض جمع معراض من التعريض
 وفي حديث ابن عباس : «ما أحب بمعارض الكلام حصر النعم» أما اصطلاحاً فهو أن
 يطلق الكلام ، ويشار به إلى معنى آخر يفهم من السياق ومن طرف القول : وعند
 السكاكي : «من كانت الكتابة عرضية كان إطلاق اسم التعريض عليها مناسباً» (٢) :
 وقد فصل ابن رشيق بين الكتابة والتعريض وجعلهما نوعين مستظلين من باب
 الاشارة ، فقال : «ومن اتواها أي اتواها الاشارة التعريض كقول كعب بن زهير ،
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

فِي فَيْتَةٍ مِنْ فَرِيضٍ قَالَ قَاتِلُهُمْ يَبْطِرُ مَكَّةَ لَمَّا اسْلَمُوا زُؤَلُوا

(١) راجع الايضاح ص ٢٢٤ .

(٢) راجع ملتحاح العلوم ص ١٩٤ .

التعريض بغير إن الخطاب - وقيل: بأبي بكر رضي الله عنهما - وقيل:
 برسول الله صلى الله عليه وسلم - التعريض مدح ثم قال:
 يستأون مني العيال الرغزيرعصمهم فترت إذا عزد السود التنايل
 وقيل: أنه عرض في هذا البيت بالانصار، ففضيت، الانصار، وقال المهاجرون:
 لم ندعنا إذ ذمهم، حتى صرح بمدحهم في آيات يقول فيها:

من مرء كرم الحياة فلا يزال في منقب من صالحى الانصار
 ومن مدح التعريض قوله ايمن بن حريم الأسدي بشر بن مروان بمدحه ويعرض
 يكلف كان يروح أمية عبد العزيز حين قتله من مصر على يدي نصيب الشاعر مولاه:
 كأن الحاج حاج بني ميرتكز جله لأعظم الأعياد عدا
 يصالح الله بشر حين يغني إذا الظماء بشرت الخدودا
 فهذا من معنى التعريض، لأنه أدهم السامع أنه أراد المبالغة بذكر الظماء لاسيما
 وقد قال - حين يسي - وإنما أراد التكلف.

ومن أفضل التعريض مما يحل من جميع الكلام قول الله عز وجل: وذوق
 ذلك أنت العزيز الكريم، (١) أي: الذي كان يقال له هذا أو بقوله، وهو أبو جهل
 لأنه قال: ما بين جبلها - بني مكة - أمزني ولا أكرم، وقيل: بل ذلك
 حل معنى الاستهزاء (٢).

ينضح من هذه الشواهد ومن تعليقات ابن رشيق عليها، أن التعريض قد يكون
 مدحاً وقد يكون ذمّاً، وأن القارئ لا يدرك منه المعنى الكنى عنه إلا إذا كان
 ملماً بالسياق الذي ورد فيه، وأن هذا السياق يظهر بواسطة تنوع بين ظرف
 القول ومناسبه كما هو الحال مع آيات كعب بن زهير وبين الحثث التاريخي
 كما هو أمر بني ايمن بن حريم الأسدي وبين أسباب النزول ودواعيه كما هو
 شأن الآية الكريمة:

(١) المدحان ١٩.

(٢) السبعة ج ١ ص ٢٢٢.

وضع هذا فان مدلول مصطلح التعريف لئلا يلائي لا يتيسر عند ابن رشيدي ، ولا يساري في لعمري ذلك تعريفنا ههنا يميزه عن سائر اشرب الكتابة .
 وقد اتفق ابن الاثير الى هذه الحقيقة وأكد ان بلاغيين قد خلطوا بين الكتابة والتعريف ولوردوا لهذا شواهد متشابهة في التبيين ، ومن هنا عرف التعريف بقوله : **ولما التعريف : فهو القنط اندال على الشيء من طريق المفهوم - لا بالوضع الحفظي والالهيدي - فانك اذا قلت ان توقع صكته ومعروفه بغير طلب : هو انه في لاحتاج ، وليس في يدي شيء ، وأنا حرمان والبرد قد آتاني ، فان هذا والشاهد تعريف بالطلب ، وليس هذا القنط موضوعا في مقابلة الطالب لا حقيقة ولا بجزأ ، انما دل عليه من طريق المفهوم ، وانما سمي التعريف تعريفا لان المعنى فيه يفهم من عرضه أي من جانبه ، وعرض كل شيء جانبه (١) .**

وبهذا التعريف الموازن بين الكتابة والتعريف وضع الحد الفاصل لهذا الفن وتمييزه نوعاً من أنواع الكتابة الذي يستخلص منه المعنى عن بواسطة السياق وبواسطة القول .

ثانياً : التلويح :

والتلويح لغة : هو أن تشير إلى غيرك من بعد .

واسطلاحاً : هو الكتابة التي بينها وبين المعنى عن مسافة متباعدة لكثرة الوسائط كما في كثير الرماد (٢) .

فاللكنى عن في هذا الشاهد هو الكرم ويتوصل القارئ اليه بخمس وسائط :

اولها : اعداد ما يطبخ من جزور وسواء .

وثانيها : ايقاد القيران .

وثالثها : الطبخ واستهلاك الرمود .

ورابعها : دعوة الضيفان .

(١) القل السراج ص ٢٠٦ .

(٢) الايضاح ص ٣٢٧ .

وخاستها : ترك الرماد الكثير الذي يستدل منه على الكنى عنه صفة للممدوح .
ونحو قول الشاعر :

ومالكُ نسي من عيبِ قتي
جانُ الكلبِ مهزولُ التعويلِ
فقد كنى عن كرم الممدوح بأنه جان الكلب ، مهزول التعويل ، فإن الفكر
يتفل إلى جملة وسائله .

واللهما : الرمز :

والرمز لغة : أن تشير إلى قريب منك خفية - بنحو شفة - أو حاجب - وأصله
الكلام الخفي الذي لا يكاد يفهم ، ثم استعمل حتى صار الإشارة وقال القراء :
الرمز بالشفين خاصة (1) .

واصطلاحاً : هو الكناية التي قلت وسائلها إلى الكنى عنه مع خفاء نحو :
« فلان عريض القفا » أو « عريض الرصادة » كتابة عن بلادته وبلاغته . فللكنى عنه
خفي غير ظاهر ويتوصل إليه السامع بواسطة واحدة هي عرض القفا وكبر الرأس
وهما صفتان تعرفت العرب على أن النصف بهما ليس من الأذكىاء . وكقول أحد
القدماء يصف امرأة قتل زوجها وسيت :

خلقتُ لها من زوجها عذة الحصى مع الصبح أو مع جنح كل أصيل
يريد أنني لم أعطها خلا ولا قوداً بزوجها ، إلا لهم الذي يدعونها إلى عذ
الحصى (2) .

(1) لسانة ج 1 ص 274 .

(2) لسانة ج 1 ص 274 .

رابعها : الإيماء أو الإشارة :

والإيماء لغة : أن تشير إلى قريب منك إشارة والصححة :

واصطلاحاً: هو الذي قلّت وسائله ، مع وضوح الزوم، كقول أبي تمام (١) :

أَبَيْتَنَ ، فَمَا يَتَزَوَّنُ سِوَى كَرِيمٍ وَحَسْبُكَ أَنْ يَتَزَوَّنَ أَيَا سَعِيدٍ

قائه في إعادة أن أبا سعيد كرم غير خاف ، وكقول البحتري :

أَوْ مَرَّيْتَهُ لِلجِدِّ أَلْتِي رَحِمَهُ فِي آلِ طَلْحَةَ ، ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلْ ؟

قائه في إعادة أن آل طلحة أماجد ظاهر :

(١) راجع الأيضاح ص ٢٢٨ .

مبادئ البلاغة :

رصد البلاغيون القدماء المبادئ التي تختص الكتابة بالتعبير عن مضموناً لغوية والدلوية من شؤون الحياة والأخلاق والشهادة . ومن هؤلاء البلاغيين ابن أبي الأصبغ المصري الذي قال بهذا الصدد : « الكتابة هي عبارة عن تعبير للكلم عن المعنى القبيح بالنطق الحسن ، وعن النجس بالظاهر ، وعن اللطيف بالضعيف ، هذا إذا قصد التكلم برفعة كلامه عن اللب ، وقد يقصد بالكتابة عن ذلك ، وهو أن يهتر عن نصب السهل ، وعن شحط الأجاز ، أو يأتي فصاحة والأغز أو للسر والصفاء » (١) .

فالكتابة بشئ أنواعها التي مرّ بنا تفصيل أساليبها تحقق أهدافاً لغوية وفنية وفكرية يمكن تجسيدها بعبارة تؤكد أن هذا الفن القولي يمتاز بحسن التعبير وحسن التأثير .

سر بلاغة الكتابة :

كشف عبد القاهر عن السر في قدرة الكتابة على ذلك كله وعقل لبلوغها ، فيقول قبل كل شيء : « أنه قد أصبح الجميع على أن الكتابة أبلغ من الإفصاح ، والتمريض أوقع من التصريح ، (٢) ثم فصل ما أصبح عليه الجميع وأورد شواهد من الكتابة والنجاز والاستعارة التمثيلية موازناً بينها وبين معانيها الحقيقية ، وطرح السؤال الذي يتخسر عن حكمة بلاغة هذه الشواهد ومثيلاتها ، وأجاب عنه بقوله : اعلم ان سيك .

أولاً : أن تعلم أن ليست للزينة التي تزينها لهذه الأجناس على الكلام للتروك على ظاهره ، والبلاغة التي تدعى لها في نفس اللغوي التي يقصد للتكلم بها بغيره ، ولكنها

(١) صبح القرآن ص ٥٣ .

(٢) دلائل الإجاز ص ٥٥ .

في طريق إثباته لها والفريرء اباعا : تفسير هذا : ان ليس المعنى انا قلنا من الكتابة
 أبلغ من التصريح لك لما كتبت عن المعنى زدت في ذاته ، بل المعنى : ذلك
 زدت في الباء ، فجعله أبلغ وأكد واشد : فليست الزية في تولم : جمع الزمان ،
 انه دل على قرى اكثر ، بل انك اثبت له قرى الكثير من وجه هو أبلغ ، وأرجحت
 ايجابها هو اشد ، وادعيتة دعوى بها أطلق ، وبصحتها أولئ (٢٦) :

وبعد هذا أوضح رأيه في أن مزية الكتابة وسر بلاغها يفيدان من آتيا طريقة
 تعبير واسلوب اقادة معنى ، فربط الأمر بتطريجه في العظم وقال : «فإذا سخطهم
 يقولون : ان من شأن هذه الاجناس ان تكسب المعاني نبلا ونصلا ، ولو جبا لها
 شرفا ، وأن تفضيها في قوس السامعين وترفع اقدارها عند المخاطبين ، فاسم
 لايريدون الشجاعة والقرى ، واشباه ذلك من معاني الكلم المفردة ، وانما يكون
 إيجابت معاني هذه للكلم لن كتبت له ويخير بها عنه :

هذا مايفي للعامل أن يجمله على ذكر منه ابدا وأن يعلم أن ليس لنا انا فمن
 نكلنا في البلاغة والتصاحة مع معاني الكلم المفردة شغل ، ولا هي من سبيل ،
 وانما نعود إل الاحكام التي تحدث بالتأليف والتركيب (٢٧)
 والكتابة في ضوء هذا النص ليست مجرد أداء معنى بألفاظ لا تدل على ظاهر
 مدلولها ، وانما هي صياغة لفكرة تتبع من وجدان صاحبها فتتسبك لهاها وتنسق
 تعبير لكل لفظ منه مكانة وشيئة التي تربطه بما التي قبله وبما يرد بعده ، فيؤلف
 بالمعاني وخلال المعاني والاحاسيس لسانها لو تزحزح ذلك اللفظ أو سواها من
 موقفه لمجز التعبير كله عن أداء مهمته البلاغية :

تأثير الكتابة في المخاطب :

هذا من جانب الكتابة تعبيراً وأداة تؤدي عن صاحبها ، لها من جانب
 تأثيرها في المخاطب وتخلق موقف له مما يسمع فان عبد القاهر قد قال : « واذ قد

(١) دلائل الامتياز ص ٤٦ .
 (٢) دلائل الامتياز ص ٤٧ .

عرفت مكان هذه الثروة والبلاغة التي لا تزال تسمع بها ، وأنها في الآيات دون
التيه فان لها في كل واحد من هذه الاجناس سبباً وعلة .

أما الكتابة : فان السبب في أن كان للآيات بما مزينة لان تكون للتصريح ان كل
عقل يعلم - اذا رجع إلى نفسه - أن آيات الصفة بالآيات دليلها واهلها بما
هو شاهد في وجودها أكد وابلغ في الدعوى من أن تعجب اليها فتبينها هكذا ساذجاً
خفلاً : وذلك أنك لا تدعى شاهد الصفة ودليها إلا والأمر ظاهر معروف ، وبمحيط
لا يشك فيه ، ولا يظن بالمطير الجوز والغلط ، (١) :

ويبدو من هذا التحليل أن عبدالقاهر يقيم بلاغة الكتابة على أساسين متلازمين :
اولهما : أساس لغوي فني يتنص على رأية في أن الكتابة اسلوب ، ونظم وصورة ،
وانها ليست كلمات مفردة وجمل متشككة واجزاء مغلقة .

والثيها : أساس نفسي عقلي يمتد ما بين الأديب النشء للكتابة والبدع لأقائنها
وبين المخاطب السامع لها ، ويمثل فيما تصطب مع الكتابة من دليل وشاهد
يظناره الأديب عن وعي أو عن غير وعي فيكون رسولا من لا فتاح مخاطبه
وسامعه : وعلى هذين الأساسين تتولد من الكتابة معانيها للسرلة المتابعة المتجددة
التي تصل من وجدان مبدعها وفكره إلى عقل متلقيها والله .

بلاغة الكتابة بين القديم والمعاصرين :

يحدثنا تاريخ البلاغة العربية بالشواهد والنصوص ، ان البلاغيين الذين أتوا
بعد عبد القاهر واستلموا راية البحث البلاغي من يده ، لم يزيدوا على ما قاله في
بلاغة الكتابة وإنما لخصوه وكرروا شواهده أو أطالوا فيه ونسجوا على متوال
أنتك ، فتركوا لنا بعد ذلك كله الموضوع في أثناء كتابه ، دلائل الاعجاز :

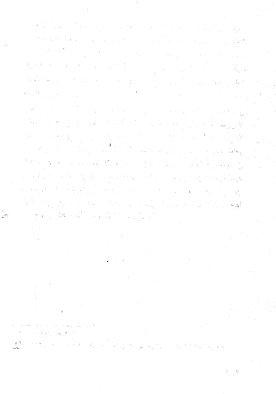
(١) دلائل الاعجاز ص ٥٧ .

وأية ذلك أن الفزويشي الذي بعد^١ وارث علم البلاغة عن السكاكي بتلخيص آرائه وإضافة تلخيصه أيضاً تلقفه مع تلخيصه الشراخ ومتفقوه لم يزد في الكلام على بلاغة الكتابة عن إيراد آراء عبد القاهر وتلخيصه عليه بقوله : « والسبب في ذلك (بلاغة الكتابة) أن الانتقال في الجميع من القزوم إلى اللازم ، فيكون الثبات المعنى به كدعوى التي بيئته ، ولا شك أن دعوى الشيء بيينة أبلغ في اثباته دعواه بلائيه (١) » .

وأياً كان الأمر فإن الدراسات المعاصرة في الكتابة وسائر أساليب البيان العربي لم تفتح باباً جديداً على مسألة بلاغة الكتابة ، وإن كان بعض الباحثين المعاصرين قد ربط بين الموضوع وبين تداعي المعاني (٢) والرمز إلا أن هذا الربط ينبغي ألا يتخذ على علاقته ولا سيما إذا كان يؤكد الصلة الوثيقة بين الرمز الأدبي المعاصر والكتابة العربية الأصيلة ، ذلك لأن مفهوم الرمز في البلاغة العربية لا يمكن أن يدخل في الألفاظ والمعاني التي أولع بها طائفة من أدبائنا المعاصرين الذين لجروا لتقييد مدرسة الشعراء السريالين الذين ظهوروا في أوروبا ، وإنما هو فن من القول وفرع في دوحه الكتابة يدك على المكتنى عنه دلالة علفية تكشف عنها القوازم والوسائل ويدك عليها السياق المعقول والمفهوم .

(١) الأيضاح ص ٣٢٩ .

(٢) راجع كتاب دراسات في علم النفس الأدبي ص ٤٦ ، وفنون بلائية ص ١٩١ .



الفصل السادس

تطبيقات عامة

(١)

فانحست آثار ورويت نصوص في البلاغة العربية بعدة أثر البيان في الجمع ومبينة
سلطانه على النصوص

نأش من هذا المنطلق ولم عهد القاهر الجرجاني (١) في أن البيان يعرض المعاني
المنطقية ، فيجد من السامعين وضاً وقلعة .

(٢)

هذا سيوره أساليب بيانية مستقيمة في التركيب كلها في القول فقال في تصنيف
العبارة : ولما المستقيم فكذب الفرق : حملت الجلي ، وشربت ماء البحر
وخرقه (٢) وشاع في الدراسات النقدية واللاعبة القديمة قولهم : وغير الشعر
أكتبه ، وقال البحري في مشاعته له مع المنطقيين والمنطقية :

كلفتسوننا حكمة منطقيكم في الشعر بكفي عن حيدته ككتبه
وعلى القيس من هذا قول بعضهم : خير شعر أسداه : وروي قول الشاعر
في هذا النسخ :

وإن أحسن بيت أنت فلك بيت يفتك إذا قلته صدكنا
والحقيقة أن هذا القضية البلاغية والنقدية التي أثارها سيويه على ذلك الشعر
ووجدت لها صدق في مواقف الشعراء والملايين (٣) والنقاد - تقوم أساسا
على نظرية صدق التجربة الأدبية في تقديم الأساليب البيانية .

(١) تراجع كتاب اسرار البلاغة ص ٤١٨ وما بعده لتعرف على هذا الرأي

(٢) الكتاب ج ١ ص ٧٠

(٣) تراجع اسرار البلاغة ص ٢٤٩

اعرض المخطوط العامة لهذه النظرية مقوما نصين أدبيين : أحدهما من عصر ما قبل ظهور الإسلام ، واليهما من العصر الحديث :

(٣)

مما يدل على أن نظرية البيان في البلاغة العربية أصيلة في نشأتها بعيدة عن التأثير الأجنبي في تطورها ، أن عبد القاهر الجرجاني ربط بين مصطلح البيان وأي من الذاكر الحكيم (١).

تبع في ضوء هذا الربط مادة «بين» ومشتقاتها في القرآن الكريم (٢) : وفي الحديث النبوي الشريف (٣) عملا للنصوص التي وردت فيها لتجسيد أصالة نظرية البيان العربي وملاحظها الفكرية والفتية .

(٤)

الملاحظ :

أن البلاغيين (٤) مذاهب مختلفة في حصر موضوعات البيان وترتيب مباحثه ، اعرض أبرز هذه المذاهب مبثا وأيك فيما تستحقه لحظة لدراسة البيان العربي :

(٥)

تعرض للبرد لتشبهات في ضوء منهج لغوي تحريري لين اسمه نصوص منها قوله :

ومن تحليل امرئ القيس العجيب قوله :

كأن عيون الرحمن حول حباتنا وأرحمتنا الجزع الذي لم يكتب (٥)

(١) تراجع اسرار البلاغة ص ٢.

(٢) تراجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

(٣) تراجع المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف.

(٤) تراجع اسرار البلاغة ص ٢٨.

(٥) الجزع : حز في بياض وسواد.

ومن ذلك قوله :

إذا ما التريا في السماء تعرّضت تعرّضاً أثناء الوشاح المفصل (١)
وقد أكثروا في التريا فلم يأتوا بما يقارب هذا المعنى ولا بما يقارب سهولة هذه
الالفاظ

ومن عجيب التشبيه قول ذي الرمة :

وَرَدَّتْ أَحْصافاً وَالتريا كَأَنَّها على قِبةِ الراسِ ابنُ ماءٍ مُحْتَرِقِ (٢)
وقوله :

فلعلت بنج العنكيوت كأنه على عَصْوِها سايري مُشْتَبِقِ (٣)
وتأويله أنه يصف ماءً قديماً لا عهد له بالوراد ، فقد اصفرّ واسود ، فقال :

وماءٍ قديمٍ العهدِ بالناسِ آجِنِ كأنَّ الدِّبا ماءً اللضا فيه يَبْهَتُ (٤)
وقد اجاد علقمة بن حبة القحل في وصف الماء الآجِن ، حيث يقول :

إذا وردت ماءً كأنَّ جِجامتهُ من الأجرِ حياءُ معاً وَصِيبِ (٥)
فقال ذو الرمة في وصف هذا الماء ، فظن بغيره بعد مطبه فقال :

فأدنى غلامي دَلْوَهُ يَنتهي بها شفاءَ الصدى والليلُ إذا همَّ البَلْبَلُ
يريد أن الصخر قد نجس فيه ، فجاءت - يعني الدلو - بنج العنكيوت كأنه على

عصويها سايري مشرق والسايري : الرقيق من الثياب والدروع . والمشرق : المنزق .
وانشد أبو زيد :

(١) تعرّضت أي : أرتك عرضها ، أي ناسيتها . والوشاح المفصل : الذي جعل بين كل حوزتين فيه الوشاح
والأشاح : جمع نبي .

(٢) الأحصاف : السير على غير عدوى . وابن ماء : طير من الطيور خلق على مرتفع .

(٣) العصوان : عربوا الدلو ، والعرقوبان : عشبان .

(٤) آجِن : مطبوخ الطعم والظن ، والذبا : الجراد . واللضا : شجر له عذاب ، إذا كتفه الأبل للثبكت
بظرفها .

(٥) الحمام : اجتماع الماء الصيب : الدم ، عصار المدام ، والمدام : عشب نبات يصنع به ، ويقال له
أيضا دم الآخوين .

لوقا بـيربـال الثـباب مـلـاوة فـاصـح بـيربـال الثـباب شـارحة (1)
وفي هذه القصيدة من التشبيه المصيب :

بـضـاءة في دـعـج صـفـراء في نـعـج كـانـها فـضـة قد مـتـها ذـهـب (2)
ومن التشبيه المستحسن قول علقمة بن عبدة :

كـان لـيربـفـهـم ظنـي عـلـى شـرق مـكـدم بـسـا الكـنـكـان مـكـثـوم (3)
فهذا حسن جداً .

ومن التشبيه المتجاوز قول الخنساء :

وإن صخرأ لناشم هدهأ به كانه علم في رأس نسر
فجئت المهندي ياتم به ، وجئت كاري في رأس علم ، والعلم : الجبل ،
ومن تشبيه المحققين المستطرف قول بشر :

كـان فـلـاه كـرة نـسـرى حـيلـار الـين إن تـسـفـح الـحـلـار
بـرؤـه السـرر بـكل أسـر مـخـالـة أن يـكـون بـه الصـرر (4)
فالبرد (5) - كما يظهر - من هذه النصوص يعتمد منها على تشبيه
له أربعة أسس :

لوقا : بيان مدلولات الكلمات الغريبة وشرح بعض الشواهد وتأويل مقاصدها ،
ولانها : اصدار احكام مطلقة في استحسان التشبيهات بخسة مصطلحات

(1) اللاتوة : الخون من الشعر .

(2) الدعج : حواد العين . والنعج البيضاء الخالص .

(3) الشرف : ما ترتفع من الأذن والشرف على ما هو . مقدم : مطي بالقدم ، أو من
وصف الأبريق . وغيا الكنان : يربو جانب الكنان ، والسائب : جمع سيب ، وهي
شقة بيلياء . مكثوم : من التام . وهو ما يوضع على القم واستعاره للثوب .

(4) السرار : آخر ليلة من الشهر ، وهي التي يسمونها فيها الشعر ويطلق .

(5) راجع كتاب الكامل ج 4 ص 22 - 23 .

هي : وحبيب ، واجادة ، ومصيب ، وستحن ، وستطرفه ، وادارتها بلا ضابط وبلا تعليل واعتماده مصطلح تجاوز ومفرط في الاستهجان .

والثالثها : ادارة تشبيهات شعراء في موضوع مرحد كما فعل في اشارته الى اكمل الشعراء في وصف الثريا تعليقا على بيت امرئ القيس وروايته لايات في وصف الماء الآسن :

ورابعها : تجنب تحليل أركان التشبيه واستعمال مصطلحاته من المشبه ، والمشبه به ووجه الشبه ، واداة التشبيه .

وتناول ابن الاثير تشبيهات في ضوء منهج آخر فقال :

قول بعضهم :

ملا حاجيك الشهب حتى كأن قباء جرت منها سح وسارح (1) وكذلك قول الآخر يصف سهام :

كساعا وطيب الريش فاعتدت له قيداح كأضاق الطيماة السوارق فانه شبه سهام بأضاق القباء ، وذلك من ابعاد التشبيهات ، وعمل شعراء

قول الفرزدق :

يتحنون في حلكو الحديد كما مشت جرب الجمال يا الكحيل المشعل (2) فشبّه الرجال في مزوج الرود بالجمال الجرب ، وهذا من تشبيه الجيد ،

لانه ان اراد السواد فلا مقارنة بينهما في اللون ، لان لون الحديد ابيض ومن اجل ذلك سميت السيوف بالبيض ، ومع كون هذا التشبيه بعيدا فانه تشبيه سطحي : ومن التشبيهات الباردة قول ابي الطيب المتبي :

وجرى على الورق النجيع القاني فكأنه السارح في الأخصان (3)

(1) السارح : اقمي يأتي من جانب اليمين ، ويقابله البارح وهو الذي يأتي من جانب اليسار . والشرب تفتح بالسارح وتشام بالبارح .

(2) الكحيل : الطران وحلق الحديد : المزوج . والمشعل : الحديدة التي يهزق بها الخد ويروي كأنه موضع ، كما شته .

(3) النجيع : الدم ، والقاني : الاحمر الشديد الحرارة .

وهذا تشبيه ينكره أهل التجسيم ، وإذا فسّخت التشبيهات بين البعد والورد
حاز طرفي ذلك التخصيم .

وأشبع من هذا قول أبي نواس في الخمر :
كأن بواسار رواقدٌ حولها ورزقٌ منابرٌ تكبير عيونها (١)
والمعجب أنه يقول مثل هذا الفخ الذي لاملاحة بينه وبين ما شبهه به ، وبقرنه
بالبديح الذي أحسن فيه وابدع ، وهو :

كأنما حُسلولٌ بين أكتاف روضة إذا ما سلبها مع الليل طينتها
فانظر كيف فرق بين وردة وسعدانة ، لا بل بين بكرة ومرجانة .
وقد اكثر في تشبيه الخمر ، فأحسن في موضع وأساء في موضع ، ومن أساءته
قوله أيضاً في أبيات لامية :

وإذا ما الملهُ والتمها أظهرت شكلاً من العزالي
لؤلؤات يتحدرن بها كاتحادر الدار من جنيك
فتبته الحبيب في اتحاده بتمل صفار ينحدر من جبل ، وهذا من البعد على غاية
لا يحتاج إلى بيان وإيضاح (٢) .

ففي هذا النص يتضح لنا أن ابن الأثير لا يقرر الحكمه تقريراً ولا يفضل الإشارة
إلى بعض أركان التشبيه كالأفعال كما فعل المبرد ، وإنما يسعى جاهداً أن يعالج
لأحكامه ويورد تقويمه لما حكم عليه من الشواهد بعد بيان طرفي التشبيه : كما أنه
يورد أكثر من شاهد لأبي نواس في موضع وصف الخمره فينزهه بآساس
منهجي له صلة بأحد أسس منهج المبرد وهو آساس جمع الشواهد في موضوع
محدد .

(١) حكاه في الأصل ، ولم اتف هذه الكلمة على معنى ، ولكني رأيت في القاموس (٣٧٢/١)
أن الياصرة جبل بالسد فتطيرهم الشواهد لمعاربة العدو الواحد يسري . والتواصلة :
مع أهل الفن ، لعل بواسار منها .

(٢) للتل السائر ج ٢ ص ١٥٦ - ١٥٨ .

ومن هنا يمكننا أن نميز منهج ابن الأثير هذا بصفة المنهج التعليلي الموضوعي لما فيه من تعليل للأحكام البلاغية والتفدية واتساعه لشرح الشرائع في موضوع بعينه ولشاعر بعينه :

وفي ضوء هذين المنهجين وملاحظاتنا عليهما نستطيع أن ندعو إلى منهج متكامل في تحليل التشبيهات يقوم على أربعة أسس :

أولها : اعتماد المصطلحات البلاغية بدقة في تحليل أركان التشبيه .

ثانيها : تحليل التشبيه جزءاً متحماً مع سائر أجزاء النص الأدبي الذي ورد فيه ، ولتجنب الاكتفاء به شاملاً قائماً بذاته .

ثالثها : الاستغناء بالفضايا الضمنية والإشارات الخفية في تتبع مصدر مادة التشبيه وكثيبتها به والناس انعكاسهما عن وجدان المشي وتأثيرها في شعور المتلقي .

رابعها : تقوم التشبيه على أساس ما خلق من أغراض مضمونية وشكلية .
حلل في ضوء هذا المنهج النصوص الآتية :

١ - قال أبو نواس في وصف الخمر (١) :

فلإذا ما لمتها فيها	تضع اللمس ما يبيح العيون
درّس الدهر ما تجسم منها	وتبقى لبايها المكتونا
فهي بكر كأنها كحل شيء	بمضى مخبر أن يكونا
في كلوس كأنهن نجوم	جاريات بروجها أهدينا
طالعات مع السقا علينا	فلإذا ما غربن بغربن فينا

٢ - قال أحمد شوقي في الملمين :

لو لم يسودوا يدين فيه شبهة	لناس كانت لهم أخلاقهم دينا (٢)
لم تشر من حرم إلا إلى حريم	كالخمر من بابل صلات الدارينا (٣)

(١) الكامل ٣٣ ص ١٧ .

(٢) شبهة: طرف ورثا .

(٣) بابل ودارينا: مدينتان مشهورتان بجودة الخمر .

٣ - قال ابن المعتز :

ظلت يملهي غير يوم وليلة تدور علينا الكأس في قبة زهر
يكف غزال ذي حذاز وطرة وصاحين كالفالين في طرقي سطر
لدى نرجس شفي وسمو كأنه فلود جوار ملن في أزر عطر
- قال السهراوي :

أشدُّ بما طير لا تعدُّك غير صولتك القصد وحده غير
لا تخف ما عليك مني غير أنا أيضا بما طير مطلق طير
لمسي في شمس المرى منقاري

٤ - قال شاعر يصف كومة من القمح تأجج في داخلها النار :

كأنما النار في لهبها والقمح من فوقها يغطيها
زنجية شبكت أاسلها من فوق نار نجة تخفيها

(٦)

قال تعالى : **فإنها ترمي بشرير كالقصر** : كأنه جمالة صغرة (١)

وجاء في الضير : أن القصر واحد القصور ، وقيل : القصر جمع قصرة وهو النبط من الشجر. وقوله : **كأنه جمالة صغرة** بكسر الجيم ، جمع جمالة كما تقول : بيوت وبيوتات ، وهو جمع الجمع ، ويقال للابل السود التي تضرب إلى الصغرة وهي ابل صغرة.

والشرر : قطع من النار تطير في الجهات وأصله : الظهور ، من فوق : مشردت الثوب ، إذا ظهرته للشمس ، وشبه الشرر بالقصور في العظم : ثم قال : **كأنه جمالة صغرة** ، أي : سود فضبه في اللون وفي العظم : والعرب تشبه الأبل بالقصور فعابا إلى تمام خلقها وحسن صورتها .

(١) الرسائل ٢٢ - ٢٣ .

وفي ضوء هذا البيان القوي لكلم الآيين على ابن نائبا البغدادي على تشبيه الشرر بالنصر تارة وبإخمالة الصفر تارة أخرى بقوله : فوالعا ظاهر في تشبيه الشرر تأكيداً للتخريف من النار التي ترمى بها وتعطيها لثابتها وازدادها للكافرين من سطوتها والتشبيه على هذا النحو يغير حرف العطف أكد في صفة الموصوف ، وأبلغ في نعتة من التشبيه للعطوفه (١) .

وخرسنا فيما مضى بيان حالات طرفي التشبيه من وجوه كالتة وأكثنا أثر التشبه به في تصوير المشبه في ضوء اعتبارات تعود إلى طبيعته ومصدر مادته وبذلك القوي .

حلل في ضوء ذلك طرفي التشبيه في التصور الآتية شارحاً عبور كل مشبه به في تصوير المشبه ومبينا الغرض منه : -

١ - قال طرفة :

وفي الهي أخرى بنفض " المرء " شادين^(٢) مظاهر^(٣) سطحي لواق^(٤) وزير جد^(٥) (٢)
 عشولاً^(٦) نرامي دبرياً^(٧) يخيلنة تناول اطراف البرير وترندي (٣)
 في عذب اليتيم تشبه للمرأ بالفرال في عضاها ، وبالغرة في حسن عيناها .

٢ - قال أبو القاسم الثاني :

عديبة^(١) أنت كالظفوة كالأحلام كاللحن كالصباح الجديد
 كالسما^(٢) الضحوك كالليلة الضراء كالورد كالبنام الوليد
 أنت من^(٣) أنت ؟ أنت رسم جميل عبقري من فن هذا الوجود

(١) الجنان في تنبيهات القرآن ص ٣٧٤ .

(٢) الاخرى : آسن في ثلثه سورة . اشادن : النزال التي تربي واستغل عن الله
 السط : الخيط الذي لظقت فيه الجواهر والجمع سوط .

(٣) تناول : قد عدلت اولادها . الربوب : القطع من الفيا ، ويتر فوحى . البرير :
 شجرة الاراك .

٣ - قال دويد بن الصمة :

ولا رأيت الخيل قبلاً كأنها
لمرهم أمري يتمسحج السوى
جراد يلاري وجهة الريح مقسدي
فلم يستبينوا الرشداً إلاً نحى الفكر

دعاني أمي والخيل بيني وبينه
فلما دعاني لم يمضني بشعة أو

فجئتُ إليه والرماحُ توشه
وكنت كذات اليربوع ، فأقبلت
كولح الصباصي في النجج للسدور
إلى قيطع من جلد بؤ منجلد (١)

(٧)

به عبد القاهر الجرجاني إلى أن مجرد النقاء طرقي التشبه في صفة لا يجعل التشبه
مصاحفاني النوق مقبولاً في العقل سارياً في العرف والعادة :
ثبت قول البحري :

ويأض البازي أصلق حسناً
ثم حلق عليه قالوا :

فوليس إذا كان الياض في البازي آتياً في العين وأخلق بالحنن من السواد في
الغراب ، وجب ذلك أن لا يلد المشبه ولا تنفرته طباع قوي الألياب ، لأنه ليس
للذئب كله التحرك الصيغ وتبديل اللون ، ولا آتت الفواهي ما آتت من الصدا
والأمراض لمجرد الياض ، فإنهم يرونه في قباصي (٢) مصر فيأسن ، وفي أنوار

(١) الخيل : اسم جنس للأفراس ، ويطلق على الفرسان . قبالا : يضم القاف أي
مطالبة ومجانة ، تمسحج السوى : منسطقه ، والسوى : الموضع . قنعد : جبان
لنيم يقعد عن الحرب والكفر . الصباصي : جمع صبيصة وصبيصة بالفتح
وهي الشوكة التي يمشي بها السباع فيسوط نتيجة الدودة الممعد ذات أبو :
كتابة من اللقاة أو البقرة يذبح والدها أو يموت فيحشى جده ثياباً ويجعل لها
قراءاً وتطلف عليه وتمدق اللبن ، واليربوع : هو هذا الجلد المحشو .

(٢) القباصي بالضم جمع قبطية ، وهي ثياب من كتان لنسج بمصر .

الأرض وأوراق الزجس النفس فلا يعين ، فما انكروا ايضاً شعر النفس
 نفس اللون وذاته ، بل للذباب بهجته ، وادباره في حياته ، وانك لتري الصفر
 الخالصة في اوراق الاشجار المتأثرة عند الخريف واقبال الشتاء وهبوب الشمال
 فتكرمها وتفر منها ، وتراعا بعينها في اقبال الربيع في الزهر المنفتح ، وفيما ينشك
 ويشبه من الشياخ الموتى ، فتجد تنسك على خلاف تلك النفسية ، وتنتهي من
 الاربعية ، فإنا لانك رأيت اللون حيث السماء والزيادة ، والحياة للصفادة ،
 وحيث ابشرت أرواح الرياحين ونشرت أنواع التحاسين (١) ، ورأيت في
 الوقت الآخر حين ولت السعد ، واتشر العود (٢) ، وذهبت البشاشة والبشر ،
 وجاء العيوس والعسر ، كذلك لم يحسن سواد الشعر في العيون لكونه سواد
 فقط ، بل لانك رأيت رونق الشباب ونضارته ، وبهجته وطلوته ورأيت بريق
 وبصيصه بعدانك الاقبال ، وبريقك الاقبال (٣) ، ويُحضر اليك الثقة بالله
 ويعيدان عنك الخوف من القناء (٤) .

وفي ملاحظتنا أن عبد القاهر في تعليقه هذا وفي تشبيهه ذلك يدعو بمقاييس
 النفسية والبلاغية للمعاصرة الى وجوب توفير الجو النفسي للتسجم في التشبيه واتساع
 وحدة عاطفية ملائمة لخلق التجاوب الشعوري مع النفس الاديبي ، كما يدعو الى
 قاعدة بلاغية تؤكد أنه لا يكفي في التشبيه أن يتلاقى طرفاه في وجه الشبه المادي ،
 بل ينبغي ان يخلق جواً نفسياً ملائماً لذلك .
توَم في ضوء هذه الدعوة النصوص الآتية :

- (١) يقال ابشرت الأرض اذا خرجت بشرتها أي ماظهر من ثيابها واما بشر التلامي في فهو
 من بشر في فلان أي لغني وهو حسن البشر طلق الوجه . والتحاسين : الاشياء
 المسنة جمع تحسين .
- (٢) اتشر العود : أي تشقق وتغير لونه لعدم الري .
- (٣) الاقبال : استئناف الامر وتجدده .
- (٤) اسرار البلاغة ص ٢١٧ - ٢١٨ .

١ - قال دجيل بن علي في صفة الصلوب :

لم لَزَمَتْكَ مِثْلَ صَفَةِ الزُّطِ لَمِينٌ مِنْهُمْ صَابِرًا فِي حَسْبِ (١)
مِنْ كُلِّ حَالٍ جِيذَعَهُ بِالنَّطِ كَأَنَّهُ فِي جِيذَعِهِ الْمُشْتَقَطِ (٢)
أَتَمُّ نَعَامٍ جِدًّا نَفْسِي النَّطِي لَدَّ نَاعِمِ النُّومِ وَلَمْ يَغُطِّ (٣)

٢ - قال احمد شوقي في القصور التي طغى عليها ليلتان الليل ففرقت منها اجزاء وعامت اجزاء :

قِفْ بِذَلِكَ الْقُصُورِ فِي الْيَمِّ عُرْفِي مُشِيكًا بَعْضُهَا مِنَ الذَّهْرِ بَعْضُهَا
كَمَقْدَرِي أَخْيِنِ فِي الْمَاءِ بَعْضًا سَابِحَاتٍ بِهِ وَأَبْدِينِ بَعْضًا
٣ - قال الشاعر حبه لليرة توبة بن الحمير وروى ابو الحسن انه لمجون بني

عامر وهو الصواب .

كَأَنَّ الْقَلْبَ لَيْقًا قَبْلَ يَغْدِي بَلِيلِ الْعَامِرِيَّةِ أَوْ بِرَاحِ
نَطَاقًا شَرَّهَا شَرَّكَ فَبَاتَتْ تُجَادِبُهُ وَقَدْ عَكَبَتْ لِلجِنَاحِ
لَهَا قَرَعَانٌ قَدْ طَلَقَا بِوَكْرِ نَعْنُومًا نَعْنُومَ الرِّبَاحِ (٤)

٤ - قال ابن وكيع التميمي :

وَسَحَابٌ إِذَا عَمِيَ الْمَاءُ مِنْهُ أَلْهَبَ السَّرْعَةَ فِي حَشَاءِ الْبِرُوقِ
مِثْلَ مَاءِ الْعَيْونِ لَمْ يَنْجُرْ إِلَّا قَلْبٌ بِذِكْرِي عَلَى الْقَلْبِ حَرِيقًا

(٨)

لقد برع عبد القاهر في تحليل شواهد كثيرة من تشبيه الصورة ، فتبع اخبرها والرواها وأسهب في بيان الترابط بين التشبيه والتشبه به مُتَوَهِّجًا بِأَسْسِ هَذَا التَّرَابُطِ الحسية والعقلية والظنية

(١) الزط : جبل اسود من السند او الهند .

(٢) النشط : الطويل .

(٣) النطيط : صوت نفس انثام .

(٤) طلقا : من التلق ، وهو العبس .

ولعل مثال الذي يصح تطبيقاً في هذا الميدان قوله : «ان ما يزداد به الشيء
دقةً وسحراً أن يجيء في الهيئات التي تقع عليها الحركات فهذه الهيئة قد تقرون
بغيرها من الأوصاف كالشكل واللون ونحوهما ، مثال ذلك قول الشاعر :

والشمس كالمرآة في كشف الأشمل

أراد أن يريك مع الشكل الذي هو الاستدارة ومع الأضراق والتلألؤ عمل الجملة
الحركة التي تراها للشمس إذا صنعت التأمل . ثم ما يحصل في نورها من أجل تلك
الحركة ، وذلك أن الشمس حركة متصلة دائمة في غاية السرعة ونورها بسبب
تلك الحركة تنسجج واضطراب عجيبة ، ولا يتحصل هذا الشيء إلا بأن تكون
المرآة في يد الأشمل ، لأن حركتها تدور وتتصل ويكون فيها سرعة وقلق شديد
حتى ترى المرآة لا تقف في العين وبدوام الحركة وشدة القلق فيها ينسجج نور المرآة
ويقع الاضطراب الذي كأنه يسحر الطرف وتلك حال الشمس حينها حين تحد
النظر وتتخذ البصر ، حتى تبين الحركة العجيبة في جرمها وضوئها فالتك
ترى شعاعها كأنه يهيم بأن ينسبط حتى يفيض من جوانبها ثم يبدو له فيرجع
في الانسباط الذي بدأه إلى انقباض ، كأنه يجتمع من جوانب الدائرة إلى الوسط .
وحقيقة حالها في ذلك مما لا يكمل البصر الضمير وتصويره في النفس ، فضلاً
عن أن تكمل العبارة لتأديته ويبلغ البيان كنه صورته (١) :

١ - قال تعالى : «مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار
يتحمل أثقالاً» (٢)

٢ - قال الرصافي في تصديقه معترك الحياة :

وليس لفتى إلا عن العلم انه نور لفتى يجلو ظلام انقذاره
ولا تحسن العلم في الناس منجياً اذا لكت أحلامهم عن مظاره

(١) اسرار البلاغة ص ١٦٤ - ١٦٥ .

(٢) الجفة .

والله يفصل بين روض الزهر في الشطين فصلا
 كسباط وخشي جردت أيدي القيون عليه لصلا (١)

١ - قال فوزي العلوف من قصيدته : شاعر في طيارة :

هو في ميعة الشباب ولكن ضم في يردته شيئاً هزلاً
 شارد الطرف ، ناله الفكر يحكي مدليجاً في الظلام ضل السبلا
 فوجين ألفت عليه شجون له نفس ظلا من العيوس قليلا

(٩)

يزعم المستشرق غارثيا فوخت في فصل عقده للكلام على ابن قزمان أحد
 الشعراء الاتنلسيين المتأخرين :

« إن الصناعة اللفظية هي موضع العناية الكبرى في الأدب العربي ، بين نثر
 مفيد بالأسجاع وبين ألوان من المجازات والأشياء ، والطلاوات والولائم ، تعوزها
 الحرارة والشعور ، وكأنما هي كلها عرض من العروض المنفعة بالواقع حيث
 البسات لآلئ والعيون ازهار بنفسجات ، والرباعين ، والجداول سيوف ،
 وإن القارئ ليجهده اجتهاده بين ترجمات بير pers أو شاك Schack فيثوه
 ذهنه بما يطبق عليه من النسق المتفق المتواتر . خصور كالأغصان تنشق من آكام
 الرمال ، أو شاعر يشبه نفسه بالطير الذي أثقل لدى المدوح جناحيه فأعماه أن يطير ،
 أو يرق يومض بين الغمام كأنه ضوام العشق في قلب الشاعر ، يتوهج من خلل
 دموعه ، وتصفها - أو أكثر من نصفها - فوالب متفرقة يحكيها النظامون من
 وحى الذاكرة » .

وقد فسر الأستاذ عباس محمود العقاد المجاز العربي بخاصة وأساليب البيان
 بعامة فقال : « والمجاز هو الأداة الكبرى من أدوات التعبير الشعري ، لأنه تشبيهات

(١) القيون : جمع قين وهو السداد .

وأخيلة وصور مستعارة وإشارات ترمز إلى الحقيقة المجردة بالأشكال المحسوسة،
وهذه هي العبارة الشعرية في جوهرها الأصيل ،

ولا تسمى اللغة العربية - فيما نرى - بلغة المجاز لكثرة التعبيرات المجازية
فيها ، لأن هذه التعبيرات قد تكثرت في لغات عديدة من لغات الحضارة ، وإنما تسمى
اللغة العربية بلغة المجاز لأنها تجاوزت بتعبيرات المجاز حدود الصور المحسوسة
إلى حدود المعاني المجردة . فيستوعب العربي إلى التشبيه فلا يشغل ذهنه بأشكاله المحسوسة
الأريضا يتقل منها إلى المقصود من معناه . فالقمر عند بهاء ، والزهرة نصارة ،
والفطن اعتدال ورشافة ، والطود وقار وسكينة (١) .

إن هذا التفسير - بلا شك - هو رد على آراء المستشرقين الذين نادوا بأن
هذا المستشرق وغيره من المستشرقين في فهم أساليب البيان العربي .

وفي اعتقادنا أن هناك علة أخرى لهذا الخطأ تكمن في أن معظم المستشرقين الذين
درسوا الأدب العربي تشبعت عقولهم بالأسس المنطقية العقلية التي أقام عليها لرسطو وليس
منهج في دراسة المجاز إذ عرف المجاز وبين العلاقات بين المدلولات المجازية
والمعاني بقوله : والمجاز نقل اسم يدل على شيء إلى شيء آخر ، والنقل يتم إما من
جنس إلى نوع ، أو من نوع إلى جنس ، أو من نوع إلى نوع أو بحسب التمثيل :
واعنى بقولي : من جنس إلى نوع ما مثاله : هنا توقفت سفينتي ، ، لأن : الأرساء
ضرب من التوقف (٢) وأما من النوع إلى الجنس فنمثاله : أجل ، لقد قام
أوديسوس بالآلاف من الأعمال المجيدة (٣) ، ، لأن الآلاف : معناها كثير والشاعر
استعملها مكان : كثير ، ومثال المجاز من النوع إلى النوع قوله : انتزع الحياة
يسف من نحاسي وهو صنعا قطع بكأس ملين من نخاسي : : : : لأن : انتزع ،

(١) اللغة الشامية ص ٣٧ .

(٢) التوقف : جنس ، من أنواعه المذروجة تحت : الأرساء .

(٣) كثير : جنس من أنواعه : الآلاف .

هنا معناها «قطع» وه قطع «معناها «الترخ» ، وكلا القولين يدل على تصرف الأجل
(الترت) .

واعني بقولي : « بحسب التعميل » - جميع الأحوال التي فيها تكون نسبة الحد
الثاني إلى الحد الأول كنسبة الرابع إلى الثالث ، لأن الشاعر يستعمل الرابع بدلاً
من الثاني والثاني بدلاً من الرابع ، وفي بعض الأحيان يضاف الحد الذي تعلق به
لكلمة كبديل بها الجاز ، ولا يوضح ما عني بالامثلة أقول أن النسبة بين الكأس
وديونوس ، هي نفس النسبة بين الترس وأرس ، ولهذا يقول الشاعر عن الكأس
إنها «ترس ديونوس» ، وعن الترس أنه «كأس أرس» .

وكذلك : نسبة بين الشيخوخة والحياة هي بعينها نسبة بين العشب والنهار ،
ولهذا يقول الشاعر عن العشب ما قاله أبداقليس أنها «شيخوخة النهار» ، وعن الشيخوخة
إنها «عشب الحياة» أو «غروب الشمس» .

وفي بعض الأحوال التعميل لا يوجد اسم ، ولكن يعبر عن النسبة ، فمثلاً تر
الحب يسمى «البنر» ولكن للتعبير عن فعل الشمس وهي تشر اشعتها لا يوجد لفظ ،
ومع ذلك فإن نسبة هذا الفعل إلى أشعة الشمس هي بعينها نسبة «البنر» إلى الحب ،
ولهذا يقال : « تله نوراً إليها » .

ويمكن أيضاً استعمال هذا الضرب من المجاز بطريقة أخرى : فبعد الدلالة على
شيء باسم يدل على آخر ، فنكر صفة من الصفات الخاصة بهذا الأخير ، فمثلاً
بدلاً من أن نقول عن الترس أنه «كأس أرس» نقول عنه أنه «كأس بلاخمر» (١)
وبعني أن منهج أرسطوطاليس بأسسه المنطقية هذه يقف على طرفي نقيض
من المنهج العربي الأصيل الذي يعتمد استقراء النصوص لترسيخ أسس المنوعة
المنطوية في تجده واتساع لرصد علاقات المجاز وأجرائه في شتى أغصانه : المجاز
المرسى والمجاز العقلي والمجاز بالاستعارة ، فلا يتهي بهذه العلاقات إلى التواضع

(١) من الشعر ص ٥٩ .

محددة ولا يحصر طريقة الانطلاق والجواز بالكلمة الحقيفة في أمر محصورة
وأما يقرر القواعد والضوابط العامة ثم يترك للأدب للبدع حرية صياغة مجازاته
ومن المجازات العربية الأصيلة :

١ - قال تعالى : « وسأل القرية التي كنا فيها » (١)

٢ - قال النبي واصفاً لحطاة جيوش سيف الدولة بأعدائه :

والأهوجية "مِلْ الطَّرِيقَ خَلِّقْتَهُمْ" والشرفية "مِلْ اليَوْمَ قُوتَهُمْ" (٢)
مِلْ اليَوْمَ يراد به مِلْ القضاء الذي بشرق عليه النهار ، فالجواز مرسل
علاقته الخالية .

٣ - قال أبو تمام في المديح :

تَكَادُ عَطَايَاهُ يَمِينٌ جَنُوبِيًّا إِذَا لَمْ يَمُودْهَا بِرِقِيَّةٍ طَالِيًّا (٣)
قوله : « تَكَادُ عَطَايَاهُ يَمِينٌ جَنُوبِيًّا » استدل فيه فيه المصدر « جنون » إلى قطع
« يمين » فهو إذن "جواز حقل" علاقته المصدرية .

أجتر في غيره هذه الأمثلة للمجازات المرصاة والمجازات المنطوية التي وردت
في النصوص الآتية :

١ - قال تعالى : « وَلَكُمْ شُكْرُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْذَاهُمْ » (٤)

٢ - قال تعالى : « وَيَتَرَعَّ عَنَّا لِإِسْمَاءِ » (٥)

٣ - قال رجل من بني تميم :

إِنَّ الَّذِينَ يَسُورُ فِي أَهْلَانِهِمْ زَاهٍ يَسْتَنْ عَطِيهِمْ قَلَامٌ
لَعَنَ الْإِلَهُ تَعْلِيكَ بِنِ مَسَافِرٍ لَعْنَا يَسْتَنْ عَلَيْهِ مِنْ قُدَامِ

(١) يوسف ٥٢

(٢) الأهوجية : الضل المسربة إلى اموج وهو فرس كريم لبني حلال
والشرفية : السبي

(٣) يوقعا : يخصها ، وأرقى : العولة عسها رقى .

(٤) فصلت ٤٣

(٥) الاعراب ٢٧

٤ - قال أبو نواس :

فانصرف لا تمشن علي بدأ

منك للعرف من كسوته

٥ - قال أحمد شوقي في لبنان :

البحر من سود العيون لفته

والبابلي يلظهن مكينه

٦ - وقال أحمد شوقي :

وإذا أراد الله إشفاء القرى

جعل الغداة بها دعاة شقاي

٧ - قال طرفة :

سجدي لك الأيام ما كنت جاهلاً

وبالك بالانجيل من لم تزود

٨ - قال الشاعر :

يُغثني كما صدحت أبكة

وقد نبت الصبح أطرافها

٩ - قال اللبي :

صحبنا الناس قبلنا في الزمانا

وعناهم من أمره ما عانا

وتولوا بنصه كلهم منه

وإن سر بعضهم أجتا

ربما نحن الصبح لياليه

ولكن تكذّر الاحمالا

وكانا لم يترقى فينا برقي

لدهر حتى أعانه من أعانا

كلما أثبت الزمان فناء

وكتب المرء في القفا سقا

١٠ - قال الشاعر :

تسيل على حدّ الطيات قرونا

ولبت على غير الطيات تسيل

١١ - قال اللبي :

إني نزلت بكذابين فيهم

من القرى وعن الرجال عدود

١٢ - قال حمزة :

فتكككت بالريح الأصم نياته

ليس الكريم هل القنا بحرم

أجرى البلاغيون للتأخرين الاستعارات في ضوء المصطلحات التي وضعوها
تصحح أَسْمَاءُها وتخرج فروعها ووفق قواعد مرّ بعضها وتُجْمَلُ بعضها
الأخر فيما يأتي :

١ - إذا كان اللفظ المستعار اسماً جامداً للذات، كالقمر إذا استعير للجميل
و أو اسماً جامداً لمعنى ، كالقتل إذا استعير للضرب الشديد ، سميت الاستعارة
اصليّة في كل من تصرّحية والمكنية، وقد سميت اصليّة لعدم يتأها على تشبيه
آخر مستعير أولاً .

٢ - إذا كان اللفظ المستعار فعلاً، أو اسم فعل ، أو اسماً مشتقاً، أو اسماً
مبهماً أو حرفاً ، فالاستعارة تصرّحية تبعية .

٣ - إذا كان اللفظ المستعار اسماً مشتقاً، أو اسماً مبهماً دون باقي أنواع
التبعية المقتضية ، فالاستعارة تبعية مكنية ، وسميت «تبعية» ، لان جريانها في
الشتقات ، والحروف تابع لجرانها أولاً في الجواند ، وفي كليات معاني الحروف
بني أنها سميت تبعية لتبعيةها لاستعارة أخرى ، لانها في الشقات تابعة للمصادر ،
ولانها في معاني الحروف تابعة لمعانيها ، اذ معاني الحروف جزئية لا تصور
الاستعارة فيها الا بواسطة كل مستقل بالمفهومية، لئلا يكتونها مشبهاً ومشبهاً
بها أو محكوماً عليها ، أو بها .

أجرى الاستعارات في التصريح الآتية معنداً المصطلحات التي تبين أنواعها
وتوضح علاقتها :

١ - قال تعالى : «وَأَصْلَيْتَكُمْ فِي جُنُوعٍ فَتَخَذَلْتُمْ» (١) .

٢ - قال الرسول الكريم صل الله عليه وسلم : «رب تليل ثوبتي واضل حوبتي» .

يُؤدُّونَ الصَّحْبَةَ مِنْ بَعْدِ إِلَى تَحْسُرٍ مِنَ الْإِيوَانِ بِأَدْرِ

٤ - نظر أعرابي إلى رجل جيتد لكذبة (١) فقال : ياغدا، إني لأرى عليك

تظيفة محكمة من نسج أضراسك :-

٥ - قال الرصافي :

دعوت غرّ القواني وهي شاردة فأبليت وهي تمشي مشي معتدٍ

وسلمتني عن طوطٍ مفادتها فرحت فيهن أجزى جزئي منسفر

٦ - قال أبو ماضي من تصديده القرافة المحضرة :

باروضت في سماء الروض طائفة وطائراً كالانحاصي ذا شفا فاكفي

مضى مع صيف عهد كسيلة مية على زفران بالزهر فضحك

فراشة الخطل في روجي كآبته مما عراه ومما نسد تولاك

خلت لرائك كالت أس آفة غشاء فاليوم لا شاد ولا شاكفي

أرض خللاء وجوز غير ذياتي بل هناك شباب فوق أشيواك

(١١)

وأبنا في دراستنا لتثنية التمثيل والاستعارة التمثيلية : ان معظم الباحثين البلاغيين

تعتبر أعلامهم بمشككتين :

أولاهما : الخلط بين تشبيه التمثيل والاستعارة التمثيلية وجعلهما فئتين مترادفتين

يقوم أحدهما مقام الآخر ويؤدي عنه في الأسلوب البلاغي .

ثانيهما : تعدد المصطلحات التي سميت بها الاستعارة التمثيلية؛

ولو وقفنا بين يدي القرآن الكريم لنحسم بأياته الينات هاتين المشككتين ونسفر

على مذهب لاحق في هذا الأمر لثقتنا بقوله تعالى: ولو أنزلنا هذا القرآن على

(١) كذبة : قوة الجسم ، قال ابن القوطية في الأفعال كانت الشفة كذوبا : اسودت،

كان البحر : كثر نسجه .

جئتك لرايته عاشقاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال تُضربها للناس
لعلهم يتفكرون ، (١) لقد فسّر الزمخشري هذه الآية قائلا :

« هذا التحليل والتحليل ... وقد دل عليه قوله ، وتلك الأمثال تُضربها للناس ،
والفرض توبيخ الإنسان على قسوة قلبه وقلة تفهمه عند تلاوة القرآن وتدبر قواعده
وزواجره ، (٢) »

ويبدو من هذا التصريح ان الزمخشري على رأي من عطل بين التمثيل والاستعارة
التمثيلية ، وأنه يؤثر مصطلح التمثيل على مصطلح المثل الذي ورد في الآية الكريمة
جسماً .

وفي رأينا أن هذه الآية الكريمة تضيء لنا الدروب لاستخلاص ثلاث فوائد
من نصها الصريح الذي لا يابيه الباحث من بين يديه ولا من خلقه :

اولها : ان التشبيه التمثيلي غير الاستعارة التمثيلية ، ففي الآية الكريمة لم يرد
ذكر التشبيه الذي هو الانسان في حالته تلك كما لم تذكر أداة التشبيه ، ولم ينص
على وجه التشبه ، وعليه فان تصوير الجبل على وضعه فإله تشبه به في تشبيه حذف
منه طرف هو التشبه ، فهو إذن استعارة تمثيلية وليس تشبيه تمثيلي .

ثانيها : ان المصطلح الذي نص عليه القرآن الكريم دالا على هذا الفن التصويري
هو المثل ، ومن هنا فان المصطلحات الأخرى التي ذكرها علماء البلاغة لم تحرمها
هذه الآية الكريمة .

ثالثها : ان الفرض من ضرب الأمثال هو حمل الناس على التفكير والتدبر ،
وإذن فإن هذا الفن التصويري ليس غاية بفسه ، وإنما هو وسيلة لتحقيق أهداف
وأغراض .

(١) البحر ٢١ .

(٢) الكشاف ج ١ ص ٥٠٩ .

اندرس في ضوء هذه القواعد التصويص الآتية مبراً التشبيه التمثيلي من الاستعارة التمثيلية ومجلاً سر بلاغتها وجمالها:

١ - قال تعالى: **واعلموا أنما الحياة الدنيا لعبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخُرٌ بينكم وتكاثُرٌ في الأموالِ والأولادِ كَتَمَتِ كُلِّ فَئِيقَةٍ أَخْصَابَهُ لِيُكْفَرُوا بِأَنَّهُ ثُمَّ يَرْجَعُ غِرَابٌ مُصَفَّرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا (١)** .

٢ - قال الشاعر:

إذا جاء موسى وألقى العصا فقد بطلَ البحرُ والساحرُ
٣ - قال المتنبي:

ومن بكُّ ذاك لغير مَرِيضٍ يتجدُّ سرّاً به الماءُ الرزازُ
٤ - قبل الرمي يَرائسُ قههم:

٥ - قال الشاعر:

إذا بسطَ الزمانُ يَدَيْهِ لشيءٍ تصييراً لذي قهرٍ الزمانُ
فقد نطو على الرأسِ الذنابى كما يعلو على النارِ الدخانُ

(١٢)

مرّ بنا في الباحث التي عدناها لتعرف الاماليه البيانيه من تشبيه ومجاز واستعارة وكتابة وتحديد الواحها أن بينها مفارقات تميز كل واحد منها عن الآخر. وقد حرص البلاغيون القدماء على التحدث عن هذه المفارقات، وتصدى الرزاي الذين عدوا الكتابة مجازاً ورد عليهم بقوله: **ويبانه أن الكتابة عبارة عن أن تذكر اللفظة وتفيد بمعناها معنى ثانياً هو المقصود، وإذا كانت تفيد المقصود بمعنى اللفظ ويجب أن يكون معناه محيراً، وإذا كان محيراً، فما قلت اللفظة عن موضوعها فلا يكون مجازاً، مثله إذا قلت: **كثير الرماده** فأنت تريد أن تجعل**

حقيقة كثرة الرماد جهلا على كونه جوادا، فأنت قد استعملت هذه الالفاظ في معانيها الاصلية، ولكن^١ غرضك في افادة كونه كثير الرماد معنى ثان يازم الاول وهو الجود، واذا وجب في الكتابة اعتبار معانيها الاصلية لم تكن ملزم أصلا، (١) :

ثم ان لفظة الجزاية قريبة لفظية أو معنوية تمنع لرادة معناها الحقيقي، وتناول ابن الاثير ما يميز الكتابة عن التعريف فقال: «التعريف من أخذ من الكتابة لان دلالة الكتابة لفظية وضعية من جهة المجاز، ودلالة التعريف من جهة الفهم لا بالوضع الحقيقي ولا للجزاي، :» واعلم أن^٢ الكتابة تشمل اللفظ المفرد والمركب معا، فتأتي على هذا تارة، وعلى هذا اخرى، واما التعريف فانه يختص باللفظ المركب، ولا يأتي في اللفظ المفرد لينة،

والدليل على ذلك أنه لا يفهم المعنى فيه من جهة الحقيقة ولا من جهة المجاز، وانما يفهم من جهة التلويح والاشارة: وذلك لا يفضل به اللفظ المفرد، ولكنه يحتاج في الدلالة عليه إلى اللفظ المركب (٢) :

اعتمد مادرت من المقارنات بين الاساليب اليبانية وما يميز انواع كل اسلوب عن بعض ثم حدد الاسلوب اليباني في النصوص الالية فاكراً اسمه ومحتلا أركانها،

١ - قال تعالى: «هو الذي أزل عليك الكتاب منه آياتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ» (٣) .

٢ - قال تعالى: «وقالوا: آتت ففعلت هذا بالكهنة بالبراعيم» قال: «بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا يتعلمونه» (٤) .

(١) نهاية الايجاز ص ١٠٣ .

(٢) الفل السائر القسم الثالث ص ٥٧ .

(٣) آل عمران ٧ .

(٤) الالية ٦٤ - ٦٣ .

٣ - ويروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال: «السلون تكافأ دعاؤهم ويصير
بذلهم ألقام» وهم يندّ على من سواهم، والراء كثير بأعيده»

٤ - يروى عن لقمان الحكيم انه قال لابنه: يا بني اذا أتيت مجلس قوم فارمهم
بهم الاسلام، ثم اجلس، فان أفاضوا في ذكر الله فأجبل صمك مع سهامهم
وإن أفاضوا في غيره فظلمهم وانهم»

٥ - وكان الحجاج بن يوسف يقول على المنبر: «أيها الناس، اقدموا هذه
الاقص فانها أسأل شي اذا أعطيت، وامنع شي اذا منعت، فرحم الله امرأ جعل
لنفسه عظما وزمانا ففادها بخطامها (١) إلى طاعة الله، وعطفها بزمامها عن
محبة الله، فاني رأيت العبير عن محرم الله أيسر من العبير على عذابه»

٦ - قال ابو الهيثمي، وهو عبد المؤمن بن عبد القنوس:
مقدمة لمرأ كان رقابها رقاباً بنات الماء أقرعها الرعسة

٧ - قال صيران بن حبيشان في الحجاج:
هلا يبرزت إلى غزاة في الرضى بل كان قلبك في جناحتي طائر

٨ - قال بشار بن برد يذكر عبيد الله بن قرعة:
قتل لابي يحيى متى تُدرك العلاء وفي كل معروف عليك يمين
اذا جئت في حاجة سدّ بابته فلم تلتك إلا وأنت كمين

٩ - قال أحمد شوقي:
ضحكت إلي من السرور، ولم تزل
بنت الكروم كريمة الأعراف

١٠ - وقال أيضاً في عمر المختار:
واقاء مرفوع الجبين كان
غراط جسر إلى القضاة وداعا

(١) اقدموا، اتموا، انصروا، انضام، حبل من ليف أو شعر أو كتان يلقى طرفه على منضم
العبير ليقاد به، والزمزم: حبل دقيق يجعل في الله

١١ - وقال أيضاً من قصيدته - اندلسية - :

فإن يك الجنس يابن الطلح فتركتنا إذ العصابة يتجتمعن العصابة

١٢ - قال الرصافي في قصيدته - العالم شعراء - :

أسكان بطن الأرض هلاً ذكرتم عهوداً مضت منكم وفتحتم على الظهور

رضيتم بالكفان ليلى حلاً لكم وكنتم أولي الديابج والحللك الحضر

١٣ - كان عروة بن الزبير إذا أسرع إليه إنسان يسوء لم يحته ويقول إني لا تركك

رفقاً لنفسك عنك فجرى بينه وبين علي بن عبدالله بن عباس كلام فأسرع إليه

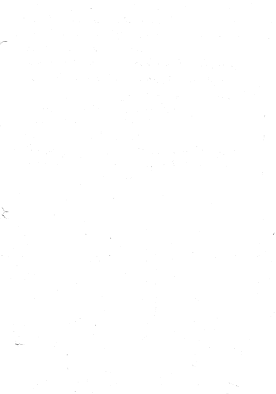
عروة يسوء فقال إني اتركك لما تركك الناس له .

١٤ - قال شاعر في مهنة رجل :

أيوك أياً مازال للناس موجماً لاعتابهم نقر كما ينقر الصقر

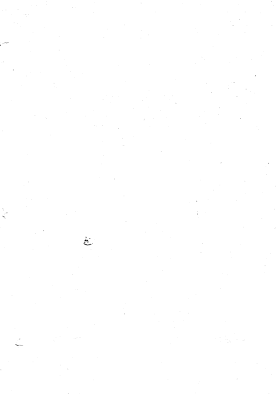
إذا عوج الكشاب يوماً سطورهم ليس بمعوج له أبداً سطر

• • •



الباب الرابع

علم البديع



الفصل الأول

البدع

المبحث الأول

نشأته وتطوره

يقضي معرفة مدلول البدع اصطلاحاً مؤدياً عن علم مخصوص من علوم البلاغة أن تلمّ بالعالي القوية التي نزلت عليها هذه الكلمة في المعجمات .

البدع لغة :

من يطالع في هذه المعجمات يدرك أن كلمة البدع «فعل» من الفعل «بدع» الذي ورد بمعان (١) ، منها «بدع الشيء يدعه يدعا وابدعه : انشأ وبتأه» و«بدع الركبة : استبطنها وأحدثها» و«ابدعت الشيء : اخترعته لاعلى مثال :

وحل هذه المعاني القوية لتلك الأفعال دارت كلمة البدع ، ففي القرآن الكريم : «بدع من أسماء الله تعالى لإبداعه الأشياء وأحداثه إياها» وذلك في قوله تعالى : «بدعُ السماوات والأرض وإذا قُضِيَ امرأً فأنما يقول له كُنْ فيكون» (٢) وفي قوله جلّ جلاله : «بدعُ السماوات والأرض أنسُ يكون له وكذّ ولم تكن له صاحبة» ، و«خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» (٣) .

وركي بدع : حلبة الحفرة : والبدع : المحدث للمجيب ، والبدع : البدع ، وحبل بدع : جديد .

وحل هذا فإن لكلمة البدع لغة ثلاثة معان متطابقة تستمد مظاهرها من الاختراع والحدادة والجددة في أمور مادية ومعنوية .

(١) لسان العرب (بدع) .

(٢) البقرة ١١٧ .

(٣) الأنعام ١٠١ .

تاريخ مصطلح البديع :

لقد تبين المؤرخون المعاصرون (١) لبلاغة العربية تطور كلمة البديع ودخولها ميدان الدراسات البلاغية اصطلاحاً مخصوصاً ، فبها على ان بين القديس غلافيا في نصه على الذين استعملوا مصطلح البديع أول مرة :

لقد ذكر الجاحظ (٢) (- ٨٢٥٥) ان الرواة هم الذين اطلقوا مصطلح البديع اول مرة على المستطرف الجديد من الفنون الشعرية وعلى بعض الصور البلاغية التي يأتي بها الشعراء في اشعارهم فتريدنا هنا وجمالا : في حين ان ابا الفرج الاصفهاني (٣) ذكر ان الشاعر العباسي مسلم بن الوليد (- ٢٠٨ هـ) كان اول من اطلق هذا المصطلح :

وابا كان فان مصطلح البديع قد ورد في اوائل القرن الثالث للهجرة واعتمده الرواة والباحثون من النقاد والبلاغيين والفقهاء ليدلوا على ما انصف به الشعراء الموهوبون من أمثال كلثوم بن عمرو ومنصور شعري ويشار بن برد ومسلم بن الوليد ، وابي تمام ، الذين اکتروا من الاساليب البلاغية في قصائدهم وأفرطوا فيما فرطها من الحسن والملاح .

فنون البديع :

ولعل عبد الله بن المعتز (- ٢٩٦ هـ) هو أول من صنف في هذا الميدان كتابا سماه «البديع» فهو يقول : «وما جمع فنون البديع ولا سبغني فيه أحد وألفته سنة أربع وسبعين ومائتين» (٤)

والؤلف في كتابه هذا لا يعرف البديع ولا يسعى الى تحديد فنونه وادبائه بما يجعله موضوعا راسخا للعالم منطلق للملاحق مشير الأركان ، وغاية ما يقرره

(١) راجع ابلاغاً تطورو تاريخ ٢٥٨ وكتاب فنون بلاغية ص ١٩٦ .

(٢) راجع البيان والبيان ج ٤ ص ٥٥ .

(٣) راجع الاغاني ج ١٩ ص ٣١٠ .

(٤) البديع ص ٥٨ .

بهذا الصدد ، بعد أن يذكر أبوابه الخمسة التي هي : الاستعارة ، والتجنيس ، والمجازية وردّ اعجاز الكلام على ما تقدمها ، والمذهب الكلامي قوله : وقد قلنا أبواب البديع الخمسة وكامل عندنا وكافي بالمعاند المغموم بالاعتراض على الفضائل قد قال البديع أكثر من هذا ، وقال البديع باب أو بابان من الفنون الخمسة التي قدمناها ليقال من يحكم عليه لأن البديع اسم موضوع الفنون من الشعر بذكرها الشعراء ونقاد المتأخرين منهم فأما العلماء باللغة والشعر القديم فلا يعرفون هذا الاسم ولا يدرون ماهوه (١) :

ثم يختلف على ذكر بعض محاسن الكلام والشعر ويعلم أن محاسنها كثيرة لا ينبغي للعالم أن يدعي الاحاطة بها حتى يتبرأ من شذوذه بعضها عن علمه وذكره ثم يقول : وأحيانا لذلك أن تكثر طوائف كتابنا للمتأخرين ويعلم الناظر أننا اقتصرنا بالبديع على الفنون الخمسة اختصارا من غير جهل بمحاسن الكلام ولا ضيق في المعرفة فمن أحب أن يقتدي بنا ويقتصر بالبديع على تلك الخمسة فليفعل ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئا إلى البديع ولم يأت غير رأينا فله اختياره ، (٢) :

ومحاسن الكلام والشعر التي ذكرها ثلاثة عشر وهي : الانضات ، واعتراض كلام في كلام لم ينسج معناه ثم يعود إليه فيقسمه في بيت واحد ، والرجوع ، وحسن الخروج ، والتأكيد مدح بما يشبه الذم ، والمجاهل العارض ، وهزل يراد به الجحد ، وحسن التضمين ، والتعريض والكناية ، والاقتراف في الصفة وحسن التشبيه ، وإعانت الشاعر نفسه في القوافي وحسن الإبداعات :

ويوضح من هذا أن ابن المعتز إلى جانب ما قلنا من تحجبه تعريف البديع وتحديد أبوابه ، ينسب إلى أبواب البديع ثلاثة فنون من أبواب علم البيان وهي : التشبيه ، والاستعارة ، والكناية ، وبذلك سنّ الذين صنفوا في هذا الباب من بعده سنة

(١) البديع ص ٥٥ .

(٢) البديع ص ٥٥ .

لتوسع في معنى البديع ليقوم في معناه نظام البلاغة حتى بعد أن استقلت فيها علوم
البيان والبديع والمعاني .

وعمل هذه السنة جرى المصنفون في إحصاء القرآن والتأليفون في علم البلاغة
والتحدثون في موضوعات الأدب منذ أواخر القرن الثالث للهجرة ، فأخذوا
يقفون إلى ما اكتشف ابن المعتز من فنون البديع ومحاسن الكلام والشعر ما وأوه
سيفا توجهوا إليه وكشفوا عنه إذ لم يلبث أن فقد قدامه بن جعفر إلى زيادة ثلاثة
عشر مئة ، ثم تلاه أبو هلال العسكري بعد من الحصان خمسة وثلاثين ،
وكذلك صنع ابن رشيق في كتابه العجلة (١) .

وقد ظل مصطلح البديع على هذا النحو من إغفال تعريفه وإقامة حدوده وتركه
شاملا متصفا حتى لدى الذين اعتلوا لفظه وأقاموه عنوانا لمصنفاتهم ، فأسامه بن
مقد (- ٥٥٨٤) سقى احد كتبه « البديع في نقد الشعر » جمع فيه خمسة وتسعين
فنا بلاغيا ، لم يعرف البديع أو يتحدث عنه وإنما اشار إليه أنه جمع في كتابه
ما تفرق في كتب العلماء المتخصصين المصنفة في نقد الشعر ، وذكر محاسنه وعيوبه
ليكون متبنا عن تلك الكتب لنفسه أحسن ما فيها (٢) .

وكذلك فعل ابن أبي الأصبح العمري (- ٥٦٥٤) في كتابه « بديع القرآن »
اذ جعل منه الاشارة إلى مصادره ولقد من سبقه والتتبعه بما انتهى إليه فذكر :
أن شرف الدين التيفاشي جمع في كتابه البديع عالم بجميع غيره ، لولا مواضع
تقلها كما وجدها ولم يتم النظر فيها ثم روى قصة جهوده مع البديع في مصنفاته
فقال : « غير اني تزعمت تحرير ما جمعت جهدي ، ودققت النظر حسب طائفي
وروسي ، لتجنبتي التداخل ، وتحررت من التوارد ، ولقحت ما يجب تنقيحه ،
وصححت ما قلوت على تصحيحه ، ووضعت كل شاهد في موضعه ، وربما
أهليت اسم الباب وغيرت مسماه ، اذا رأيت اسمه لا يطابق معناه ، إلا ما كان

(١) البلاغة تطور وتاريخ ص ٢٥٨ .

(٢) راجع البديع في نقد الشعر ص ٨ .

جئت من ذلك خمسة وتسعين باباً اصولاً وفروعاً ، فالاصول منها ما اشكر
 المختصان الاولان تلوينه ، وهما مقدمة بن جعفر الكتاب وابن المعتز ، وعدتها
 ثلاثون باباً بعد حذف ما تولدوا عليه منها ، وما تدخل عليهما فيها ، وخمسة
 وستون باباً لم يجرأ بعدهما ، إلى زمني هذا على ما قدمت من الشرائط ، ورأيت
 أن أضيف إلى ذلك الاصل والمضاف فذلكه أنا مخرج اسمائها ، واستخرج
 شواهدنا فاستبقت واحداً ولثلاثين باباً لم أسبق في غلبه ظني إلى شيء منها ، إلا
 ان يوجد في زوايا الكتب شيء من ذلك لم أنصف عليه ، فأكون أنا ومن سبقني
 متواريين عليه ، وما اتصل ذلك ان شاء الله تعالى .

فأنصفت ما استبقت إلى الاصل والمضاف الذي جمعت قصارته الفلكة مائة
 باب وستة وعشرين باباً كلها في كتابي الجامع ليدرج جميع الكلام الموسوم بتصوير
 التصوير ، ولما فتح على يعمل الكتاب الذي وسسته به بيان البرهان في اعجاز القرآن ،
 وعلمت أنه لا بد له من ثمة تتضمن ما في الكتاب العزيز من أبواب البديع فأقررت
 ما يخص بالقرآن . فكان ذلك مائة باب وثمانية أبواب ، (١) :

ثم يسرع في سوقه الابواب مبتدئاً بابها باب الاستعارة كما فعل ابن المعتز قبله
 بثلاثة قرون من غير ان يعرف البديع ويضهر من اطرافه ويفرق ما بينه وبين البلاغة
 بل أدخل فيه بعض ابواب المعاني مثل الاطناب والتكرار والتشبيه والاستقصاء
 والايضاح والبسط والايجاز .
 البديعيات :

وبعد هذا دخل البديع في دائرة التريض فتجرد طائفة من الشعراء لنظم فنونه
 وترصيع قصائدهم بألوانه وفق طراز مخصوص ، وبهذا تاريخ البلاغة (٢)
 العربية بهذا الشأن أن علي بن حسان الأرملي (- ٥٦٧) ، نظم قصيدة في بديع

(١) بديع القرآن ص ١٣ - ١٥ .

(٢) راجع البلاغة تطور وتاريخ ص ٣٦٠ .

بعض معاصريه مضمناً كل بيت منها محناً من محنات البلديج ، وبإزاء كل بيت المحن الذي يشير إليه .

ونظم صفي الدين الحلبي (- ١٧٥٠هـ) قصيدة في مديح الرسول - صلى الله عليه وسلم - على غرار بردة أبو بصير الشهورة ، وقد امتدت إلى مائة وخمسة وأربعين بيتاً وضمن كل بيت فيها محناً من محنات البلديج ، بحيث ضمت مائة وخمسين محناً وسماها والكافية البديعية في الملتاح لقبوية ، وألف عليها شرحاً سماه والتاح الالهية في شرح الكافية البديعية .

ثم أخذ العلماء ببارون في نظم قصائد بديعيات على غرار بديعية صفي الدين الحلبي يمدحون بها الرسول الكريم ويضمنون كل بيت فيها محناً بديعياً ، ومن هذه البديعيات بديعية ابن جابر الأندلسي (- ١٧٨٠هـ) المسماة والحلة السيرا في مدح خير الورى ، وبديعية الشيخ عز الدين الموصلبي (- ١٧٨٩هـ) وبديعية ابن حجة الحموي (- ١٨٣٧هـ) وبديعية عائشة الباعونية العسقلانية (- ١٩٢٢هـ) وبديعية صخر الدين بن منصور الحسيني المدني (- ١١١٧هـ) التي صنف عليها تأملها شرحاً سماه أكلول الربيع في أنواع البلديج ، وهي من طراز بديعية ابن حجة وعز الدين الموصلبي .

والمجد الفتي القابلي قصوي (- ١٢٤٣هـ) بديعيتان : أولاهما على مثال بديعية صفي الدين الحلبي وعائشة الباعونية ، أي أن آياتها لا تتضمن أسماء المحنات البديعية وانظر لها اسم ونسبات الأسفار في مدح الفتي المختار .
وثانيتهما من طراز بديعية عز الدين الموصلبي وابن حجة الحموي أي أن آياتها تتضمن أسماء المحنات البديعية .

وجرى شعراء معاصرون في هذه الحلية فنظموا بديعيات تلتقي مع البديعيات التي نلناها في أنها تأخذ شكل مختصرات جملة تكاد تكون رموزاً ، ولذلك كان ناضجاً أو غيره بعدد ال شرحها ، فوصلنا مع علم البلديج في هذه البديعيات إلى .

وصلنا اليه مع البلاغة العربية كلها عند السكاكي ومن جاء بعده . فاللغز بعد
 ال تلخيص الشديد ، ويحتاج عمله ال شرح ، وتوضيح الشروح ، ولما يظفر
 البديع نفسه بدراسة غنية سوى الافراط والتفريط في تصنع أنواع البديع واختلافها
 وتسميتها بلها المصطلح ال ذلك من المصطلحات الي كان تشغل لتشاغل لتاحتيا
 أن يكثرها عدداً ويزيدوها احصاء حتى ولو لم تكن مسيبتها من البديع في شي .
 لذلك انته البديع ليشمل الصور الياية وكثيراً من صور علم المعاني ، وأخذ المؤلفون
 فيه يضيفون الشيء واسماء لايمكن أن تدخل في المحسنات كالتقسيم والاستدراك
 والتفريق ، وذكر الوصاف عدة لوصوف والبسط والاعتراض ، والشكرار ،
 وتوحيوا في تسمية صوره ، وعموم الخطاب مثل : يا ايها الناس ، والتغليب والتسليم
 والأجلاء ال غير ذلك (١) ، مما احال للكلام في البديع ومحسناته ال صورة غنة ،
 ضرورها اكثر من نفعها ، لانها خلطت بينهما مزجاً بالبديع الحقيقي (٢) .

أهمية البديع

ان هذه الحقبة التاريخية لا تغفل لأهمية البديع في البلاغة العربية ولا تنكر دور
 فنونه المتكررة في بناء الاسلوب الفني للادب العربي ، ذلك لان هذه الفنون
 أصلية في هذا الادب جرت في أوصاله منذ أقدم عصوره وفي شتى موضوعاته
 والمخاضه وانها لم تكن بدعة شكلية اصطنعها الشعراء المؤلفون في العصر الجلسي
 الأول وموضوعها فرحاً على اللغة العربية .

وقد اتبه ابن حجر ال هذه المسألة واعتمدها متبعها تاريخياً في تأليف كتابه
 الذي هو باكورة المصنفات في البديع قال . "لقد قدما في ابواب كتابنا هذا
 بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكلام
 الصحابة والاعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون

(١) راجع البلاغة تطور وتاريخ ص ٢١٦ .

(٢) انظر فنون بلاغية ص ٢١١ وما بعدها .

بِالْبَيْعِ يُعْتَمَدُ أَنْ يَشَارَ وَمَسْأَلًا وَأَيَا نَوَاسٍ وَمَنْ تَقَبَّلْتَهُمْ وَمَسْأَلَةً سِيْلَهُمْ لَمْ
 يَبْتَدِئُوا فِي هَذَا الْقَوْلِ ، (١) ،
 أصالة لقول البديع :

لقد سعى عبد القاهر الجرجاني الى ترسيخ معايير تطبيقية لتسيير فنون البديع
 الاصلية عن التزيين اللغوي والصناعة الشكلية مقرراً بذلك اعني هذه الفنون
 وبعدها سبيل تحقيقها وتجنب الاطراط فيها فقال متحدثاً عن البديع عامة وعن
 التجنيس والسجع خاصة : وان ما يعطي التجنيس من القفضة أمر لم يتم إلا بتصرف
 المعنى إذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه مستحسن ، ولما وجد فيه إلا عيبه
 مستهجن ، ولذلك ذم الاستكثار منه والولوع به ولهذا الحال كان
 كلام المظنمين الذين تركوا لفضل العناية بالسجع ، ولزموا سجية الطبع ، أمكن
 في القول ، وأهد من القلق ، وأوضح للمراد ، وأفضل عند ذوي التحصيل ،
 وأسلم من الغلوت وأكشف عن الاغراض ، والنصر للجهة التي تنحو نحو العفل ،
 وأهد من التعمد الذي هو ضرب من الخداع بالتزيين ، والرغبي بأن تقع التفضية
 في نفس الصورة وذات الحلقة اذا اكثر فيها من الرسم والتشبيح ، والغفل صاحبها
 بالحل والوشى ، قياس الحل على السيف الذي (٢) والتوسع في الدعوى بطيريهان ،
 كما قال :

اذا لم تشاهد غير حُسْنِ شَيْئَانِهَا وَأَعْضَالِهَا فَالْحُسْنُ عِنْدَكَ مَشْتَبٌ (٣)
 وقد نجد في كلام المتأخرين الآن كلاماً حمل صاحبه فرط شغفه بأمر ترجع
 الى ماله اسم في البديع الى أن ينسى أنه يتكلم ليفهم ، ويقول ليبن ، ويخيل
 له أنه اذا جمع بين اللام البديع في بيت فلا طير أن يقع ما عناه في عماء وأن

(١) البديع ص ١٠١ .

(٢) البدان بالفتح ، الكليل فهو كاللحم وزنا وحشي ويطلق على عده وهو السجع .

(٣) الشيات : جمع شية كعدة وعدات ، وهو كل لون في الشيء بخلاف معظم
 لونه الاصلي وهو من الوشي . والكلام في الخيل .

يوضع السامع من طلبه في محيط عشوائى وربما طمس بكثرة ما يشككته على الحق
واقصده ، كمن نقل العروس بأصناف الخلق ، حتى ينالها من ذلك مكروه في
نفسها (١) .

لهاذا يذكر عبد القاهر أربعة معايير لبيان دور فنون البديع ووضع اليد على
عائبة الضرب فيها :

أولها : ملامحة في البديع لئنى والسجانه معه واتساحه به .
والثاني : صدوره عن الطبع وانبثاله عن السليقة والامساك به اذا ما جاء عن تصنع
وتكلف :

والثالث : توظيفه من اجل الافهام والابانة .

ورابعها : تجنبه للاكثار والتراكم بلا طائل وبلا هدف .

ان هذه المعايير - بلا ريب - تصح في ميدان التطبيق مؤشرات لتمييز البديع
الاصيل عن التزييف ووضع حد للاكثار من فروعه وشعبه حتى يفسح معها
دوره الاصيل في اشراقه الاسلوب العربي ووضوحه وبيانه وتأثيره :

(١) اسرار البلاغة ص ٩٠-٩١ .

البحث الثاني

المحركات العنوية واللفظية

رأينا فيما مضى ان مصطلح البديع ولد في النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة ليدل على مفهوم عام اتسع لموضوعات من علم البيان والمعاني ، وانه ظل كذلك طوال العصور المختلفة حتى كاد يفوم في مدلوله مقام علوم البلاغة كلها ويضم اليه فنون القول والوان التعبير المتعددة .

السكاكي وقسم البديع :

وفي هذا الخضم من قلب مصطلح البديع تصدى السكاكي (- ٨٦٢٦) لطائفة من فنونه فتناولها بمنهجه الكلامي وأولج بتفصيلاتها وتفرعاتها ، وما يلاحظ بهذا الصدد انه لم يسم " ما تناول من فنون البديع يدعيا ولم يعتمد مصطلحه ، كما انه لم يدخلها في البلاغة وانما سماها محركات وراعا وجوها (١) مخصصة كثيرا ما يشار اليها لتعدد تحسين الكلام ، وذكر منها ستة وعشرين لونا وترك باب التنبيه على المزيد منها مفتوحا للباحثين والتأملين . والسكاكي في تصديده لانواع البديع تلك صنفها الى قسمين : قسم يرجع الى المعنى ، وقسم يرجع الى اللفظ .

فمن الضرب الاول : المطابقة ، والمغايرة ، والشاكلة ، وعراعاة النظر ، وهو الجمع بين التشابهات كقوله :

وحرف كتون تحت راء ولم يكن بدال يوم الرسم شبره السقط
والمزوجة وهي أن تراوج بين معنيين في الشرط والجزاء ، كقوله :

اذا ما نهى التاهي تلج يسى المسوى اصاخ الى الوائي فلتج في اقتجسر
والف والنشر ، وهو أن تلف بين شيئين في الذكر ثم تتبعهما كلاما مشغلا
على متعلق يواحد ويآخر من غير تعيين ثقة بأن السامع يرد كلا منهما الى ما هو له
كقوله جز وعلا : ، ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكتوا فيه ولتنبهوا
من لفضله ، (٢) :

(١) راجع مفتاح العلوم ص ٢٠٠ .

(٢) القصص ٧٢ .

والجمع هو أن تدخل شيئين فصاعداً في نوع واحد كقوله :
 إن الفساح والشباب والجدة مفسدة للرم أي مفسدة
 والضرب ، وهو أن تصد إلى شيئين من نوع لتوقع بينهما تبايناً كقوله :
 ما نوال الغمام وقت ربيع كوال الأمير وقت سخاء
 فنوال الأمير بكثرة عين ونوال الغمام قسرة ماء
 والتضميم : وهو أن تذكر شيئاً ذا جزئين أو أكثر ثم تضيف إلى كل واحد من
 اجزائه ما هو له عندك كقوله :

أبسان لم يبلغ لابساً كلان إذا صحبا المرء غير فكيد
 فهذا طويل كظلم القضاة وهذا قصير كظلم التوكيد
 والجمع مع الضرب : وهو أن تدخل شيئين في معنى واحد وتفرق جهتي
 الإدخال كقوله :

قد أسود كالمك صدفاً وقد طاب كالمك علفاً
 فإنه شبه الصدغ والخلق بالمك ثم فرق بين وجهي التشابه كما ترى
 والجمع مع التضميم : وهو أن تجمع أموراً كثيرة تحت حكم ثم تقسم ، أو تقسم
 ثم تجمع ، مثال الأول قول المتنبي :

لدهرٍ محذرٍ والسيف متظرف وأرضهم لك بمطافٍ ومرتبج
 لسي ما تكحوا والقتل ما ولدوا والنهب ما جمعوا والسر ما زرعوا
 فإنه جمع في البيت الأول أرض العدو وما فيها في كونها مخالفة للملوح
 وقسم في الثاني ، ومثال الثاني قول حسان رضي الله عنه :

قوم إذا حاربوا خسروا عدوهم أو حللوا الفتح في أسياعهم تقفوا
 سجية تلك منهم غير محلثة إن الخلاق فاعلم شرها ليدع
 فإنه قسم في البيت الأول حيث ذكر ضمهم للأعداء وتضمهم للأولياء
 جمع في الثاني فقال : سجية تلك ،

والجمع مع الضمير والضم ، كما اذا قلت :

فكانوا ضوءاً وكانوا حراً عبياً حبيبي وحسرة بالي
فذلك من ضوره في اختلف وهذا حرفه في اختلف
والايام ويقصد به التورية ، والتأكيد للتح بما يشبه القدم .

والتورية : وهو ايراد الكلام محتملاً لوجهين مختلفين :

وسوق العلوم ساق غيره ، كقولك تعالى : **وإنا** أو **إياكم** على **هــم** أو في خلال
مين ، (١) :

والأعراض : ويسمى الحشو ، والاستيعاب ، وهو اللحن بشئ على وجه يستج
منها آخر كقولك :

تَهَيَّئْتِ مِنَ الْأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتِ لَهَيَّئْتِ لِلدُّنْيَا بِأَنَّكَ غَالِيَةٌ
والانقذات ، وتقليل اللفظ ولا ثقيله :

ومن القسم الثاني : التجنيس ورد العجز الـ الصغر ، والقلب ، والاستيعاب ،
والتواصل القرآنية ، والترصيع ، وهو ان تكون الالفاظ مستوية الـ الأوزان متطرفة

الاعجاز او مقاربتها كقولك عز اسمه : **وإن** **لينا** **إياتهم** ثم **إن** **علينا** **حسابهم** ، (٢) :

رواضح من هذا : أن السكاكي (٣) يقسم لأول مرة فنون البديع الـ خمسين :
لونها : الحسان المنوبة .
لأيهما : الحسان المنقبة .

(١) سياً ٢٤ .

(٢) - لغاتية ٢٥ - ٢٦ .

(٣) راجع مفتاح العلوم ص ٢٠٠ - ٢٠٤ .

وعندما أخص بدر الدين بن مالك (٦٨٦هـ) القسم الثالث من «مفتاح العلوم»
لسكاكي في كتابه «المصباح في علم اللغوي والبيان والبدیع» اطلق مصطلح
«البدیع» على القسم الثالث من البلاغة (١) :

وعلمته بالفصاحة ، اذ يهد له بقوله : «وهو معرفة أنواع الفصاحة للأبد لغرض
فيه من تقديم ذكرها فنقول : والفصاحة هي صوغ الكلام على وجه له توفية بتام
الافهام للمناه وتبين المراد منه ، وهي نوعان : معنوية واللفظية» (٢) .

وبعد ان ذكر طائفة من شروط الفصاحة اللفظية والفصاحة المعنوية استرسل في
حديثه عما يتعلق بفنون البدیع فقال : «وقد ظهر من هذا ان لابد من تكميل
الفصاحة من إتيان المعنى باللفظ المختار وهي من متممات البلاغة ومما يكسو الكلام
حالة التزين ويرقيه أعلى درجات التحسين ، ويضرح منها وجوه كثيرة يصار
اليها في باب تحسين الكلام ، فلتعرض للاهم منها في ثلاثة فصول لأنها
لما راجعة الى الفصاحة اللفظية ولما راجعة الى المعنوية ، والراجعة الى المعنوية
لما مختصة بالافهام والتبيين ، ولما مختصة بالتزين والتحسين» (٣) :

وذكر مما يتعلق بالفصاحة اللفظية اربعة وعشرين نوعا، ومما يخص الفصاحة
المعنوية تسعة عشر نوعا ، وما يرجع الى الفصاحة المختصة بتحسين الكلام وتزيينه
لقدالة على قوة عارضة للكلم وتسمى خمسة عشر نوعا ، فهذه ثمانية وخمسون
نوعا من فنون البدیع التي اربعة وعشرين فنا من كتاب «مفتاح العلوم» ولفقت
سائرها من الكتب الاخرى التي رأيناها كتفنن منذ أيام ابن المعتز في الاكثر منها
وزيادة عندنا .

(١) ينظر البلاغة عند السكاكي ص ٣٧٠ ولغون بلاغية ص ٢٠٥ ، ومصطلحات
بلاغية ص ٨٨ ومفتاح بلاغية ص ٣٢٢ .

(٢) المصباح ص ٧٥ .

(٣) المصباح ص ٣٦ .

أما نسبت هذه الثلاثة فليس لها أي أساس موضوعي وإن تميزه بين الحركات
 المعنوية وتفرعها إلى قسمين لا يتضح ولا يستقيم ثم أنه قد خالف البلاغيين بإدخاله
 الطائفة والمقابلة في الحركات المقضية وهو في مخالفته هذه لا يكاد يستند إلى شيء
 ذلك لأنه لا يشك أحد في أن هذين النوعين البديعيين يتعلقان بالمعاني ولا يستأن إلى
 الالفاظ بصفة خاصة : ومهما يكن فإن عمل بدر الدين بن مالك مظهر لما وصلت
 إليه البلاغة العربية لدى اتباع المدرسة الكلامية من الجهور والفرع بالتقسيمات
 والتفريعات .

فنون البديع بين محسنات معنوية ومحسنات لفظية :

لقد التزم الخليل القزويني (١٧٣٩ -) بقسمة السكاكي لفنون البديع إلى
 محسنات معنوية ومحسنات لفظية ، مطبقا إلى ما أورد السكاكي فنونا جديدة ذلك
 لأنه ذكر من المحسنات المعنوية اثنين وثلاثين نوعا ومن المحسنات اللفظية تسعة
 أنواع وفصله عن البلاغة فصلا تاما ، إذ عد البلاغة علمين هما : علم المعاني وعلم
 البيان .

ومن هنا فقد حد البديع بقوله : وعلم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية
تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة (١) .

وفي ضوء هذا التعريف ألقى عن البديع ما عدته بعضهم من فنونه نحو ما يرجع
 في التحسين إلى الخط دون القنط مع أنه لا يتكلم عن التكلف ، ككون الكلمات
 متماثلتين في الخط ، وكون الحروف متشوقة أو غير متشوقة ، ونحو ما لا أثر
 له في التحسين ، كما يسمى التزييد .

أو لعدم جدواه ، نحو ما يوجد في كتب بعض المتأخرين مما هو داخل فيما
 ذكرناه ، كما ساء الأيضاح ، فإنه في الحقيقة راجع إلى الأطناب أو غلط فيه ،
 كما ساء حسن البيان (٢) .

(١) الأيضاح ص ٣٣٤ .
 (٢) الأيضاح ص ٤٠١ .

ان البلاغيين بعد القزويني لم يأتوا بشي* ذي بال في نسبة المحسنات البديعية الى
محسنات معنوية ومحسنات لفظية وغاية ما انتهى اليه أنهم علقوا المحسنات المعنوية
بما يدخل في التحسين المعنوي وتزيين الكلام من حيث مضمره .
اما المحسنات اللفظية فقد جعلوها خاصة بالمسرح من ظواهر الالفاظ وأجرامها
فاصلين بذلك بين اللفظ والمعنى في بنية النص الادبي الذي لا يمكن تصور ذلك
الفصل فيه إلا فرضاً وتوهماً :



الفصل الثاني
الحجرات المعنوية
البحث الأول
التورية

التورية لغة :

التورية لغة (١) : مصدر ورث الحديث : اذا أخفيته وأظهرت غيره ، قال أبو عبيدة : لا أراه إلا مأخوفاً من وراء الإنسان ، فإذا قال : ورثته فكأنه جعله وراءه بحيث لا يظهر .

التورية اصطلاحاً :

أما في الاصطلاح (٢) : فهو أن يذكرنا معنيان ، أما بالاشتراك ، أو التواطؤ ، أو الحقيقة والمجاز أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة ، والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية ، فيقصد للشكلم المعنى البعيد ، ويروي عنه بالتقريب ، فيتوهم السامع أنه يريد التقريب من أول وهلة ، ولهذا سمي إبهاماً : كما سمي توجيهها وتخيلاً ، والتورية أولى في التسمية تقربها من مطابقة السمي ، من ذلك قوله تعالى : « قالوا تأخّر إنك لفي ضلالك القديم » (٣) ، فانظر إلى كون الضلال ههنا يحتمل الحب وخد الحدي ، وكيف استعمله أولاد يعقوب عليه السلام خد الحدي ، فوروا به عن الحب ليظن أن المراد ما أهملوا لا ما استعملوا (٤) . ومن ذلك قول أبي العلاء المعري :

وحرفٌ كمنونٍ تحت راءٍ ولم يكن بدالٍ يلزم الرسم خبسهُ القسط
فمن سجع هذا البيت توهم أنه يريد براءٍ ودالٍ حرفي الهجاء لأنه صدّرَ بيته

(١) راجع عزارة الأدهب ص ٢٣٩ والوار الرابع ج ٥ ص ٥ .

(٢) السبكيان والاصطلاح ص ٣٥٢ .

(٣) يوسف ٩٦ .

(٤) راجع بديع القرآن ص ١٠٢ .

بذكر الحروف واتبع ذلك بالرسم والتقط ، وهذا مما هو المعنى القريب للتباين
أولاً إلى ذهن السامع :

والمراد غيره وهو المعنى البعيد اللوئى عنه بالتقريب لأن مراده بالحرف الثالثة وبحرف التون
تشبه الثالثة به في تنويصها وتضمورها وإيراد اسم القاعل من رأى إذا ضرب الرقة
وبدال اسم القاعل من دلا يدلوا إذا رفق في السير ، وبالرسم : أثر القدر ، وبالخط :
المطر (١) ومعنى هذا البيت : أن هذه الثالثة لضعفها واتحائها مثل تون تحت
رجل يضرب رثتها ولم يرفق بها في السير فهو غير ذال وقد تقدم أن الثاني هو
الرفيق وبؤم بها داراً غير المطر رسمها : واجتماع هذه الأوصاف دليل على
ضعف الثالثة لأنها لو كانت قوية لما احتاجت إلى ضرب رثتها وإلى الرفق بها مع
شدة شوقه إلى ديار أسياحه وذلك باعث على شدة السير .

رثتها الثورية :

ويظهر من تعريف الثورية وتحليل فنيك للشاهدين أن خلافتين من فنون
البدع ركنين معنويين :

أولهما : اللوئى به وهو المعنى القريب للفتحة الذي لا يقصد إليه التكلم ويستر به
سواه .

ثانيهما : اللوئى عنه وهو المعنى البعيد المستور الذي يعنيه التكلم .

أقسام الثورية :

لقد قسم القزويني الثورية (٢) على أساس ما يذكر معها إلى ضربين هما :
المجردة والمرشحة : ثم زاد في هذين الضربين المتأخرون فأوصلها إلى أربعة بأنواع
الهيئة والمهيئة إلى النوعين الأولين .

(١) راجع حزانة الأدب ص ٢٢٩ .

(٢) راجع الإيضاح ص ٣٠٣ .

أما المجردة : فهي التي تنجرده عما يلائم كلا من المعنيين ، أي المورى به
والمورى عنه : مثال ذلك قوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » (١) ،
فإن الاستواء يطلق على معنيين هما الاستقرار في مكان ، والقدرة :

والتورية في الآية الكريمة لم تجامع شيئا يلائم المورى به ولا المورى عنه ؛ واعترض
بعض المحققين بأن فيه ما يلائم المورى به وهو على العرش ، لأنه ملائم للاستقرار .
ومنه قول النبي - صلى الله عليه وسلم - في خروجه إلى بدر ، وقد قيل له :
من أنتم ؟ فلم يرد أن يطم السائل فقال : من ماء ، أراد أناسخوق من ماء فوري
عنه بقية من العرب : ومن ذلك قول لقاضي عباس :

كان كساون أهدى من ملايه شهر تموز أنواعاً من الحنكل
أو الغزاة من طول المدى خرفت فما تحرق بين الجدي والحمكر
بني كأن الشمس من كبرها وطول مدتها صارت عرقه قليلة العطل فزلت
في برج الجدي في أوان الخلول يبرج الحمل : والشاهد في الغزاة ، فإنه لم يذكر
معها شيء من لوازم الغزاة الوحشية ، وهو المورى به كطول العنق ، وحسن الالتفات
وسرعة الفود ، وسواد العين : ولا شيء من لوازم الغزاة الشمسية ، كالاشراق ،
والطلع ، والأفول .

وليس لقائل أن يقول : إن الغزاة قد ترسخت بالجدي والحمل ، وهي مرشحة
لهما ، لأنه يشترط في لوازم التورية أن لا يكون لفظاً مشتركاً ، والغزاة هنا
مشتركة ، وكذا الجدي والحمل فأنهما يطلقان على الحيوان المروف وعلى بعض
اليرج :

وأنا أتى في التورية بلازم لكل من المعنيين فتكلاً ولم يرجح أحدهما على
الأخر فكأنك لم تذكر شيئاً من اللازمين ، وصار المعنى للقريب والمعنى البعيد

بذلك في ترجمة واحدة تطلق هذه التورية بالجردة ، وتعد منها قسماً ثالثاً وتصير
جردة بهذا الاعتبار .

كقول ابن الوردى :

قالت لانا كُنْتُ نَهْوَى وَحَمَلِي وَخَشَى ثُورِي
صِفَةٌ وَرَدَّ عَدِّي وَإِلَّا أَجُورُ تَأْتِيَتْ جُورِي

قوله : ورد عدي يلائم ان يراد بقوله : جوري اسم نوع من الورود ،
وهو المعنى الجيد للورى عنه وهو المقصود ، وقوله : « وإلا أجور » يلائم لان يراد
به فعل الامر المستدل ضمير الواحدة ، وهو المعنى القريب للورى به .

وأما الرشحة : فهي التي تجامع ملائمة للمعنى القريب للورى به وهي قسبان :

أولها : ما جامع ملائمة قبل التورية ، كقول الشاعر :

حَمَلَانَهُمْ طَرَأَ عَلَى الدُّهْمِ بَعْدَمَا خَلَعْنَا عَلَيْهِم بِالطَّمَانِ مَلَابَا

الشاهد في كلمة «الدُّهْم» ، فانه يحتمل الخيل للدم وهو المعنى القريب للورى
به ، وقد تقدم لازمه للرشح له وهو فقط الحمل ، لانه من لوازم الخيل .

ويحتمل القيود وهو المعنى الجيد للورى عنه وهو المراد ، لانه أراد تقييد العدي به
وقائهما : ما جامع ملائمة بعد التورية ، كقول الصاحب عطاء الملك في امرأة
اسمها شجر :

يَاحَيِّبًا شَجَرَ وَطَيْبٍ لَيْبَهَا لَوِ آهَاتُ نَفْسِي بِمَاءِ وَاحِدٍ

الشاهد في «شجر» فانه يحتمل ماله ساق من نبات وهو المعنى اللورى به ،

وقد رشحه بعد التورية بما يلائمه وهو طيب النسب والسقي بماء واحد ، ويحتمل

اسم المرأة وهو المعنى اللورى عنه وهو المقصود .

أما الميتة : فهي التي تجامع ملائمة للمعنى الجيد للورى عنه اما قبلها او بعدها .

فهي أيضاً قسبان :

الأول : ما جامع ملائمة قبل الثورية كقول الشيخ بحجة :

قالوا أما في جائق لسهمة تنبيك من أنت به مكشوى
يا عاتلي فوقك من لحظه سهماً ومن عارضة سطره
الشاهد هنا في السهم هو السطر فإن المعنى البعيد المورى عنه هما الموضوعان المشهوران
من مترجات دعش ، وقد جامعاً ما يلائمها قبلهما وهو ذكر الترجمة ، وأما المعنى
لقرب فهم الحظ ، واطر العارضة

الثاني : ما جامع ملائمة بعد الثورية ، كقول ابن سناء الملك :

أما والله لولا عروف سخطك لكان علي ما ألقى برهطك
ملكك الخالقين نهت عجباً وليس هما سوى لقي وقسطك
فانه لواد بالخالقين قلبه ولوط بحبونه ، وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه ،
وقد يتع بالنس عليه في الصراع الأخير . ويحتمل أن يريد الشرق والغرب ،
وهذا هو المعنى لقرب المورى به .

أما الحياة : فهي التي تضر ال ذكر شيء يبيها لاحتمال الخين اما قبلها ،
أو بعدها والألم تنها الثورية ، أو تكون بلفظين أو أكثر لولا كل منهما لم تنها
ثورية في الآخر ، فهي بهذا الاختيار ثلاثة المقام :

الأول : ما يوافق بلفظ قبلها كقول الشيخ احمد بن عيسى الرشدي في شداد
لغة لشريف مكة الشرفة ، والشداد في عرف أهل الحجاز الرحل :

أنتق شداد بعت به شمس الخلاله والهلل
ومن المجانب جمع لث الشرافة والخرزال

الشاهد في الهلال والخرزال ، فأما يحتملان أن يكونا بمعنى قصر وواللفظي ،
وهذا هو المعنى لقرب المورى به ويحتمل أن يراد به جزآن من الرحل ، فإن
الهلال في اصطلاحهم مفرج مقدم الرحل ، والخرزال الرحل كالقربوس لفرج .

وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه : ولولا ذكر الشداد قبلهما ما تهيأت التورية
فيهما

الثاني : ما تهيأت بلفظ بعدها كقول ابن الربيع :

لولا التطيرُ بالخلافِ واتهم فقالوا مريض لا يعود مريضاً
لأنبت تحسني في جنبك خلعةً لأكون مريضاً قضي مفروضاً
فإن المندوب يحتمل أن يكون اسم مفعول من وتذب الليث إذا بكاه ، وهو
المعنى البعيد الذي قصده الناظم وورى عنه ، ويحتمل أن يكون خلاف المفروض
وهذا هو المعنى القريب المورى به ، وذكر المفروض بعده هو الذي هيأه التورية ،
ولو لم يكن ما كان فيه تورية البتة .

الثالث : ما وقعت فيه التورية بلفظين أو أكثر ، لولا كل منهما لم تهيأ التورية ،
في الآخر ، كقول عمر بن أبي ربيعة في لريا بنت عبد الله بن الحارث بن أمية
الأصغر ، وقد تزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف :

أبها المكحُ لثريا سهيلاً عَمْرُوكَ اذْ كَيْفَ يَسْتَفِيانِ
هِيَ شَابَةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ وَسُهَيْلٌ إِذَا اسْتَقَلَّ بِسَمَانِي
فإن كلا من الثريا وسهيل هي صاحبة التورية ، فلفظ الثريا هي سهيلاً لا احتمال أن
يراد به الكوكب المعروف ، ولفظ سهيل هي الثريا لا احتمال أن يراد بها الترتلة
المعروفة ، لكون أحدهما شمالياً والآخر جنوبياً ، وهذا هو المعنى القريب المورى
به : ومراد الشاعر إنما هو صاحبة الشامية النار والقبيلة ، لأنها من بني أمية
الأصغر بن عبد شمس ، وسهيل القبلي النار لا القبيلة ، وهذا هو المعنى البعيد
المورى عنه ، ثم له ما أورد من الإنكار على من جمع بينهما باللفظ وجه .
ومنه قول العري :

إذا صدق الجِدُّ القَرِيَّ العَمَّ القَسِيَّ مَكَارِمَ لَاتَكْرِي وَإِنْ كَلَبَ الخَالِ
فإن كلا من الجِدِّ والعَمِّ والخَالِ يعني صاحبه التورية بقاقر سعاد ، ومراده
بالجِدِّ : الخلف ، وبالعَمِّ : الجماعة ، وبالخَالِ : الخلية .

البحث الثاني

حسن التعليل

قال عبد القاهر الجرجاني هو أول بلاغي درس موضوع حسن التعليل واضعاً (١) له حده وتعريفه وראياً شواهد وأمثله ومتونها بأنواعه وأشربه، وذلك في أثناء بحث التعليل وأضرب من تشبيه الصورة وسوق العال. فقد تحدثت عنه بصورة مباشرة قائلاً: وهو أن يدعي في الصفة الثابتة للشيء أنه إنما كان لعله يضعها الشاعر ويختلقها، إما لأمر يرجع إلى تعظيم المدح أو تعظيم امر من الأمور (٢). ومثل ما يدخل في هذا الفن يقول المتنبي:

لم يتحكك نائلك السحاب، وإنما حُمتَ به، فصبيها الرُحضاء (٣)
ثم حله مولانا بين أسلوبه وبين التشبيه من حيث يشبه الجواد بالغيث قائم وضع المعنى وصورة في صورة خرج معها إلى مالا أصل له في التشبيه فهو كالواقع بين الضربين ولرب من في أن أصل التشبيه ثم باعده بالصنعة في تشبيهه، وخلق عن صورته خلقاً قوله:

وما ربح الرياض لها ولكن كماها دلتهم في الرب طيبا
ومن لطيف هذا النوع قول أبي العباس الضبي:

لا تركزن إلى الفسرا في وإن سكنت إلى العناق
فالتمس عند ضروبها تفتت من طرفي الفسراق
ادعى لتعظيم الفراق أن ما يرى من الصفرة في الشمس حين يرق نورها بدورها

(١) اسرار البلاغة ص ٢٥٩ وما بعدها .

(٢) المصدر السابق ص ٢٥٦ .

(٣) الرُحضاء : العرق في اثر الحس ، أن السحاب من السحاب هو عرق الحس .
فتزول النظر من السحاب وصف ثابت لما لا يتغير له في العادة علة قوله عليه ياتيه عرق
حيثما الحادثة بسبب نائل المدح وتكلمه عليه .

من الارض انما هو لانها تشارك الاثني الذي كانت فيه أو الناس الذين ظلمت حلبيهم ،
وأنت بهم وأنسوا بها وسرتهم رؤيتها (١) .

ثم عقد عنوان فصل وهذا نوع آخر في التحليل، وقال:

وهو أن يكون للمعنى من المعاني والقول من الأفعال علة مشهورة من طريق العادات
والطباع ثم يحرم الشاعر ليمسح أن يكون لتلك المعروفة ويضع له علة أخرى (٢)؛
وأورد لهذا النوع شواهد كثيرة حلل معانيها ووازن بين عطلها المخترعة وتبين
عطلها الحقيقية التي يتعارف عليها الناس واتخذ بعضها لافراقها في المبالغة وضعت
أسباباً وتمكن النظر الدقيق من الأخطأ عليها؛ ومن الشواهد التي لرفضها في هذا
الباب قول أبي طالب المأموني في المديح:

مفرم بالتشاء صب بكسبه لا جد بهتر للمحاح ارتياحاً
لا يذوق الاغضاء إلا رجاء أن يرى طيف مستبج رواحاً

ثم علق عليه بقوله: «وكانه شرط الرواح على معنى أن الغفاه والراجين انما
يحضرونه في صدر النهار على عادة السلاطين فإذا كان الرواح ونحوه من الأوقات
التي ليست من أوقات الأذن قلوا فهو يشاقق اليهم فينام ليأتمس برؤية طيفهم» (٣)؛
ويظهر من هذا كله أن عبد القاهر الجرجاني درس حسن التحليل ضمن موضوعات
البيان وفي معرض نقد التحليل عارضاً لطلال المخترعة على التدقيق السليم مبرزاً فيها
ما يلائم هذا النوع مما يخالفه؛

تعريف حسن التحليل :

وتلقف علماء البلاغة المتأخرون دراسة عبد القاهر وأدخلوها في أنواع البديع
مقروين له حداً جمعاً مانعاً وجاعلين إياه من المحسنات المعنوية متبئين أثره
وأقسامه من إشاراته وفي ضوء شواهد:

(١) المصدر السابق ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٧٣ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٧٤ .

وملائكة الامر عندهم حذاً وتعرفوا: أن حسن التعليل هو أن ينكر الأديب صراحة، أو ضمناً، حلة الشيء المعروفة، ويأتي بعلة أخرى أدبية طريفة، لها اعتبار لطيف، ومشتملة على دقة النظر، بحيث تناسب الفرض الذي يرمي إليه؛ وعليه فإن الأديب في حله الفن يدعى لوصف حلة مناسبة غير حقيقية، ولكن فيها حسناً وطرافة، ليزداد بها المعنى المراد الذي يرمي إليه جمالاً وشرفاً.

المغرب حسن التعليل :

أما اضربه فهي عندهم أربعة أقسام (١) ، لأن الوصف الذي ادعى له حلة مناسبة، أما ثابت لريد اليائه أو غير ثابت، والأول إما أن لا يظهر له في العادة حلة أو يظهر له حلة غير المذكورة والثاني إما ممكن أو غير ممكن .

أما الأول: وهو الذي لا يظهر له في العادة حلة فكقول الشيخ جمال الدين الخلي:
ولسا نضاً وجه الريح لقا به وفاحت بأطراف الرياض النسيم
فطارت عقول تطير لها رأيه وقد بهتت من يتهن الخمام
عشيق جنوناً بالرياض وحسبها لرحمن ولي أعنا فهن التمام

وأما الثاني: وهو الذي يظهر له في العادة حلة غير المذكورة، فكقول الشاعر:
أحنى تلبسي بالكفا مقاملاً بها وبأليها
تسول في عينها حشمة أنكي بعين نرائي بها
قلت إذا امتحت فيركم أمرت للشموع بأديها
فإن العادة في دفع العين أن يكون السبب فيه إعراض الحبيب وإعراض الرقيب ونحو ذلك من الأسباب الموجبة للاكتئاب، لاجتماعه من التأديب على الإساءة باستحسان غير الحبيب .

(١) داج النواد الربيع ج ٦ ص ١٢٦.

وأما الثالث: وهو الوصف غير الثابت الذي أريد إثباته وهو ممكن، فكقول الشاعر:
 ولقد هممت بقتلها من حبها كيما تكون خصيحتي في المحشر
 حتى يطول غسل الصراط وتوقنا فبلا عيني من ليل المنظر
 لما ادعى أمراً غير ثابت ولا مستعاد، وهو همّ العاشق يقتل محبوبته، علمه بطول
 الوقوف معها للمخاصمة يوم المحشر جعل الصراط، لذلك عتبه بالنظر إليها.
 وأما الرابع: وهو الوصف المذكور غير الممكن، فكقول الشاعر:

لولم تكن نية الجوزاء عدت لما رأيت عليها حقداً منقطعاً
 فية الجوزاء حلقة الممدوح وصف غير ممكن، أراد الشاعر إثباته، فجعل
 الانقطاع حلة له، وإلى جانب هذه الأضرب الأربعة ألحق بحسن التعليل ما بني
 على الشك، وإنما ألحق به ولم يجعل منه، لأن حسن التعليل فيه ادعاء واصرار
 والشك يتنافى، ومثاله قول أبي تمام:

رأى شفتي ربح الصبا بنسبها إلى الزن حتى جادها وهو ماصع
 كأن السحاب الفر شقين تحتها حبيبا فما ترفى لهن مداصع
 فعلى على سبيل الشك نزول المطر من السحاب بأنها غيبت حبيبا تحت تلك
 الرين فهي تكي عليه.

طبعة حسن التعليل وأثره:

لقد لاحظ باحثون معاصرون (١) أن الاسم التي أقام عليها البلاغيون القدامى
 قسمة حسن التعليل إلى تلك الأضرب الأربعة لا تعتمد النظر العقلي ومسألة الممكن
 وغير الممكن المنطقية، في حين أن هذا الفن مرده إلى التعليل الذي ربما لا يكون
 ممكناً. ومن هنا ظاهراً رأوا أن التعليل الأدبي الذي سماه البلاغيين وحسن التعليل،
 أساسه الخيال والعاطفة، والفرض من التأثير في الوجدان وادخال السرور على السامع
 بدمعه أو التخفيف من وقع مصيبة أصابته أو شدة آلت به. ثم ولزوايته وبين

(١) راجع دراسات في علم النفس الأدبي ص ١٩-٥١، وفتون بلاغية ص ٢٩٢

التعليل العلمي مبيّن أن التعليل مرده العقل والتدبر العقلي والبحث في طبائع الاشياء
ثم انه تعليل واقعي موضوعي يرجع فيه العالم إلى الواقع والحقيقة ، وان التعليل
الأدبي تعليل ذاتي نفسي يرجع فيه الأديب إلى ذوقه الفني وحياله الأدبي وعاطفته
الجمالية .

البحث الثالث

الطباق

الطباق لغة:

الطباق ويقال له المطابقة والتطابق لغة - على رأي القراءهدي - من قولهم :
« طبقت بين الشيتين اذا جمعتهما على حذف واحد » (١) :

وقيل بل هو في اللغة «أن يضع البحر رجله في موضع يده فاذا فعل ذلك قيل
طابق البحر» وقال الأصمعي: المطابقة أصلها وضع الرجل موضع اليد في مشي فوات الأربع؛
الطباق اصطلاحاً:

اما اصطلاحاً فهو الجمع بين الضدين في كلام أو بيت شعر كالأيراد والاصدار
والليل والنهار والياض والسواد (٢) :

ولاحظ بعض البلاغيين أنه لا مناسبة بين معنى المطابقة لغة ، ومعناها اصطلاحاً
لأنها في اللغة الموافقة ، والجمع بين الضدين ليس موافقة :

وتعب ابن أبي الحديد إلى إيجاد صلة بين المعنى اللغوي للطباق وبين منطوقه
الاصطلاحي فقال : «الطباق بالتحريك في اللغة : هو المشقة» :

قال الله سبحانه : «وَلَسْتَ كَثِيرٌ طَبِيقاً» عن طَبِيقٍ (٣) أي : مشقة بعد مشقة .
فلما كان الجمع بين الضدين على الحقيقة شاقاً بل متعلاً ، ومن عاداتهم أن
تعلى الإلفاظ حكم الحقائق في أنفسها توسعاً ، سموا كل كلام جمع فيه بين
الضدين مطابقة وطباقاً (٤) :

(١) البديع ص ٣٦ .

(٢) راجع خزنة الادب ص ٦٥ .

(٣) الاشتقاق ١٩ .

(٤) راجع انوار الربيع ج ٢ ص ٣٢ .

لصوص من فن الطباقي :

وأياً كان وجه المناسبة بين المعنى القوي والمداول الاصطلاحي لكلمة الطباقي ، فإن لصوص اللغة العربية قد زخرت بالشواهد التي حملت لنا هذا الفن من البديع .

قد نقل لنا ابن المعتز في ضوء منهجه التأريخي طائفة من هذه النصوص التي منها قوله تعالى : «ولكم في القصاص حياة» بأولي الأكتاب « (١) إذ جاء للطباقي بين القصاص والحياة : وقول الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - للأنصار «إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع» فالطباقي في هذا الحديث الشريف بين «تكثرون» و «تقلون» وبين «الفزع» و «الطمع» .

وقول عيسى بن طلحة لعروة بن الزبير حين ابتلي في رجله «إن ذهب أهرنك علينا فقد بطني أهرنك علينا» فالطباقي هنا بين «ذهب» و «بقي» و «أهرن» و «أهرن» . (٢) .

أقسام الطباقي :

لقد قسم البلاغيون الطباقي قسمين رئيسيتين :

أولهما : قسمته على أساس الآليات والنفي ، وصنفوا الطباقي على هذا الأساس صنفين :

أولهما : طباقي إيجاب وهو التجمع بين لفظين مثبتين متضادين مثل : لفظ «أبداً» و «أبداً» في قوله تعالى : «وَتَحْسِبُهُمْ جُنُودًا وَقَوْمًا» (٣) .
والثاني : طباقي سلب وهو التجمع بين لفظ ومضيه نحو «لا يعلمون» و «يعلمون» في قوله تعالى : «ولكن أكثر الناس لا يعلمون» يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا» (٤) .

(١) البقرة : ١٧٩ .

(٢) راجع البديع ص ٣٦ .

(٣) الكهف : ١٨ .

(٤) الروم : ٦ - ٧ .

والتيهما : قسمته في ضوء نوع التضاد المتضادين ، وبهذا الاعتبار لاحظوا
أن الطبايق ثلاثة أقسام :

ولها : الطبايق الذي يأتي فيه التفظان المتضادان إسمين نحو : الحيء و الميت
في قوله تعالى : « يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ » (١) ، ونحو
« سَاهِرَةٌ » و « نَائِمَةٌ » في قول الرسول الكريم : « غير المال عين ساهرة
لعين نائمة » .

ولانيها : الطبايق الذي يكون فيه التفظان المتضادان لغين مثل :
« تَوَلَّى » و « تَوَجَّه » و « تَعَزَّزَ » و « تَوَلَّدَ » في قوله تعالى : « تَوَلَّى الْمَلِكُ » من تشاء و « تَوَجَّهْ
الْمَلِكُ » من تشاء و « تَعَزَّزْ » من تشاء و « تَوَلَّدْ » من تشاء » (٢) :

ولانها : الطبايق الذي استوى التفظان المتضادان فيه حرفين : كالحرفين :
« لاء » و « عليها » في قوله تعالى : « لَمَّا مَكَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَ » (٣) .
بين الطبايق والمقابلة :

لقد ادخل ليف من علماء البلاغة في الطبايق المقابلة ومن هؤلاء القزويني الذي
قال : « ودخل في المطابقة ما ينحصر باسم المقابلة ، وهو : أن تأتي بعينين متوافقتين
ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب ، والمراد بالتوافق خلاف التقابل .

وقد تتركب المقابلة من طبايق وملحق به : مثال مقابلة التين بالتين قوله تعالى :
« فَلْيَسْحَبْكُمْ قَبِيلاً وَلْيَكُوا كَثِيرًا » (٤) ، وقول النبي - عليه السلام - « ان الرفق
لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه » ، ومثال مقابلة ثلاثة بثلاثة
قول أبي ذؤلمة :

(١) الروم ١٩ .

(٢) آل عمران ٢٦ .

(٣) البقرة ٢٨٦ .

(٤) التوبة ٨٢ .

ومثال مقابلة أربعة بأربعة قوله تعالى: **وَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى** ومثاق بالحقسنة:
تَسْتَبْسِرُهُ لِيُشْرَى. وأما من **يَخْلِلْ** واستغنى: **وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَتَنْتَبِهْرُهُ**
لَعُسْرَى؛ (١).

ومثال مقابلة خمسة بخمسة قول النبي:
أُرْوَاهُمْ وسواء **الليل** **بَشْتَعِي** **وَالثَّي** **وَيَاخِر** **الصَّبْح** **بُعْرِي** (٢)
وردة **بعض** **الباحثين** (٣) على أولئك البلاغيين الذين أدخلوا المقابلة في الطباق
مفردين **أن المقابلة أعم من المطابقة** وهي التنظير بين شيئين فأكثر وبين ما يخالف
وما يوافق فيما يوافق صارت المقابلة أعم من المطابقة فإن التنظير بين ما يوافق
ليس بمطابقة وهذا مذهب ابن أبي الأصبغ (٤) فإنه قال صحة المقابلات عبارة
عن نوعي للكلم بين الكلام على ما ينبغي فإذا اتى بأشياء في صدر كلامه
اتى بأضدادها في عجزه على الترتيب بحيث يقابل الأول بالأول والثاني بالثاني
لا يخرم من ذلك شيئاً في المخالف والموافق ثم أن المطابقة لا تكون
إلا بالجمع بين ضدتين والمقابلة تكون غالباً بجمع بين أربعة أضداد، ضدان في
صدر الكلام ، وضدان في عجزه وتبلغ إلى الجمع بين عشرة أضداد خمسة
في الصدر ، وخمسة في العجز .

وإلى جانب ذلك فإن للمطابقة لا تكون إلا بالأضداد والمقابلة بالأضداد وغير
الأضداد ولكن بالأضداد أعلا رتبة وأعظم موقفاً .

ولعلنا نلاحظ بجلاء أن أوجه التفرقة بين المقابلة والطباق على ذلك النحو
لاستظيم حدوداً فاصلة تطوع ما يهمل بين الفئتين كل القطع ، وآية ذلك أن أولئك

(١) الليل ٥ - ١٠ .

(٢) حل أن المقابلة العنصرية بين في وري فيه نظر ، لأن اللام والياء فيها مثلتا الفعلين ،
فيها من تمامها . (راجع الأصلاح ص ٢٤١) .

(٣) راجع التوار الوبيع ج ١ ص ٢٩٨ .

(٤) راجع بدع القرآن ص ٧٢١٣٦ .

الباحثين انفسهم اقروا بان المقابلة اعظم من الطباق ، ومعنى هذا انهما يتلازمان
تلازم العام والخاص ، كما ان حصرهم للطباق في نظامين متضادين واطلاق
هذا العدد للمقابلة الى العشرة امر شكلي لا يغير من وحدة طبيعة القتين .

زاد على هذا انهم حين رأوا المقابلة تكون بالاخصاد وغير الاخصاد ، عادوا
فاكتفوا ان ما يكون بالاخصاد اعلو رتبة ، وهذا يدل على ان المقابلة اذا كانت اعلو
رتبة فيبني ان تكون بالاخصاد مثل الطباق ؛ واذن فلا غير ان نوحده مصطلح
المقابلة والطباق ولندخل القتين في نوع واحد نسميه الطباق ونحذف بحث هذا
الموضوع كثرة الخلافات بين البلاغيين الاسلاميين .

ترشح الطباق :

أكد بعض البلاغيين انه لا يمكن ان يؤتى بالطباق بعيداً عن أي هدف ومجرداً
عن كل تأثير ، وانما ينبغي ان يأتي مرشحاً بنوع من البديع لكي يكتب جمالاً
وجاه . ومن هؤلاء البلاغيين ابن حجة الذي قال بهذا الصدد : «إن المطابقة التي
يأتي بها الناظم مجردة ليس تحتها كبير أمر ونهاية ذلك أن يطابق الضد بالضد وهو شيء سهل
التهيؤ إلا أن ترشح بنوع من أنواع البديع تشاركه في البهجة والرواق كقوله تعالى :

«تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخسرج لحي من الميت وتخسرج
الميت من لحي وترزق من تشاء بغير حساب» (١) ، ففي العطف بقوله تعالى :

«وترزق من تشاء بغير حساب» دلالة على أن قدر تلك الأفعال العظيمة قدر على
أن يرزق بغير حساب من شاء من عباده وهذه مبالغة التكميل المشحونة بقوة
الرب سبحانه وتعالى فانظر إلى عظم كلام الخالق هنا لقد اجتمع فيه المطابقة
الحقيقية والعكس الذي لا يدرك لوجزه وبلاغته ومبالغة التكميل التي لا تلحق
بغير قدرته» (٢) .

(١) آل عمران ٢٧
(٢) عزارة الادب ص ١٠٠

تأثير الطباقي :

إن الطباقي - فناً بديعاً خالصاً - تأثيره الخاص للتمييز ، ويشجلى هذا التأثير في أنه يجمع بين الأضداد يخلق صوراً ذهنية ونفسية متعاكسة يوازن فيما يشها عقل القارئ ويجداته فيبين ما هو حسن منها ويفصله عن ضده ومن هنا فإن هذا الفن البديعي يتولى بمقدرة ذاته عرضاً للمعاني الذهنية والنفسية والعظيمة المتنافرة فتترك في الشعور آثاراً عميقة بأسلوبها الموازن المقارن.

المبحث الرابع المشاكلة

المشاكلة لغة واصطلاحاً :

إن المشاكلة في اللغة هي المشابهة والموافقة (١)، وفي الاصطلاح البلاغي هي ذكر الشيء بلفظ غيره، لوقوعه في صحبته كقوله تعالى: "وجزاء سبئة سبئة" مثلهاء (٢). فالجزاء عن السبئة في الحقيقة غير سبئة والأصل وجزاء سبئة مخوفة مثلهاء، وقد استبدلت كلمة هاقوبة، بكلمة سبئة لمشاكلة كلمة سبئة في صدر الآية، ومثله قوله تعالى: "وَأَتَعَلَّمُ مَائِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَائِي نَفْسِي" (٣) والأصل تعلم مائي نفسي ولا أعلم ما عندك فإن الحق تعالى وتقدس لا يستعمل في حقه لفظ النفس إلا أنها استعملت هنا مشاكلة لما تقدم من لفظ النفس.

ومن ذلك ما حكى عن بعضهم أن أصحاباً له أرسلوا بدعوتهم إلى الصبح في يوم بارد، ويقولون له، ماذا تريد أن نصنع لك طعاماً وكان ظهراً، ليس له كسوة تقيه البرد، فكتب إليهم يقول:

أصحابنا قصدوا الصبح بحرة وأتى رسولهم إلى عصبنا
قالوا اقترح شيئاً نحب لك طبخه قلت: اطبخوا لي جبنة وقميصاً
أي: عيطوا لي جبنة وقميصاً، فذكر الخياطة بلفظ الطبخ لوقوعه في صيغة طبخ
الطعام. والمقرر في هذا الفن أنه لا يلزم تقديم صاحب لحيته متأخراً، كقول
نبي الكريم: وأحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل "فطبخكم من الأعمال بما
تطبخون فإن الله لا يمل حتى تعملوا" فغير عن قطع الثوب باللعل لوقوعه في صحبه
وهو متأخر عنه.

(١) رابع غزاة الأدب ص ٥٦ ج ١ ، والنوار لربيع ج ٥ ص ٢٨١ .

(٢) الشورى ١٠ .

(٣) الألفه ١١٦ .

ضرباً المشاكلة:

ان المشاكلة ضربان:

أولهما: المشاكلة التي وقعت لحقيفا كما في الشواهد التي مررت بنا .

ثانيهما : المشاكلة التي وقعت تديرا وهذا كما نقول لمن يفرس الأشجار
والفرس كما يفرس فلان؛ تزيد رجلا يصطع الكرام ويحسن اليهم ، فتعبر عن
الاصطاع بلفظ الفرس للمشاكلة ، وقربة الحال ، حيث كان مشغولا بالفرس وان
لم يكن له ذكر في المقال:

المبحث الخامس

تأكيد المدح بما يشبه الذم وتأكيد الذم بما يشبه المدح

يتناول البلاغيون تأكيد المدح بما يشبه الذم وتأكيد الذم بما يشبه المدح في معرض واحد ، ذلك لأن الموضوعين مبنيان على أسلوب بلاغي واحد هو بناء حكم معنوي موهم بخلاف المقصود ثم الاستثناء منه بما يثبت غرض الشكلم .

تسميات موضوع تأكيد المدح بما يشبه الذم :

لقد تعددت تسميات موضوع تأكيد المدح بما يشبه الذم منذ أن استخرجه ابن المعتز وحدثه مُحْتَسَبًا من محاسن الكلام (١) ، فقد سمي «المدح في معرض الذم» و«التفي والجحود» (٢) كما سمي «الاستثناء» ، لأن حسنه للمعنوي من أثر أداة الاستثناء التي ينشأ عليها .

حدّ تأكيد المدح بما يشبه الذم :

وحده قائم على تفي صفة ذم أو صفة مدح ثم يستثنى صفة مدح كقوله تعالى :
« ولا يسمعون فيها لغوًا ولا تأليماً : إلا قبيلاً سلاماً سلاماً » (٣) .

ففي هاتين الآيتين تثبت صفة ذم في قوله تعالى : « ولا يسمعون فيها لغوًا ولا تأليماً » ثم ذكرت أداة الاستثناء « إلا » وبعدها وردت صفة مدح في قوله تعالى « سلاماً سلاماً » ، فتأكد بذلك مدح ما يقتضيه الالذان في الجملة من عدم سماع اللغو والتأليم وذلك بإيراد صفة مدح أخرى هي القول « سلاماً سلاماً » .

(١) البديع ص ٦٢ .

(٢) الوار الربيع ج ١ ص ٢٧ .

(٣) الواقعة ٢٥ - ٢٦ . وعلى أداة الاستثناء في ذلك ، أداة الاستدراك في قول الشاعر :
وجسود كآلهار الرمان لفسار
ولكنها يوم الحياج صغور

فهرنا تأكيد المدح بما يشبه الذم :

ويستخرج من ذلك الحد أن تأكيد المدح بما يشبه الذم ضربان :
الأول : أن يستثنى من صفة ذم مثلية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيها
كقول الشاعر الديلمي :

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم بين قول من فراع الكتاب
في هذا البيت في الشاعر عن مملوحه صفة ذم هي العيب فيهم ثم استثنى
بإداة الاستثناء «غير» صفة مدح هي أن سيوف أولئك المملوحين فيها قول من
فراع الكتاب وتنازلتها فدخلت صفة المدح هذه في صفة المدح السابقة مؤكدة
إياها ومثبتة حكمها :

الثاني : أن يثبت لشيء صفة مدح ، ثم يبقى بعدها بإداة استثناء ثلثها صفة
مدح أخرى كقول الشاعر الجعدي :

لَمَّا كَمَلْنَا أَخْلَاقَهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ لَمَّا بَيَّنَّنِي مِنَ الْمَالِ بِأَقْبَا
فالشاعر قد أثبت لمملوحه صفة مدح هي كمال أخلاقه ثم أتى بإداة الاستثناء
«غير» فوهم أنه سيأتي بصفة ذم ، ولكنه أورد صفة مدح ثالثة هي أنه جواد
لَمَّا بَيَّنَّنِي مِنَ الْمَالِ بِأَقْبَا ، فتأكد مدحه وترسخ .
طبيعة تأكيد الذم بما يشبه المدح :

أما تأكيد الذم بما يشبه المدح فهو مثل تأكيد المدح بما يشبه الذم قائم على الاستثناء
وهو ضربان : (١) .

الأول : أن يستثنى من صفة مدح مثلية عن الشيء صفة ذم بتقدير دخولها فيها
بحر قوله :

عكلا من الفضل غير أنني أراه في الحُصْنِ لا يُجَارَى
(١) راجع الإيضاح ص ٢٧٤ .

فها تقي عن الهمز صفة مدح هي خلوها من النضيل ثم ذكرت أداة استثناء
الغيره وأعقب بصفة ذم هي عدم مجاراته في الحق ، فأكدت صفة الذم هذه
صفة المدح المثبتة فثبت ذم الهمز بصفتين متداخلتين .

الثاني : أن يثبت لشيء صفة ذم ، ويعقب بأداة استثناء لئلا صفة ذم أخرى
له ، نحو قول الشاعر :

لئيم الطباع سوى أنه جبانٌ يهون عليه الهوان
قال الشاعر في هذا البيت أثبت لهجوه صفة ذم هي لزم الطباع ثم نبى عليها أداة
الاستثناء سوى صفة ذم ثانية : الجبن وهوان الهوان عليه ، فالتفت الصفتان
للديتان لتأكيد ذمه .

بلاغة تأكيد المدح بما يشبه الذم وتقبضه :

تقوم بلاغة تأكيد المدح بما يشبه الذم وتأكيد الذم بما يشبه المدح في الأصل على
مباينة السامع بخلاف ما يتوقعه ، ذلك لأن التكلم عندما يسوق صفة مدح ثم يورد
أداة استثناء يتوقع السامع أن يسمع منه صفة ذم بحكم هذه الأداة التي تفيد أن
ما بعدها يأتي بخلاف ما قبلها حكماً ومفهوماً .

أما حينما يسمع مدحاً آخر فإنه يياغت ويقع في حالة الشعور بما طلع عليه من
أمر تفرغ لقبضه وخلافه . وكذلك عندما ينقضي صفة ذم بعدها أداة استثناء يتوقع
أن يسمع صفة مدح ترشحها أداة الاستثناء والتنضيبها ، ولكنه حين يسمع صفة
ذم أخرى يشعر بخيبة توقعه ويياغت بخلاف ما تراءى له قبلاً (١) .

(١) ينظر قانون بلاغية ص ٢٠٨-٢٠٩ .

الفصل الثالث
المحسنات اللغوية
البحث الأول
الجناس

يبدو أن الجناس من أقدم الموضوعات البلاغية التي صنف فيها الفريسيون كتباً،
وخصص له علماء البلاغة مباحث من مصنفاتهم ، فقد ألف فيه الأصمعي كتاباً
سمّاه الأجناس (١) وصنف فيه أبو عبيد القاسم بن سلام كتاباً : الأجناس
من كلام العرب وما اشبه في القبط واختلف في المعنى ، ذكر فيه اللفاظ المشقة
في الشكل والمختلفة في المعنى .

كما بحث عبدالله بن المعتز في الباب الثاني من كتابه (٢) البيوع التجنيس وحدّه
لأنّه اصطلاحاً وأورد له شواهد ثم تلقفه المؤلفون في علم البيوع وتناولوا البيوعات
وشراحها فاقترطوا في أنواعه والتفريع على هذه الأنواع .
الجناس اشتقاقاً ولفظاً :

والباحث للعاصر إذا يريد أن يقدم عن الجناس صورة واضحة مشقة لا بدّ
قبل كل شيء - من أن يلمّ به اشتقاقاً ويحدد معناه لفظاً .
والقرار في كتب البيوع أنّ الجناس والتجنيس والمجانسة والتجانس كلها
ألفاظ مشتقة من الجنس ، فالجناس مصدر جناس ، والتجنيس تفعيل من الجنس ،
والمجانسة مطاوعة منه ، لأنّ إحدى الكلمتين إذا شابهت الأخرى وقع بينهما
مطابقة ، والتجانس مصدر تجانس الشيطان إذا دخل تحت جنس واحد (٣) :
وقال الخليل : الجناس لكل ضرب من الناس ، والظير والعروض والنحو (٤) ،
كما حكى عنه قوله : « بهذا يجانس هذا أي يشاكله » (٥) :

(١) راجع كتاب الصناعات ص ٣٢١ ، والنوار الربيع ج ١ ص ٩٧ .

(٢) راجع البيوع ص ٢٥ .

(٣) راجع النوار الربيع ج ١ ص ٩٧ .

(٤) البيوع ص ٢٥ .

(٥) النوار الربيع ج ١ ص ٩٧ .

الجناس اصطلاحاً:

لقد نبى البلاغيون (١) وعلماء الديق (٢) على ما حكى عن الخليل حدّ الجناس اصطلاحاً فقررُوا أن الجناس بين اللفظين هو تشابهُهُما في اللفظ أي في اللفظ وفي ضوء هذا الحد يعدّ الجناس عند جمهور البلاغيين من الحركات المنطوية بيّنةً أن هذا ظاهر أكد دور هذا النوع في تصوير المعنى والمكبته من العفل تعبيراً وتأثيراً فقال : « أما التنجيس فأنك لا تستحسن تنجاس اللفظين إلا إذا كان موقع معنيهما من العفل موقعاً حيداً ، ولم يكن مرعى الجامع بينهما مرعى بعيداً ، أراك استضعت تنجيس أبي تمام في قوله :

فَدَهَيْتُ بِمَذْهَبِ السَّاحَةِ فَالْتَوْتُ فِيهِ الظُّنُونُ أَمْذَهَبُ أَمْ مَذْهَبُ ؟
واستحسن تنجيس القائل « حتى نجا من خوفه وما نجا » (٣) ، وقول المحدث :
سَاطِرَاءُ فِيمَا جَنَسَ سَاطِرَاءُ أَوْ دَعَانِي أَمْتُ بِمَا أَوْدَعَانِي
لأمر يرجع إلى اللفظ ؟ أم لآنك رأيت القائدة ضحكت عن الأول وقويت في الثاني ؟ ورأيك لم يزدك ؟ « مَذْهَبُ » و « مَذْهَبُ » على أن اسمك حروفاً مكررة ، لزوم لها فائدة فلا تجدها إلا مجهولة مكررة ، ورأيت الآخر قد أعاد إليك اللفظة كأنه يمدحك عن القائدة وقد أعطاعا ، ويوهحك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووقاعا . فهذه السريرة صار التنجيس - وخصوصاً المستوفى منه للفظ في الصورة - من حل الشعر ومذكوراً في انسام الديق ، (٤) :

يضيف هذا التأكيد إلى حدّ الجناس ذاك مسألة معنى اللفظين المتجانسين ، وتوضح هذه المسألة في أن حثيفة الجناس هي أن يكون اللفظ واحداً والمعنى مختلفاً (٥) ،

(١) راجع الايضاح ص ٢٨٢ .

(٢) انوار الربيع ج ١ ص ٩٢ .

(٣) لجا الاول بمعنى ، أحدث ، والثانية بمعنى ، خلص .

(٤) اسرار البلاغة ص ٦ - ٨ .

(٥) راجع الملل السائر ج ١ ص ٢٤٦ .

أو بحارة العلوي: وأن تفتح المنطقتان في وجه من الوجه ويختلف معناه (١).

السواع الجنس :

لقد تبارى بعض البلاغيين وعلماء الديدج في تلمس أنواع الجنس والتبها في ذلك إلى الغاية القصوى في الضميم والتفريع ، واقرب التسميات إلى حقيقة الموضوع هو أن الجنس ضربان رئيسان :

أولهما : الجنس التام : وهو أن تفتح الالفاظ في أربعة أمور هي : أنواع الحروف ، وأعدادها ، وهياتها ، وترتيبها ، نحو قوله تعالى : « ويوم تقوم الساعة » يتقسم للمجرمون ما يشاء غير ساعة ، (٢) ، فلفظة « الساعة » الأولى معناه يوم القيامة ولفظة « الساعة » الثانية معناها وحدة قياس الزمن ، والمنطقتان متطقتان في أنواع الحروف إذ أن كل واحدة منهما متألقة من السين والالف والعين والهاء . وفي عدد الحروف ، فية كل واحدة منهما أربعة اصوات ، وهياتها الحركات والسكنات غير الاحرابية متحدة ، كما ان اصواتها متساوقة في الترتيب ، ذلك لان الصوت الاول فيهما هو السين والصوت الثاني هو الالف والصوت الثالث هو العين والصوت الرابع هو الهاء :

ثانيهما : الجنس غير التام : وهو أن يختلف المنطقتان في أمر واحد من الامور التي بنت الجنس التام ويضفا في سائرهما وهو بذلك على أربعة أنواع :

أولهما : اختلاف المنطقتان في الفية ويسى جناسا محرفا . ثم ان الاختلاف من هذا القبيل قد يكون في الحركة فقط نحو قوله تعالى : « ولقد أرسلنا قهيم مستذيرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين » (٣) .

ففي هذه الآية الكريمة المنطقتان المتجانسان « منذرين » و« المنذرين » اختلفا في

(١) راجع الطراز ج ٢ ص ٣٥٦ .

(٢) الروم ٥٥ .

(٣) الصفات ٧٢-٧٣ .

حركة (١) حرف اللال اذ هو مكسور في اللفظ الاول لانه اسم قاعل ، ومفتوح في اللفظ الثاني لانه اسم مقول .

ولقد يكون الاختلاف في الحركة والسكون نحو قول ابي العلاء المرعي :

والحسن يظهر في يبين رونقه بيئت من الشعراو بيت من الشعرا (٢)
الشاهد في لفظي الشعرا ، والشعرا ، اذ حرف العين في اللفظ الاول ساكن وحرف العين في الثاني متحرك بالفتح .

فاليهما : اختلاف الملقين في أعداد الحروف وهو ما يسمى جناسا ناقصا ، ويكون ذلك على وجهين :

احدهما : ان يخلطوا بزيادة حرف واحد في الاول كقولهم تعالى : « وَانفختُ الساقِ » بالساقِ إلى ربك يومئذِ الساقِ ، (٣) ، فاللفظان : الساقِ ، و : الساقِ ، اختلفت فيهما عدد الحروف فالاول مؤلف من ثلاثة حروف والثاني من أربعة حروف بزيادة حرف الميم في اوله . أو تكون زيادة الحرف في الوسط كقولهم : « جدي جهدي » فاللفظان : جدي ، و : جهدي ، يختلف فيهما عدد الحروف بزيادة حرف الهاء في وسط اللفظ الثاني . أو تكون زيادة الحرف في الآخر ، كقول البحرني :
لئن صدقت عنّا فريضةً أفسر صوادٍ إلى تلك الوجوه الصوادِ (٤)
الشاهد في اللفظين : صوادٍ ، و : الصوادِ ، إذ زاد اللفظ الثاني على اللفظ الاول بحرف الفاء في آخره (٥) .

(١) والشدة في هذا باب يقوم مقام الخفيف نظرا إلى الصرود. (الابيضاح ص ٢٨٥).

(٢) رونقه : علوانه ، وصت ، واشراقه .

(٣) القبانة ٢٩ - ٣٠ .

(٤) صدقت أمرت و انصرفت ، ربت : رب ولحقتها التاء لتأكيد اللفظ وهي في الاصل لتثليل . صواد : جمع صادية أي عطباته الصوادن : جمع صادق كمن مائة منصرفة .

(٥) وربما سمي بالاختلاف فيه اللفظان المتجانسان في الحرف الاخير جناسا سطريا (الابيضاح ٢٨٦) .

الوجه الثاني : ان يختلفا بزيادة اكثر من حرف واحد (١) نحو فوك الخشاء :
 إن البكاء هو الشفاء من الجوى بين الجوائح (٢)
 فلفظ الجوائح الذي يماثل لفظ الجوى يزيد عليه بحرفين هما النون والحاء .
 ثالثها : اختلاف التظنين في انواع الحروف (٣) ويشترط ان لا يقع الاختلاف
 باكثر من حرف . والحرفان المختلفان نوعاً إما ان يكونا في اول التظنين كقول
 الحريري : « بيني وبين كتنى ليل داس وطريق طامس » (٤) - الشاهد في التظنين
 « داس » و « طامس » : اذ اختلف فيهما الحرفان الاولان اللدال والطاء .
 واما في الوسط كقوله تعالى : « وهم يشهون عنه » و « يتأون عنه » (٥) .
 فاللفظان المتجانسان « يشهون » و « يتأون » قد اختلف فيهما حرف الهاء وحرف
 الهزة للتوسطين ، واما في الآخر ، كقول النبي - صلى الله عليه وسلم - :
 « الحبل معقودٌ بترابصها الخير إلى يوم القيامة » (٦) . الشاهد في لفظ « الخيل »
 ولفظ « الخير » المختلفين نوعاً في الحرفين الأخيرين للام والراء :

(١) وربما سمي هذا الضرب مبدلاً (الايضاح ص ٢٨٩) .

(٢) الجوى : لغة الوحيد من الحزن او العشق ، الجوائح : الضلوع فوق التراب
 واحداً جامعة .

(٣) الحرفان المختلفان ان كانا متضادين في المخرج سمي الجانسان مبدلاً نحو قولهم :
 بالبريا اعدان ابلايا « فاللفظان المتجانسان البرايا والبلايا قد اختلفا في حرف
 الراء وحرف اللام وهما حرفان متضادان في المخرج وان كانا غير متضادين في المخرج
 سمي جانساناً لا حاناً نحو قوله تعالى : « ويل لكل همزة لمزة » (الآية ١ من سورة
 الهذلة) والحرفان الهاء واللام المختلفان نوعاً في لفظ همزة ولمزة متجانسان
 في المخرج .

(٤) كتنى : بيني .

(٥) الانعام ٦٩ .

(٦) معقود : مربوط ومترابط . انواسي : جمع ناسية ، وهي مقدم الرأس .

وابها : اختلاف اللفظين في ترتيب الحروف ويسمى جناس القلب ، وهو ضربان :

أولهما : قلب الكل كقولهم : «حسامه فتح لاولائه حثف لاعدائه» ، فاللفظ «حثف» قد اختلف ترتيب حروفه الحاء والهاء والقاء اختلافاً كلياً عن ترتيب حروف اللفظ «فتح» اذ جاء فيه حرف الحاء في الاول وحرف القاء في الاخير ، وجاء حرف القاء في لفظ «فتح» في الاول وحرف الحاء في الاخير :

والثاني : قلب البعض كما جاء في الخبر اللهم استر عورتنا وآمن روحانا ، ففي اللفظين التجانسين «عورتنا» و«روحانا» تبدل مكان حرف العين فقط اذ انتقل من الحرف الاول في اللفظ الاول الى الحرف الثالث في اللفظ الثاني ، اما سائر الحروف فقد بقيت في مواضعها :

مر جمال الجناس :

لعل السؤال الذي لا بد منه هنا بعد أن أوردنا بعض أمثلة هذا الفن هو :

ما سر جمال الجناس وما صبي ان تكون أهميته في النقص الأدبي ؟
لقد أجاب عبد القاهر عن هذا السؤال بصورة غير مباشرة ، فقال : «وعلى الجملة فذلك لا يجد تجسباً مضيولاً ولا سجماً حسناً ، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستشعاه وسأل نحوه ، وحتى تجده لا يتغي به بدلاً ولا يجد عنه حولا ، ومن هنا كان احلى تجنيس تسمعه وأعلاه ، وأحسبه بالحسن وأرلاه ما وقع من غير قصد عن المتكلم الى اجترابه وتأهب لطلبه ، أو ما هو لحسن ملامته - وان كان مطروفاً - بهذه المترفة وفي هذه الصورة» (١) .

ففي هذا الجمال يحرر عبد القاهر أربعة معايير لبلافة الجناس وشروط حسنة لولها : ان يكون المعنى مقتضياً إياه وموجباً لايراده ، وفي غيره هذا المعيار يرفض

كل جناس جني ، به زحرفاً صوتياً وصناعة لفظية ، ذلك لأنه في هذه الحالة لا يتداعي مع المعاني ولا يسهم في ادائها بقصد التعبير والتأثير .

ثانيها : أن يستوي في بناء النص الفني ركناً لا يُستغنى عنه ولا يستبدل بسواه ، ومعنى هذا المعيار أن الجناس إذا كان مقصداً على التعبير دخیلاً بين اللفظة بداً غريباً متكلفاً ، وهو في هذا الوضع لا يثير في النفس أحساساً ولا يجد في الذوق استجابة .

ثالثها : أن يطلع في كلام المتحدث عن سليقة وفطرة ، وعلى أساس هذا المعيار فإن الجناس الذي يتكلف له مجتسه ويأتي به عن إرادة لا يحمل بين طياته أية شحنة شعرية ولا يؤدي عن أية فكرة .

رابعها : أن يتسابق مع سائر ألفاظ النص مثلاً في معناها في موسيقى أجراس الحروف ومتجاوباً في تعاطف مع اصداها أيبتها .

ولعل هذا المعيار يؤكد بجلاء أهمية الجناس في خلق الموسيقى السماعية في النص الأدبي وبناء ما بين اللفظها من وشائج لتناغم .

لقد سعى بعض المعاصرين إلى الإجابة عن ذلك السؤال أيضاً ، فتحدث الدكتور إبراهيم سلامة عن جمال هذا الفن قائلاً : انه لا يخرج عن نظرية تداعي الالفاظ وتداعي المعاني في علم النفس ، فهناك لفظ مضطرب ككل الاتفاق أو بعضه في الجرس وهناك ألفاظ متقاربة أو متشابهة في المعنى بحيث تذكر الكلمة اختها في الجرس واختها في المعنى ، كما يولد المعنى الأول معنى ثانياً وثالثاً ، وهذه الناحية النفسية هي التي نشرح لنا كيف يقع التجنيس للشاعر دون معاناة إذا كان ملماً بلغته ، مما يلدونها ، علماً بتصاريقها وأشتقاقها (١) :

وردة الأستاذ علي الخنذي جمال الجناس إلى ثلاثة أسباب :

(١) راجع بلاغة أرسطو بين العرب واليونان ص ١١٧ ، ولغون بلاغية ص ٢٢٢ - ٢٢٩ .

الأول : تناسب اللفاظ في الصورة كلها أو بعضها ، وهو مما يطمئن إليه اللوق
وبرتاح له .

الثاني : التجارب الواسعة الصادر من تعاضل الكلمات تماثلاً كاملاً أو ناقصاً
فيطرب الأذن ويروق النفس ويبرز أوتار القلوب .

الثالث : تناسب الإغراض الذي يلجأ إليه المجتهد لاختلاف الأذهان واختلاف
الأفكار (١) +

وما قاله عبد القاهر قبل الدكتور إبراهيم سلامة وعلي الخندي يوضح هذا القبح (٢) ،
ولا يكاد كلامهما يخرج عما ذهب إليه ، وإن كان الدكتور إبراهيم سلامة
قد استخدم المصطلحات الحديثة كتداعي اللفاظ وتداعي المعاني وغير ذلك
فما لم يكن معروفاً عند القدماء .

(١) فن الجناس ج ١ ص ٢٩ .

(٢) راجع لنون بلاغية ص ٢٣٦ .

صالحه

البحث الثاني الانقباس والتضمين

لقد أدار علماء البديع المتأخرون مصطلح الانقباس ومصطلح التضمين بصورة عامة باحتمين ما يورده الأدب في إنتاجه مما ليس من إنشائه .
الانقباس لغة واصطلاحاً :

والمفرد عليه ان الانقباس في اللغة : مصدر القبس اذا اخذ من معظم النار شيئاً ، وذلك التحوط قيس - بالتحريك - أما في الاصطلاح فجمهور البلاغيين يحدونه على أنه تضمين النظم أو الشعر بعض القرآن لاعتقائه منه ، بأن لا يقال فيه : قال الله أو نحوه ، فان ذلك حيث لا يكون انقباساً . (١) .

الانقباس بين النثر والجزء :

لقد احتضنت المذاهب الفقهية الإسلامية في مسألة الانقباس من أي للذكر الحكيم ، فذهب المالكية الى تحريمه وتشديد التكفير على فاعله ولم يعرض المظنمون من الشافعية المتأخرين منهم له مع شيوعه في أعصارهم ، واستعمال الشعراء له قديماً وحديثاً ، وقد تعرض له جماعة من الفقهاء المتأخرين ، فتمسك عنه الشيخ عز الدين بن عبد السلام فأجازه ، واستدل بما ورد عن النبي الكريم في قوله في الصلاة وغيرها : «وجهت وجهي» وقوله : «اللهم فائق الاصباح وجاعل الليل سكناً والشمس والقمر حياثاً اقتضت مني ديني واغني من الفقر» وفي سياق كلام أبي بكر : «وسيعلم الذين ظلموا أي مقلب ينقلبون» وفي آخر حديث لابن عمر : «قد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة» (٢) .

فهذه النصوص المحررة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وبعض الصحابة - رضي الله عنهم - تقوم أدلة على جواز الانقباس من القرآن الكريم في مقام الملاحظة والتناء والنداء في النثر ، ولا دلالة فيها على جوازه في الشعر .

(١) راجع الوار الربيع ج ٢ ص ٢١٧

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٢١٧ .

ويبين ان هذه القضية تستوي - بلا ريب - وجهة نظريتين واجتهاداً مذهبياً. ولما كانت نصوص ادبية تستفيض بهذا الفن البديعي ثراً ولفظاً وتبني عليه فان بعض علماء البديع حاولوا ان يوفقوا بين الامرين فقسّموا (١) الاقتباس من القرآن على ثلاثة المقام : هوذ مقبول ومباح مبدول ومردود مرذول : فالاول ما كان في الخطب والواعظ والعهود ومدح النبي صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك . والثاني ما كان في الغزل والرسائل والقصص : والثالث على ضربين : أحدهما ما نسب الله تعالى الى نفسه ، وتعود ياله من ينقله الى نفسه كما قيل عن احد الرواة : أنه وقع على مطالعة فيها شكاية من عماله «انّ البنا إياهم ثم إنّ علينا حسابهم» (٢) والأخر لضمين آية كريمة في معرض هزلٍ أو سخرٍ .

وأضاف الشيخ بهاء الدين السبكي الى القسم الثالث ما اذا أخذ شيء من القرآن وجعل بيتاً أو مصراعاً كقول الشاعر

كتب المحبوبُ مطراً في كتاب الله موزوناً
لن تنالوا الجهر حدى تُنقلّيوها ممّا تُحبون

أضرب أساليب الاقتباس :

لقد حرر علماء البديع قاعدة تنص على أنّ الاقتباس ليس بفران حقيقة بل كلام بماله ، وهم بهذه القاعدة إنما أرادوا اطلاق ايديهم في دراسة اساليب الاقتباس ما دام حقيقة الامة لا سبيل الى انكارها ودفعها : وعليه فإنهم قد صنفوا هذه الأساليب الى ثلاثة اضرب :

أولها : ضرب لا يخلل القليب فيه عن معناه الاصيل ، كقول الشاعر ، وقد طلب من بعض اصحابه الذين يمكث حياً فاعتلوا منه :

طلبنا منكم حبّاً أجتم فيه بالمتن
هَلْ زانّاكم لأنكس بواو غير ذي ذرع

(١) راجع عزارة الادب ص ١٤٤٢ وفتوح الربيع ج ٢ ص ٢١٨ .

(٢) العاشية ٢٥ - ٢٦ .

فالمراد بواد غير ذي ذرع مكة المشرقة كما في قوله تعالى : **وَرَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ**
مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ ، (١) .

فاليهما : ضرب ي نقل عن معناه الاصل بناء على أنه ليس بقرآن حقيقة كقول
ابن الرومي :

لَمَنْ أَعْطَاكَ فِي مَدْحِكَ مَا أَعْطَاكَ فِي مَعْصِي
لِقَدْ نَزَلْتَ حَاجَتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ
لأنه قد كتبت بقوله تعالى في الآية المذكورة عن الرجل الذي لا نفع لديه :
فاليها : ضرب تلميح فيه التقيس بزيادة أو نقصان ، أو تقديم أو تأخير ، أو
إبدال الظاهر من الضمير ، أو نحو ذلك بناء على القاعدة التي تؤكد أن التقيس هو
غير القرآن ، ومثاله قول أبي تمام في قصيدة يرثي بها ابنته :

كَمَا نَالِي خَفْتُ أَنْ يَكُونَا إِنَّمَا إِلَى اللَّهِ وَاجِعُونَا
لَسَى الْمَرْجِيُّ أَبُو عَلِيٍّ مَوْثِقًا فِي ثَمَرِي بَيْنَنَا
حِينَ اسْتَوَى وَانْتَهَى شَبَابًا وَحَقَّقَ الرَّأْيَ وَالظَّنُونَا
كَتَبْتُ عَزِيزًا بِهِ كَثِيرًا وَكَتَبْتُ صَبًّا بِهِ ضَمِينَا
حَافِضًا إِلَّا لِلنُّسُونِ عَنْهُ وَالْمَرْءُ لَا يَسْفَعُ النَّسُونَا
فقوله : **إِنَّمَا إِلَى اللَّهِ وَاجِعُونَا** ، التماس لكنه زاد الالف في واجعون على جهة
الاشباع ، واتي بالظاهر مكان الضمير في قوله : **وَأَنَا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** ، ومراده آية الاسترجاع
وهي قوله : **إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** ، (٢) :

الاتماس من الحديث الشريف :

لقد تبين علماء البديع في جعل الأخذ من الحديث النبوي الشريف اقتباساً ، إذ
حصر طريق منهم في القرآن الكريم وذهب فريق آخر إلى أن الأخذ من الحديث
النبوي الشريف التماس ايضاً. أما الخلاف المذكور في الاتماس من القرآن الكريم وعدمه
فلا يجري في الحديث ، وذلك لتجاوز روايته باللفظ وغير ذلك مما لا يجوز في القرآن (٣) ،

(١) ابراهيم ٣٧ .

(٢) البقرة ١٥٦ .

(٣) راجع التواتر الربيع ج ٢ ص ٢٢٢ .

وأما كان لستال الاقتباس من الحديث ، في الثر قول الحريري : «كتمان القدر
زهادة وانتظار الفرج بالصبر عبادة» . ومثاله من الحديث في الشعر قول الشاعر :

قال لي : إن رقيبي مني المختلج فصداره
قلت : دعني وجهك والمنة حثت بالكاره

التضمن لغة واصطلاحاً:

لم يفرق معظم علماء البديع في الاستعمال بين مصطلح الاقتباس والتضمن
وأما أدلوهما للظن مترادفين (١) ، ذلك لأن معنى التضمن لغة هو مصدر
العمل ضمن الذي من معانيه أن «ما جعلته في وهاء فقد ضمنته إياه» (٢) .
فالتضمن مثل الاقتباس يلغى معه في إدراج شيء في شيء «بيته» أن بعض
من كتب في فنون البديع من المتأخرين (٣) حرف التضمن في الاصطلاح بقوله:
«هو أن يضمن الشاعر كلامه شيئاً من مشهور شعر الغير مع تشبيه عليه أن لم
يكن مشهوراً لدى نقاد الشعر ، وذوي اللسان كقول الشاعر بن عباد :

إذا ضاق صدري وغفت العدا تحلت بيتا بحالسي يلقى
(بناه أبلغ ما أرتجسي وبانه أدفع مالا أطيست)

فقوله في الشطر الثاني من البيت الأول تحلت بيتا تشبيه على أن البيت الثاني تضمن
لما إذا كان مشهوراً لدى القوم فيجوز ألا يته عليه كقول الشاعر :

قد قلت لما اطلعت وجناتك حول الشفيق الغض روضة أسر
اعلانه الساري المعجول لرفقا ما في وقوفك ساعة من بأسر
فالصراع الأخير مطلع قصيدة مشهورة لأبي تمام :

ما في وقوفك ساعة من بأسر نفسي حقوق الأربع الأكراس

(١) انوار البديع ج ٢ ص ٢١٧ - ٢١٨ .

(٢) القاموس المحيط (تسن) .

(٣) راجع الايضاح ص ١١٩ .

أهمية الاقتباس :

وفي رأينا أنه لا بد من تخصيص مصطلح الاقتباس بما يدخل من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وجعل مصطلح التضمين قاصراً على ما يتبرع من فنون الأدب شعراً ونثراً ، وذلك دفعا للاقتباس بينهما وحسب الأهمية لكل منهما في ميدان البلاغة

ومن هنا فإن للاقتباس أهمية مشهورة في السمو بأساليب الفتيين ورفع فنون قولهم ، لأن الفتيين من القرآن الكريم الذي هو أعلى رتبة من البلاغة والأخذ من أحاديث النبي الكريم وهو أفصح العرب يزيد قدر لغاه فربحت ويزينها بأجمل العبارات وأبلغ الصياغات ؛ أما الذي يضمن كلامه بضاعة غيره ويحاكي أسلوب سواه من الأدباء فإن في تيمه عنده نظراً لا بد من تفريره والوصول به إلى قاعدة .

حسن التضمين :

لقد ذهب بعضهم (١) بهذا الصدد إلى أن أحسن التضمين أن يزيد التضمن في كلامه نكتة لا توجد في الأصل كالتورية والشبيه ، كما في قول ابن أبي الأصبغ مضمناً :
إذا لوهم أبدى لي لعاها ونغرها تلكرت ما بين العذيب وبارق
ويذكرني من قدها ومداعي مجرى عوالينا ومجرى السوايق
فالمصراعان الأخيران مطلع لابي الطيب اللنتي :

تلكرت ما بين العذيب وبارق مجرى عوالينا ومجرى السوايق
يريد اللنتي أنهم كانوا نزولاً بين هذين التوضيحين ، يجرؤون الرماح عند مطاردة الفرسان ، ويساقون على الخيل ؛ أما الشاعر التضمن فأراد بالطيب تصغير العذب وعنى به شفة الحبيبة . وأراد ببارق نغرها تشبيه بالبرق ، وبما بينهما ريقاً ، وهذه تورية بديعة تارة في بابها ، وشبهت بخرقدها بمائل الرماح ، وتجاج دموعه بجران الخيل السوايق .

أما التضمن الذي لا يزيد في كلامه نكتة لا توجد في الأصل فإنه ملذذ يحاكي بحلوه غيره وينقل عن ابتاع سواه ، فلا يقدم بذلك شيئاً جديداً بل ربما يشوّه ما ضمنه ويقول به عن رتبته إلى مستوى التكرار الملل والمجروح

(١) الألبانج ص ٤١٦ .

البحث الثالث

حسن الإبتداء

درس البلاغيون وعلماه البديع بناء النص الأدبي وارتباط أجزائه وتعاطف مرفوحاته ، فكانت لهم إلى جملة قواعد تحدد أوجه الحسن في ثلاثة مواطن هي :
حسن الإبتداء وبراءة اللطع والتخلص ، فقد ذكر ابن المعتز مصطلح «حسن الإبتداءات» (١) في محاسن الكلام ، وانظر مطالع قصائده من عصر ما قبل الإسلام وعصر صدر الإسلام وغيرهما ، ومن هذه اللطاع قول النابغة الذبياني :
كلمني لهر بالهبة تاصيب
وليل أقالبه بطي الكواكب
وقول بعضهم :

كان اللواتي قلن لي أتيسر
فصرون ومالٍ لوقهن بسودر
وقول أبي تمام :

بأي وخير أبي وذاك قليل
لا يرى عليه ثرى الفياح مهيل
إن ابن المعتز لم يبين مقصده من هذا للحسن البديعي ولم يشر إلى خصائص اللطاع التي اختارها وإنما ثبتها تحت ذلك المصطلح بلا تعليق:
شروط حسن الإبتداء :

وتلقف علماء البلاغة (٢) وشراح البديعيات (٣) مصطلح حسن الإبتداءات وأوردوه مفرداً وحسن الإبتداء وعلقوا في ديباجة التحدث عنه فصولاً تعرضت لتائق التحدث في أول كلامه مؤكداً فيها أنه ينبغي أن يأتي بأعذب الالفاظ ، وأجزلها وأرقها وأسلمها ، وأحسنها ، نطقاً وسبكاً ، وأصحها معنى ، وأوضحها معنى وأجملها من الحشو ، والركعة والتعقيد :

(١) راجع البديع ص ٢٥ .

(٢) راجع الإيضاح ص ١٢٨ .

(٣) راجع عزلة الأدب ص ٢٢ ، وانوار الربيع ج ١ ص ٢٤ .

ويبتدأ أن جميع فروع السور من القرآن للجد أنت على أحسن الوجوه وأبلغها
وأكلها ، كالتحديبات ، وحروف الهجاء ، والثناء وغير ذلك (١) .

وعلمنا لما بسطوه من تلك الشروط قائلين : لأنه أول ما يفرغ السمع ، فإن كان
كما ذكرنا قبل السامع على الكلام ، فدمي جميعه ، وإن كان بخلاف ذلك أعرض عنه
ورققه وإن كان في غاية الحسن (٢) :

براعة الاستهلال :

ويبدو أن تلك الشروط التي بسطها علماء البلاغة وشراح البيهيات عامة تتناول
ابتداءات المثنون والمثرون ، لذلك فإن بعضهم (٣) قد خص "مصطلح براعة الاستهلال"
بالمثرون وذهب إلى أن أحسن الابتداءات ما تناسب المقصود ، ويسمى براعة الاستهلال
كقول أبي تمام يهني المنتصم بالله يفتح صمورية ، وكان أهل التنجيم زعموا أنها
لا تفتح في ذلك الوقت :

سيفُ أُسْدِقُ أُنْبَاءً من الكسبِ في حدِّ الحدِّ بين الجدِّ والمحبِّ
براعة المطلع :

واعتمد بعضهم الآخر مصطلح "براعة المطلع" (٤) بدلا من حسن الابتداء
وأداره مرادفاً لمصطلح حسن الاستهلال ، وخصه بابتداءات القصائد ومطالعها ،
وعرفه بأنه عبارة عن طلوع آهلة المعاني واضحة في استهلالها وأن لا يتجافى بجنوب
الانفلاط عن مضاجع الرقة وإن يكون التشبيح بتسيبها مرصفاً عند السماع وطرق
السهولة متكلفة لها بالسلامة من تجشم الخزد . وعرض في ضوئه شروطاً إضافية
يتبغي توفرها في مطلع القصائد إلى جانب الشروط العامة التي لا بد أن تتوفر في
ابتداءات فنون المثنون ومن هذه الشروط : ألا يكون مطلع القصيدة متعلقاً بما بعده
من الآيات ، وإن تناسب بين لسميه أتم المناسبة ، بحيث لا يكون أحد الشطرين
أجنباً عن الآخر لفظاً ومعنى .

(١) راجع النوار: الربيع ج ١ ص ٣٤ .

(٢) راجع الايضاح ص ١٢٨ .

(٣) الايضاح ص ١٢١ .

(٤) راجع خزنة الأدب ص ٥ .

وسائل اجادة مطالع القصائد :

لقد نعتن مشايخ الابدع في الوسائل التي يتوصل بها الشاعر إلى اجادة مطالع قصائده فنبهوا على بقلقة الناظم في حسن الابداء وبينوا انه يتعين عليه ان ينظر في احوال المخاطبين والمدحوحين ويفقد ما يكره من سماعه ويثبطون منه ليتجنب ذكره ويختار لأوقات المدح ما يناسبها ويخطاب الملوك في حسن الابداء هو العمدة في حسن الادب.

وروا تجسيدا لهذه التوصيات أن ذا الرمة أشد هشام بن عبد الملك قصيدته الياية:

ما بال عيناك منها الماء ينسكب؟ كأنه من كلكى مغرقة سرب^(١)

قال هشام: بل عيناك:

وحكوا أنه لما بنى المتصم بالله قصره بالبدان ، وجلس فيه ، أشده اسحق التوصل:

يادار غيرك الليل ، ومحالك ياليت شعري مسالني أبلاك؟
تطير المتصم بهذا الابداء ، وأمر يهدم القصر .

ولذلك فرروا انه من أراد ذكر الديار والأطلال في مدح فليقل مثل قول التماسي:

إنا محبوك فاسلم أيها الطل^(٢) وإن بليت ، وإن طالت بك الطيل^(٣)

أو مثل قول الشجع السلمي:

قصر عليه نحية وسلام خلعت عليه جمالها الأيام

(١) كلى : اسم جنس واحدة كلية يقسم لونه . وهي العضو المعروف في حنا الانسان

مغرية : منقطة مشتقة . سرب : سائل .

(٢) الطلل : الاثر الفاضل من آثار الديار ، الطيل : آراء الدهر ، واحدا طيلة .

البحث الرابع حسن التخصّص

اعتقد ابن المعتز مصطلح «حسن الخروج» وأداره توطئة للشواهد، وبين مقصده
منه قائلاً: «ومنها أي من - محضات الكلام - حسن الخروج من معنى إلى معنى (١)»
من هذه الشواهد قول أبي الصّامية :

وأحييتُ من حياء الباطلِ ن حتى ولقت أبينَ سكر سعيها
إذا سيلَ عرقاً كما وجهه لياً من النع صقراً وسوما
يغير على المال فعل الجراد وثأني علاتقه أن لجرودا
لم يبين ابن المعتز وجه حسن الخروج في هذا الشاهد وفي سائر شواهد التي
توعت في أحصراها وبطائها العرية بيد أن صحة استشهاد ذلك واضحة لأن أبا
الصّامية قد انتقل في الشطر الأول من البيت الأول من التتول إلى الجاء في الشطر
الثاني منه متوسلاً بـ «فعل صاحبه لبيان فعل سعيد بن سلم ووجهه» .

تعريف حسن التخصّص :

لقد تناول علماء البلاغة (٢) وشراح البديهيات (٣) مقصد ابن المعتز من مصطلحه
ذلك وتصلّوا القول فيه بمصنفين مصطلح حسن التخصّص الذي حدّوه بقولهم:
هو أن يشترط الشاعر للتصنّف من معنى إلى معنى آخر يتعلّق بمملووعه بتخصّص سهل
يفضله اختلاصاً رقيقاً دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول
إلى وقد وقع في الثاني لشدة للمازجة والالتصام والانسجام بينهما حتى كأنهما أمرطاً
في قالب واحد .

وبدعي أنه لا يشترط أن يبين التخصّص منه في غرض عدد بل يجري ذلك في
أي معنى كان فالشاعر ربما يتخصّص من نسيب أو غزل أو فخر أو وصف أو روض أو

(١) البديع ص ٦٠ .

(٢) راجع الإيضاح ص ١٣٢ .

(٣) عزارة الأدب ص ١٤٩ ، والنوار الرابع ص ٢١٠ .

وصف ظل بال أو ربع خال أو معنى من العادي يؤدي إلى مدح أو عيب أو
وصف حرب أو غير ذلك .

موازنة بين الاستطراد وحسن التخصيص :

لقد فرق الأسلاف من البلاغيين بين الاستطراد وحسن التخصيص فبينوا أن
يشترط فيه الرجوع إلى الكلام الأول أو قطع الكلام فيكون المستطرد بمثابة كلامه
والشرطان معدومان في التخصيص فإنه لا يرجع إلى الأول ولا يقطع الكلام بل يستمر
على ما يتخلص إليه .

مقاييس حسن التخصيص :

وقد علموا لوجوب التأنيق في هذا الرضخ من النص الأدبي بقولهم : أن السامع
مترب للاطلاع من الالتصاح إلى المقصود كيف يكون ، فإذا كان حسنة التلام
الطرفين حركة من نشاط السامع ، وأحيان على اصغاء مابعد ، والأف بالمعكس .
لقد حاول بعض علماء البديع المتأخرين تقرير مقاييس لتحديد الصور البليغة من
التخلص ، فذكروا مقاييسين : نص أولهما : على أن الأحسن أن يتخلص الشاعر
من القول إلى المدح . وبين أن هذا المقياس يتناقض مع ما أكدته جمهور البلاغيين
من أن التخلص لا يتقيد بفرض دون غيره ولا يقتصر على معنى دون سواه ، وإنما
يمتد منه وشيجة لجميع ما بين الأغراض المختلفة وتشد معنى بمعنى .

أما ثاني المقاييسين : فيجزم بأن أحسن التخصصات ما كان في بيت واحد نحو
قول زهير بن أبي سلمى :

إنَّ البَيْهَـلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانُوا كُنَّ الْجِسْرَاءُ عَلَى عِلَاقِهِ حَرَمٌ
فالشاعر في هذا البيت قد انطلق من ذم البهيل أبداً إلى مدح حرمين متتابعين .
إن هذا المقياس بلائيك يرسخ قاعدة التلازم التي بين التخصيص منه والتخلص
إليه كما يؤكد أن هذا التلازم يكون على غير وجه إذا ماتم التخصيص في بيت واحد ،
لأنَّ البيت الواحد هو وحدة البناء الأساسية في القصيدة العربية القديمة .

البحث الخامس

حسن الانتهاء

لقد أدار علماء البديع المتأخرون ثلاثة مصطلحات للدلالة على ما ينبغي أن تكون عليه خاتمة النص الأدبي :

أولها : مصطلح حسن الانتهاء (١) ، وثانيها : حسن التقطع ، وثالثها : حسن الخاتمة (٢) .

حد حسن الانتهاء :

ويبدو أن مقصدكم من هذه المصطلحات لا يختلف فيه ، ذلك لأنهم حدود مفهوم : هو أن يكون آخر الكلام الذي يقف عليه الخطيب أو المترسل أو الشاعر مستطاباً حسناً وأحسب ما أذن بانتهاء الكلام حتى لا يئس القارئ تشوقاً إلى ما وراءه :

بلاغة حسن الانتهاء :

ولقد علموا الوجه بلاغة هذا الحسن اللغوي مقرونين : أنه أكثر ما يفرح السمع ويرسم في النفس ، وربما حكيمة قرب العهد به ، فإن كان مستطاباً حسناً تلقاه السمع واستلذه حتى جبر ما وقع فيما سبق من التصدير .

لقد نبه علماء البديع على أن سور الذكر الحكيم هي مستطاب ما ليس هذا الترحيب البديعي ، ذلك لأن جميع محوالم السور كلها ، ولادة على أسن وجوه بلاغة واكملها ، لأنها بين ادعية ، ووصايا ، وفرائض ، وتكبير وتبجيل ، ومواعظ ووعود ووعيد ، إل غير ذلك مما يناسب الاحتتام (٣) ، ومن العجز في ذلك قوله تعالى : «إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زُلْزَلًا ، وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ بُقْلًا ، وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَاذَا ، يَوْمَئِذٍ نَخَعْتُمْ أَصْبَارَهُمْ ، وَأَنْ رَبُّكَ أَوْحَىٰ مَا »

(١) راجع الإيضاح ص ١٣٤ .

(٢) راجع خزنة الأدب ص ١٦٠ .

(٣) التوراة الربيع ج ١ ص ٣٢٥ .

يؤخذ بتصدُّرُ الناسُ اثنتاناً لهُنَّوا أصنافهم : فمن يعمل مقالَ ذرَّةٍ خيراً يره . ومن يعمل مقالَ ذرَّةٍ شراً يره . (١) فهذه السورة الكريمة ابتدأت بأحوال يوم القيامة واختتمت بقوله تعالى : «من يعمل مقال ذرَّة خيراً يره ومن يعمل مقال ذرَّة شراً يره . . . نجاه هذا الختام مثلاً سائراً وحكما قاطعاً جامع إلى إيضاره البليغ حكماً عادلاً يستوي قانوناً أساساً في المكافأة والمجازاة .

لقد تبارى الأدباء في كل فن من فنون الشعر والنظم ليجوزوا نصب السبل بين أروجاه هذا الميدان الفسيح من مبادئ البلاغة والفصاحة العربية .

ومن دان لهم علماء البلاغة بالفوز الحريري الذي قال في ختام إحدى مقالاته :
 «لم تلوت إليه كما يدنو المصالح ، وقلت : أوصني أيها العبد الصالح ، فقال :
 اجعل الموت نصب عينك ، وهذا فراق بيني وبينك فودعه وعبيراني يتحدون
 من الآتي ، وزفرائي تتصعدن إلى التراقي ، وكانت خاتمة الثلاثي .

وأبو نواس الذي قال في خاتمة قصيدته التي مدح بها الخطيب :

واني جديرٌ إذ بلفظك بلثتي وأنت بما أنثتُ منك جديرٌ
 فان ثلوثي منك الجميلُ فأعلمه وإلا فإني عاذرٌ وشكورٌ
 وابن هاني اللخمي الذي قال في ختام إحدى قصائده في المديح :

فني كل مسمى من مسامحة نيلة يصلني إليها كمل عهد ونائل
 وفي كل يوم فيه للشعر سألحِبُّ حل إليه لم يبتئ قولاً لئاليل
 وحدة النص الأثني :

إن الباحث المعاصر حين يتوقَّم بحث البلاغيين لأوجه الحسن في تلك النواضع من بناء النص الأدبي وبحل شروط الحسن التي تفردها لشواهدهم في ميدان التطبيق لا يبدؤُ له من تأكيده حقيقة رئيسة تنص على شروط حسن الابتدءات والتخصصات والشوازم لا ينبغي أن تقتصر على موضع دون آخر في فنون الشعر وألوان النظم بل ينبغي أن تتجسد في سائر أجزاء النصوص الأدبية ، وإن صفات القبح فيها يجب

(١) سورة الزلزلة.

أن يتجنبها الأديب في كل منقطع من منقطات التاجه الفني ، كما ان مظاهر
الحسن في هذا الوضع أو ذلك لايمكن أن تشع لما تتعبر به القطوعة الأدبية من
جوب والصور ، ذلك لأن ثمار القرائح وحدة متكاملة تتكاتف اجزاها وتتعاون
أقسامها في تحقيق الحسن الأدبي والجمال الفني .

لقد اتبهان طباطبا الطوي (- ١٣٢٢هـ) إلى الكثير مما تقرره هذه الخليفة من
أحكام نقدية وبلاغية حول بناء النص الأدبي فقال :

«وأحسن الشعر ماينتظم القول فيه انتظاماً يتسق به أوله مع آخره فانخدم
يت حل بيت دخله الخلل ، فإن الشعر اذا أسس تأسيس كلمات الحكمة
المستقلة بذاتها ، والأمثال السائرة المرسومة باختصارها ، لم يحسن نظمه ، بل يجب
أن تكون القصيدة كلها ككلمة واحدة في اشياء أوفاً بآخرها تبعاً وحسناً ،
وفصاحة وجزالة ألفاظ ، ودقة معاني ، وحواسب تأليف ، ويكون خروج الشاعر
من كل معنى يصنعه إلى غيره من المعاني خروجاً لطيفاً : : : حتى تخرج القصيدة
كأنها ملغزة تقضي كل كلمة ما بعدها ويكون ما بعدها متعلقاً بما تنظرأ إليها (١) »
ولذلك ينبغي أن تدرس الموضوعات الثلاثة : حسن الإبتداء وحسن النظم
وحسن الانتهاء في مبحث واحد يشتمل النص الأدبي لئلا صور الفن القرائح
مشجالة يشد بعضها بعضاً ويأخذ فن بأطراف الفن الآخر ، وقد كانت دراستها
في مباحث مستقلة استجابة للمنهج الذي يضع أمامه الجانب التطبيقي وتيسير
المادة وتزويجها إلى الأذهان :

١

(١) عبار الشعر ص ١٢٩ .



الفصل الخامس
طرق عامة

(١)

مرّ بنا: ان علماء البلاغة قد تباروا في زيادة الوراخ البديع وسعوا إلى الكشف عن قدرته حتى بلغت هذه القنون وتلك الأنواع إلى ما يتوقف على ثلاثين ومائة نوع، وربما أيضا ان الخطيب القزويني الذي تقبل منهج السكاكبي في نسخة الوراخ البديع وتصنيفها إلى محسنات معنوية ولفظية قد وضع اليد على اثنين وثلاثين محسنا معنويا، وطرز نسخة من المحسنات اللفظية:

كما مرّ بنا ان قصائد البديعات في نظم المحسنات البديعية ضربان: ضرب أودع ناظرو قصائده كل بيت من أبياتها محسناً لفظياً أو معنوياً بلا ذكر للمصطلح الذي سُمي به، وضرب ثبت ناظموها في شطر من بيت أو أكثر اسم الحسن الذي أوردوه في الشطر الأخير من أمثلة بديعات هذا الضرب بديعية عز الدين الموصل وبديعية ابن حجة الحموي، ومن شواهد هذه البديعات بيت: بديعية عز الدين الموصل في نوع الاستخدام:

والعين قرأت بهم لما بها سحرها واستخدموها من الاعضا ظم تشمر
وبيت بديعية ابن حجة الحموي في نوع التثنية والنشر:

فالعليّ والنشر والتفسير مع قصر الظهر والعظم والأحوال والهمسر
وبيت بديعية الشيخ عز الدين الموصل في نوع الهزل المراد به التجد:

هزّل أريد به جد هذابك لي كما كنت ياخيّ تشيب بالكسر (١)

وبيت بديعية الشيخ عبد القادر الطبري في نوع التطويق:

تجنّ أصبر تذلّل أرض عزّامن ه احصل مرأطع صل موطا آدم

(١) انكم محرّكة بالفتح : ثبت ياخشب به النشر ويصنع من مواد الكتابة.

تبع في آيات بتبعيات هذا الضرب المحسن الثنوية والمحسنات الفظية التي
أوردتها الخطيب القزويني (١) ،

(٢)

نظر رجل إلى روح بن حاتم بن قبيصة بن الهلب وهو والف باب التصوري
الشمس - فقال : قد طال ولوطك في الشمس ! فقال روح : يطولون قولي في
الظل (٢) ،

إذا اتخذنا كلمة «الظل» في هذا النص والرداء أن نحدد نوعه البياني أو اللفظي
ربما حار بعضنا بين أن يقول هي من أساليب البيان مجازاً أو استعارة أو كتابة وبيان
أن نقول أنها ثورية، بيد أن هذه الخبرة تقول إذا ما تكررت تعريفات كل أسلوب
من أساليب البيان وحدود كل نوع من أنواع اللفظ :

وعما يتعلق الأمر بهذه الحدود وتلك التعريفات هو أن أي أسلوب من أساليب
البيان يقوم على أربعة أركان متلازمة :

أولها : المعنى الحقيقي للكلمة ، ولانها : اللادول المقصود المجازي أو المستعار له
أو المكتفي عنه ، وثالثها : العلاقة المترتبة المترتبة بين المعنى الحقيقي للكلمة ومدلولها
المقصود من استعمالها ، ورابعها : القرينة اللفظية أو الثنوية التي ترشد إل أن المعنى
الحقيقي للكلمة غير مقصود في النص .

أما الثورية التي نسمى أيضاً : الأيهام والتوجيه والتخييل والمغالطة ، فإن المعنى
المؤلف عن مخفي عن قصد ، وعليه فإن مدلولها غير الظاهر لا يرتبط بمعناها
الظاهر بملازمة مترتبة مقررة كما أنها تظل أو تكاد من القرينة التي ترشد إليها وتكشف
عن المقصود منها :

(١) بحث في حل هذا التطبيق نعوض التطبيق نعوض اللفظيات أو كتاب الوار
الرابع في أنواع اللفظ حيث ذكر مؤلفه على صدر المتن الذي في نهاية كل
باب آيات اللفظيات التي نقلت المحسن اللفظي الذي بحث .
(٢) راجع الكامل ج ١ ص ١٧٣ .

وفي غيره هذا كله فان كلمة الغل لا يمكن ان تكون تورية لانها النص اكثر من
تورية لاد على مدلولها وتكشف عنها كما ان مدلولها غير الحقيقي يبدو بوضوح
في علاقته بمعناها الحقيقي.

١ - عين نوع الاسلوب البياني لكلمة الغل ، ثم حلل أركانها .

٢ - نتج في النصوص الآتية ما فيها من مجازات واستعارات وكتابات وتويرات
موازناً لبيها بينها وكاشفاً عما يميز كل نوع عن الآخر :

١ - روي عن الأصمعي أنه قال : هجم علي شهر رمضان وأنا بمكة ، فخرجت
إلى الطائف لأصوم بها هراً من حر مكة ، فلفني أعرابي فقلت له : أين تريد ؟
فقال أريد هذا البلد الذي لا يصوم هذا الشهر المبارك فيه ، فقلت له : أما تخاف
الحر ؟ فقال : من الحر أرى .

٢ - قال رجل لربيع بن خليم وقد صلب ليلته حتى أصبح : أعبت نفسك ، فقال :
راحتها أطلب .

٣ - قال جريرة بن الورد :

فكروا سكيبي لو أنمت بأرضنا
لعل الذي عرفتنا من ورائنا
١ - قال صراج الدين التوراني :

أصون أروم وجهي عن أناس
وربما الشعر عندهم يبيض
٥ - قال الحملي :

أنا ابن زبابة إن تلفنسي
٦ - قال العنابي :

باليلة لي يجرأرسن ساهرة
٧ - قال القزعاوي :

فما تبست الذي لم أظنه
والي لأبدي في قسريسي شكيني

٨ - قال الشاعر :

تسبل على حدّ القلّبات للوسا

ولست على غير القلّبات تسبل

٩ - قال الشاعر :

خلقت صبوراً لا أرى لابن حرة

على بدأ الخفي لها حين يفضب

١٠ - قال الشاعر رشيد سالم الخوري في

عيد الفطر المبارك :

صياماً إلى أن يقطر السيف بالدم

وصمتاً إلى أن يصدح الحق بالسي

أنظر وأسرار الحسى في جماعة

وعيد وأبطال الجهاد بمأسر

بلادك قدّمها على كل ملّة

ومن أجلها أنظر ومن أجلها صم

(٣)

قال المتنبي :

بعضي ما يشكوه من راح طرفه

ونرجه فما دعا حسه ورد

أراقت دمي عبداً محاسن وجهه

فأنحى وفي عينه آثاره تسبو

تعرض حمرة العين لللسان عن مرض

، رأى الشاعر بارقة دمه تظيلاً لما في

عيني حبيبه من حلة . ووضح أن هذا التعليل لا يبر في النفس راحة ولا يخلق الجو

الشعوري الذي يفهم على العاشق الرهان ، كما أنه يصور العاشق تقيلاً ويمثل حبيبه

علية في طرفها ، فأى جمال في يبرز في هذا التشبيـل وذلك التصوير ١٩

سما لا يرب فيه أن منطقي هذا النص لا يمكن أن يقبل بما فيه من تعليل على

أنه حسن تعليل . هذا من جهة ومن جهة أخرى :

حكى ابن رشيق قال : كنت اجالس محمد بن حبيب وكان كثيراً ما يجالس الغلام

ذو خال تحت حنكه ، فنظر إلى ابن حبيب يوماً وأشار إلى الخال ، فقهرت أنه

يريد أن يصدح فيه شيئاً ، فصنعت أنا بيتين فلما رفع رأسه قال لي : اسمع ، وأنتلني :

يقولون لي من تحت صفيحة عنده

تنزل خال كان متوله الخسد

فقلت رأيت حسن الجمال لها به

نحطاً خضوعاً مثل ما يخضع العبد

فقلت له : أحسنت ، ولكن اسمع :

خدا اللخال كاسماً منه بين

خسد وإليسد رقة وحلارا

خدا اللخال كاسماً منه بين

خسد وإليسد رقة وحلارا

خدا اللخال كاسماً منه بين

خسد وإليسد رقة وحلارا

خدا اللخال كاسماً منه بين

خسد وإليسد رقة وحلارا

خدا اللخال كاسماً منه بين

خسد وإليسد رقة وحلارا

خدا اللخال كاسماً منه بين

رام فيسكه اختلاصاً ولكن بحاف من سيف لطفه قصاوى
فقال : فضحتي قطع الله لسانك (١) .

وعله الطارحة الشعرية تبين أن موضوع حسن التعليل يتبع الموازنة بين شاعرين
إذا ما تناولوا معنى بهيمة .

فترى في ضوء ذلك ما جاءه من تعليل في النصوص الآتية محدداً للقول الأدبي
والاحساس الفني والخيال المتكرر والموازنة بين المعاني :

١ - قال ابن المعتز :

قالوا : اشكت عينه فقلت لهم : من كثرة القتل لانا الوصيبُ

حمرتها من دماء منى فقتلتُ

٢ - قال المعري في الرثاء :

وما كُنْتُ لهُ البدر المبرقعة

٣ - قال ابن الرومي :

أما ذكاه فلم تصب إذا جنتحت

٤ - قال المتني في اللديح :

ما به قتل أهدابه ولكن

٥ - قال ابن نباتة في اللديح :

لم يزل جوده يبور حل السال

٦ - قال شاعر في وصف فرس أدهم ذي شرة :

وأدهم كالغراب سواد لون

كناه الليل شمله وولسى

٧ - قال الأرجاني :

أبدى صبيحك تقصير الزمان في

٨ - قال شاعر يرثي كاتباً :

استشر الكتاب ففدك سالفا

وقضت بصحة ذلك الأيام

(١) الوار الريح ج ٦ ص ١٣٧ .

فذلك سرود الدؤي كآية استفا عليك وعلقت الاسلام

(٤)

لقد أصل الخطيب القزويني بالطباق شيتين (١) :

الاول : نحو قوله تعالى ، وأشداء على الكفار رُحَماء بينهم (٢) فان الرحمة سببة عن الين الذي هو ضد الشدة .

الثاني : ما يسمى ايام القضاء كقول دعبل :

لا تمنني يا مستم من راجل فيحك الشيب راب ، ليكن

إن ضحك الشيب من جهة المنى ليس ضد والبكاء ، لانه استعاره عن كثرة

الشيب ، ولكنه من جهة النطق يومهم المطابقة .

وذهب ابن ابي الاصمح إلى أن الطباق على ضربين : حقيقي ومجازي ، وكل من

الضربين على قسمين : لفظي ومعنوي ، فما كان منه بالفاظ الخليله ابتوا عليه اسم

الطباق ، وما كان منه بالفاظ الجاز أو بفضه سموه تكلوا (٣)

ويدهي أن أي علم من العلوم يهدف إلى تحديد مفاهيمه دفعا للخلط والبس ،

كما يتعد في كل موضوع من موضوعاته مصطلحاً واحداً تحقياً لغة العلمية

التي من خصائصها الميزة الدقة في الالفاظ والتجارات .

ناقش في ضوء هذه الشواهد التصريح الآتية مستخلصاً منها الطباق ومترجماً

ماعداء كما ادخل في هذا الباب وضع له مصطلحاً آخر :

١ - قال تعالى : ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار ، لتسكنوا به ،

وليتنوا من فضله (٤) ،

٢ - قال المتنبي :

لمن تطلب الدنيا اذا لم تُردّها سرورٌ هب لو اساءه سرور ١

(١) راجع الايضاح ص ٢١٠ .

(٢) الفصح ٢٩ .

(٣) راجع بديع القرآن ص ٣١ .

(٤) القصص ٧٣ .

٣ - قال أبو تمام :

ما إن ترى الأحساب بيضاً وضحا
إلا بحيث ترى النفايا سؤفا (١)

١ - قال أبو تمام أيضاً :

وتظري عيب الركاب ينصتها
عبي القريظن إن سئبت المال (٢)

٥ - قال أده بن مالك بن زيد بن كهلان في وصفه لولده : ولا تكونوا كالجراد
أكل ما وجد وأكله من وجده .

٦ - وليل لابن عمرو في الله عنهما : ترك فلان مائة ألف . قال : لكنّها لا تركه .

٧ - قال الحسن البصري : ما رأيت يقينا لا شك فيه أحبّ بملك لا يقين فيه من
الموت .

٨ - وقال أيضاً : وقد أنكر عليه الأعراب في تحريف الناس : إن من خوفك
حتى يبلغ الأمن غير ممن آمنك حتى يبلغ الخوف .

(٥)

ظهر لنا من بحث المشاكلة والجناس التام أن هذين المصطلحين يلغى مدلولهما على
أن في كل منهما لفظين متضادين في التطرف : وعند التماس الفرق بينهما ثبتت لدينا
أن اللفظ المشاكلي لا يقصد به مدلوله الحقيقي بخلاف اللفظ الجناسي الذي له معناه
الخاص به .

إن هذا الفرق لم يجد بعض علماء البلاغة من الخلط بين المشاكلة والجناس التام ،
فقد حكى ابن حجة الحميري بهذا الصدد قائلا : قد ثرروا أن هذا النوع أصح
المشاكلة التنظيمية أن يأتي المتكلم في كلامه باسم من الأسماء المشتركة في موضعين
لمشاكل إحدى المشاكليتين التنظيميتين الأخرى في اللفظ والمعنى معاً ،
ومن الشهادات التبريزي في هذا الباب قول أبي سعيد الخروزمي :

(١) إن : للآية مؤكدة له ماء ، وضحا : جمع والضح ، بمعنى حل بين .

(٢) تظري : انظري ، عيب الركاب : ضرب من سيرها يتصد الحشور فيه على إحدى
الرجلين وما يخالف جهتها من الجانب مرة ثم على الرجل الثانية وأيد اللطافة
لما مرة أخرى وهكذا على التبادل . ينصتها : يحتملها ، عبي القريظن : القذرة ،
سئبت المال : سوتها الكرم .

حَسَدَقُ الْأَجْسَالِ أَجْسَالُ وَالْمَسْوِيُّ لِدَسْرِهٖ قَتَّالُ
 قَلْقَطَةُ وَالْأَجَالُ وَالْأَوَّلُ أَسْرَابُ الْبَهْرِ الْوَحْشِيَّةِ : وَالثَّانِيَةُ مَتْنِي الْأَعْمَارِ وَبَيْنَهُمَا
 مَشَاكَلَةٌ فِي الْمَنْظُ وَالنَّحْوِ :

قَالَ الشَّيْخُ زَكِيَّ الدِّينِ بْنِ أَبِي الْأَصْبَحِ فِي كِتَابِهِ الْمَسِيُّ بِتَحْرِيرِ التَّحْيِيرِ هَذَا
 لِشَاعِدٍ وَأَمَثَالُهُ دَاخِلٌ فِي بَابِ التَّجْنِيسِ : قُلْتُ قَوْلَ الشَّيْخِ زَكِيَّ الدِّينِ ظَاهِرٌ لَيْسَ فِي
 صِحَّتِهِ مَقَامٌ وَهَذَا الْبَيْتُ الَّذِي أَنْشَدَهُ التَّبْرِيزِيُّ مِنْ أَحْسَنِ الشُّوَاهِدِ عَلَى الْإِنْجَاسِ إِتَامٌ
 وَلَوْ اعْتَمَدَ الْبَدِيعِيُّونَ عَلَى الْمَشَاكَلَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ لَخَطَبُوا مِنْ هَذَا الْأَعْرَاضِ (١) :
 مَيَّزَ فِي نَصْرِهِ هَذَا كُلَّهُ مَا فِي النُّصُوصِ الْآتِيَةِ مِنْ مَشَاكَلَةٍ وَجِنَاسٍ تَامٍ مَعْلَلاً
 لِمَا تَقَرَّرَ :

- ١ - قَالَ تَعَالَى : وَكُفِّرُوا وَنَكَّرُوا اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَاكُورِينَ (٢)
- ٢ - قَالَ تَعَالَى : فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ (٣)
- ٣ - حَكِيٌّ أَنْ قَبْرًا وَكَفَّ عَلَى بَعْضِ الْوَلَاةِ وَهُوَ يَفْرَسُ قَبِيلًا فَأَنْشَدَهُ :
 إِنَّ الْوَلَاةَ لَا تَسْلُومُ لِوَاحِدٍ إِنْ كُنْتَ تُشْكِرُهُ فَابْنِ الْأَوَّلِ
 فَاعْرِضْ مِنَ الْقَتْلِ الْجَمِيلِ غَرَامًا لِإِذَا عُرِّتَتْ قَاتِبًا لَا تُعْزَلُ

- ٤ - قَالَ الشَّاعِرُ :
 مِنْ مِثْلِ أَنْتَاءِ يَعْزِبُ كُلُّهَا أَنِّي بَيْتُ الْبِلَادِ قَبْلَ التَّنْزِيلِ
- ٥ - قَالَ عَمْرُو بْنُ كَثُومٍ :
 أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَتَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْخَامِلِينَا

(٦)

تَحَدَّثَ ابْنُ أَبِي الْأَصْبَحِ عَنِ الْإِسْتِطْرَاءِ الَّذِي هُوَ خُرُوجٌ مِنْ مَعْنَى إِلَى مَعْنَى فَقَالَ :
 هُوَ قَبِيلُ الْوَتُوعِ فِي الْكِتَابِ الْفَرِيزِيِّ ، وَسَبَبُ ذَلِكَ كَوْنُهُ أَكْثَرُ مَا جَاءَ فِي الشُّعْرَةِ
 الْبَثْرِ ، وَغَالِبٌ وَتَوَعَّهُ فِي فَنِّ الْهَجَاءِ مِنْهُ ، وَلَمْ أَنْظِرْ مِنْهُ بِشَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ
 إِلَّا فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى : أَلَا يُعَذِّبُ الْيَمْدُوكِيَّةَ كَمَا
 يُعَذِّبُتُ لَعُودُ (٤) .

(١) عَزَاكَ الْإِدْبِ مِنْ ٣٥٦ . (٢) آلِ عِمْرَانَ ٥٤ .
 (٣) الْبَقَرَةُ ١٩٤ . (٤) هُودُ ٩٥ .

وتحدث عن وتأكيده المدح بما يشبه القدم، وقال : وهذا الباب أيضاً كالذي قبله في حزة وتوجهه في هذا الكتاب العزيز ، ولهذا لم أجدته إلا آية واحدة تجلت على تأويل لتدخل به في هذا الباب ، وهي قوله تعالى : «قُلْ يَا عِزْلُ الْكِتَابِ هُنَّ لَكُمْ شَفَعُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِأَقْدَامِهِمْ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهَا وَمَا أَنْزَلْنَا مِنْ قَبْلُ» (١) فان الاستثناء بعد الاستفهام الخارج مخرج التوبيخ على ما عابوا به المؤمنین من الإيمان بوجههم بأن يأتي بعد الاستثناء ما يجب أن يشتم على فاعله ، مما يلزم به ، فلما أتى بعد الاستثناء ما يوجب مدح فاعله كان الكلام متضمناً تأكيد المدح بما يشبه القدم (٢) .

وقد لاحظ البلاغيون أن هناك نوعاً آخر من أساليب الهجوم يسمى بالهجاء في معرض المدح ، وهو أن يؤتى بكلام ظاهره مدح وباطنه ذم ، كقول الشاعر :

أبو جعفر رجل عالِم بما يصلح العدة الفاسدة
تخون نخمة أضيافه فعُودهم أكلة واحدة

تبع أنواع أساليب المدح والهجاء مستكملاً ما مر بك في مبحث تأكيد المدح بما يشبه القدم وتأكيده الذم بما يشبه المدح ثم وازن بين أساليب القرآن الكريم وأساليب الأدب العربي في هذا الباب :

(٢)

لقد استخلصنا حدّ الجنس الذي يضيق عليه جمهور البلاغيين وأوردنا أنواعاً رئيسة وقد خرج بعضهم عن هذا الحد يوماً في دائرته فألحق بالجناس شيتين (٣) : أحدهما : أن يجمع اللفظين الاشتقاق كقوله تعالى «فألم وجهك للدين القيم» (٤) والثاني : أن تجمعهما التشابه وهي ما يشبه الاشتقاق وليس به كقوله تعالى :

«وجنتي الجنين ذات» (٥) .

(١) الآية ٥٩ .
(٢) راجع بتبع القرآن من ١٩ - ٥٠ .
(٣) راجع الايضاح من ٣٨٩ .
(٤) الروم ٤١ .
(٥) الرحمن ٥٤ .

وبالنسبة إلى أنواع الجنس لم يكتف معظم علماء البديع (١) وبعض الباحثين المعاصرين (٢) بالأنواع الجنس غير التام التي تفيدنا بما معتدلين خروجها على شرط من شروط الجنس التام الأربعة ، ومن هنا ذكروا أنواعا واعتقدوا في تسمياتها وبرزت هذه الأنواع :

الأول : اللطائف : وهو أن تختلف الأحرف وتطلق الكلمتان في أصل واحد يجمعهما الاشتقاق ، كقول البحرني :

صدق للفراب لقد رأيت حمولهم بالأمس تغرب^١ عن جواليب غروب^٢
فجناس بثلاثة أشياء هي : الغراب ، وغروب ، وغروب :

الثاني : المصحف : وهو الإتيان بكلمتين متشابهتين خطأ لا لفظاً ، ويقال له
تجنيس الخطأ كقول البحرني :

ولم يكن المغتر^١ بك إذ شمرى ليمجز والمعتر^٢ بك طالسجه
الثالث : المركب : وهو ما عمال ركناه وكان احدهما كلمة مفردة والآخر
مركباً من كلمتين فصاعداً ، وهو على ثلاثة أنواع :

احدها : الجنس المقرون ويسمى المشابه ، وهو ما اتفق ركناه لفظاً وخطأ ،
كقول أبي الفتح البستي :

إذا ملك^١ لم يكن ذاهبته لصدخته ليدولسفه ذاهبته^٢
ثانيها : الجنس المفروق - وهو ما اتفق ركناه لفظاً لا خطأ ، وعصم باسم

المفروق لا لافراق الركنين في الخط ، نحو قول الخاقم الطوسي :

لاسرغرسن^١ على السرواق^٢ قصيدة ما لم تكن بالغت في هديها
فدني عرقت الشعر غير مهذب^٣ عدوه مثل وسلموس تهذي بها

(١) خزائن الأديب ص ١٣٠ ، والنوار الربيع ج ١ ص ٩٧ .

(٢) فنون بلاغية ص ٢٢٥ .

ثالثها : الجنس المرفوع ، وهو ما كان أحد ركنيه مستقلاً والآخر مرفوعاً من
كلمة أخرى ، كقول الحريري :

ولا تائهٌ عن تذكركِ ذنوبك وإبكيه
ومل لعينيك الحمام وورقه
والرابع : الملقب ، وهو أن يكون كل من ركنيه مركباً من كلمتين فصاعداً كقول
الحاكم الطوسي :

أرى مجلس السلطان تفضي عفاة
الردوس مجد بالساح سجود
رغم لجلاء الواغين لديه من
بجال سجود في مجالس سجود
الجناس : العتوي ، وهو قسان : نجيس اخمار ونجيس اشارة : فتجيس
الاشارة هو أن يضم المتكلم ركني الجنس ويظهر في اللفظ ما يوافق أحد
الركنيتين ، ليدل على ما أصره ، فإن تعلم المرادف التي يلفظ فيه اشارة لطيفة
تدل على ذلك المصغر ، كقول أبي بكر بن عياد وقد اصطحب بخمرة وترك
بعضها الى الليل فصار خلا :

الا في سبل النهي كأس مدامة
أنتنا بطعم عهدك غير ثابته
حكمت بنت بسطام بن ليس صبيحة
وأمت كجسم الشفري : بعد ثابت
بنت بسطام بن ليس اسمها الصباه ، وقوله : كجسم الشفري بعد ثابت ،
أشار به الى قول الشفري يرني خاله فأبط شراً واسمه ثابت :

فاسقنيها أيا سواد بن صمرو
ان جسي من بعد خالي لخل
والخل : التحيف المهزول : فصيح مع جناسان مضموران في صغر البيت وعجزه
فالاول في صباه وصباه والثاني في دحل واخل .

لما جناس الاشارة فيبه وروده في النظم ان الشاعر يعقد المجازاة في بيت
بين الركنين في الجنس فلا يوافق الوزن على ايرازهما فيضم الواحد ويعدل الى
مرادف فيه كتابة لطيفة تدل عليه ، وهذا لا يفتق في المثلث ، ومنه قول دحل في
امرأته سلمى :

التي أحبتك حباً لو نفسنه سئمتي سببك ذاك الشاعر الراسي
فالكناية في «سببك» لأنها أشد من أن الركن المضمر في «سئمتي» يظهر منه
جناس الإشارة بين الركن الظاهر والمضمر في «سئمتي» الذي هو العجل ،
١ - ناقش مسألة اللحن بالجناس بما ليس منه حداً وتعريفاً ، ومسألة كثرة
التعريفات واختلاف البلاغيين في اعتماد المصطلحات الدالة عليها .

٢ - حدد الجنس وبين نوعه في النصوص الآتية معتمداً المصطلحات التي
ارتدبها تسميات لهذه الأنواع :

١ - قال أبو جعفر الأسكاني :

فرضت نفسي أجل البساط قلم يطلب مجلماً غير راسي
قللت لنفسي لا تكريمه فكلم للمثيب كمراسي كمراسي
٢ - قال المصري :

رُبَّ سولٍ على فتاتي فتاتي ترى هل سلا فتاها لفتاها
علمته جفوتها أي سحر ما تلاها في جيبها ما تلاها
٣ - قال الشاعر :

تشرق قلبي في هواء فعمده فريق واحد في شعبة وفريق
إذا طمأت نفسي أقول له اسفني وإن لم يكن ماء لذيك فريق
٤ - قال أبو الفتح البستي :

إن هزاً أوداه يوماً ليعلمها أنساك كمل كسي هزاً عامله
وإن أقر على رق أناسه أقر بالرق كتاب الاتمام له
٥ - قال الشاعر :

كُفَّ عن الناس إذا شئت أن تلم من قول جهول سفيه
من قلف الناس بما فيهم يلقفه الناس بما ليس فيه
٦ - قال الباهرزي :

عابت طيف الذي أموى قلت له كيف اعتديت وجح الليل مبول

فقال أبصرت نارا من جو انحكمت
فقلت نار الهوى معنى وليس لها
فقال ثبتنا في الامر واحدا
٧- قال الشاعر :

بضيه منها لدى المارين قبليل
نور بضيه فماذا القول مقبول
أنا الخيال وقار الشوق تخيل

فدومكم في غداة ومساء
مطالع لواء من مطال عناء

غزال في مروج العز مراح

اذ رحل الجيران عند الغروب
ودمع عيني كقبض السروب
لفتر عن مثل آفاح السروب

وبفضل علمك أصحرف

وليلة جارهم بنت الحلق (١)

ولما نأيتم لم أزل مشرقيا
وإني اذا كان التراق معاندي
٨- قال ابن الشرف المردني :

غلال في مروج الحد سار
٩- قال الخليل بن أحمد :

يا وبع قلبي من دواهي الهوى
أبيتهم ظرني وقد أزمعوا
باتوا وفيهم طفلة حرة
١٠- قال أبو فراس بن حمدان :

من بحر جودك أغشرف
١١- قال العمري :

نهارهم ابن يفر في ضحاء

(٨)

قال عمر الخيام مفتخراً :

سبقت العالمين إلى العالي
فلاح بحكمتي نور الهدى في
سريد الجماعلون لبطيئته
ويأبى الله إلا أن يستمه
يقبس الشاعر في هذه الايات من قوله تعالى : « يريدون أن يطفئوا نور الله
بأنفوسهم ويأبى الله إلا أن يثم نوره ولو كره الكافرون » (٢)

(١) ابن يفر هو الاسود بن يفر ، وبنت الحلق اسمها ليل

(٢) التوبة ٣١

وواضح انه بالغ مخالفة غير مقبولة في الشعر بما أتى به في ميدان علم الفلك
والحكمة والفلسف ، إذ يقرن بين ذلك وبين نور الله سبحانه ؛
قال الصحابي بن حياد :

أشكو اليك زماناً ظللَ به ركبي حرك الأديم ، ومن بعدو على الزمن
وصاحباً كنت مفبوطاً بصحبته دهرأ فغادرني فردأ بلا سكن
رباع صغفون وداد كنت أقصره عليه مجتهداً في السر والعلن
كأنه كان مطويأ على إحسن ولم يكن في تقديم الدهر انشغني
و ان الكرام اذا ما أسروا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الخشن ؛
فلاحظ ان الشاعر في هذه الايات يروي تجربته مع صاحب أهدى له صفاء
الود وحسن العشرة زماناً ثم تغير عليه وعجزه :

وهذه التجربة - بلا ريب- لاحتجاج إلى البيت اللقيس لتشكل صورها
وتتمس أثرها في السامع والقاريه بل ان البيت اللقيس يتحدث عن مسألة عقلية
لا تحصل اتصالاً عضوياً بتلك التجربة ذلك لانه يتحدث عن تذكر المرء لأصحابه
في حالة لبثل وبعده سياراً بعد قفر فأين هنا من معاناة الشاعر على يدي صاحبه
المخزون ؟

ثم ان هذا البيت اللقيس اقتضى اسلوب التباه ان يضمن الشاعر بالبيت
الذي قبله مبدءاً به لإيراد مقتضيه بتصوير صاحبه راوية
كأنه كان مطويأ على إحسن ولم يكن في قديم الدهر انشغني
ان الكرام اذا ما أسروا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الخشن
وعليه فان هذين البيتين يدوان رقعة رتق بهما الشاعر سائر آياته وأحدهما على
تجربته الحاماً شكلياً ، لبرزت مقطوعته كلها مهلهلة ضعيفة التماسك بعيدة
عن التماسق :

حلل في ضوء هذين المثالين مآلي النصوص الآتية من التماس وتضمن ميثاق
الاسلوب الذي سلكه كل نص في ذلك ومنها على مدى مادته من الفن الابداعي
الذي اعتمده :

١ - قال عبد المؤمن الأصبهاني في المقالة السادسة والثمانين من رسالته أطبق الذهب : (١) ، ذكر الله اشرف الأذكار ، فأذكروه بالعشي والابكار ، ذكره مقدح الأرواح الصلبة ، كالصبا من وجه الألهي التديبة ، فأذكر الله ذكراً كثيراً وكثيره تكييراً . فإذا اعطمت الذكر فاترك الصوت والحرف ، وإذا شربت وسكرت فامسك الطرف : السجود ماجل عن نفقات الجباه ، والذكر ماخفي عن حركات الشفاه ، فجهز لطيفة (٢) الاثنية إلى حظائر نفسه ، واذكر ربك في نفسك بذكرك في نفسه ، ولعل لمن يذكر الله بلسانه تورعاً اذكر ربك في نفسك تضرعاً (٣) .

٢ - قال الأحموس :

إذا رمت عنها سلوة قال سابع من الحب ميعاد السرور المقابر
 متبني لها في مضمحل القلب والحشا سرائر ورد يوم تبثني السرائر
 ٣ - قال ابن نباتة :

وأفيد جارت في القلوب لحافه وأسهرت الأجنان أجهاته الوسي
 أجبل نظراً في حاجيه وطرفه تر السجرت من قاب قومين أو أدنى
 ٤ - قال ابن عبدالقاهر في مشوقه نسيم :

إذ كانت العشاق من أشواقهم جعلوا النسيم إلى الحبيب رسولاً
 فأنا الذي أتو لهم باليتسي كنت اتخلت مع الرسول سيلاً

٥ - قال الحريري ، يحكي مقاله الغلام الذي عرفه (أبو زيد) ليح
 على أي سألشد عند يعسي أضعاعوني وأي فتى أضعاعوني
 ٦ - قال أبو جعفر الأندلسي :

لاتعداد الناس في أوطانهم فلما برعسي غريبه الوطن
 وإذا ما شئت حباً بينهم وصالني الشمس يخلق حسن

(١) هذه الرسالة مائة مقالة عارض بها أطوار الذهب لزمخفري .

(٢) الطيبة ، وعاء المسك .

(٣) الأعراف ، ٢٠٤ .

النفوس الآيات للكرامة والاحاديث النبوية الشريفة الآتية مع اجادة الاقتباس واحكامه :

- ١ - قال تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » (١) .
- ٢ - قال تعالى : « ولا يحق للكفر السوء إلا بأعله » (٢) .
- ٣ - قال تعالى : « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » (٣) .
- ٤ - قال الرسول الكريم : « كل معروف صدقة » .
- ٥ - وقال أيضاً : « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » .
- ٦ - وقال أيضاً : « انظّم ظلمات يوم القيامة » .
- ٧ - وقال أيضاً : « الأرواح جنود مجنّدة » .

(١٠)

ابن رشيق القيرواني من الباحثين القدامى الذين جمعوا بين مباحث حسن الابتداء وحسن التخلص وحسن الانتهاء في مبحث واحد فقد له عنوان « باب البناء والخروج ، والنهاية (٤) » وقال فيه من بين ما قال : « قيل لبعض الخدّاء أي بصناعة الشعر : لقد طار اسمك واشتهر ، فقال : لاني أنفقت الخبز وطبقت المفصل وأصبت مقاليل الكلام ولوطيت لكت الأفاضل بحسن الفرائح ولطف الخروج ولخواتم إلى المدح والمجاء ، وقد صدق لان حسن الافتتاح داعية الانشراح ، ومطية النجاح ولطاقة الخروج إلى المديح سبب لزجاج الممدوح ، وخاتمة الكلام أبقى في السمع ، وألصق بالنفس ، لقرب العهد بها » : وان الشعر قفل أوله مفتاحه ، وينبغي للشاعر أن يتجنب « الآء والتعليق » ، ووقده فلا يستكثر منها في ابتدائه ، فانها من علاقات الضعف والشكلان : : ويرغب عن التقييد في الابتداء فقد حكى أن دحبل بن علي

(١) الخبرات ١٣ .

(٢) فلخر ١٣ .

(٣) الزمر ٩ .

(٤) راجع المصباح ص ١٩١ - ٢١٢ .

الخزاعي ورد ضمن قصص دار عبدالسلام بن رغبان ذلك الخن بيبي لتأشيد الأندلس
ذلك الخن ابتداء قصيدته :

كأنها ما كئسه عليل في خلة ولسف الملوك إذ بهما
فقال له دعيل : أسك ، فوافه ماخنتك ثم البيت الذّ وقد غشي عليك :
والعري ماظلمه دعيل ، وقد أبد سافة الكلام ، وعالف العادة ، وهذا يتفح
من جهات : منها الصغار مالم يذكر قبل ، ولا جرت العادة بمثل فيظن ، ولا
كثر استعماله فيشهر ، مع أحالة تشبيه على تشبيه ، ونقل تجانس الذي هو حشو
فارغ ، ولو طرح من البيت لكان أحزم ، واستدعى قافية لا تشبه الألفاظ المعنى
واستحالة التشبيه ، ما الذي يريد ، (بنامه) في تشبيهه الوقف - وهو السور -
ولم كان وقف الملوك خاصة ؟ ومعنى البيت أن عشفته كأنها في جيبها وعينها
الفرز الذي كأنه بين بنات الحلة سور البخارية الحسنة المعنى المتها لكه فيه ، وقيل :
الملوك : البغي العاجزة ، فما هذا كله ؟ وأي شيء تحته ؟ ومن الشعر من
لا يجعل لكلامه بسطاً من النسب ، بل يهجم على ما يريد مكالمة ، ويتناول مصالحة
وذلك عندهم هو : الرث ، والبئر ، والقطع ، والكبح ، والاقطاب ؛ كل ذلك
يقال : : والقصيدة إذا كانت على تلك الحال بتره كالخطبة البتره والقطعاء ، وهي
التي لا يبتدأ فيها بحمد الله عز وجل على عادتهم في الخطب :

قال أبو الطيب :

إذا كان مدحٌ فالنسبُ المقدمُ أكلُ فصيحٌ قال شعراً مُتَّيِّمٌ ؟
فإنكر النسب ، وزعموا أن أول من فتح هذا الباب وفتح هذا المعنى أبو نواس
يقوله :

لا تبتك لي ، ولا تطرب لي الوعد والشراب على الورود من حمراء كالورد
وتقوله وهو عند الخاقاني فيما روى عن بعض أشياعه الفضل ابتداء صنعه شاعر
من القدماء والمحدثين :

صيلة الطول بلاسة المقدم فاجعل صفاتك لايلة الكثر

ولما صنعته الخليفة على اشتهاؤه بالخمير، وأخذ عليه أن لا يذكرها في
شعره قال :

أمر شعرك الاطلال والنزل القفرا لقد طالما أزرى به نعتك الطعرا
دعائي إلى نعت الظول مسلط تضيق خرامي أن أردد له أسرا
نسمعا أسير المؤمنين وطاعة وان كنت قد جشمتني مركبا وعمرا
فجاءه بان وصفه الاطلال والفر انما هو من عشية الامام ، والا فهو عنده فراخ
وجهل : : : : :

أما الخروج فهو عندهم شبه بالاستطراء ، وليس به لان الخروج انما هو أن
تخرج من نسيب إلى مدح أو غيره بلفظ محبب ، ثم تتدأ فيما خرجت اليه كتقول
أبي عبادة الجعري :

صفت وبك بكل نسوة عاجل من ولبه حسفاً لنا مطوما
ولو أنني أعطيت فيهن التي لسفينهن بسكسف إبراهيما
وأكثر الناس استعمالاً لنا لئن أبو الطيب ، فإنه ما يكاد يفتك له ، ولا يشد
عنه حتى ربما قبح سقوطه فيه ، نحو قوله :

ها قاتطري أو فطشي بي تزي حرفاً من لم يلقى طرفاً منها فقد والا
حل الامير يرى فلي يفتضح لي إلى التي تركتني في الموى مثلاً
وليس هذا من قول أبي نواس :

سأشكو إلى الفضل بن يحيى بن خالد هو انما لعل الفضل يسمع بيتا
في شيء ، لان أبا نواس قال : يسمع بيتا ، ثم أتبع ذلك ذكر المال والسخاء به ،
فقال :

أميراً وأبته المال في نعمائه مهبناً ذليل النفس بالضم موقنا
فكانه أشار إلى أن جميع بيتها بالمال خاصة : بفضل عليه ، وبجزل عطية ،
فيزوجها : : : : : أما الانتهاء فهو قاعدة التصيد ، وأمر ما يقى منها في الاسماع ،
وسيله أن يكون محكماً : لانمكن الزيادة عليه ، ولا يأتي بعده أحسن منه ، وإذا
كان أول الشعر مفتاحاً له وجب أن يكون الآخر قفلاً عليه : : : : :

ومن العرب من يتم القصيدة فيقطعها والنفس بها متعلقة، وفيها رغبة مشتبهة،
ويبنى الكلام مبعوراً كأنه لم يتعمد جعله خاتمة، كمل ذلك رغبة في أخذ العفو،
واسقاط الكفة، ألا ترى ملقة امرئ النفس كيف سخما بشوله بصف السبل
عن شدة المطر:

كأن السباع فيه غرسي غديك بأرجائه القصوى أنايش عنصل
فلم يجعل لها قاعدة كما فعل غيره من أصحاب الملقات؛
وقد كره الخدائق من الشعراء ختم القصيدة بالدعاء، لأنه من عمل أهل الضعف،
الأكملون، فإنهم يشتهون ذلك كما قدمت، عالم يكن من جنس قول أبي الطيب
بذكر الخيل لسيف الدولة:

فلا هجمت بها إلا على القنبر ولا وصلت بها إلا إلى أسكر
انوس في ضوء هذه الملاحظات البلاغية والتلوية وما دهرنا إليه من منهج بناء
نص الأدبي النصوص الشعرية الآتية:

١- قال أوس بن حجر:

أينها نفس أجسلي جزأها إن الذي تحلرين لشد وقعا
٢- قال أبو الطيب المنفي:

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا وحسب لنا أن يكن أماليا
٣- قال أبو النجم في مدح هشام بن عبد الملك:

والشمس قد كادت ولما تغلر كأنها في الأفق عيّن الأحول
٤- قال أبو تمام في المدح:

صَبَّ الفراق علينا صَبًّا من كسب سيف الامام الذي سمته هيبه
٥- قال النابغة الذبياني في آخر قصيدة اعترض بها إلى العمان بن النضر:

وكذبك مني حبرة فردتها على حين عاثت للشيب على الصبا
عليه اسحاق يوم لروح منتظما لا تخرم أهل الأرض مخروما
وثلث لنا أصح والشيب وزع ١١٩

٦ - قال أبو تمام:

ظلمتك ظلمةُ البسرى، ظلمومُ
زعمت هواك عتنا الغداة كما عفت
لا، والذي هو عالم أن النوى
مازلت عن نين الودادِ ولاحدتُ

٧ - قال أبو الطيب المنيني:

وقاوتكما كالريح اشجاء طامسه
بأن تُسعيدا والدمع أشقاء ساجمه

٨ - قال أحمد شوقي:

أذرت أمهل، ثم بنا باصاح
حي الريح حديقة الأرواح

٩ - قال الرصافي في تصديده الشعر والحقيقة:

أصوغ بها حمر الكلام لخرعده
مدبحاً كعقد الزلزال المتناسق

المصادر والمراجع

- ١ - الاثنان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي: القاهرة ١٣٦٨ هـ
- ٢ - الأدب الصغير - آثار ابن القفح: عبدالله بن القفح: بيروت
- ٣ - أدب الكاتب: ابن قتيبة. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد: الطبعة الثالثة. القاهرة ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م.
- ٤ - أساس البلاغة - جزارف الرضخري: القاهرة:
- ٥ - أسرار البلاغة: عبدالقاهر الجرجاني: تحقيق ريتز: استانبول ١٩٥٤ م.
- ٦ - إعجاز القرآن: أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي: تحقيق السيد أحمد صقر: دار المعارف - القاهرة.
- ٧ - الاخاني - ابو الفرج الاصفهاني - طبعة دار الكتب المصرية وطبعة القاهرة ١٣٩١ هـ - ١٩٧٢ م، (ج ١٩) .
- ٨ - الاقصى القريب في علم البيان: محمد بن محمد بن عمرو التنوخي: القاهرة ١٣٢٧ هـ .
- ٩ - الامتاع واللذات: ابو حيان التوحيدي: تحقيق احمد امين واحمد الزين: القاهرة:
- ١٠ - أنوار الربيع في أنواع البديع: ابن معصوم المدني: تحقيق شاكر هادي شكر. النجف ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .
- ١١ - الايضاح: الخطيب القزويني: (بإشراف محمد محيي الدين عبد الحميد) . القاهرة:
- ١٢ - البديع: ابن المعتز: طبعة كراتشكوفسكي . لندن ١٩٣٥ م .
- ١٣ - البديع في نقد الشعر. أسامة بن منقذ: تحقيق الدكتورين احمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد: القاهرة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م:
- ١٤ - بديع القرآن: ابن أبي الأصبغ المصري: تحقيق الدكتور حفي محمد شرف: القاهرة ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م .

- ١٥ - البرهان في علوم القرآن : بدر الدين الزركشي ، تحقيق ابراهيم الفضل ابراهيم ،
القاهرة ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م :
- ١٦ - البرهان في وجوه البيان : ابن وهب الكاتب . تحقيق الدكتور احمد مطلوب
والدكتورة خديجة الخديجي : بغداد ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م :
- ١٧ - البرهان للكاشف عن إعجاز القرآن : ابن الزمكاني . تحقيق الدكتور احمد
مطلوب والدكتورة خديجة الخديجي : بغداد ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م
- ١٨ - البلاغة : الميرد : تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب : القاهرة ١٩٦٥ :
- ١٩ - بلاغة أرسطو بين العرب واليونان : الدكتور ابراهيم سلامة : الطبعة الثانية
القاهرة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م :
- ٢٠ - البلاغة تطور وتاريخ . الدكتور شوقي ضيف : القاهرة ١٩٦٥ م :
- ٢١ - البلاغة عند السكاكي . الدكتور احمد مطلوب . بغداد ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م :
- ٢٢ - البلاغة الواضحة . علي الجارم ومصطفى أمين : الطبعة العاشرة . القاهرة
١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م .
- ٢٣ - بيان إعجاز القرآن : الخطابي (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) دار المعارف
القاهرة
- ٢٤ - البيان العربي : الدكتور بدوي طيالة : الطبعة الرابعة - القاهرة ١٣٨٨ هـ
- ١٩٦٨ م :
- ٢٥ - البيان والتبيين : الجاحظ : تحقيق عبد السلام محمد هارون : القاهرة ١٣٦٧ هـ
- ١٩٤٨ م :
- ٢٦ - تاريخ النقد الأدبي عند العرب : طه احمد ابراهيم : الطبعة الثانية - بيروت :
- ٢٧ - النبيان في علم البيان : ابن الزمكاني . تحقيق الدكتور احمد مطلوب ،
والدكتورة خديجة الخديجي : بغداد ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م
- ٢٨ - تحرير التمهيد : ابن ابي الاصبغ المصري . تحقيق الدكتور حفي محمد شرف :
القاهرة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م :

- ٢٩ - التلخيص : الخطيب القزويني : تحقيق عبد الرحمن البرقوقي : الطبعة الثانية
القاهرة ١٣٥٠ هـ - ١٩٣٢ م .
- ٣٠ - الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والنثور : ضياء الدين بن الاثير
تحقيق الدكتورين مصطفى جواد وجميل سعيد : بغداد ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م
- ٣١ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي : دار الكتب - القاهرة،
- ٣٢ - الجمان في تشبيهات القرآن. ابن تالبا البغدادي : تحقيق الدكتور أحمد مطلوب
والدكتورة خديجة الحادي : بغداد ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م
- ٣٣ - جواهر البلاغة. أحمد الهاشمي : الطبعة العاشرة. القاهرة ١٣٧٨ هـ - ١٩٦٠ م
- ٣٤ - حاشية الدسوقي : محمد بن محمد عرفة الدسوقي (شرح التلخيص القاهرة)
١٩٣٧ م
- ٣٥ - حدائق السحر في دقائق الشعر : رشيد الدين الوطواط : ترجمة الدكتور
ابراهيم أمين الشواربي - القاهرة ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م
- ٣٦ - حسن التوسل إلى صناعة التوسل : شهاب الدين محمود الحلبي : تحقيق الدكتور
أكرم عثمان، بغداد ١٩٨٠ م
- ٣٧ - حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة. جلال الدين السيوطي : القاهرة
١٢٩٩ هـ
- ٣٨ - الحيوان. الجاحظ : تحقيق عبد السلام محمد هارون : القاهرة ١٣٥٦ هـ -
١٩٣٨ م
- ٣٩ - غزاة الأدب وغاية الأرب : ابن حجة الحموي : القاهرة ١٣٠٤ هـ
- ٤٠ - الخصائص : ابن جنّي : تحقيق محمد علي انتجاره : القاهرة ١٣٧١ هـ -
١٩٥٢ م
- ٤١ - دراسات في علم النفس الأدبي : حامد عبد - القاهرة - ١٣٦٧ هـ -
١٩٤٩ م
- ٤٢ - دروس في البلاغة وتطورها. الدكتور جميل سعيد : بغداد ١٣٧٠ هـ -
١٩٥١ م

- ٤٣ - دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني: تحقيق محمد رشيد رضا، القاهرة ١٣٧٧هـ.
- ٤٤ - ديوان جرير، القاهرة:
- ٤٥ - ديوان الرصافي، القاهرة، وطبعة وزارة الثقافة والاعلام بغداد.
- ٤٦ - ديوان الفرزدق، القاهرة:
- ٤٧ - رسائل البلغاء محمد كرد علي: الطبعة الرابعة: القاهرة ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م.
- ٤٨ - سر النصاحة، ابن سنان الخفاجي، تحقيق عبد المنعم الصعيدي، القاهرة ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م.
- ٤٩ - سيرة ابن هشام (السيرة النبوية) ابن هشام، تحقيق مصطفى السقا وجناحه: القاهرة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.
- ٥٠ - شرح ابن عثيل على ألفية ابن مالك: تحقيق محمد مهدي الدين عبد الحميد: الطبعة الرابعة عشرة، القاهرة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- ٥١ - للشرح الأطول: الأسقراني: تركيا ١٢٨٤هـ:
- ٥٢ - الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق احمد محمد شاكر، الطبعة الثانية، القاهرة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.
- ٥٣ - الصحابي احمد بن فارس، تحقيق الدكتور مصطفى الشويبي: بيروت ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.
- ٥٤ - طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجهمي: تحقيق محمود شاكر: الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٧٤م.
- ٥٥ - الطراز النضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز: يحيى بن حمزة الملوي: القاهرة ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م.
- ٥٦ - عبد القاهر الجرجاني: بلاغته وتقدمه، الدكتور أحمد مطلوب: بيروت ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- ٥٧ - عروض الافراح في شرح الخيصر المفتاح: بهاء الدين السبكي: القاهرة ١٣٧٠هـ.

- ٥٨ - العمدة، ابن رشيق القيرواني: تحقيق محمد مهدي الدين عبد الحميد،
القاهرة، الطبعة الثالثة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م.
- ٥٩ - حيار الشعر: ابن طباطبائي العلوي: تحقيق الدكتور بن طه الحاجري ومحمد
زخول سلام، القاهرة ١٩٥٦ م.
- ٦٠ - العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي.
- ٦١ - حيون الأخبار: ابن قتيبة، دار الكتب - القاهرة.
- ٦٢ - فن التشبية، علي الجندي، الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٦٨ هـ - ١٩٦٦ م.
- ٦٣ - فن الجناس، علي الجندي: القاهرة ١٩٥٤ م.
- ٦٤ - فنون بلاغية، الدكتور أحمد مطلوب: بيروت ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.
- ٦٥ - القواعد (المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان) ابن قيم الجوزية: القاهرة
١٣٣٧ هـ
- ٦٦ - الميزان الجديد: الدكتور محمد مندور: القاهرة - الطبعة الثالثة:
- ٦٧ - القاموس المحيط: الفيروز آبادي،
- ٦٨ - القزويني وشروح التلخيص، الدكتور أحمد مطلوب: بغداد ١٣٨٧ هـ -
١٩٦٧ م.
- ٦٩ - قواعد الشعر، نعلب: تحقيق محمد عبد المنعم عفاجي: القاهرة ١٣٦٧ هـ -
١٩٤٨ م.
- ٧٠ - الكامل: الميرد: تحقيق الدكتور زكي مبارك، القاهرة ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م.
- ٧١ - الكتاب، سيويه: بولاق - القاهرة ١٣١٦ هـ وطبعة عبد السلام محمد هارون.
- ٧٢ - كتاب الشهيد: البهلاوي: تحقيق يوسف مكارني: بيروت ١٩٥٧ م.
- ٧٣ - كتاب الصائحين: أبو هلال العسكري: تحقيق علي محمد الجاوي ومحمد
أبو الفضل إبراهيم: القاهرة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م.
- ٧٤ - الكتاب: جلال الدين سيدي، القاهرة ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م.
- ٧٥ - الباب - جميل صدقي الزهاوي: القاهرة:

- ٧٦ - لسان العرب : ابن منظور ؛
- ٧٧ - اللغة الشامية : عباس محمود العقاد : القاهرة ؛
- ٧٨ - النثر السائر في أدب الكاتب والشاعر : ضياء الدين بن الأثير : تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - القاهرة ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م وطبعة الدكتورين أحمد الخولي وبندي طباطبة : القاهرة ؛
- ٧٩ - مجاز القرآن : أبو عبيدة ؛ تحقيق الدكتور فؤاد سزكين : القاهرة ١٣٧٤ هـ ١٩٥٥ م ؛
- ٨٠ - الزهر في علوم اللغة وأواعها : جلال الدين السيوطي ؛ تحقيق محمد أحمد جاد المولى وجماعته : القاهرة - الطبعة الثالثة .
- ٨١ - المصباح في علم المعاني والبيان والبدع ؛ بشر الدين بن مالك : القاهرة ١٣٤٩ هـ .
- ٨٢ - مصطلحات بلاغية ؛ الدكتور أحمد مطلوب ؛ بغداد ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م ؛
- ٨٣ - المصون في الأدب ؛ أبو أحمد الحسن بن عديته العسكري ؛ تحقيق عبدالسلام محمد هارون ؛ الكويت ١٩٦٠ م ؛
- ٨٤ - الطول . سعد الدين التفتازاني ؛ تركيا ١٣٣٠ هـ .
- ٨٥ - معجم الأدباء . بالوث الحموي ؛ طبعة مرغليرث وطبعة الرفاعي . القاهرة
- ٨٦ - المنى في إيراد التوحيد والعدل (الجزء السادس عشر) القاضي عبد الحجاز الأسد آبادي ؛ تحقيق أمين الخولي ؛ القاهرة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م ؛
- ٨٧ - منى اليب . ابن هشام الأصبهاني ؛ تحقيق محيي الدين عبد الحميد ؛ القاهرة ؛
- ٨٨ - مفتاح العلوم ؛ السكاكي ؛ القاهرة ١٩٥٦ هـ - ١٩٣٧ م ؛
- ٨٩ - القدرات لغريب القرآن ؛ الراغب الأصبهاني ؛ تحقيق محمد سيد كحلاني ؛ القاهرة ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م .

- ٩٠ - مقياس اللغة : أحمد بن فارس : القاهرة :
- ٩١ - مقلة ابن خلدون : ابن خلدون : دار الكشاف - بيروت :
- ٩٢ - مناهج بلاغية : الدكتور أحمد مطرب - بيروت ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م :
- ٩٣ - مناهج البلاغ وسراج الادباء : حازم القرطاجني : تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة : تونس ١٩٦٦ م :
- ٩٤ - المزاغة بين أبي تمام والبيهقي : الأمدي : تحقيق السيد أحمد صقر : دار المعارف - القاهرة :
- ٩٥ - مواهب القناع في شرح الخيصر الفنتاج : ابن يعقوب المغربي (شرح التلخيص) - القاهرة ١٩٣٧ م :
- ٩٦ - الموضح : المرزباني : تحقيق علي محمد البجاوي : القاهرة ١٩٦٥ م :
- ٩٧ - نقد الشعر : قدامة بن جعفر : تحقيق كمال مصطفى : القاهرة ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م :
- ٩٨ - نكت الانتصار لنقل القرآن : الباقلافي : تحقيق الدكتور محمد زطلول سلام : الاسكندرية ١٩٧١ م :
- ٩٩ - نكت في إعجاز القرآن : الرمالي (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) دار المعارف القاهرة :
- ١٠٠ - نهاية الأيجاز في دراية الأيجاز : فخر الدين الرازي : القاهرة ١٣١٧ هـ :
- ١٠١ - النهاية في غريب الحديث والأثر : أبو السعادات المبارك محمد بن محمد (ابن الأثير الجزوي) تحقيق تراوي الطنحي : القاهرة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م :
- ١٠٢ - الرواظة بين النبي وعصره : القاضي الجرجاني : تحقيق محمد أبو فضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي : الطبعة الثالثة - القاهرة :

الموضوعات

الرقعة

الباب الأول
نشأة والتطور

٧ - ٧٩

الفصل الأول : التاريخ

البحث الأول : نشأة والتورات

نشأة

الاهداف

الفرض الرئيسي

الفرض التعليلي

الفرض النقدي

التورات

تقرآن الكريم

المصرون

التورون والنسبة

الشعراء والكتاب

التكلمون

البحث الثاني : المدارس البلاغية

المدرسة الكلامية

المدرسة الادبية

الفصل الثاني : النفاحة والبلاغة

البحث الأول : النفاحة

تقرآن والحديث

٣٧
٤١
٤٣
٤٣
٤٣
٤٣
٤٤
٤٥
٤٧
٤٨
٤٩
٤٩
٦٣
٦٤
٦٤
٧١
٧١
٧١
٧٢
٧٢
٧٤
٧٤
٧٤
٧٥
٧٥
٧٧

المجسط
ابن نونية
البرد
نظير
ابن المنذر
قدامة
ابن وهب
المسكوي
ابن سنان
عبدالقاهر
الرازي
ابن الاثير
المسكوي
ابن مالك
القزويني
البحث الثاني: البلاغة
في اللغة
في القرآن
في الحديث
في التراث
المجسط
البرد
المسكوي
ابن سنان
عبدالقاهر

٧٧	البرازي
٧٧	ابن الاثير
٧٧	السكاكي
٧٨	القزويني
	الباب الثاني
	علم المعاني
	٨٣ - ٢٤٧
٨٣	الفصل الاول: المعاني
٨٤	البحث الاول : نظرية النظم
٨٨	تطور النظرية
٩١	جسود النظرية
٩٥	البحث الثاني : نقد للنهج
١٠٣	الفصل الثاني : الخبر
١٠٣	البحث الاول : أضرابه
١٠٥	تعريفه
١٠٦	أضرابه
١٠٨	مؤلفاته
١١٥	البحث الثاني : أضرابه
١١٥	الأعراض الحقيقية
١١٨	الأعراض المجازية
١٢١	الفصل الثالث : الأنتاء
١٢١	البحث الاول : الأمر والتعجب
١٢١	قساه
١٢٣	الأمر
١٢٩	التعجب

١٣١	بحث الثاني : الاستهزاء
١٣٩	البحث الثالث : التحني والثناء
١٣٩	لشني
١٤٠	الثناء
١٤٢	الفصل الرابع : أحوال الجلسة
١٤٢	للبحث الأول : التقديم والتأخير
١٥٢	للبحث الثاني : الفصل والوصل
١٥٥	مواضع الفصل
١٦٠	مواضع الوصل
١٦٣	اتزان الجلسة الخالية بالواو
١٦٥	عسائت الوصل
١٦٦	لتفصيل والوصل في المفردات
١٦٩	البحث الثالث : التنصير
١٦٩	طرقه
١٧٠	أنواعه
١٧٢	شروطه
١٧٢	طرقه
١٧٧	الفصل الخامس : الأيجاز والأطاب والمساواة
١٧٧	البحث الأول : الأيجاز
١٧٩	الأيجاز
١٨٢	أنواعه
١٨٥	أداة الخلف
٢٠١	البحث الثاني : الأطاب
٢٠١	تعريفه

٢٠٣	أقسامه
٢١٧	البحث الثالث : السورة
٢٢٤	التفصيل السادس : تطبيقات عامة
	الباب الثالث
	علم البيان
	٢٥١ - ١٠٧
٢٥١	الفصل الأول : البيان
٢٥٩	البحث الأول : البيان لغة واصطلاحاً
٢٥٣	نشأة البيان
٢٥٥	جمود البيان
٢٥٩	البحث الثاني : أهمية البيان
٢٦١	التفصيل الثاني : التشبيه
٢٦١	البحث الأول : تعريفه وأركانه
٢٦١	التشبيه لغة
٢٦٢	التشبيه اصطلاحاً
٢٦٤	طبيعة التشبيه
٢٦٩	طرق التشبيه
٢٨٠	وجه التشبه
٢٨١	أداة التشبيه
٢٨٦	البحث الثاني : أنواع التشبيه
٢٨٦	التشبيه المرسل والتشبيه المؤكد
٢٨٧	حذف أداة التشبيه
٢٨٩	تشبيه التفصيل والتشبيه المجمل
٢٩٠	طبيعة وجه التشبه
٢٩١	تشبيه المبلغ وأثره

٢٩٢	البحث الثالث : تشبيه التردد والتشبيه للتركيب
٢٩٧	للبحث الرابع : التشبيه العنقلي
٢٩٧	أقسام وجه التشبيه
٢٩٩	التشبيه اصطلاحيا
٣٠٦	تشبيه الصورة
٣٠٨	للبحث الخامس : التشبيه الضمني
٣٠٨	فكرته
٣٠٩	خصائصه
٣٠٩	تحليل التشبيه الضمني
٣١١	للبحث السادس : المرادفات التشبيهية وبلاغته
٣١١	المرادفات
٣١٤	بلاغته
٣١٩	التعريف الثالث : الحقيقة والمجاز
٣١٩	تعريفهما
٣١٩	الحقيقة لغة
٣٢٠	الحقيقة اصطلاحيا
٣٢١	انواع الحقيقة
٣٢٢	المجاز لغة
٣٢٨	مقومات المجاز
٣٣٢	البحث الثاني : المجاز المرسل
٣٣٢	تعريفه
٣٣٢	علاماته
٣٣٧	للبحث الثالث : المجاز العقلي
٣٣٧	بين المجاز العقلي والقوي
٣٣٨	أركان الجملة

٣٣٨	حجج التجار العقلية
٣٤٠	وكيفية التجار العقلية
٣٤١	صفات التجار العقلية
٣٤٢	أقسام التجار العقلية
٣٤٣	المبحث الرابع : التجار بالاستعارة
٣٤٣	المبحث الأول : تعريفها واركائها
٣٤٣	تعريفها
٣٤٦	اركائها
٣٤٧	بين التشبيه والاستعارة
٣٤٩	أقسام الاستعارة
٣٥١	المبحث الثاني : الاستعارة التصريحية
٣٥١	التصريح لغة واصطلاحاً
٣٥٢	أقسام الاستعارة التصريحية
٣٥٢	المبحث الثالث : الاستعارة الكنية
٣٥٢	الكنية لغة واصطلاحاً
٣٥٤	أقسام الاستعارة الكنية
٣٥٥	السكاكي والاستعارة التخيلية
٣٥٥	حقيقة الاستعارة التخيلية
٣٥٥	غرض الاستعارة التخيلية
٣٥٧	المبحث الرابع : الاستعارة المرشحة والمجردة والمطلق
٣٥٧	الاستعارة المرشحة
٣٥٧	الاستعارة للمجردة
٣٥٨	الاستعارة المطلق
٣٥٩	المبحث الخامس : الاستعارة التشبيهية
٣٥٩	تعريفها

مضان الاستعارة التمثيلية

٢٤٠	
٢٤١	البحث السادس : بلاغة الاستعارة و سر جمالها
٢٤١	مدار بلاغة الاستعارة وجمالها
٢٤٢	أسس الاستعارة الجميلة
٢٤٢	سر بلاغة الاستعارة
٢٤٤	شروط حسن الاستعارة
٢٤٥	لغزات الحقيقة لبلاغة الاستعارة
٢٤٧	الفصل الخامس : الكتابة والتعريف
٢٤٧	البحث الأول : الكتابة وأنواعها
٢٤٧	الكتابة لغة
٢٤٧	الكتابة اصطلاحاً
٢٤٩	تعريف الكتابة
٢٤٩	الفرق بين الكتابة والخط
٢٧٠	أركان الكتابة
٢٧١	أقسام الكتابة
٢٧١	أنواع الكتابة
٢٧٢	التعريف
٢٧٥	التلويح
٢٧٦	الرموز
٢٧٧	الأيحاء أو الإشارة
٢٧٨	البحث الثاني : بلاغة الكتابة
٢٧٨	مبادئ البلاغة
٢٧٨	سر بلاغة الكتابة
٢٧٩	تأثير الكتابة في المخاطب
٢٨٠	بلاغة الكتابة بين القدامى والحديثين

٢٨٢	١٢٦	الفصل السادس : تطبيقات عامة
	١٢٧	١٢٧
	١٢٨	١٢٨
	١٢٩	١٢٩
١٣١	١٣٠	١٣٠
١٣١	١٣١	١٣١
١٣١	١٣٢	١٣٢
١٣٢	١٣٣	١٣٣
١٣٢	١٣٤	١٣٤
١٣٤	١٣٥	١٣٥
١٣٤	١٣٦	١٣٦
١٣٤	١٣٧	١٣٧
١٣٤	١٣٨	١٣٨
١٣٤	١٣٩	١٣٩
١٣٤	١٤٠	١٤٠
١٣٤	١٤١	١٤١
١٣٤	١٤٢	١٤٢
١٣٤	١٤٣	١٤٣
١٣٤	١٤٤	١٤٤
١٣٤	١٤٥	١٤٥
١٣٤	١٤٦	١٤٦
١٣٤	١٤٧	١٤٧
١٣٤	١٤٨	١٤٨
١٣٤	١٤٩	١٤٩
١٣٤	١٥٠	١٥٠

٤٣٦	طبيعة حسن التعليل وأثره
٤٣٨	المبحث الثالث : الطباق
٤٣٨	الطباق لغة
٤٣٨	الطباق اصطلاحاً
٤٣٩	نصوص من فن الطباق
٤٣٩	انقسام الطباق
٤٤٠	بين الطباق والكتابة
٤٤٢	ترشيح الطباق
٤٤٣	تأثير الطباق
٤٤٤	المبحث الرابع : المشاكاة
٤٤٤	المشاكاة لغة واصطلاحاً
٤٤٥	ضرباً المشاكاة
٤٤٦	المبحث الخامس : تأكيد المدح بما يشبه الذم
٤٤٦	وتأكيد الذم بما يشبه المدح
٤٤٦	حد تأكيد المدح بما يشبه الذم
٤٤٧	ضرباً تأكيد المدح بما يشبه الذم
٤٤٧	طبيعة تأكيد الذم بما يشبه المدح
٤٤٨	بلاغة تأكيد المدح بما يشبه الذم والذم
٤٤٩	الفصل الثالث : المحسنات اللفظية
٤٤٩	المبحث الأول : الجناس
٤٤٩	الجناس اشتقاقاً ولغة
٤٥٠	الجناس اصطلاحاً
٤٥١	أنواع الجناس
٤٥١	سر جمال الجناس

٤٥٧	البحث الثاني : الاقتباس
٤٥٧	الاقتباس لغة واصطلاحاً
٤٥٧	الاقتباس بين النسخ والجواز
٤٥٨	أنسب أساليب الاقتباس
٤٥٩	الاقتباس من الحديث الشريف
٤٦٠	التضمين لغة واصطلاحاً
٤٦١	أهمية الاقتباس
٤٦١	حسن التضمين
٤٦٢	البحث الثالث : حسن الإبتداء
٤٦٢	شروط حسن الإبتداء
٤٦٣	براعة الاستهلال
٤٦٣	براعة المطلع
٤٦٤	وسائل اجادة مطالع التصانيف
٤٦٥	البحث الرابع : حسن التخلّص
٤٦٥	تعريف حسن التخلّص
٤٦٦	موازنة بين الاستطراد وحسن التخلّص
٤٦٦	مقاييس حسن التخلّص
٤٦٧	البحث الخامس : حسن الانتهاء
٤٦٧	حد حسن الانتهاء
٤٦٧	بلاغة حسن الانتهاء
٤٦٨	وحدة نص الأدب
٤٧١	التفصيل الخامس : تطبيقات عامة
٤٧١	المصادر والمراجع